اختلاق الأوجه والمعاني
في كتب حروف المعاني

تأليف الدكتور
عبد الجبار فتحي زيدان ذنون صوفي علي الحمداني
أستاذ اللغة العربية والنحو القرآني

الطبعة الثانية
الموصل
١٤٣٨هـ=٢٠١٨م

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد
٨٣٣ لسنة ٢٠١٤م

التمهيد

بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، والْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ ، مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ، والصَّلاةُ والسَّلامُ عَلَى مُحَمَّدٍ رَسُولِ الله ، وخاتَمِ النَّبيين ، وعَلَى آلِهِ وأصْحابِهِ أجْمَعِين ، من الأنصارِ والمهاجرين ، والذين اتبعوهم بإحسانٍ إلى يومِ الدِّين .

بعد أن فرغتُ من تأليف كتابي : لا وجوه ولا نظائر في كتب الوجوه والنظائر ، بتاريخ ٢٠١٣/٤/٢٩م شرعتُ في دراسة كتب على شاكلة كتب الوجوه والنظائر التي اتبع أصحابها المنهج نفسه ، وكثيرًا ما تقرأ في كتب حروف المعاني مثل قولهم : جاء لفظ كذا على كذا أوجه ، وتارة مثل قولهم : جاء لفظ كذا على كذا معان ، لذلك سميتُ كتابي : اختلاق الأوجه والمعاني في كتب حروف المعاني ؛ لأنَّ أصحابها استعملوا هذين المصطلحين ، وإذا سألني سائل : ما المنهج الذي تتبعه في كتابة أبحاثك ومؤلفاتك اللغوية والنحوية ؟ أجبتُ بأنَّ ثمة ثلاثة مبادئ أساسية أتبعها في كل ما أكتبه في قضايا اللغة والنحو ، ومن اتبعها أصاب وأفلح وهي :

المبدأ الأول : القرآن الكريم بالرجوع إليه والاعتماد عليه ، وليس كلام العرب ؛ لأنَّ ما وصلنا من كلامهم هو شعرهم ، ولم يصلنا من نثرهم إلّا النزر القليل ، والشعر مُقيَّد بالوزن ووحدة القافية ، فالشاعر العربي مهما بلغت فصاحته وبلاغته ، كان كثيرًا ما يضحي بالمعنى الأصحّ والأدقّ وبالتركيب الأمثل والأنسب من أجل الحفاظ على استقامة الوزن الشعري ووحدة القافية ، من ذلك مثلًا استعمال (إذا) و(إنِ) الشرطيتين ، فالأولى تستعمل في الشرط المتحقق وقوعه بخلاف الثانية التي تستعمل فيما يحتمل أو يُشك فيه ؛ لذلك جاز أن يقال : آتيك إذا غربت الشمس ، وما جاز أن

يقال : آتيك إن غربت الشمس ؛ لأنَّ الشمس لا بدّ من أن تغرب[1] وهذا ما نبَّه عليه أهل البلاغة ، فقد قال الزمخشري : ((وللجهل بموقع (إن) و(إذا) يزيغ كثير من النحاة عن الصواب فيغلطون)) واستشهد لأبيات لأحد الشعراء استعمل فيها (إن) و(إذا) مراعيًا اختلاف وزنيهما لا المعنى ثم قال : ((فلو عكس لأصاب)) [2] من ذلك مثلًا قول المتنبي :

إذا أنت أكرمتَ الكريم ملكته   وإن أنت أكرمتَ اللئيم تمرَّدا

فالشاعر هنا استعمل (إذا) في الشطر الأول ، واستعمل (إن) في الشطر الثاني ، فلم يوحِّد ، ولم يعكس ؛ لأنَّ في كلتا الحالتين يختل وزن البيت ، فكم حالة مثل هذه الحالة حصلت في الشعر العربي ؟! ومثل هذه الحالة وما هو أدنى منها لا تجده في كتاب الله جل وعلا .

المبدأ الثاني : أنَّ اللفظ القرآني لا يطابق معناه إلّا اللفظ نفسه ، وكذلك كل تركيب فيه لا يطابق دلالته إلّا التركيب نفسه ، وإذا عُرِّف أو فُسِّر ، فإنَّما يُعرَّف ويُفسَّر باللفظ والتركيب القريب من معناه .

المبدأ الثالث : المعنى وحده من دون اللفظ هو الأساس في فهم كل لفظ وتركيب ، وأساس كل إعراب فيه ، من ذلك مثلًا أنَّك تقول : نجحتْ سعادُ ، وكلَّمتُ سعادَ ، وسلَّمتُ على سعادَ ، تقول هذا إذا جعلتَ اللفظ (سعاد) علمًا لمؤنَّث ، فتمنعه من الصرف والتنوين وتجرّه بالفتحة وتؤنث الفعل المسند إليه ، وإذا جعلتَه علمًا لمذكَّر ، ذكَّرتَ الفعل المسند إليه وتقول : نجح سعادٌ ، وكلَّمتُ سعادًا ، وسلَّمتُ على سعادٍ ، فتنوِّن اللفظ وتجرّه بالكسرة ، والفعل (تناسَوا) تعربه فعل ماض مبنيًّا على الفتح إذا جعلته فعلًا دالًّا على الزمن الماضي ، كقولك : الناس تناسَوا ما أصابهم ، وتعربه

([1]) ينظر : المقتضب للمبرد تحقيق عضيمة ٢/٥٦ ومفتاح العلوم للسكاكي ص ١٦٨ والإيضاح في علوم البلاغة للقزويني ص ٥٣ .

([2]) الإيضاح في علوم البلاغة ص ٥٤ .

فعل أمر مبني على حذف النون إذا جعلته فعلًا دالًّا على معنى الأمر ، كقولك : يا أيّها الناس تناسَوا ما أصابكم ، فغيَّرتَ الإعراب لتغيّر المعنى ، وتقول : لا يتخذْ مؤمنٌ كافرًا وليًّا ، وتقول : لا يتخذُ مؤمنٌ كافرًا وليًّا ، فتسكِّن آخر الفعل في المثال الأول عندما تجعل (لا) ناهية ، وتضمه إذا جعلتها نافية ، فتأمَّل أثر المعنى في تغيير القاعدة الصرفية ، وأثره في تغيير اللفظ تبعًا لتغير المعنى .

فهذا منهجي أمَّا منهج النحاة في استنباط المعاني للأدوات فهو السياق ، وقد تكلمتُ على منهجهم هذا في كتابي : لا وجوه ولا نظائر ، تحت عنوان : العلاقة بين دلالة اللفظ والسياق ، وتحت عنوان : العلاقة بين دلالة الحرف والسياق .

جعل حرف بمعنى حرف آخر : تميزت اللغة العربية بأن جُعل لكل حرف فيها دلالته ، وأنَّه لا يجيء بدلالة حرف آخر في أي تركيب كان وفي أيِّ سياق كان ، وهذه الحقيقة نلمسها بكل وضوح في كتاب الله ، إلّا أنَّه قد يبدو بدلالة حرف آخر في مواضع عند ضعفاء اللغة كما قال الزجاج ، أو في نظر من لا يمعن النظر في التعبير القرآني ، وهذا ما نبَّه عليه أهل اللغة أنفسهم ، جاء في البرهان في علوم القرآن للزركشي : ((كما في قوله تعالى : (وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ){سبأ : ٢٤} فاستعملت (على) في جانب الحق و(في) في جانب الباطل ، لأنَّ صاحب الحق كأنَّه مستعلٍ يرقب نظره كيف شاء ، ظاهرة له الأشياء ، وصاحب الباطل كأنَّه منغمس في ظلام لا يدري أين توجَّه ، وكما في قوله تعالى : (فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَـذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ){الكهف : ١٩} فعطف هذه الجمل الثلاثة بالفاء ، ثم لمَّا انقطع نظام الترتيب عطف بالواو فقال تعالى : (وَلْيَتَلَطَّفْ) إذ لم يكن التلطف مترتبًا على الإتيان بالطعام ، كما كان الإتيان مترتبًا على التوجه في طلبه ،

والتوجه في طلبه مترتبًا على قطع الجدال في المسألة عن مدة اللبث ، بتسليم العلم له سبحانه ، وكما في قوله تعالى : (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاء وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ){التوبة : ٦٠} فعدل عن اللام إلى (في) في الأربعة الأخيرة إيذانًا بأنَّهم أكثر استحقاقًا للتصدق عليهم ممن سبق ذكره باللام ، لأنَّ (في) للوعاء فنبَّه باستعمالها على أنَّهم أحقاء بأن يجعلوا مظنة لوضع الصدقات فيهم ، كما يوضع الشيء في وعائه مستقرًا فيه ... وكما في قوله تعالى : (وَقَدْ أَحْسَنَ بِي){يوسف : ١٠٠} فإنَّه يقال : أحسن بي وإليَّ وهي مختلفة المعاني ، وأليقها بيوسف عليه السلام (بي) لأنَّه إحسان درج فيه دون أن يقصد الغاية التي صار إليها ، وكما في قوله تعالى : (وَلاصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ){طه : ٧١} ولم يقل (على) كما ظنّ بعضهم ؛ لأنَّ (على) للاستعلاء ، والمصلوب لا يُجعل على رؤوس النخل ، وإنَّما يُصلَب في وسطها ، فكانت (في) أحسن من (على))) [١] وقد ذكر الزجاج أنَّه قد يتقارب حرف مع حرف في مواضع ((في الفائدة فيظنّ الضغيف العلم في اللغة أنَّ معناهما واحد)) بدلالة عدم حصول هذه الفائدة في المواضع الأخرى[٢] وبهذه الحجة ((ردَّ ابن عصفور جعل (إلى) بمعنى (في) في قوله تعالى : (لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ){الأنعام : ١٢} بأنَّه لو كانت بمعنى (في) لساغ أن يقال : زيد إلى الكوفة ، أي: في الكوفة))[٣] وكذلك نسب ابن هشام إلى ابن عصفور قوله : ((لو صحّ مجيء (إلى)

---

(١) ص ٧٩٧-٧٩٨.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣٥١/١ .

(٣) الجنى الداني ص ٣٨٨.

بمعنى (في) لجاز : زيد إلى الكوفة)) [1] وذكر النحاس بأنَّه لو جعلنا حرفًا بمعنى حرف آخر ((لبطلت المعاني))[2]وكذلك أنكر الأخفش الأوسط جعل حرف بمعنى حرف آخر ونقلَ عن أهل النظر أنَّ في ذلك ((إفسادًا لمعاني قول العرب))[3] وكثيرًا ما أقرأ أو أسمع أنَّ الذي دفع أهل اللغة والتفسير إلى أن يجعلوا حرفًا بمعنى حرف آخر هو كون السياق يقتضيه ، وهذا يعني مثلًا أنَّ قوله تعالى : {وَقَدْ أَحْسَنَ بِي}[يوسف : ١٠٠] باستعمال الباء من دون (إلى) مخالف للسياق ، ولجعله موافقًا له ، اقتضى جعله بتقدير : وقد أحسن إليَّ ، وهم بهذا الادعاء والتقدير قد طعنوا بلغة القرآن بل اتهموه باللحن من حيث لا يشعرون ، وجعل حرف بمعنى حرف آخر يدخل في باب التضمين .

كتب حروف المعاني : عُني عدد من النحاة بدراسة الحروف والأدوات في كتب مستقلة عن كتب النحو ، وأهمها وأوسعها وأشهرها وأكثرها تداولا عند الدارسين والباحثين خمسة كتب هي :

١–معاني الحروف ، لأبي الحسن علي بن عيسى الرماني (ت : ٣٨٤هـ)

٢–الأُزهية في علم الحروف لعلي بن محمد الهروي (ت : ٤١٥هـ)

٣–رصف المباني في شرح حروف المعاني لأحمد بن عبد النور المالقي (ت : ٧٠٢هـ)

٤–الجنى الداني في حروف المعاني للحسن بن قاسم المرادي (ت : ٧٤٩هـ)

---

(١) مغني اللبيب ٧٥/١.

(٢) إعراب القرآن ص ٨٥٣.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٥٢/١٣.

٥- مغنـي اللبيـب عـن كتـب الأعاريـب لابـن هشـام الأنصـاري (ت : ٧٦١هـ)

ومن المعلوم أنَّ أصحاب كتب حروف المعاني لم يُعنوا بذكر المعنى الموضوع للحرف فحسب ، بل تعدوه ، فأضافوا إليه معاني أُخَر ، بحجة أنَّه دلّ عليها من السياق ، وكثيرًا ما كانت هذه المعاني المضافة إليه مختلقة بنفس الطرق التي اتبعها أصحاب كتب الوجوه ، وسأقتصر فيما يأتي على الأوجه والمعاني التي اختلقوها للحرف القرآني وهي :

١-**همزة الاستفهام** : يقسم النحاة الاستفهام على قسمين : استفهام حقيقي كقوله تعالى : (قَالُواْ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ){البقرة : ٧٠،٦٨} ومجازي ، والحقيقة أنَّ كلا القسمين استفهام ، إلّا أنَّ الأول هو استفهام عما لا يعلمه السائل ليعلمه ، والثاني هو استفهام عن معلومة صحيحة أو غير صحيحة يعلمها السائل كما يعلمها المسؤول ، من أجل حمل المخاطَب على إنكارها أو الإقرار بها قال الثمانيني : ((والذي يدلّ على أنَّ لفظ الاستفهام يكون للتقرير والاعتراف قول جرير لعبد الملك بن مروان

ألستم خيرَ مَن ركب المطايا   وأندى العالمين بطون راح

والمادح لا يكون مستفهمًا ، وإنَّما يكون مخبرًا ومقررًا ، وورود المدح بلفظ الاستفهام أبلغ في معناه ليعترف الممدوح بما قرر عليه ؛ ولهذا حُكي أنَّ عبد الملك تحركتْ أعطافه واهتز للأريحية وقال : صدقتَ نحن كذلك)) [1]

بل هذا الاستفهام هو استفهام وليس بخبر ، والدليل على ذلك أنَّ عبد الملك أجاب المستفهم بقوله : ((صدقتَ نحن كذلك)) ولو كان خبرًا لما أجابه بقوله المذكور ، بل هو أشدّ استفهامية من الاستفهام الحقيقي ؛ لأنَّه يثير المشاعر والعواطف كما رأيت ، والخبر لا يثير شيئًا من ذلك وعليه فإنَّ

---

(١) الفوائد والقواعد ص ٨١٢.

الاستفهام المجازي كما سمّاه النحاة هو استفهام وليس بخبر كما يزعم أهل اللغة والتفسير ،وإذا استعملتُ لفظ الاستفهام المجازي في هذا الكتاب وغيره إنَّما أستعملُه لشيوع تسميته بهذا المصطلح ، وللتفريق بينه وبين الاستفهام الآخر .

همزة الاستفهام الإنكاري والتقريري : قال المالقي : ((أن تكون للإنكار في أول الكلمة ، وذلك إذا أنكرتَ كلام غيرك ، أو أنكرتَ رأيه)) [١] والأصحّ أنَّ المراد منه حمل المخاطَب على إنكار ما يجب إنكاره ، وقال المرادي : ((التقرير : وهو توقيف المخاطَب على ما يعلم ثبوته أو نفيه))[٢]

وبعد الاطلاع على كلام النحاة والمفسرين في همزة الاستفهام المجازي ، وجدتهم كثيرًا ما يختلفون فيها في الشاهد القرآني نفسه ، فمنهم من يذهب ويؤكد أنّها للإنكار ، ومنهم مَن يذهب ويؤكد أنّها للتقرير ، وقد تبيّن لي بعد مراجعة هذه القضية مرارًا أنّ همزة الاستفهام المجازي كثيرًا ما استُعمِلتْ للإنكار ، أي : لحمل المخاطَب على إنكار ما بعدها ، سواء دخلت على كلام منفي أم مثبت ، وفي حال دخولها على كلام منفي يكون المراد إنكاره ، فينقلب الكلام بإنكار نفيه إلى إثبات ، فيكون الكلام مقدمته إنكار ونتيجته تقرير ، فمن نظرَ إلى مقدمته قال بأنّ الاستفهام للإنكار ، ومَن نظر إلى نتيجته قال بأنّ الاستفهام للإقرار .

فالاستفهام الداخل على منفي يكون للإنكار غالبًا ويكون إنكار نفي ما دخلت عليه ؛ وهذه هي الدلالة المباشرة والقريبة ، ويكون للتقرير إذا أريد الإقرار بإنكار نفي ما دخلت عليه ، أي : الإقرار بنفي المنفي ، وهذه هي الدلالة غير المباشرة وغير القريبة .

---

(١) رصف المباني ص ١٤٢.

(٢) الجنى الداني ص ٣٢-٣٣.

وكذلك الحال إذا دخل على مثبت يكون غالبًا للإنكار ، ويكون إنكار إثبات ما دخلت عليه ، وهذه هي الدلالة المباشرة والقريبة ، ويكون للتقرير إذا أريد الإقرار بنفي إثبات ما دخلت عليه ، وهذه هي الدلالة غير المباشرة وغير القريبة .

الاستفهام الداخل على النفي : قال ابن هشام : ((الإنكار الإبطالي ... ومن جهة إفادة هذه الهمزة نفي ما بعدها لزم ثبوته إن كان منفيًّا ؛ لأنَّ نفي النفي إثبات ، ومنه قوله تعالى : (أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ){الزمر : ٣٦} أي : الله كاف عبده ، ولهذا عطف (وَضَعْنَا) على قوله تعالى : (أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ){الشرح : ١} لمَّا كان معناه : شَرَحْنَا ، ومثله قوله تعالى : (أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى){الضحى : ٦} وقوله تعالى : (أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ){الفيل : ٢} ولهذا أيضًا كان قول جرير في عبد الملك :

ألستم خير مَن ركب المطايا   وأندى العالمين بطون راح

والأَولى أن تُحمل الآية : (أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ){البقرة : ١٠٦} على الإنكار التوبيخي أو الإبطالي، أي : ألم تعلم أيّها المنكر للنسخ)) [١]

وقوله بالإتكار بأنّه جاء لإفادة الهمزة نفي ما بعدها لا يصحّ ؛ لأنَّ همزة الاستفهام لا تفيد النفي قطعًا ، والنفي غير الإنكار ، والدليل على ذلك الاستفهام في قوله تعالى : (قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ)(الصافات : ٩٥} الذي أدخله في باب الاستفهام الإنكاري[٢] فليس المراد من الهمزة نفي ما بعدها ؛ لأنَّ ما بعدها حاصل ، وإنّما المراد إنكاره ، أي : إنكار عبادتهم لِما ينختونه بأنفسهم

---

(١) مغني اللبيب ١/١٧–١٨ .

(٢) ينظر : مغني اللبيب ١/١٧–١٨ .

فقد ذهب ابن هشام إلى أنَّ همزة الاستفهام الداخلة على (ليس) و(لم) تدخل ضمن الاستفهام الإنكاري ، وخالفه كثيرون ، فقد ذهب الرمّاني إلى أنّها للتقرير وليس للإنكار فقال : ((وتكون تقريرًا وتحقيقًا ، وذلك إذا دخلتْ على (ما) أو (لم) أو (ليس) ... قال جرير :

ألستم خير مَن ركب المطايا   وأندى العالمين بطون راح)) [١]

وهذا ما ذهب إليه المالقي أيضًا ، فقد جعل من شواهد التقرير قوله تعالى : (قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا){الشعراء : ١٨} وقوله تعالى : (أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ){الأعراف : ١٧٢}))[٢] وجاء في الدر المصون قوله تعالى : (أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) ((هذا استفهام فيه معنى التقرير))[٣] وقال ابن عاشور : ((والاستفهام تقريري ... وهذا شأن الاستفهام الداخل على النفي ... أي : أنَّكم تعلمون أنَّ الله قدير ... وقد أشار في الكشاف إلى أنَّه تقرير ، وصرَّح به القطب في شرحه ، ولم يُسمع في كلام العرب استفهام دخل على النفي إلّا وهو مراد به التقرير))[٤]

وأرى صحة كلام ابن هشام ومن خالفه ؛ لأنّ المراد من همزة الاستفهام المجازي إنكار ما جاء بعدها ، نفيًا كان أم إثباتًا ، فالاستفهام إنكاري في قوله تعالى : (أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ) إذا قصدنا أنّه أريد حمل المخاطَب على إنكار عدم كفاية الله عبده ، والنتيجة هو الإقرار بكفايته عبده ، والأصل أن يكون المراد حملهم على الإقرار بإنكار عدم كفاية الله عبده ، وأمكن اختصار هذه العبارة بحذف لفظي المنفي ونفيه ، ليصبح المراد

---

(١) معاني الحروف ص ١-٢.

(٢) رصف المباني ص ١٣٦.

(٣) ٦٢/٢ .

(٤) التحرير والتنوير ٦٤٧/١ وينظر الكشاف ١٧٥/١ .

حملهم على الإقرار بأنَّ الله كافٍ عبده ، وقد جاء التصريح بالجواب التقريري الذي تلا ما كان على نحو الآية المذكووة كقوله تعالى : (أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا){الأعراف : ١٧٢} وقوله تعالى : (قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُواْ بَلَى وَرَبِّنَا){الأنعام : ٣٠}{الأحقاف : ٣٤} وقد جاء في الحديث الصحيح أنَّ من قرأ قوله تعالى : (أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَى){القيانة : ٤٠} وقوله تعالى : (أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ){التين : ٨} فليقل : بلى وأنا على ذلك من الشاهدين(١)

فهذا شأن همزة الاستقهام الداخلة على منفي كـ(ليس) و(لم) ولم يرد مجيئها في القرآن الكريم داخلة على (لن) و(ما) النافية ، بل ورد دخولها على (لا) النافية كقوله تعالى : (أَلاَ تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَؤُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤُمِنِينَ){التوبة : ١٣} والآية واضحة في أنَّ المراد حمل المسلمين على إنكار عدم مقاتلة مَن هذه صفتهم ، فالاستفهام إنكاري من هذا الوجه ، وتقريري ؛ لأنّ إنكار عدم مقاتلتهم يعني الإقرار بمقاتلتهم

ومثل هذا نقول في قوله تعالى : (أَلا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ){النور : ٢٢} فصحّ جعل الاستفهام هنا للإنكار ، إذا أردنا أنّ يكون المراد حمل المخاطَبين على إنكار عدم محبتهم لمغفرة الله لهم ، ويكون للتقرير ؛ لأنّ إنكار عدم المحبة يعني الإقرار بها ، والدليل ما جاء في تفسيرها بأنَّها ((نزلت في شأن أبي بكر الصديق رضي الله عنه حين حلف أن لا ينفق على مسطح ابن خالته لخوضه في عائشة رضي الله عنها، وكان مسكينًا بدريًّا مهاجرًا ، ولمَّا قرأها النبي صلى الله عليه وسلم

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢٢٣/٨ ، ٣٤٠.

على أبي بكر رضي الله عنه قال : بلى أحبُّ أن يغفر الله لي ، وردَّ إلى مسطح نفقته)) [١]وجاء هذا في حديث رواه البخاري ومسلم [٢]

وورد دخولها على (غير) في مواضع كقوله تعالى : (أَفَغَيْرَ دِينِ اللّهِ يَبْغُونَ){آل عمران : ٨٣} وهذا استفهام إنكاري ، لأنَّ المراد حمل المخاطبين على إنكار ابتغاء دينٍ غير دين الله [٣] وكذلك قوله تعالى : (أَغَيْرَ اللّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا){الأنعام : ١٤} وقوله تعالى : (أَغَيْرَ اللّهِ أَبْغِي رَبًّا){الأنعام : ١٦٤} وقوله تعالى : (أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ){الزمر : ٦٤} فالاستفهام في جميعها إنكاري[٤]

وقد أدخل ابن هشام وغيره قوله تعالى : (أَغَيْرَ اللّهِ تَدْعُونَ){الأنعام : ٤٠} ضمن الاستفهام الإنكاري[٥] وجعل الزجاج وغيره الاستفهام في قوله تعالى : (أَغَيْرَ اللّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ){الأنعام :٤٠} للتقرير ، قال الزجاج : ((لأنَّهم كانوا إذا مسَّهم الضر دعوا الله))[٦] أي : عندما يصيبكم عذاب الله لا تدعون إلّا الله[٧] ذلك أنَّ الاستفهام أريد به حمل المشركين على الإقرار بنفي ما جاء بعد الهمزة ، أي : بنفي دعائهم غير الله ، فيكون المعنى ((فأنتم مقرون بأنَّكم لا تدعون غير الله)) [٨] والأصل هو الإنكار ،

---

(١) مدارك التزيل ص ٧٧٤.

(٢) ينظر : أسباب النزول للواحدي ص ٢٠١

(٣) ينظر : الكشاف ٣٧٣/١ والدر المصون ٢٩٥/٣ .

(٤) ينظر : الدر المصون ٥٥٤/٤ .

(٥) ينظر : الكشاف ٢١/٢ والدر المصون ٦٢٧/٤ ومغني اللبيب ١٧/١–١٨ .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ١٩٨/٢.

(٧) ينظر : مدارك التنزيل تفسير النسفي ص ٣٢١.

(٨) التحرير والتنوير ٩٥/٦.

فالمراد في جميع ما تقدم : إنكار دعائهم غير الله ، ومن جعله للتقرير جاء من جعله الاستفهام أريد به حمل المشركين على الإقرار بإنكار دعائهم غير الله

الاستفهام الداخل على مثبت : كذلك همزة الاستفهام الداخلة على مثبت تكون غالبًا للإنكار ، فقد أدخل ابن هشام قوله تعالى : (أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنتُمْ لا تُبْصِرُونَ){الطور : ١٥} ضمن الاستفهام الإنكاري[١] ومنهم مَن فسّره على أنّه تقريري ؛ لأنَّ هذا الاستفهام يُوجَّه إلى المشركين يوم القيامة ، فيقال لهم : إنَّكم كنتم في الدنيا تقولون للوحي : إنَّه سحر ، فما ترونه اليوم من حقائق أسحرٌ هو أيضًا؟[٢] والصحيح أنّه إنكاري ، لأنَ المراد حمل المشركين على إنكار قولهم للوحي بأنّه سحر بعد أن تبيّن لهم يوم القيامة بطلان ما كانوا يظنّونه ويدّعونه في الدنيا .

وقد أدخل ابن هشام أيضًا وغيره قوله تعالى : (أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ) ضمن الاستفهام الإنكاري[٣] أي : حملهم على إنكار شهادتهم وحضورهم خلقهم ، أو خلق مَن قبلهم ، وهذه حقيقة لا يملكون إنكارها ؛ لأنَّ السياق يؤكد عدم شهودهم ، وهذا ظاهر في قوله تعالى : (وَجَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ){الزخرف : ١٩} فلا المشركون ولا المؤمنون قد شهدوا خلق الملائكة أو خلق غيرهم ، والدليل على ذلك قوله تعالى : (مَا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ){الكهف : ٥١} وجاز جعله للإقرار إذا أريد من الاستفهام حمل

---

(١) ينظر : مغني اللبيب ١٧/١ .

(٢) ينظر : مدارك التنزيل ص ١١٧٤ والدر المصون ٦٧/١٠.

(٣) ينظر : مغني اللبيب ١٧/١ والتحرير والتنوير ٢٣٠/٢٥.

المشركين على الإقرار بنفي ما جاء بعد الهمزة ، أي : ليقرّوا بأنَّهم لم يشهدوا خلق الملائكة

وكذلك أدخل ابن هشام قوله تعالى : (أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الأَوَّلِ) في باب الاستفهام الإنكاري[١] وقد قال بالاستفهام الإنكاري أيضًا الزمخشري[٢]وابن عاشور [٣] قال الزخشري : ((والمعنى : أنَّا لم نعجز كما علموا عن الخلق الأول حتى نعجز عن الثاني ، ثم قال : هم لا ينكرون قدرتنا على الخلق الأول ، واعترافهم بذلك في طيِّه الاعتراف بالقدرة على الإعادة)) [٤] وقال ابن عاشور : ((لأنَّهم لا يسعهم إلّا الاعتراف بأنَّ الله لم يعيَ بالخلق الأول))[٥] فالمراد نفي الإعياء بدلالة قوله تعالى : (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ){الأحقاف : ٣٣} فالمراد إذن بالاستفهام حمل المشركين على إنكار إعياء الله ، وجاز جعله للإقرار إذا أريد حمل المشركين على الإقرار بنفي ما جاء بعد الهمزة ، أي : الإقرار بأنَّ الله سبحانه لم يعيَ بالخلق الأول ؛ لذلك فإنَّ الاستفهام من هذا الوجه ((تقرير)) كما قال الزجاج[٦]

---

(١) ينظر : مغني اللبيب ١٧/١ .

(٢) ينظر : الكشاف ٣٧٢/٤.

(٣) ينظر : التحرير والتنوير ٢٤٧/٢٦.

(٤) الكشاف ٣٧٢/٤ وينظر مدارك التنزيل ص ١١٦١ .

(٥) التحرير والتنوير ٢٤٧/٢٦ .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٣٦/٥.

أمَّا الاستفهام في قوله تعالى : (أَأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ)(الأنبياء : ٦٢} الذي أدخله ابن هشام في باب التقرير[١] فهو إنكاري ؛ لأنَّ قوم إبراهيم أرادوا بهذا الاستفهام حمله على إنكار ما فعله ، وجاء في اللباب أنَّ ((قوله تعالى : (أَأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا) محتمل لإرادة الاستفهام الحقيقي ، بأن يكونوا لم يعلموا أنَّه الفاعل)) [٢] وجاز أيضًا حمله على الإقرار بإنكار ما فعله ؛ لإقامة الحجة عليه فـ((طلبوا منه الاعتراف بذلك ليقدموا على إيذائه)) [٣]

فالغرض من استعمال همزة الاستفهام المجازي هو حمل المخاطَب على إنكار ما جاء بعدها أو الإقرار بهذا الإنكار ، وعلى أساس هذا الغرض ينبغي أن تُفسَّر كل شواهدها في كتاب الله ، وقد ذكر النحاة في كتب حروف المعاني والزركشي في كتابه : البرهان ، والسيوطي في كتابه : الإتقان ، أنَّ همزة الاستفهام المجازي جاءت في القرآن الكريم على معان كثيرة أشهرها : الإيجاب والتحقيق ، والتسوية ، والتقرير ، والتوبيخ ، والتذكير ، والتهديد ، والتنبيه ، والاستبطاء ، والإنكار ، والتهكم ، والأمر ، والتعجب[٤]

---

(١) ينظر : مغني اللبيب ١/١٨.

(٢) مغني اللبيب ١/١٨.

(٣) اللباب في علوم الكتاب ١٣/٥٣٣ .

(٤) ينظر : معاني الحروف للرماني ص ١-٢ ورصف المباني : ١٢٩-١٤٢ والجنى الداني ص ٣٠-٣٢ ومغني اللبيب ص ١/١٧-١٨ والبرهان في علوم القرآن ص ٧٩٨-٧٩٩ والإتقان في علوم القرآن ص ٢٢٢.

مرَّ تفصيل الغرض من استعمال همزة الاستفهام المجازي أمَّا هذه المعاني وغيرها باستثناء التقرير والإنكار فهي معاني السياق وليست معاني الهمزة ، وفيما يأتي دراسة لشواهد هذه المعاني في القرآن الكريم

١-الإيجاب والتحقيق : قالوا بمجيئها بمعنى الإيجاب والتحقيق ، في قوله تعالى : (قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء){البقرة : ٣٠} والمعنى : ستجعل فيها ، كيف يصح جعل قوله تعالى : (أَتَجْعَلُ فِيهَا) بمعنى : ستجعل فيها ، فنحوله من معنى الاستفهام إلى معنى الخبر ، ألا يُعد هذا تحريفًا لدلالة اللفظ القرآني؟! قال الطبري في تفسير الآية : ((فسألته الملائكة على التعجب ، وكيف يعصونك يا رب وأنت خالقهم فأجابهم : (إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ) ... وقال بعض أهل العربية : وإنَّما سألوه ليعلموا ... وقال بعضهم : ذلك من الملائكة على وجه الاسترشاد عمَّا لم يعلموا...قال أبو جعفر : وأولى التأويلات ... تأويل من قال : إنَّ ذلك استخبار لربها بمعنى : علِّمنا يا ربُّ : أجاعل أنت في الأرض مَن هذه صفته ، وتارك أن تجعل خلفاءك منَّا ونحن نسبِّح بحمدك ونقدس لك ؟ لا إنكار منها لما أعلمها ربها أنَّه فاعل)) [١] وقال الزجاج : ((وتأويل استخبارهم هذا على جهة الاستعلام وجهة الحكمة ، لا على الإنكار ، فكأنَّهم قالوا : يا الله إن كان هذا ظنُّنا فعرِّفنا وجه الحكمة))[٢] وأدخل الرماني هذا الاستفهام في باب الاسترشاد فقال : ((ومنها أن يكون استرشادًا ، كقولك للعالم : أيجوز كذا وكذا؟ كقوله تعالى : (قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا) وذلك أنَّهم استرشدوا ليعلموا وجه المصلحة في ذلك)) [٣]

([١]) جامع البيان ١/٢٣٨-٢٣٩ .

([٢]) معاني القرآن وإعرابه ١/١٠٢.

([٣]) معاني الحروف للرماني ص ٢.

فالهمزة إذن في قوله تعالى : (أَتَجْعَلُ فِيهَا) همزة استفهام حقيقي أو مجازي ، وأريد في كليهما السؤال عمَّا لا تعلمه الملائكة .

٢-التسوية : وقالوا بمجيئها بمعنى التسوية في قوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ){البقرة : ٦} والتسوية في هذه الآية لم تأت من الهمزة ، بل من أم المقترنة بها ، والمعنى : أيّهما فعلتَ الإنذار أوعدمه لا يؤمنون ؟ هذا من جهة ومن جهة أخرى فإنّ الاستفهام هنا استفهام حقيقي .

٣-التقرير : وقالوا بمجيئها بمعنى التقرير في قوله تعالى : (وَإِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـهَيْنِ مِن دُونِ اللّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ){المائدة : ١١٦} والأصل أنّ الاستفهام للإكار ؛ لأنّ المراد حمله على إنكار قوله للناس : اتخذوني وأمّي إلاهين ، والدليل ذلك التصريح بالجواب الذي تلاه ، وهو قوله تعالى : (قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ) وقد جاء في التفسير : ((لما قال الله تعالى : (أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـهَيْنِ مِن دُونِ اللّهِ) رُعِد منه كل مَفصِل حتى وقع مخافة أن يكون قد قاله ، وما قال : إنّي لم أقل ، ولكنه قال : (إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ) فإن قيل : ما الحكمة في سؤال الله تعالى له عن ذلك ، وهو يعلم أنَّه ما قاله؟ فالجواب : أنَّه تثبيت للحجة على قومه ، وإكذاب لهم في ادعائهم عليه أنَّه أمرهم بذلك))[١] أي : أنَّ حمل عيسى عليه السلام على الجواب بأنَّه لم يقل ذلك ، كان هو المطلوب والمقصود من هذا الاستفهام لإقامة الحجة على النصارى بأنَّه لم يأمرهم بما زعموه[٢] فهذا الاستفهام هو استفهام ، بمعنى أنَّه سؤال

([١]) زاد المسير ٢/٢٨٣.

([٢]) ينظر : روح المعاني ٤/٦٢ والتحرير والتنوير ٥/٢٧٠.

وُجِّه إلى عيسى عليه السلام . وصحّ معنى التقرير عند جعل المراد حمل عيسى عليه السلام على الإقرار بإنكار قوله للناس : اتخذوني وأمّي إلاهين

٤–التوبيخ : وقالوا بمجيئها بمعنى التوبيخ في قوله تعالى : (قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ {١٨} وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ {١٩} قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ){الشعراء : ١٨–٢٠} والغرض من الاستفهام حمله على إنكار عدم تربية فرعون له ، أي : الإقرار بالتربية ؛ ذلك بنفي المنفي ، وإن صحّ التوبيخ فهو معنى السياق وحسبما فهمه القائل به ؛ لأنَّه كما جاز أن يكون بمعنى التوبيخ جاز أن يكون بمعنى التذكير ، أو معنى التهكم ، ولِمَ لا يكون هذا السياق بمعنى المنِّ عليه ، وهذا ما جاء في التفسير[1] والدليل على استفهامية الهمزة أنَّ موسى عليه السلام أجاب عنه ضمنًا في قوله : (قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ) وكأنَّه قال في نفسه : بلى .

٥–التذكير : وقالوا بمجيئها بمعنى التذكير في قوله تعالى : (أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى){الضحى : ٦} إن صحّ أنّ المراد معنى التذكير فهو معنى السياق كما فهمه القائل به ؛ لذلك جاز أن يقول آخر إنَّ ((المقصود امتنان على النبي صلى الله عليه وسلم ... والاستفهام تقريري)) [2] أي : ليكون الجواب : بلى يا رب

٦–التهديد : وقالوا بمجيئها بمعنى التهديد ، في قوله تعالى : (أَلَمْ نُهْلِكِ الأَوَّلِينَ {١٦} ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الأخِرِينَ {١٧} كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ {١٨} وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ){المرسلات : ١٦–١٩} [3] والتهديد معنى السياق كما ترى ، وليس معنى الهمزة ، وجعل الهمزة بمعنى التهديد من تسليط معنى

---

(1) ينظر : الجامع لأحكام القرآن ٧٦/١٣ .

(2) التحرير والتنوير ٣٥٢/٣٠.

(3) ينظر : الجنى الداني ص ٣٣.

السياق عليها يُعدُّ إفراغًا لمحتواها من معناها الحقيقي ومن غرض استعمالها ، وفي ذلك إبطال للمعاني وضياعها ؛ لأنَّ معنى السياق يشملها ويشمل كل حرف اشترك معها في التركيب ، فكما جاز مثلًا أن نجعل الهمزة بمعنى التهديد بحجة السياق ، جاز أيضًا أن نجعل (ثُمَّ) في قوله تعالى : (ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الأخِرِينَ) بمعنى التهديد ؛ لأنَّها ضمن السياق نفسه ، والحجة واحدة ، فإذا رُفض هذا المعنى في (ثُمَّ) يجب أن يُرفض في الهمزة ، والجدير بالذكر أنِّي رجعتُ إلى كتب معاني القرآن وإعرابه وتفسيره بدءًا بتفسير مقاتل وانتهاءً بتفسير ابن عاشور ، فلم أجد أحدًا منهم من أشار إلى أنَّ الهمزة في قوله تعالى : (أَلَمْ نُهْلِكِ الأَوَّلِينَ) تفيد معنى التهديد ، بل قال ابن عاشور : ((والاستفهام للتقرير)) [1] أي : حمل المخاطبين على أن يقولوا في أنفسهم : بلى يا ربُّ

٧–التنبيه : وقالوا بمجيئها بمعنى التنبيه في قوله تعالى : (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء){الحج : ٦٣} وهو معنى السياق وليس معنى الهمزة ، قال سيبويه : ((وسألته (يعني : سألتُ الخليل) عن قوله تعالى : (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء) فقال : هذا واجب ، وهو تنبيه ، كأنَّك قلتَ : أتسمعُ ؟ أنزل الله من السماء ماء فكان كذا وكذا))[2] وقوله : (هذا واجب) يعني أنَّ جوابه : بلى ، وهذا هو التقرير ، وهو المراد من الاستفهام المجازي كما اصطلح عليه أهل اللغة ، وقال الفرّاء : ((لأنَّ المعنى في (أَلَمْ تَرَ) معناه خبر ، كأنَّك قلتَ في الكلام : اعلم أنَّ الله أنزل من السماء ماء))[3] فلأنَّ السياق واد فسيح تجول فيه الأفكار احتمل أن يُختَلف في

---

(1) التحرير والتنوير ٣٩٦/٢٩.

(2) كتاب سيبويه ٤١/٣–٤٢.

(3) معاني القرآن ١٣٤/٢.

تحديد معنى همزة الاستفهام المجازي ، ويذكر اللغوي والمفسر المعنى الذي يخطر بباله ويتبادر إلى ذهنه قبل غيره

٨-الاستبطاء : وكذلك معنى الاستبطاء الذي قالوا به في قوله تعالى : (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ){الحديد : ١٦} هو معنى السياق ، بل هو متأتٍّ من لفظ (يَأْنِ) الذي يدل على معنى الحين ، والمعنى ألم يحِن : ((أي : ألم يقرب خشوع قلوبهم)) [١] وجاء في التفسير ما رواه مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنهما : ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية إلّا أربع سنين ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّ الله استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن [٢]

فقد ذكر المفسرون معنى السياق وهو الاستبطاء ، إلّا أنَّهم لم ينسبوا هذا المعنى إلى الهمزة ، بل قال ابن عاشور : ((والهمزة في (أَلَمْ يَأْنِ) للاستفهام ، وهو استفهام مستعمل في الإنكار ، أي : إنكار نفي اقتراب وقت فاعل الفعل ، ويجوز أن يكون الاستفهام للتقرير على النفي))[٣]

تقدم قولي بأنّ سبب اختلاف أهل النحو والتفسير في همزة الاستفهام المجازي في الشاهد نفسه بين الإنكار والتقرير ، هو أنّ الاستفهام الداخل على منفي يكون للإنكار غالبًا ، ويكون إنكار نفي ما دخلت عليه ؛ وهذه هي الدلالة المباشرة والقريبة ، ويكون للتقرير إذا أريد الإقرار بإنكار نفي ما دخلت عليه ، أي : الإقرار بنفي المنفي ، وهذه هي الدلالة غير المباشرة وغير القريبة .

---

(١) الدر المصون ٢٤٦/١٠ .

(٢) ينظر : الكشاف ٤٦٤/٤ وتفسير القرآن الكريم لابن كثير ١٦/٨ وروح المعاني ١٧٩/١٤والتحرير والتنوير لابن عاشور ٣٥٢/٢٧ .

(٣) التحرير والتنوير٣٥٢/٢٧ .

وها هو ابن عاشور قبلي يذكر في هذا الشاهد كلامًا يفيد أنّ همزة الاستفهام المجازي تُستعمَل للإنكار المباشر ، والتقرير غير المباشر ، وقد دخلت هنا على كلام منفي ، فكان المراد منها حمل المخاطَب على إنكار عدم اقتراب خشوع القلوب ، وهذا ما عناه قوله : ((أي : إنكار نفي اقتراب وقت فاعل الفعل)) وجاز القول بأنّه للتقرير عندما يكون المراد الإقرار بإنكار عدم الاقتراب ، وإنكار عدم الاقتراب ، يعني الإقرار بالاقتراب ، وهذا ما عناه قوله : ((ويجوز أن يكون الاستفهام للتقرير على النفي)) .

٩-الإنكار : وقالوا بمجيء الهمزة بمعنى الإنكار في قوله تعالى : (أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ){الصافات : ١٥٣}[١] وهذا هو الغرض من الاسستفهام بالهمزة ؛ لأنَّ المراد حمل المشركين على إنكار ما جاء بعد الهمزة بأنَّه ليس لله بنات ولا بنين فضلًا عن أن يصطفي الأول على الثاني، قال الطبري : ((يقول تعالى ذكره موبِّخًا هؤلاء القائلين لله البنات من مشركي قريش : أصطفى الله أيها القوم البنات على البنين؟! والعرب إذا وجهوا الاستفهام إلى التوبيخ أثبتوا ألف الاستفهام أحيانًا وطرحوها أحيانًا))[٢] وقال النسفي : ((وهو استفهام توبيخ)) [٣] ومنهم من جمع بينهما فقال : ((إنَّها همزة استفهام بمعنى الإنكار والتقريع))[٤] والصحيح جمع هذه المعاني الثلاثة وتوحيدها بمعنى الإنكار

١٠-التهكم : وكذلك معنى التهكم الذي قيل به في قوله تعالى (قَالُواْ يَا شُعَيْبُ أَصَلاَتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا){هود : ٨٧} هو معنى السياق وليس معنى الهمزة ، فقد عظَّم الله شأن الصلاة في كتابه ، حتى

([١]) ينظر : الكشاف ٦١/٤ وأنوار التنزيل ١٩/٥ والتحرير والتنوير ٩١/٢٣ .

([٢]) جامع البيان ١٢٦/٢٣.

([٣]) مدارك التنزيل ص ١٠١٠.

([٤]) الدر المصون ٣٣٣/٩.

فرضها على كل الأمم السابقة ، وعلى كل أنبيائهم حتى جعلها عنوان أعمالهم ، وكان الكفار يخاطبونهم بها ؛ لأنهم كانوا يعدّونها هي المسؤولة عن دعوتهم إلى الإصلاح ، وإلى التوحيد ، فقد اتهم قوم شعيب شعيبًا صلاته بانها تأمره بمجالدتهم ، قال الله تعالى: ﴿قالواْ يَا شُعَيْبُ أَصَلاَتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ فالتهكم هو معنى السياق ، وأريد بهمزة الاستفهام من قبل قوم شعيب حمل شعيب على إنكار أن تكون صلاته تأمره أن يتركوا عبادة ما يعبده آباؤهم .

١١-الأمر : وقالوا بمجيء همزة الاستفهام بمعنى الأمر في قوله تعالى : (أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ اهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ){آل عمران : ٢٠} إن صحّ هذا المعنى فهو معنى السياق ، قال الفراء : ((هو استفهام معناه الأمر)) [١]((أي : أسلموا)) [٢] ونقل الزجاج قول الفراء ، ولم يؤيده ، بل أكَّد أنَّه استفهام معناه التهديد والوعيد[٣] والحقيقة أنَّه استفهام لم يكن بمعنى الأمر ولا بمعنى التهديد ، بل هو كما قال الزمخشري : (((أَأَسْلَمْتُمْ) يعني : أنَّه قد أتاكم من البينات ما يوجب الإسلام ، ويقتضي حصوله لا محالة ، فهل أسلمتم أم بعد على كفركم؟ وهذا كقولك لمن لخصت له المسألة ، ولم تبق من طرق البيان والكشف إلّا سلكته : هل فهمتها لا أمَّ لك)) [٤] فالمراد إذن من هذا الاستفهام حقيقته لا مجازه ، والدليل على ذلك سياق الآية أنّها خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم أن يسألهم : هل أسلموا أم لا ، فإذا أسلموا فقد اهتدوا ، وإلّا فما عليك إلّا البلاغ

([١]) معاني القرآن ١/١٤٤.

([٢]) الدر المصون ٣/٩٣.

([٣]) معاني القرآن وإعرابه ١/٣٢٩.

([٤]) الكشاف ١/٣٤١-٣٤٢.

١٢–التعجب : وقالوا بمجيء همزة الاستفهام بمعنى التعجب في قوله تعالى : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ){البقرة : ٢٤٣} إن صحَّ معنى التعجب فهو معنى السياق ، قال الزمخشري : (((أَلَمْ تَرَ) تقرير لمن سمع بقصتهم من أهل الكتاب وأخبار الأولين ، وتعجيب من شأنهم)) [١]

وقد جعل ابن هشام همزة الاستفهام للتعجب في قوله تعالى : (أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاء لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا){الفرقان : ٤٥}[٢] بينما جعلها الزركشي للتنبيه والتذكير[٣] وهمزة الاستفهام هنا وفي كل موضع ليست للتعجب ولا للتنبيه ولا للتذكير ، بل هذه المعاني إن صحت معاني السياق وحسبما فهمها القائل بها .

والحقيقة أنَّ الاستفهام للإنكار في الآيتين ، فأريد في الأولى : حمل المخاطَب الذي علم بقصتهم على عدم إنكار ما علم ، أي : حمله على الإقرار بما علم ، وأريد في الثانية حمل مَن علم بحقيقة مدّ الظل وسكونه على عدم إنكار ما علمه ، أي : حمله على الإقرار بما علم ، وعبّر عن العلم بالرؤية ؛ لأنّه مَن علم بالشيء علمًا وصل إلى درجة اليقين ، يكون كأنّه قد رآه .

وهذا هو المراد من همزة الاستفهام المجازي ، الإنكار أو الإقرار ، أمَّا المعاني التي ذكروها فهي معاني السياق ، وليست معاني الهمزة ، وهذا ما دلَّ عليه كلام أهل اللغة أنفسهم ، فالمرادي مع أنَّه ذكر أنَّ همزة الاستفهام ترد للمعاني الآتية : التسوية ، والتقرير ، والتوبيخ ، والتحقيق ، والتذكير ،

([١]) الكشاف ٢٨٦/١ وينظر : أنوار التنزيل ١٤٨/١ ومدارك التنزيل ص ١٢٦ والتحرير والتنوير ٤٥٤/٢–٤٥٥

([٢]) ينظر : مغني اللبيب ١٨/١ .

([٣]) ينظر : البرهان ص ٧٩٩.

والتهديد ، والتنبيه ، والتعجب ، والاستبطاء ، والإنكار ، والتهكم[1] قال قبل ذلك : ((ثم إنَّ همزة الاستفهام قد ترد لمعان أُخَر بحسب المقام ، والأصل في جميع ذلك معنى الاستفهام))[2]

فما سُمِّي بالاستفهام المجازي أريد به في كل موضع ، التقرير ، أو الإنكار ، وقد قصره بعضهم على الأول دون الثاني ، وهذا ما صُرِّح به ، قال المرادي : ((وذكر بعض النحويين أنَّ التقرير هو المعنى الملازم للهمزة في غالب هذه المواضع المذكورة ، وأنَّ غيره من المعاني كالتوبيخ والتحقيق والتذكير ينجرّ مع التقرير))[3] وقد مرَّ قول المرادي : ((التقرير : وهو المخاطَب على ما يعلم ثبوته أو نفيه))[4] وقول ابن هشام : ((والتقرير معناه : حملك المخاطَب على الإقرار والاعتراف بأمر قد استقر عنده ثبوته أو نفيه))[5] لذلك لم يجعل السيوطي المعاني التي ذُكِرت للاستفهام المجازي من معاني الهمزة [6]

والجدير بالذكر أنّ المعاني المذكورة جميعها معان مجازية ، وقد بيَّنتُ في كتابي : لا وجوه ولا نظائر ، أنَّ من علامات المعاني الحقيقية للحرف أن لا تربط بينها صلة مجاز .

فهمزة الاستفهام في القرآن الكريم ليست من الألفاظ المشتركة ، فهي لم تستعمل إلّا لمعنى الاستفهام ، إمَّا الاستفهام عمّا لا يعلمه المستفهِم ، والغرض منه حمل المخاطَب على الجواب ليعلم منه السائل ما يجهله ، وإمَّا

---

(1) ينظر : الجنى الداني ص ٣١-٣٣

(2) الجنى الداني ص ٣١.

(3) الجنى الداني ص ٣٤.

(٤) الجنى الداني ص ٣٢-٣٣.

(5) مغني اللبيب ١٨/١.

(6) الإتقان في علوم القرآن ص ٢٢٢ وينظر : مغني اللبيب ١٣/١ .

الاستفهام عمَّا يعلمه المستفهِم ، والغرض منه حمل المخاطَب على إنكار ما جاء بعد الهمزة ، أو الإقرار بنفيه أو إثباته ؛ ليشترك الطرفان السائل والمسؤول بالإقرار أو الإنكار .

٢-إذ : ذكر النحاة أنَّ (إذ) لفظ مشترك وردت في اللغة على ستة أوجه هي :

١- أن تكون ظرفًا للزمن الماضي وهو الغالب كالتي في قوله تعالى : (رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا){آل عمران : ٨}[١]

٢-((أن تكون ظرفًا لما يستقبَل من الزمان بمعنى (إذا) ذهب إلى ذلك قوم من المتأخرين منهم ابن مالك ، واستدلوا بقول الله تعالى : (فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ {٧٠} إِذِ الأَغْلالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ){غافر : ٧٠-٧١} وبآيات أُخَر ، وذهب أكثر المحققين إلى أنَّ (إذ) لا تقع موقع (إذا) ولا (إذا) موقع (إذ) ، وهو الذي صححه المغاربة ، وأجابوا عن هذه الآية ونحوها بأنَّ الأمور المستقبلة لمَّا كانت في إخبار الله تعالى متيقَّنَة مقطوعًا بها عُبِّرَ عنها بلفظ الماضي ، وبهذا أجاب الزمخشري وابن عطية وغيرهما)) [٢]

وقال ابن هشام : ((أن تكون اسمًا للزمن المستقبل نحو قوله تعالى : (يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا){الزلزلة : ٤} والجمهور لا يثبتون هذا القسم ، ويجعلون الآية من باب قوله تعالى : (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا){الكهف : ٩٩} أعني من تنزيل المستقبل الواجب الوقوع منزلة ما قد وقع ، وقد يُحتَج لغيرهم بقوله تعالى : (فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ {٧٠} إِذِ الأَغْلالُ فِي

([١]) ينظر : الجنى الداني ص ١٨٥-١٨٦ومغني اللبيب ١/٨٠ والبرهان في علوم القرآن ص ٨١٢ والإتقان في علوم القرآن ص ٢٢٢

([٢]) الجنى الداني ص ١٨٨ .

أَعْنَاقِهِمْ) فإنَّ (يَعْلَمُونَ) مستقبل لفظًا ومعنى لدخول حرف التنفيس عليه ، وقد أعمل في (إذ) فيلزم أن يكون بمنزلة (إذا))) [١]

وليس الأمر بما انتهى إليه كلام ابن هشام ، وأنَّ (يَعْلَمُونَ) لم يعمل في (إذ) بل معموله محذوف ، وكثيرًا ما جاء العلم في القرآن الكريم مجردًا من مفعوله ، من أجل أن يدل على إعمامه وإبهامه ، كقوله تعالى : (أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاء وَلَـكِن لاَّ يَعْلَمُونَ){البقرة : ١٣} وقوله تعالى : (وَقَالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ لَوْلاَ يُكَلِّمُنَا اللّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ){البقرة : ١١٨} وقوله تعالى : (عَمَّ يَتَسَاءلُونَ {١} عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ {٢} الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ {٣} كَلا سَيَعْلَمُونَ {٤} ثُمَّ كَلا سَيَعْلَمُونَ){النبأ : ١-٥}

وجاء في الدر المصون : (((إِذِ الأَغْلالُ) والذي حسَّن هذا تيقن وقوع الفعل فأُخرج في صورة الماضي ، قلتُ : ولا حاجة إلى إخراج (إذ) عن موضوعها ، بل هي باقية على دلالتها على المضي ، وهي منصوبة بقوله : (فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) نصب المفعول به ، أي : فسوف يعلمون يوم القيامة وقت الأغلال في أعناقهم ، أي : وقت سبب الأغلال ، وهي المعاصي التي كانوا يفعلونها في الدنيا ، كأنَّه قيل : سيعرفون وقت معاصيهم التي تجعل الأغلال في أعناقهم ، وهو وجه واضح ، غاية ما فيه التصرف في (إذ) بجعلها مفعولًا بها ، ولا يضر ذلك ، فإنَّ المعربين غالب أوقاتهم يقولون : منصوب بـ(اذكر) مقدرًا ... وجوَّزوا أن يكون منصوبًا بـ(اذكر) مقدرًا ، أي : اذكر لهم وقت الأغلال ليخافوا وينزجروا)) [٢]

فـ(إذ) في هذا الوجه جيء بها للتعبير عن المستقبل بصورة الماضي لتحقق وقوعه وإنزاله منزلة ما قد وقع ، فهي كالوجه السابق استعملت للزمن الماضي .

---

(١) مغني اللبيب ٨١/١.

(٢) ٤٩٤/٩-٤٩٥ .

٣-((أن تكون للتعليل ، كقوله تعالى : (حَتَّى إِذَا جَاءنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ {٣٨} وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ {٣٩} وقوله تعالى : (وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ){الأحقاف : ١١} واختلِف في (إذ) هذه فذهب بعض المتأخرين إلى أنَّها تجردت عن الظرفية وتمحضت للتعليل ، ونُسب إلى سيبويه وصرَّح ابن مالك في بعض نسخ التسهيل بحرفيتها ، وذهب قوم منهم الشلوبين إلى أنَّها لا تخرج عن الظرفية ، قال بعضهم : وهو الصحيح)) [١]

وقال ابن هشام : ((أن تكون للتعليل ، نحو : (وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ) أي : ولن ينفعكم اليوم اشتراككم في العذاب ، لأجل ظلمكم في الدنيا وهل هذه حرف بمنزلة لام العلة ، أو ظرف والتعليل مستفاد من قوة الكلام ، فإنَّه إذا قيل : ضربته إذ أساء ، وأريد بـ(إذ) الوقت اقتضى ظاهر الحال أنَّ الإساءة سبب الضرب ، قولان ، وإنَّما يرتفع السؤال على القول الأول ، فإنَّه لو قيل : لن ينفعكم اليوم وقت ظلمكم الاشتراك في العذاب ، لم يكن التعليل مستفادًا ؛ لاختلاف زمني الفعلين ، ويبقى إشكال في الآية وهو أنَّ (إذ) لا تبدل من اليوم لاختلاف الزمانين ... ومما حملوه على التعليل قوله تعالى: (وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ){الكهف : ١٦}))[٢]

لا يصح جعل (إذ) مطابقة لمعنى وقت ، لآنَّ المعنى يختلف لو جعلنا الآية بتقدير : ولن ينفعكم اليوم وقت ظلمكم اشتراككم في العذاب ، بل هو معنى ركيك وتركيب ركيك ، ، بل هذا التقدير لا يعبّر عن معنى الآية ، وهذا ما يؤكد ما قلته غير مرة : إنَّ اللفظ القرآني لا يطابق معناه إلّا اللفظ نفسه .

---

(١) الجنى الداني ص ١٨٨-١٨٩.

(٢) مغني اللبيب ٨٢/١-٨٣.

وجعل (إذ) للتعليل ؛ لأنَّه صحّ أن تكون بمنزلة لام العلة ، وبمنزلة قولنا : لن ينفعكم اليوم ؛ لأنَّكم ظلمتم ، جاء من تقارب معنى التركيبين ؛ أي : جاز أن تقع لام العلة موقع (إذ) هنا ؛ لأنَّهما تقاربا في الفائدة ، وقد أكّد الزجاج هذه القضية بقوله : ((والحروف قد تقاربت في الفائدة ، فيُظنُّ الضعيف العلم باللغة أنَّ معناهما واحد)) [1]

فأقول كما قال بأنَّ جعل (إذ) بمنزلة لام العلة في قوله تعالى : (وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ) ليس بشيء ، والذي أوقع أهل اللغة والتفسير بهذا الوهم أنَّ لام العلة قاربت هنا (إذ) في الفائدة ؛ فيظن الضعيف العلم باللغة أنَّها بمعناها في هذا التركيب ، وهي ليست بمعناها ؛ بدلالة عدم حصول هذه الفائدة في تراكيب أُخَر.

لذا نجد ابن هشام نفسه يتراجع عن القول بالتعليل ، فيقول في الصفحة نفسها : ((والجمهور لا يثبتون هذا القسم وقال أبو الفتح : راجعتُ أبا علي مرارًا في قوله تعالى : (وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ) مستشكلاً إبدال (إذ) من اليوم ، فآخر ما تحصَّل منه أنَّ الدنيا والآخرة متصلتان ، وأنَّهما في حكم الله تعالى سواء ، فكأنَّ اليوم ماض ، أو كأنَّ (إذ) مستقبلة انتهى وقيل : المعنى : إذ ثبت ظلمكم ، وقيل : التقدير : بعد إذ ظلمتم ، وعليهما أيضًا فـ(إذ) بدل من اليوم)) [2]

فالصحيح أنَّ (إذ) باقية على بابها ، قال الزمخشري : ((فإن قلتَ : ما معنى (إِذ ظَّلَمْتُمْ) ؟ قلتُ : معناه : إذ صحَّ ظلمكم وتبيَّن ، ولم يبق لكم

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣٥١/١.

(٢) مغني اللبيب ٨٣/١.

ولا لأحد شبهة في أنَّكم كنتم ظالمين ، وذلك يوم القيامة ، و(إذ) بدل من اليوم ونظيره : إذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة ، أي : تبيَّن أني ولد كريمة)) [١]

وقال العكبري : ((قوله تعالى : (وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ) في الفاعل وجهان : أحدهما : (أَنَّكُمْ) وما عملت فيه ، أي : لا ينفعكم تأسيكم في العذاب ، والثاني : أن يكون ضمير التمني المدلول عليه بقوله تعالى : (قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ) أي : لن ينفعكم تمني التباعد ، فعلى هذا يكون (أَنَّكُم) بمعنى : لأنَّكم ، فأمَّا (إذ) فمشكلة الأمر ؛ لأنَّها ظرف زمان ، ولن ينفعكم وفاعله واليوم المذكور ليس بماض ، وقال ابن جني في مساءلته أبا علي ... وقال غيره : الكلام محمول على المعنى ، والمعنى أنَّ ثبوت ظلمهم عندهم يكون يوم القيامة ، فكأنَّه قال : ولن ينفعكم اليوم إذ صح ظلمكم عندكم ، فهو بدل أيضًا ، وقال آخرون : التقدير : بعد إذ ظلمتم ، فحذف المضاف للعلم به ... ويُقرأ : (إِنَّكُم في العَذابِ) بكسر الهمزة على الاستئناف ، وهذا على أنَّ الفاعل التمني ، ويجوز على هذا أن يكون الفاعل ظلمكم أو جحدكم ، وقد دل عليه (ظَلَمْتُمْ) ويكون الفاعل المحذوف من اللفظ هو العامل في (إذ) لا ضمير الفاعل)) [٢]

فـ(إذ) في هذا الوجه ليست للتعليل ، بل هي كالوجهين السابقين لما مضى من الزمان ، واستعمال (إذ) الدالة على الزمن الماضي أمر مقصود بحدّ ذاته ؛ لأنَّه سبحانه أراد أن يعلق عدم منفعتهم بظلم قد مضى ، فلن ينفعهم البحث عما ينجيهم من العذاب إلّا إذا استطاعوا إرجاع الزمن الماضي ؛ ذلك ليقطع لهم كلّ أمل في النجاة ، وثمة قضية أخرى تزيدهم يأسًا وهمًّا وحسرة أنَّ التركيب القرآني غيَّب فاعل ما ينفعهم ، وهو أمر

---

(١) الكشاف ٢٤٧/٤ .

(٢) التبيان ٣٨٩/٢.

مقصود أيضًا، فقد أخفاه حتى راح أهل اللغة والنحو والتفسير يبحثون عنه ولم يتفقوا على تعيينه .

وأرى أنّ استعمال (إذ) بمعنى التعليل خطأٌ لغويٌّ ، لكنّه شاع استعماله عند المتأخرين والمحدثين وأنا من بينهم .

٤-أن تكون للمفاجأة [١] ولا شاهد لها في القرآن الكريم .

٥-أن تكون زائدة للتوكيد أو بمعنى قد ، ذهب إلى ذلك أبو عبيدة وابن قتيبة ، وجعلا من ذلك قوله تعالى : (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً) [٢]

قال أبو عبيدة : (((وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ){البقرة : ٣٤} معناه : وقلنا للملائكة ، و(إذ) من حروف الزوائد))[٣] وقال ابن قتيبة : (((وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ) أراد وقال ربك للملائكة ، و(إذ) تزاد ، والمعنى إلقاؤها على ما بينتُ في كتاب المشكل)) [٤] وقال : ((و(إذ) قد تزاد كقوله تعالى : (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ) وقوله تعالى : (وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ){لقمان : ١٣} أي : وقال))[٥]وقال ابن هشام : ((وليسا القولان بشيء))[٦]

وقد قال قبل ذلك الزجاج : ((قال أبو عبيدة : (إذ) ها هنا زائدة ، وهذا إقدام من أبي عبيدة ؛ لأنَّ القرآن لا ينبغي أن يُتكلم فيه إلّا بغاية تجري إلى الحقّ ، و(إذ) معناها الوقت ، وهي اسم فكيف يكون لغوًا ومعناها

---

(١) ينظر : الجنى الداني ص ١٨٩ ومغني اللبيب ٨٣/١.

(٢) ينظر : الجنى الداني ص ١٩١-١٩٢ومغني اللبيب ٨٣/١ والبرهان في علوم القرآن ص ٨١٣ والإتقان في علوم القرآن ص ٢٢٤-٢٢٥.

(٣) مجاز القرآن ص ٢٨.

(٤) تفسير غريب القرآن ص ٤٥.

(٥) تأويل مشكل القرآن ص ١٥٨.

(٦) مغني اللبيب ٨٣/١ وينظر : الإتقان في علوم القرآن ص ٢٢٤-٢٢٥ .

الوقت؟! والحجة في (إذ) أنَّ الله تعالى ذكر خلق الناس وغيرهم ، فكأنَّه قال : ابتدأ خلقكم إذ قال ربك للملائكة : (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً)))[1]

فـ(إذ) في هذا الوجه ليست زائدة للتوكيد وليست بمعنى قد ، بل هي كالأوجه السابقة لما مضى من الزمان .

٦-أن تكون حرف جزاء كـ(إن) الشرطية بشرط أن تقترن بها ما[2] ويبدو أنَّ (إذ ما) هي (إذا) الشرطية وقعت بعدها (ما) الظرفية الزمانية ويدل على ذلك أنَّها عند النحاة مركبة من (إذ) و (ما) ، وهي أداة شرط تجزم فعلين ، وقد : ((اختلف النحويون فيها فذهب سيبويه إلى أنَّها حرف كـ(إن) الشرطية ، وذهب المبرد وابن السراج وأبو علي ومن وافقهم إلى أنَّها باقية على اسميتها ، وإنَّ مدلولها من الزمان صار مستقبلًا بعد أن كان ماضيًا))[3]

وهذا الاختلاف جاء فيما يبدو لكون (إذما) أصلها (إذا) الشرطية و (ما) الظرفية الزمانية فمن لحظ الجزء الأول من هذا الأصل جعلها حرفًا بمنزلة (إن) الشرطية ومن لحظ الجزء الثاني جعلها اسمًا بمعنى الظرف.

فلعل (إذما) أصلها (إذا ما) إلّا أنَّ العرب عمدوا في أمثلة معينة إلى تقوية شرطية (إذا) بقطع حركة آخرها ليوافقوا بذلك دلالة (ما) على العموم ، فلمّا قوّوا الشرط باسكان (إذْ) جزمت فصارت مثل (إن) في لفظها وجزمها ، ولم يستعملها القرآن الكريم ؛ لأنَّه استعمل عوضًا عنها (إن ما) التي ترسم بعد الإدغام (إمَّا) وهي بمعنى (إذما) وأقوى منها أصالة .

([1]) معاني القرآن وإعرابه ١٠١/١.

([2]) ينظر : رصف المباني ص ١٤٨-١٤٩والجنى الداني ص ١٩٠-١٩١ومغني اللبيب ٨٧/١

([3]) الجنى الداني ص ١٩٠-١٩١.

(إذ) و(إذا) : مرّ قولهم بأنَّ الأصل في (إذ) أن تكون ظرفًا لما مضى ، وقد تجيء مثل (إذا) ظرفًا لما يستقبل ، والحقيقة أنَّ (إذ) لا تكون إلّا ظرفا لما مضى ، وما دلّ منها على الاستقبال ، فهو من باب التعبير عن المستقبل بصيغة الماضي ؛ لتحقق وقوعه ، وهو كثير في القرآن الكريم ، أمَّا (إذا) فتجيء لما مضى ولما يستقبل على حد سواء ، ولا عبرة في هذا الفرق ، لكنْ ثمة فرق أساسي بينهما لم يتحدث عنه النحاة والمفسرون ، وهم يصرّحون بأنَّ (إذ) تجيء مثل (إذا) فيما يستقبل ، وهو أنَّ (إذا) باستثناء الفجائية لا تجيء إلاَّ مُضمَّنة معنى الشرط ، أمَّا (إذ) فهي ظرفية فحسب ، مجردة من معنى الشرط ومن لوازمه ، إلّا أنّه قد جاءت في مواضع تفيد معنى الشرط بشرط يختلف ، ولم يتحدث النحاة عن ورود هذه الأداة بهذ المعنى في القرآن الكريم ، مع أنَّه قد وردتْ مقترنة بـ(لم) في قوله تعالى : (لَوْلا جَاؤُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاء فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاء فَأُوْلَئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ){النور : ١٣} وقد فسّرها الطبري بقوله : ((فإذا لم يأتوا بالشهداء الأربعة ... فَأُوْلَئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ)) [١] فجعل (إذ لم) بمعنى (إذا لم) وجاء في الدر المصون : (((فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا) ... وهذا الكلام في قوة شرط وجزاء)) [٢] ووردتْ أيضًا في قوله تعالى : (أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ){المجادلة : ١٣) بل جاءت غير مقترنة بـ(لم) في قوله تعالى : (وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحمته ويُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا){الكهف : ١٦}

---

(١) جامع البيان ١١٧/١٨ .

(٢)الدرّ المصون ٣٩٠/٨ .

جاء في الدر المصون : ((وجوَّز بعضهم أن تكون (إذ) للتعليل أي : فأووا إلى الكهف لاعتزالكم إيّاهم ، وهو قول مقول لكنّه لا يصحّ)) [١]

وقد تبيَّن لي الآن شيءٌ آخر غير الذي سبق أن ذكرتُه في كتابي : دراسات في النحو القرآني ، يمكن أن يحلّ محلّه أو يضاف إليه وهو أنَّ (إذ) وردت في الشواهد القرآنية المذكورة شرطية ، إلّا أنَّ شرطها ماض ، بمعنى أنَّه قد مضى وحصلَ ؛ لكونها لا تستعمل إلّا ظرفًا لما مضى من الزمان ، فهي على بابها في كلّ حالاتها ، فقوله تعالى : (فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاء فَأُوْلَئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ) معناه : أن عدم الإتيان بالشهداء إذا وقع وأصبح هذا الأمر في عداد الماضي فلم تكن نتيجة ما حصل إلّا هذا الجزاء ، وهو الحكم عليهم بالكذب ، ولو استعمل (إذا) وقال : وإذا لم يأتوا ، لأفاد الشرط معنى الاستقبال ، أي : يكون الكلام على شرط لم يحصل بعد ، وأنَّه إذا حصل فجزاؤه كذا ، وباستعمال (إذ) يفيد أنَّ الشرط قد حصل وصار أمرًا ماضيًا ، وأنَّ الجزاء قد وقع لوقوعه ، وكذلك قوله تعالى : (وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ) جاء في التفسير : (((وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ) قال ابن عباس : هذا قول يمليخا ، وهو رئيس أصحاب الكهف ... فإنَّ القوم كانوا يعبدون الله ويعبدون معه آلهة ، فاعتزل الفتية عبادة الآلهة ، ولم يعتزلوا عبادة الله))[٢] والمعنى : أنَّ يمليخا خاطب أصحابه بعد أن اعتزلوا قومهم وما يعبدون من دون الله ، أنَّ هذا الاعتزال بما أنَّه قد حصل وأصبح أمرًا ما ضيًا وواقعًا فأووا إلى الكهف ، ولو استعمل (إذا) وقال : وإذا اعتزلتموهم فأووا ، لدلَّ الشرط على الاستقبال ، وأنَّه لم يقع بعد ولكان يمليخا قد خاطبهم بذلك قبل أن يعتزلوا ، فبان الآن الفرق بين (إذ) و(إذا) في باب

---

(١) الدر المصون ٧/٤٥٤ .

(٢) زاد المسير ٥/٨٥.

الشرط ، والحمد لله على منّه وفضله ، وعلى هذا الأساس يفسر استعمال (إذ) من دون (إذا) فيما كان على نحو ما تقدَّم كقوله تعالى : (وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا){النساء : ٦٤} إذا جعلنا (إذ) هنا شرطية وجوابها (جَآؤُوكَ) لأفاد وقوع الظلم فيما مضى من الزمان ، وأنَّه لا يمكن بعد ذلك تداركه ؛ لأنّه لا يمكن إرجاع ما مضى ، ولو استعمل (إذا) وقال : ولو أنَّهم إذا ظلموا أنفسهم جاؤوك ؛ لأفاد الشرط معنى الاستقبال وعدم وقوعه بعد ، وكذلك جوابها ، وهي تختلف عن (إذا) التي وردت لما مضى ، كقوله تعالى : (حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلِـهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَاْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ){يونس : ٩٠} فالآية باستعمال (إذا) أفادت وقوع شرطها وجوابها فيما مضى ، أمَّا (إذ) فعند استعمالها تدل على أنَّ ما أضيفت إليه وهو الشرط قد تمّ وقوعه ؛ لأنَّها لما مضى ، وليس كذلك جوابها ، وهذا هو حال الشواهد التي مرَّ ذكرها ، فقوله تعالى : (فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاء فَأُوْلَئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ) يفيد أنَّ الشرط قد مضى ووقع ، وعَدُّهم عند الله من الكاذبين سيكون جزاءهم الآن وفي المستقبل ، وكذلك قوله تعالى : (فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ) يدل على أنَّ الشرط قد مضى ، وبما أنَّ الشرط قد حصل فقد أمرهم الله بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وإطاعة الله ورسوله ، والأمر يدلّ على الاستقبال .

والكلام باستعمال (إذ) لا يُرَتَّبُ عليه حكم أصولي أو قاعدة شرعية لأنَّ شرطها يتعلق بقضية قد مضت وانقضت ؛ لذلك لا تصلح العمل بموجبها فيما يستقبل ، كما حصل هذا في قوله تعالى : ((وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا) فجواب الشرط مرتبط بأمر قد انقضى لا يمكن أن يستمر ، لارتباطها بزمان ومكان معيّنين ، من ذلك استمرار وجود الرسول صلى الله عليه وسلم حيًّا

بـين ظهرانــي المسـلمين ، وإنَّمـا العمـل بموجبهـا وجعلهـا أصــلًا مـن أصـول العقيـدة الإسـلامية وقاعـدة شـرعية عامَّـة فـي كـل زمـان ومكـان ، إنَّمـا يكـون باستعمال (إذا) ، وهذا ما تجده في قوله تعالى : (وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلّا اللّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ){آل عمران ١٣٥}

٣-إذا : (إذا) في كتب النحو وفي كتب حروف المعاني تجيء في اللغة والقرآن الكريم على ثلاثة أوجه : ظرفية مضمنة معنى الشرط ، وظرفية محضة غير مضمنة معنى الشرط ، وفجائية ، هذا ما اتفقوا عليه ولم يختلفوا فيه[١] وقد توسّعتُ في دراستها في أحد مؤلفاتي[٢] وتبين لي ((أنَّ (إذا) التي ذكر النحاة أنَّها ظرفية غير مضمنة معنى الشرط ، تختلف عن الظروف ، فهي ليست ظرفية مجردة من كل معنى من معاني الشرط ، بل فيها من الشرط أمران ، الأول : أنَّ الفعل الماضي بعدها يفيد تكرار حدوثه ، والثاني: أنَّه تتغير دلالته من الزمن الماضي إلى زمن الحال والاستقبال ، ولم تفقد من الشرط إلّا الجواب ، فـ(إذا) الشرطية إذن في القرآن الكريم تأتي على ثلاثة أقسام : قسم ذكر شرطها وصرِّح بجوابها ، وقسم ذُكر شرطها وحُذف جوابها لوجود ما يدلّ عليه أو لكونه مفهومًا من السياق ، وقسم اكتُفي بشرطها ولم يُذكر جوابها لعدم الحاجة إليه ، وهذا يعني أنَّه ليست ثمة (إذا) ظرفية غير مضمنة معنى الشرط ، كما زعم النحاة والمفسرون)) [٣]

---

(١) ينظر : الأزهية في حروف المعاني ص ٢١١-٢١٢ ورصف المباني ص ١٤٩-١٥٠ والجنى الداني ص ٣٦٧-٣٧٣ ومغني اللبيب ١/٩٤ ، ١٠٠ والبرهان في علوم القرآن ص ٨٠٧ والإتقان في علوم القرآن ص ٢٢٦.

(٢) ينظر كتابي : دراسات في النحو القرآني ص ٢٠٢-٢٧٢ .

(٣) كتابي : دراسات في النحو القرآني ص ٢٥٥-٢٥٦ .

فتكون (إذا) في القرآن الكريم على وجهين : ظرفية شرطية ، وفجائية ، أمَّا الوجه الثالث فهو وجه مختلَق .

٤-**إلى** : تُعدُ (إلى) من الحروف التي اشتملت عليها كتب الوجوه ، وكتب حروف المعاني ، وقد تكلمتُ على أوجه هذا الحرف في كتابي : لا وجوه ولا نظائر ، برقم ٣١ وسأوجز فيما يأتي ما بسطته في كتابي السابق وأضيف إليه ما لم أذكره هناك :

ذكر أهل الوجوه أنَّ (إلى) وردت في القرآن الكريم على أربعة أوجه : بمعنى (مع) ، واللام ، والباء ، وبمعنى (إلى) بعينها [(١)] والوجه الأخير يدلّ على أنَّ (إلى) ليست من الألفاظ المشتركة ، لما سبق ذكره غير مرة في كتابي السابق .

وفي كتب حروف المعاني أنَّ (إلى) ترد لتسعة معان : انتهاء الغاية ، والتبيين ، وبمعنى (مع) ، واللام ، والباء ، و(في) ، و(مِن) ، و(عند) ، وزائدة [(٢)]

لم يستشهد النحاة لـ(مِن) و(عند) بشاهد قرآني ، ولو تتبعنا هذه الأوجه والمعاني ، لوجدناها جميعها ترجع إلى معناها الأصلي ، وهو أنَّها موضوعة لانتهاء الغاية ، فالباقي ستة معان ، وهي :

١-جعل (إلى) بمعنى (مع) : ذكر الفريقان أنَّ (إلى) بمعنى (مع) في قوله تعالى : (وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ){النساء : ٢} وقوله تعالى :

---

(١) ينظر : الأشباه والنظائر لمقاتل ص ٢٥٤ وباسم الوجوه والنظائر ص ١١٠ والوجوه والنظائر لهرون ص ١٧٠ والوجوه والنظائر للعسكري ص ٨٢-٨٣ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٩٤-٩٥ ومنتخب قرة العيون ص٣٩-٤٠.

(٢) ينظر : الأزهية ص ٢٨٢-٢٨٤ ورصف المباني ص ١٦٦-١٦٩ والجنى الداني ص ٣٨٥-٣٩٠ ومغني اللبيب ص ٧٤-٧٦.

(فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللّهِ){آل عمران : ٥٢}[1]

عرّف المالقي (إلى) بأنَّها ((تكون للغاية في الأسماء ، واختلف النحويون : هل يدخل ما بعدها فيما قبلها ، أو لا ؟ فذهب بعضهم إلى أنَّه يدخل ... وذهب بعضهم إلى أنَّه إذا كان الثاني من جنس الأول دخل فيما قبله ... وإن لم يكن من الجنس لا يدخل كقوله تعالى : (ثُمَّ أَتِمُّواْ الصِّيَامَ إِلَى الَّليْلِ){البقرة : ١٨٧}))[2] وعرَّفها المرادي بقوله بأنَّها تُستعمل لـ((انتهاء الغاية في الزمان والمكان وغيرهما ، وهو أصل معانيها ، وفي دخول ما بعدها في حكم ما قبلها أقوال...ثالثها : إن كان من جنس الأول دخل ، وإلّا فلا)) [3] وهذا هو المعنى الذي أفادته (إلى) بأصل معناها في قوله تعالى : (وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ)

أمَّا قوله تعالى : (مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللّهِ) فقد قال الفراء : ((المفسرون يقولون : مَن أنصاري مع الله ، وهو وجه حسن ، وإنَّما يجوز أن تجعل (إلى) موضع (مع) إذا ضممت الشيء إلى الشيء مما لم يكن معه ، كقول العرب : إنَّ الذَّوْدَ إلى الذَّوْدِ إبل ، أي : إذا ضممتَ الذود إلى الذود صارت إبلًا ، فإذا كان الشيء مع الشيء لم تصلح مكان (مع) (إلى) ألا

---

(١) ينظر : الأشباه والنظائر لمقاتل ص ٢٥٤ وباسم الوجوه والنظائر ص ١١٠ وتفسير مقاتل ١٧١/١ والوجوه والنظائر لهرون ص ١٧٠ وينظر : تأويل مشكل القرآن ص ٣٠٠ وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ١٠٦ والخصائص لابن جني ٩٣/٢ والوجوه والنظائر للعسكري ص٨٣ والأزهية للهروي ص ٢٨٢ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٩٤–٩٥ ومنتخب قرة العيون ص ٤٠ ورصف المباني للمالقي ص ١٦٩ والجنى الداني ص ٣٨٦ ومغني اللبيب ٧٥/١ .

(٢) رصف المباني ص ١٦٦–١٦٧.

(٣) الجنى الداني ص ٣٨٥ .

ترى أنَّك تقول : قدم فلان ومعه مال كثير ، ولا تقول في هذا الموضع : قدم فلان وإليه مال كثير ، وكذلك تقول : قدم فلان إلى أهله ، ولا تقول : مع أهله ، ومنه قوله تعالى : (وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ) معناه : لا تضيفوا أموالهم إلى أموالكم))[١] ونقل المرادي قول الفراء ثم قال : ((والمعنى في قوله تعالى : (مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللّهِ) من يضيف نصرته إلى نصرة الله))[٢]

فقد جعلوا (إلى) بمعنى (مع) لأنَّها أفادت هنا ضم نصرتهم إلى نصرة الله ، وهذا المعنى بعيد عندي ؛ وكيف يصح ، وكيف يقول به نبي ؟! لأنَّ نصرة الله كافية ((والذَّوْدُ : القطيع من الإبل من الثلاث إلى التسع ... وقيل : ما بين الثنتين والتسع ، ولا يكون إلّا من الإناث دون الذكور ، وقولهم : الذَّود إلى الذَّود إبل ، يدل على أنَّها في موضع اثنتين ؛ لأنَّ الثنتين إلى الثنتين جمع))[٣]

فقول الفراء يعني أنَّ (إلى) لا تكون بمعنى (مع) إلّا إذا صحَّ فيها معنى الإضافة ، ولا يصح فيها هذا المعنى إلّا إذا كان ما بعدها من جنس ما قبلها ، فهي إذن في هذه الحال لا تحتاج إلى جعلها بتقدير (مع) على نحو ما بيَّنه المالقي والمرادي في الشاهد الأول السابق .

وجعل (إلى) بمعنى (مع) يدخل في باب التضمين ، وهو مما اصطلح عليه أيضًا بـ(تناوب الحروف) قال ابن جني في الباب الذي سماه : استعمال الحروف بعضها مكان بعض : ((اعلم أنَّ الفعل إذا كان بمعنى فعل آخر ، وكان أحدهما يتعدى بحرف والآخر بآخر ، فإنَّ العرب قد تتسع فتوقع أحد الحرفين موقع صاحبه إيذانًا بأنَّ هذا الفعل في معنى ذلك

---

(١) معاني القرآن ١/١٥٥ .

(٢) الجنى الداني ص ٣٨٦ .

(٣) لسان العرب ٦/٥١.

الآخر ... وكذلك قوله تعالى : (مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللّهِ) أي : مع الله ، وأنت لا تقول : سرت إلى زيد ، أي : معه ، لكنه إنَّما جاء (مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللّهِ) لمَّا كان معناه : مَن ينضاف في نصرتي إلى الله ؛ فجاز لذلك أن تأتي هنا (إلى) وكذلك قوله عز اسمه : (فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَى أَن تَزَكَّى){النازعات : ١٨} وأنت إنَّما تقول : هل لك في كذا ، لكنَّه لما كان على هذه دعاء منه ، صار تقديره : أدعوك وأرشدك إلى أن تزكى))[١]

وقال الزمخشري : (((إِلَى اللّهِ) من صلة (أَنصَارِي) مضمنًا معنى الإضافة ، كأنَّه قيل : مَن الذين يضيفون أنفسهم إلى الله ، ينصرونني كما ينصرني ؟ أو يتعلق بمحذوف حالًا من الياء ، أي : مَن أنصاري ذاهبًا إلى الله ملتجئًا إليه))[٢] أي : أن (إلى) تكون على بابها بالتضمين المذكور حسب المعنى الأول ، وعلى بابها أيضًا من دون تضمين حسب المعنى الثاني ، والمعنى الأول غير مقبول لما ذكرته ، وقال ابن عطية : ((وقوله (إِلَى اللّهِ) يحتمل معنيين ، أحدهما : مَن ينصرني في السبيل إلى الله ، فتكون (إلى) دالة على الغاية دلالة ظاهرة على بابها ، والمعنى الثاني ، أن يكون التقدير : مَن يضيف نصرته إلى نصرة الله ؟ ... فإذا تأمَّلتها وجدتَ فيها معنى الغاية ؛ لأنَّها تضمنت إضافة شيء إلى شيء)) [٣] أي : أنَّ (إلى) على بابها حسب المعنى الأول ، وهي كذلك حسب المعنى الثاني ، وقد أنكر العكبري معيّة (إلى) على كل حال فقال : ((وقيل : هي بمعنى

---

(١) الخصائص ٢/٩١-٩٤ ، وينظر لسان العرب ١/١٤٤ .

(٢) الكشاف ١/٣٥٩ وينظر : مدارك التنزيل ، تفسير النسفي ص ١٦٢ وينظر فتح القدير ١/٤٣٣ .

(٣) المحرر الوجيز ١/٤٤٢ .

(مع) وليس بشيء ؛ فإنَّ (إلى) لا تصلح أن تكون بمعنى (مع) ولا قياس يعضده)) [١]

وقال ابن كثير : ((قال مجاهد ، أي : من يتبعني إلى الله ، وقال سفيان الثوري وغيره : أي : من أنصاري مع الله ، وقول مجاهد أقرب ، والظاهر أنَّه أراد : من أنصاري في الدعوة إلى الله ، كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في مواسم الحج فبل أن يهاجر: مَن رجل يؤويني حتى أبلغ كلام ربي ؟ فإنَّ قريشًا منعوني أن أبلغ كلام ربي ، حتى وجد الأنصار فآووه ونصروه وهاجر إليهم ... وهكذا عيسى بن مريم عليه السلام انتدب طائفة من بني إسرائيل فآمنوا به وآزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أُنزل معه)) [٢]

والقول بالتضمين قد شغل مساحة واسعة في كتب اللغة والنحو والتفسير ، ولا بأس في أن نُعرِّف اللفظ باللفظ المرادف له ، أي : أن نُعرِّفه بالمعنى القريب منه ، بل هذا مما لا مناص منه ، عندما تكون غايتنا هي التعليم عن طريق إيضاح معنى اللفظ بالمعاني القريبة منه ، لكن البأس كل البأس أن ندَّعي أنَّ اللفظ المُفسِّر هو بمعنى اللفظ المفسَّر ، وهذا الادعاء هو الذي قام على أساسه التضمين كله في أغلب وجوه كتب الوجوه ، وأغلب معاني الحرف في كتب حروف المعاني ، والذي أوقع أهل اللغة والنحو بوجود التضمين والوجوه والمعاني المتعددة للحرف الواحد ، هو ما أفصح عنه الزجاج ، فقد قال في تفسير قوله تعالى : ((مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللّهِ) : ((جاء في التفسير : مَن أنصاري مع الله ، و(إلى) ههنا قاربت (مع) معنًى ، بأن صار اللفظ لو عُبِّر عنه بـ(مع) أفاد مثل هذا المعنى ، لا أنَّ (إلى) في

---

(١) التبيان في إعراب القرآن ١/٢١٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٢/٣٤.

معنى (مع) لو قلتَ : ذهب زيد إلى عمرو ، لم يجز: ذهب زيد مع عمرو ؛ لأنَّ (إلى) غاية و(مع) تضم الشيء إلى الشيء، فالمعنى يضيف نصرته إياي إلى نصرة الله ، وقولهم : إنَّ (إلى) في معنى (مع) ليس بشيء ، والحروف قد تقاربت في الفائدة ، فيُظنُّ الضعيف العلم باللغة أنَّ معناهما واحد)) [١]

فـ(إلى) في قوله تعالى : (مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللّهِ) تعني (إلى) بعينها والمعنى : من أنصاري في طريق الدعوة إلى الله ؟ كما قال الله تعالى : (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ){فصلت : ٣٣}

٢-جعل (إلى) بمعنى اللام : ذكر النحاة أنَّ (إلى) جاءت بمعنى اللام كالتي في قوله تعالى : (قَالُوا نَحْنُ أُوْلُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ){النمل : ٣٣} والمعنى : والأمر لك ، وقوله تعالى : (وَيَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ){يونس : ٢٥} والمعنى : يهدي لصراط مستقيم[٢]وقال المرادي : ((وقال بعضهم : (إلى) في قوله تعالى : (وَالأَمْرُ إِلَيْكِ) لانتهاء الغاية على أصلها ، والمعنى : والأمر منته إليك)) [٣]

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣٥١/١.

(٢) ينظر : الجنى الداني ص ٣٨٧ ومغني اللبيب ٧٥/١ والإتقان ص ٢٣٢

(٣) الجنى الداني ص ٣٨٨

وكذلك جعل أصحاب كتب الوجوه (إلى) بمعنى اللام ، لكن جعلوا شاهدهم في ذلك قوله تعالى : (لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ){النساء : ٨٧} والمعنى ليجمعنكم ليوم القيامة[١]

٣-جعل (إلى) بمعنى في : إذا كان أصحاب كتب الوجوه قد جعلوا (إلى) بمعنى اللام في قوله تعالى : (لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) والتقدير ليجمعنكم ليوم القيامة ، فقد جعلها أصحاب كتب حروف المعاني ومن تابعهم بمعنى (في) والتقدير : ليجمعنكم في يوم القيامة[٢]

جعل الطبري الآية بمعنى : ((ليحشرنَّكم جميعًا إلى موقف الحساب))[٣] إلّا أنَّ الحشر يكون من القبور ، لذلك فسَّرها البيضاوي بقوله : ((ليحشرنَّكم من قبوركم إلى يوم القيامة)) [٤] أي : أنَّ التعدي بـ(إلى) كان لتضمن الجمع معنى الحشر ، وقال العكبري : ((قيل التقدير : في يوم القيامة ، وقيل : هي على بابها ، أي : ليجمعنَّكم في القبور ، أو من القبور ... أي : يجمعنكم مفضين إلى حساب يوم القيامة))[٥] وجاء في الدرّ المصون : ((قوله (إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) فيه ثلاثة أوجه : أحدها : أنَّها على بابها من انتهاء الغاية ... يعني أنَّه إذا ضُمِّن الجمع معنى الحشر لم يحتج إلى

---

(١) ينظر : الأشباه والنظائر لمقاتل ص ٢٥٤ وباسم الوجوه والنظائر ص ١١٠ والوجوه والنظائر لهرون ص ١٧٠ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٩٥ ونزهة الأعين ص ٢٢ ومنتخب قرة العيون ص ٤٠

(٢) ينظر : الجنى الداني ص ٣٨٧-٣٣٨ ومغني اللبيب ص ٧٥/١ والإتقان في علوم القرآن ٢٣٢ والزيادة والإحسان في علوم القرآن لابن عقيلة المكي ٤٥/٨.

(٣) جامع البيان ٢٢٦/٥.

(٤) أنوار التنزيل ٧١/٢ .

(٥) التبيان في إعراب القرآن ٢٨٩/١.

تقدير مجموع فيه ... والثاني : أنَّها بمعنى (في) أي : في يوم القيامة ... والثالث : أنَّها بمعنى (مع) وهذا غير واضح المعنى)) [1]

فجعْلُ (إلى) بمعنى اللام كما ذكر أهل الوجوه ، ليس له مسوغ لغوي أو دلالي ؛ لأنَّ الفعل (جمع) في الأكثر والأصل يتعدَّى إلى مفعوله الثاني بـ(في) لا باللام ؛ لذلك لم يقل به أهل اللغة والتفسير ، وقد عالج النحاة والمفسرون كما رأيت تعديه في الآية بـ(إلى) عن طريق تضمين (إلى) معنى (في) والتقدير : ليجمعنَّكم في يوم القيامة ، وهذا التضمين يجب أن يُستبعد ، لآنَّ فيه تحريفًا لدلالة الحرف ، فـ(إلى) تقيد انتهاء الغاية ، و(في) تفيد معنى الظرفية ، ((وردَّ ابن عصفور كون (إلى) بمعنى (في) بأنَّها لو كانت بمعنى (في) لساغ أن يقال : زيد إلى الكوفة ، أي : زيد في الكوفة ، فلمَّا لم تقله العرب وجب أن يتأوّل ما أوهم ذلك)) [2] والحقّ أنَّ (إلى) على بابها ، ولكن من دون تضمين ليجمعنَّكم معنى ليحشرنَّكم ؛ لآنَّ فيه أيضًا تحريفًا لدلالة الفعل ؛ فقد جاء في ((الفرق بين الجمع والحشر أنَّ الحشر هو الجمع مع السوق ، والشاهد قوله تعالى : (قَالُوا أَرْجِهِ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ){الشعراء : ٣٦} أي : ابعث من يجمع السحرة ، ويسوقهم إليك ، ومنه يوم الحشر ؛ لأنَّ الخلق يُجمعون فيه ويساقون إلى الموقف)) [3] والذي أريد أن أنوّه به في هذا المقام أن الحرف يُؤتى به مع الفعل للتعبير عن دلالته من دون أن يغيّر دلالة الفعل ، فقد جُعِل الأصل في الفعل (جمع) أن يتعدى إلى مفعوله الثاني بـ(في) لأنَّ احتياج هذا الفعل إلى معنى الظرفية في المفعول الثاني هو الشائع ؛ لذا شاع أن يقال مثلًا : جمع المدير

---

(١) ٤/٥٨-٥٩.

(٢) الجنى الداني ص ٣٨٨ وينظر مغني اللبيب ١/٧٥ .

(٣) الفروق اللغوية للعسكري ص ١٦٢ .

الطلاب في الساحة أو في الصفوف ، لكن إذا أريدت معنى المعية بدلًا من الظرفية وجب استعمال (مع) ، وأن يقال : جمع المدير الطلاب مع المعلمين ، وإذا أريدت معنى العلة ، وجب استعمال اللام وأن يقال : جمع المدير الطلاب لنصحهم وإرشادهم أو لتحية العلم ، وإذا أريد معنى الوسيلة ، وجب استعمال الباء وأن يقال : جمع المدير الطلاب بالبوق ، وإذا أريد جمعهم في مكان بعيد خارج المدرسة ، كان من المناسب استعمال (إلى) وأن يقال : جمع المدير الطلاب إلى ملعب المدينة ، وهذا هو المعنى الذي من أجله استعملت (إلى) في قوله تعالى : (لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) لأنَّ الخطاب موجّه إلى الناس في الدنيا ، فبينهم وبين قيام الساعة أعمار وأجيال وأطوار وأهوال ، فاستُعملت (إلى) التي هي أطول تركيبًا من اللام للتعبير عن طول هذه المسافة الزمانية والمكانية ، والتي سيتم فيها نقلهم من أسواقهم وهم فيها يلعبون إلى يوم القيامة وهم فيه مجتمعون للحساب .

كتب حروف المعاني وبلاغة القرآن : كما عطل أصحاب كتب الوجوه بوجوههم المختلقة البحث في بلاغة القرآن ، كذلك عطَّل أصحاب كتب حروف المعاني بالمعاني المختلقة هذا الجانب من الدراسة ، فقد جعلوا كما تقدم (إلى) بمعنى اللام في قوله تعالى : (وَيَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ){يونس : ٢٥} والمعنى : يهدي لصراط مستقيم [١]

وجعل (إلى) بمعنى اللام في هذه الآية ونحوها يلغي البحث عن بلاغة استعمال كلٍّ منهما في موضعها ؛ فقد جاء هذا الفعل متعديًا إلى مفعوله بنفسه ، وباللام ، وبـ(إلى) في السياق نفسه ، قال المرادي : ((فقد

---

(١) ينظر : تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ٣٠٠ والجنى الداني ص ٣٨٧ ومغني اللبيب ٧٥/١ والإتقان ص ٢٣٢

جاء : هديتُ زيدًا إلى الطريقِ ، والطريقَ))[١] وقال الزمخشري : ((هدى : أصله أن يتعدَّى باللام ، أو بـ(إلى) كقوله تعالى : (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ){الإسراء : ٩} (وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ){الشورى : ٥٢}))[٢] ومثل هذا قال أبو حيان الأندلسي [٣]، وتلميذه الحلبي : ((ثمَّ يتسع فيه ؛ فيحذف الحرف ؛ فيتعدَّى بنفسه ، فأصل : (اهدِنَـا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ){الفاتحة : ٦} اهدنا للصراط ، أو : إلى الصراط ، ثم حُذِفَ))) [٤]

ولكون (إلى) أطول بناءً من اللام ؛ فإنَّ استعمالها في قوله تعالى : (وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ){الشورى : ٥٢} يدلّ على أنَّ طريق الهداية طويل ، كأنَّ الله ، سبحانه يخاطب حبيبه المصطفى : يا محمد إنَّك لتهدي الناس إلى الإسلام بتبليغ دؤوب ، وجهد طويل ، وباستعمال اللام في قوله تعالى : (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ){الإسراء : ٩} يكون المعنى : أنَّ هذا القرآن يهدي الناس إلى ما هو أفضل وأقوم ، بأقصر الطرق ، وأيسر السبل ، والله ، سبحانه وتعالى ، كما ورد في الحديث النبوي ،، يعلمنا أنَّه إذا سألناه ، أن نسأله أعلى المنازل ؛ لأنَّه ، تعالى ذكره ، كريم ، فنحن لا نسأله أن يهدينا إلى الصراط ، ولا نسأله أن يهدينا للصراط ، بل نسأله وندعوه أن يمكننا من أن نتمثل صراطه المستقيم قولًا ، وعقيدة ، وعملًا ، بمعنى أن نستوعبه ونحتوي عليه ، ولا يتحقق هذا المعنى إلّا بنصب (الصراط) على معنى المفعولية ، ولهذا علمنا الله ، سبحانه ، أن ندعوه بقوله تعالى : (اهدِنَـا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ){الفاتحة : ٦}

---

(١) شرح التسهيل ص ٤٣٩.

(٢) الكشاف ٢٥/١

(٣) البحر المحيط ٤١/١ .

(٤) الدر المصون ٦٢/١ .

ولأنَّ لكل من اللام ، و(إلى) ، دلالتها الخاصة ، حتى إنَّه لا يمكن أن تعوض إحداهما عن الأخرى ، فقد جمع بينهما في قوله تعالى : (قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّيَ إِلاَّ أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ){يونس : ٣٥}

وقد تطرق الدكتور عبد الحميد الهنداوي إلى الفرق الدلالي بين الاستعمالين فذكر أنَّه استعمل (إلى) في قوله تعالى : (قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ) ((ليوحي بطول طريق الهداية ، لدى هؤلاء الشركاء لو هَدوا ... مع الدلالة المعجمية لكلمة (إلى) التي تفيد بعد المسافة ؛ فكأنَّ الله تعالى ، يقول لهم : هل من شركائكم مَن يهدي إلى الحق ، ولو بطريق طويل بعيد)) واستعمل اللام في قوله تعالى : (قُلِ اللّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ) ليوحي إلى ((قصر مسافة الهداية بالنسبة لله تعالى ؛ فهو يهدي إلى طريق مستقيم ؛ والطريق المستقيم ، هو أقصر الطرق المؤدية إلى الحق)) [(١)]

هذه هي دلالة المقطع الأول من الآية الكريمة ((ثمَّ يأتي (في المقطع الثاني) الاستفهام التوبيخي : (أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّيَ إِلاَّ أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ)... ليصبح المعنى : أفمن يهدي إلى الحق ، ولو بطريق طويل ... أحقّ أن يتبع ، أم من لا تكون منه الهداية أصلًا ولو ببطءٍ شديد وتراخٍ إلى الأبد)) [(٢)]

فجعل الحرف بمعنى حرف آخر يلغي ما في القرآن الكريم من فصاحة وصور بلاغية وإعجاز لغوي

---

(١) الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم ص ٩١.

(٢) المصدر نفسه ص ٩٢ .

٤-جعل (إلى) بمعنى الباء : كقوله تعالى : (وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُواْ إِنَّا مَعَكْمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ){البقرة : ١٤} والتقدير : إذا خلوا بشياطينهم ، وهذا ما تفرَّد به ابن الجوزي من أهل الوجوه[١] وقد جعلت بمعنى (مع) والتقدير : وإذا خلوا مع شياطينهم[٢]

((وفلان خلا لفلان : أي : خادعه)) [٣] ((ويقال : خلا لي الشيء ، وخلا به : إذا سخر به)) [٤] ((وخلا الرجل بصاحبه وإليه ومعه ... وخلوت به ومعه وإليه وأخليت به : إذا انفردت به))[٥] فإذا جاز في اللغة تعدي (خلا) إلى مفعوله بـ(إلى) والباء ، وعلى حد سواء ، فهل يبقى بعد ذلك أي مسوغ كان من جعل الباء من أوجه (إلى) في الشاهد القرآني المذكور ، أم هو الولع في اختلاق الوجوه ؟! بل جاء في الدر المصون : ((والأكثر في (خلا) أن يتعدَّى بالباء وقد يتعدى بـ(إلى) ، وإنَّما تعدى في هذه الأية بـ(إلى) لمعنى بديع ، وهو أنَّه إذا تعدَّى بالباء احتمل معنيين ، أحدهما الانفراد ، والثاني السخرية والاستهزاء ، تقول : خلوتُ به ، أي : سخرتُ منه ، وإذا تعدى بـ(إلى) كان نصًّا في الانفراد فقط ... وقيل هي هنا بمعنى (مع) ... وقيل هي بمعنى الباء ، وهذان القولان إنَّما يجوزان عند الكوفيين ، وأمَّا البصريون فلا يجيزون التجوز في الحروف لضعفها)) [٦]

---

(١) ينظر : نزهة الأعين ص ٢٣ ومنتخب قرة العيون ص ٤٠ .

(٢) ينظر : الأزهية في علم الحروف للهروي ص ٢٨٢.

(٣) العين للخليل ص ٢٦٦.

(٤) مقاييس اللغة لابن فارس ص ٢٦٥.

(٥) لسان العرب ١٤٩/٥.

(٦) ١٤٩/٥.

ولكن أجازه قدامى البصريين : مقاتل والخليل وأبو عبيدة كما سيأتي في (أو) .

٥-جعل (إلى) بمعنى التبيين : ((قال ابن مالك : هي المتعلقة في تعجيب أو تفضيل بحبٍ أو بغض مبيّنة لفاعلية مصحوبها كقوله تعالى : (قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ){يوسف : ٣٣}))[١]

و(إلى) هنا لانتهاء الغاية ، كما هو حالها في كل موضع ، أمَّا ما قاله ابن مالك فهو معنى مختَلَق ؛ لأنَّ معنى التبيين إن صح غير متأتٍّ من (إلى) بل من ياء المتكلم المتصلة بها ، فمعنى التبيين لا يتغير لو بدلنا بـ(إلى) اللام أو (على) وقيل : أحبّ إليَّ ، أو أحب عليَّ ، لكنه يتغير لو بدلنا الضمير المتصل وقيل : أحبّ إليها .

٦- جعل (إلى) زائدة للتوكيد : ((وهذا لا يقول به الجمهور ، وإنَّما قال به الفراء ، واستدل بقراءة من قرأ : (فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ){إبراهيم : ٣٧} بفتح الواو ، وخُرِّجت هذه القراءة على تضمين (تهوَى) بمعني تميل))[٢]

هَوَى الشيءَ يهوي إليه يميل ، ومنه قوله تعالى : (فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ){إبراهيم : ٣٧} وهَوِيَ الشيءَ يَهْوَاه أحبَّه[٣].

---

(١) الجنى الداني ص ٣٨٦-٣٨٨ وينظر : مغني اللبيب ٧٥/١ والبرهان في علوم القرآن ص ٨٢٥ والإتقان في علوم القرآن ص ٢٣٢ والزيادة والإحسان في علوم القرآن ٤٥/٨ .

(٢) الجنى الداني ص ٣٨٩-٣٩٠ وينظر : مغني اللبيب ٧٦/١ والبرهان في علوم القرآن ص ٨٢٥ والإتقان في علوم القرآن ص ٢٣٢ والزيادة والإحسان في علوم القرآن ٤٥/٨ .

(٣) ينظر : العين ص ١٢٠٦ ، ومقاييس اللغة ص ٩٢٤ ، ولسان العرب ١١٤/١٥-١١٥ ، وتاج العروس ١٥١/٤٠-١٥٣ .

قال الفراء : ((وقرأ بعض القراء (تهوَى إليهم) بنصب الواو بمعنى تهواهم))[1] وقال ابن جني : ((فقال (تهوَى إليهم) لأنَّه لاحظ معنى تميل إليهم)) [2] وهذا المعنى لا يُعتدُّ به ؛ لأنَّه معنى قراءة شاذة ، وهو من جهة أخرى معنى يأباه الجمهور .

وجاء في الإتقان في علوم القرآن للسيوطي : ((إلى : حرف جر له معان ، أشهرها : انتهاء الغاية ، وزاد ابن مالك وغيره تبعًا للكوفيين معاني أُخَر ... والتحقيق أنَّها للانتهاء ... وقال غيره : ما ورد من ذلك مؤول على تضمين العامل)) [3]

يتبيَّن مما تقدَّم ذكره أنَّ كل الأوجه والمعاني التي قيلت في (إلى) ترجع جميعها عند التحقيق إلى معنى واحد ، وأنَّ (إلى) ليست من الألفاظ المشتركة ، كما زعم أصحاب كتب الوجوه ، وأصحاب كتب حروف معاني .

٥-ألا : ذكر النحاة أنَّ (ألا) بفتح الهمزة وتخفيف اللام ترد في اللغة على أربعة معان هي :

١-التنبيه والافتتاح ، وفائدته التنبيه على تحقيق ما بعدها ، كقوله تعالى : (أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ){البقرة : ١٢} وقوله تعالى : (أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ {٦٢} الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ){يونس : ٦٢-٦٣} وقوله تعالى : (أَلاَ يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِؤُونَ){هود : ٨} وقوله تعالى : (أَلاَ إِنَّ ثَمُودَ كَفرُواْ رَبَّهُمْ أَلاَ بُعْدًا لِّثَمُودَ){هود : ٦٨}

---

(١) معاني القرآن ١٢/٢.

(٢) المحتسّب ٣٩/٢.

(٣) ص ٢٣٢ .

٢–الاستفهام ، كقولك : ألا تخرجُ ؟ ألا تقومُ ؟ ألا رجلَ في الدار ؟ ألا مالَ لك ؟

٣–التمنّي ، ولم يأتوا له بشاهد قرآني[١] فـ(ألا) في هذا الوجه مركبة من كلمتين : همزة الاستفهام و(لا) النافية للجنس ، والتمني ، إن صحّ ، معنى السياق ، فـ(ألا) التمني مختلقة لفظًا ومعنًى .

٤– : التحضيض ، والعرض ، والتوبيخ والإنكار ، والتحضيض طلبٌ بِحَثٍّ ، والعرض طلب بِلين كقوله تعالى : (أَلاَ تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُمْ){التوبة : ١٣} وقوله تعالى : (أَلا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ){النور : ٢٢} وقوله تعالى : (وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ {١٠} قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلا يَتَّقُونَ){الشعراء : ١٠–١١} [٢]

قال الهروي عن الوجهين : الاستفهام والتمني : ((كقولك : ألا ماءَ أشربه ، ألا طعامَ آكله ، وينصب ما بعد (ألا) في الاستفهام والتمني بلا تنوين ، كما تفعل ذلك في النفي في قولك : لا مالَ لزيد)) [٣] وقال المالقي عن وجه التمني : (فهي (لا) التي للنفي والتبرئة دخلت عليها الهمزة ، فليست بسيطة ، وإنَّما هي مركبة في الأصل))[٤]وقال المرادي عن وجه

---

(١) ينظر : الأزهية ص ١٧٤ ورصف المباني ص ١٦٥ والجنى الداني ص ٣٨٢ ومغني اللبيب ١/٦٨–٦٩ والبرهان ص ٨٢٥ والإتقان ص ٢٣١ والزيادة والإحسان ٨/٣٩.

(٢) ينظر : الأزهية ص ١٧٢–١٧٤ ورصف المباني ص ١٦٥–١٦٦ والجنى الداني ص ٣٨١–٣٨٥ ومغني اللبيب ١/٦٨–٧٠ والبرهان في علوم القرآن ص ٨٢٥–٨٢٦ والإتقان في علوم القرآن ص ٢٣٠–٢٣١ والزيادة والإحسان في علوم القرآن ٨/٣٨–٤٠.

(٣) الأزهية ص ١٧٢ .

(٤) رصف المباني ص ١٦٦

العرض : ((قال ابن مالك : (ألا) التي للعرض مركبة من (لا) النافية والهمزة بخلاف التي للاستفتاح فإنَّها غير مركبة)) [١] وقال أيضًا : ((اعلم أنَّ (ألا) قد تكون كلمتين : إحداهما همزة الاستفهام ، والأخرى (لا) النافية ، فلا تُعد حينئذ حرفًا واحدًا ، بل حرفين ، وذلك في ثلاثة مواضع : الأول : الاستفهام ، والثاني : التوبيخ ، والثالث : التمني ، فـ(ألا) في المواضع الثلاثة مركبة بغير إشكال ، و(لا) نافية باقية على حكمها الذي لها قبل دخول الهمزة)) [٢]

وقال ابن هشام : (((ألا) بفتح الهمزة والتخفيف على خمسة أوجه أحدها : أن تكون للتنبيه ... والثاني : التوبيخ والإنكار ... والثالث : التمني ... والرابع : الاستفهام عن النفي ...وهذه الأقسام الثلاثة (يعني الأوجه الثلاثة الأخيرة) مختصة بالدخول على الجملة الاسمية ، وتعمل عمل (لا) التبرئة ... والخامس : العرض والتحضيض ، ومعناهما طلب الشيء ، لكن العرض طلب بِلين ، والتحضيض طلب بِحثٍّ ، وتختص (ألا) هذه بالفعلية ، نحو قوله تعالى : (أَلا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ){النور : ٢٢}(أَلاَ تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُمْ){التوبة : ١٣})) [٣]

وهذا الكلام ما كان ينبغي أن يقوله ابن هشام ؛ فـ(ألا) في جميع أوجهها المذكورة باستثناء التنبيه والافتتاح مركبة من حرفين همزة الاستفهام و(لا) النافية ، وهذا ما أكده قبله المالقي والمرادي في (ألا) الداخلة على الجملة الاسمية ، أمَّا القول بأنَّ (ألا) كلمة واحدة تعمل عمل (لا) النافية للجنس فهو قول مختلق ، ويبدو أنَّ ابن هشام ومن فال مثل قوله من قبله ،

---

(١) الجنى الداني ص ٣٨٣ .

(٢) الجنى الداني ص ٣٣٨٤-٣٨٥ .

(٣) مغني اللبيب ١/٦٨-٦٩ .

ومن تابعه من بعده ، لم يختلقوا المعاني فحسب ، بل راحوا يختلقون حتى الألفاظ ، والمعاني التي نسبوها لهذا اللفظ المختلَق ، إن صحت ، هي معاني السياق ، على شاكلة المعاني التي نسبوها إلى همزة الاستفهام كما تقدَّم ، ولأنَّ (ألا) في نحو قوله تعالى : (أَلا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ) مركبة من حرفين : همزة الاستفهام و(لا) النافية ، فإنَّه إذا دخلت عليها حرف عطف وقعت وفصلت بينهما ، لأنَّ همزة الاستفهام لها الصدارة في الكلام ؛ لذلك جاز في الكلام أن تُعطف على ما قبلها ويقال : أفلا تحبون أن يغفر الله لكم ، وهذا ما حصل في قوله تعالى : (أَفَلاَ تَعْقِلُونَ){البقرة : ٤٤} وقوله تعالى : (أَفَلاَ يَتَدَبَّرُون){النساء : ٨٢} وقوله تعالى : (أَفَلاَ يَتُوبُونَ إِلَى اللّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ){المائدة : ٧٤} وقوله تعالى : (أَفَلاَ تَتَفَكَّرُونَ){الأنعام : ٥٠} وقوله تعالى : (أَفَلاَ تَتَذَكَّرُونَ){الأنعام : ٨٠} وقوله تعالى : (أَوَلاَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ){البقرة : ٧٧} وقوله تعالى : (أَوَلاَ يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لاَ يَتُوبُونَ وَلاَ هُمْ يَذَّكَّرُونَ){التوبة : ١٢٦}

ودخول الهمزة على (لا) النافية ، هو كدخولها على (ليس) النافية كقوله تعالى : (قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُواْ بَلَى وَرَبِّنَا){الأنعام : ٣٠} وقوله تعالى : (أَلَيْسَ اللّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ){الأنعام : ٥٣} وكدخولها على (لم) في قوله : (أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ){الأنعام : ٦} وقوله تعالى : (أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ){الشرح : ١}

فكيف تسنَّى لأساطين النحو أن يزعموا ما زعموه ، فقد قالوا بما لا وجود له ، لا في القرآن الكريم ولا في اللغة ، فـ(ألا) ليست من الألفاظ المشتركة ولا معاني لها ولا وجوه ؛ لأنَّها لم ترد في القرآن الكريم ولا في اللغة إلّا لمعنى واحد هو التنبيه والافتتاح .

٦-**إلّا** : تطرقت إلى دراسة هذا الحرف في كتابي : لا وجوه ولا نظائر برقم ١٤٢ وقد ذكر النحاة أنَّ (إلّا) جاءت في القرآن الكريم على المعاني الآتية :

١-بمعنى الاستثناء ، وهذا هو معناها ليس لها معنى غيره أينما وردت في القرآن الكريم .

٢- وبمعنى (غير) كقوله تعالى : (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا){الأنبياء : ٢٢} أي : غير الله ، وعيَّن بعض النحاة أن تكون (إلّا) صفة بمعنى (غير) فقال : ((وليست هنا للاستثناء ، وإلّا لكان التقدير : لو كان فيهما آلهة ليس فيهم الله لفسدتا وهو باطل ، ومثله قوله تعالى : (وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاء إِلّا أَنفُسُهُمْ){النور : ٦}))[١] أي : غير أنفسهم ، ومعنى (غير) في هذه الآية غير متعيّن ، فقد أجاز جمهور النحاة في رفع (أَنفُسُهُمْ) في سورة النور وجهين : ((أحدهما : أنَّه بدل من (شُهَدَاء) ... والثاني : نعت على أنَّ (إلّا) بمعنى (غير))) [٢]

وقد أبطل الجرجاني جعل (إلّا) بمعنى (غير) جاء في البرهان نفسه ((قال الشيخ عبد القاهر الجرجاني : هذا توهم منه ، وخاطر خطر من غير أصل ، ويلزم عليه أن تكون (إلّا) في قوله تعالى : (فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلا رَبَّ الْعَالَمِينَ){الشعراء : ٧٧} وقوله تعالى : (ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ){الإسراء : ٦٧} استثناء وبمنزلة (غير) وذلك لا يقوله أحد ؛ لأنَّ (إلّا) إذا كانت صفة كان إعراب الاسم الواقع بعدها إعراب الموصوف بها ، وكان تابعًا له في

---

(١) البرهان ص ٨٢٧ وينظر : الأزهية ص ١٨٢ والدر المصون ١٤٢/٨-١٤٤ والإتقان للسيوطي ص ٢٣١ والزيادة والإحسان ٤٢/٨

(٢) الدر المصون ٣٨٥/٨.

الرفع والنصب والجر ، قال : والاسم بعد (إلّا) في الآيتين منصوب كما ترى ، وليس فبل (إلّا) في واحد منهما منصوب)) [1]

فـ(إلّا) لم ترد بمعنى (غير) إلّا أنَّها وقعت مثلها صفة ، ومع ذلك فالفرق بينهما قائم حتى في مجال الوصف ، وهذا ما صرَّح به المرادي فقال : ((اعلم أن أصل (إلّا) أن تكون استثناء ، وأصل (غير) أن تكون صفة ، وقد تُحمَل (إلّا) على (غير) فيوصف بها ، كما حُملت (غير) على (إلّا) فاستثني بها ، وللموصوف بـ(إلّا) شرطان أحدهما : أن يكون جمعًا أو شبهه ، والآخر أن يكون نكرة أو مُعرَّفًا بال الجنسية كقوله تعالى : (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا) فإن قلت : كيف يوصف بـ(إلّا) وهي حرف ؟ التحقيق أنَّ الوصف إنَّما هو بها وبتاليها لا بها وحدها وهي حرف ؛ ولذلك ظهر الإعراب في تاليها ومن قال : إنَّ (إلّا) يوصف بها فقد تجوَّز في العبارة ، وإنَّما صح أن يوصف بها وبتاليها ؛ لأنَّ مجموعهما يؤدي معنى الوصف وهو المغايرة ، واعلم أنَّ (إلّا) التي يوصف بها تفارق (غير) من وجهين : أحدهما أنَّ موصوفها لا يُحذَف وتقام هي مقامه ، فلا يقال : جاءني إلّا زيد بخلاف غير ، والآخر أنَّها لا يوصف بها إلّا حيث يصح الاستثناء ، فلا يجوز : عندي درهم إلّا جيد ، بخلاف غير))[2]

((وتتخرج الآية على ذلك إذ المعنى : لو كان فيهما آلهة لفسدتا ، أي : أنَّ الفساد يترتب على تقدير تعدد الآلهة ، وهذا هو المعنى المراد)) [3] فيكون معنى الآية : لو كان فيهما آلهة إلّا الإله الواحد الذي هو الله لفسدتا

---

(١) البرهان ص ٨٢٧.

(٢) الجنى الداني ص ٥١٨ .

(٣) مغني اللبيب ٧١/١ .

٣–وبمعنى (بدل) وكان شاهدهم في ذلك الشاهد السابق نفسه ، وهو قوله تعالى : (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا)(الأنبياء : ٢٢} والتقدير : لو كان فيهما آلهة بدل الله لفسدتا [١] والصحيح ما تقدم ذكره .

٤–وبمعنى (لكن) قال الهروي : ((وتكون بمعنى (لكن) ... ومنه قوله تعالى : (طه {١} مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى {٢} إلا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَى){طه : ١–٣} معناه : لكن أنزلناه تذكرة ، وقوله تعالى : (فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ {٢٤} إِلّا الَّذِينَ آمَنُواْ){الانشقاق : ٢٤–٢٥} معناه : لكن الذين آمنوا ، وقوله تعالى : (لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ {٢٢} إِلّا مَن تَوَلَّى وَكَفَرَ){الغاشية : ٢٢–٢٣} وقوله تعالى : (عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا {٢٦} إِلّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا){الجن : ٢٦–٢٧} معناه : لكن من ارتضى من رسول فإنَّه يسلك ، وقوله تعالى : (قَالَ لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ إِلّا مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ){هود : ٤٣}...وقوله تعالى : (فَلَوْلاَ كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلاَّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ آمَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الخِزْيِ فِي الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ{يونس : ٩٨} ... وهذا الضرب في القرآن كثير))[٢]

وجعل إلّا بمعنى (لكن) لا يخرجها من معنى الاستثناء ، بل قد قسم النحاة والمفسرون الاستثناء بـ(إلّا) على قسمين : استثناء منقطع واستثناء متصل و(إلّا) في هذه الشواهد القرآنية جميعها وفي نحوها تدخل ضمن الاستثناء المنقطع ، ومع ذلك فقد أجازوا في هذه الشواهد الستة نفسها أن

---

(١) ينظر : البرهان ص ٨٢٧ والإتقان ص ٢٣١ والزيادة والإحسان ٤٢/٨.

(٢) الأزهية ص ١٨٣–١٨٥ وينظر : البرهان ص ٨٢٦–٨٢٧ .

تكون للاستثناء المتصل أيضًا[1] وقد تقدم أنَّ الحرف القرآني لا يطابق معناه إلّا الحرف نفسه ، وإذا قيل بأنَّ حرف كذا جاء بمعنى حرف كذا فإنَّه يجب أن لا يفهم منه التطابق في المعنى ، فعلى الرغم من أن النحاة ذهبوا إلى مجيء (إلّا) بمعنى (لكن) فقد فرَّق بينهما العسكري بقوله ((إنَّ الاستثناء تخصيص صيغة عامة ، فأمَّا (لكن) فهي تحقيق إثبات بعد نفي أو نفي بعد إثبات ، تقول : ما جاءني زيد لكن عمرو جاءني ، وأتى عمرو لكن زيد لم يأت ، فهذا أصل (لكن) وليس باستثناء في التحقيق وقال ابن السرَّاج : هو إخراج كل من بعض)) [2]

٥–وبمعنى (بل) : وكان شاهدهم في ذلك أحد الشواهد السابقة وهو قوله تعالى : (طه {١} مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى {٢} إِلا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَى){طه : ١–٣} والتقدير : بل تذكرة لمن يخشى [3] والصحيح ما تقدم ذكره ، وهو تفسير (إلّا) على الاستثناء المنقطع أو المتصل [4]

٦–وبمعنى (لا) قال الرماني : ((وزعم أبو عبيدة أنَّ (إلّا) قد تكون بمعنى (لا) قال ذلك في قوله تعالى : (قوله تعالى : (لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلّا الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ){البقرة : ١٥٠} وردَّ ذلك الزجاج وغيره ، وقال :

---

(١) ينظر الدر المصون : ٩/٨ ، ٥٠٦/١٠ ، ٧٧١/١٠ ، ٣٣٢/٦ ، ٧٤١/١٠ ، ٢٦٨/٦–٢٧٠.

(٢) الفروق اللغوية ص ٧٦ .

(٣) ينظر : الصاحبي في فقه اللغة ص ٩٤ والبرهان ص ٨٢٧ والإتقان ص ٢٣١ والزيادة والإحسان ٤٢/٨.

(٤) ينظر : معاني القرآن للفراء ٩٢/٢ ومجاز القرآن لأبي عبيدة ص ١٦٤ ومعاني القرآن للأخفش ص ٢٤٩ وإعراب القرآن للنحاس ص ٥٧٧ ومشكل إعراب القرآن للقيسي ٦٥/٢ والتبيان في إعراب القرآن للعكبري ١٧٨/٢ .

هو استثناء من غير جنس على معنى (لكن)))[1] وما نسبه الرماني إلى أبي عبيدة لم يذكره أبو عبيدة في مجازه ، بل ما ذكره أنَّها بمعنى الواو كما سيأتي .

٧–وبمعنى الواو : وكان شاهدهم في ذلك الشاهد السابق نفسه :(لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلّا الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ){البقرة : ١٥٠} قال أبو عبيدة : ((موضع (إلّا) ها هنا ليس بموضوع استثناء إنَّما هو موضع واو الموالاة ومجازها : لئلا يكون للناس عليكم حجة وللذين ظلموا))[2] وقال العسكري : ((قال أبو عبيدة : (إلّا) ها هنا بمعنى الواو وإليه ذهب أبو علي رحمه الله ، أي : ولا الذين ظلموا عليكم حجة ...وقال المبرد : هذا خطأ ؛ لأنَّ الواو للعطف والإشراك و(إلّا) للاستثناء ولا يدخل أحدهما في باب الآخر)) [3] وجَعْلُ (إلا) بمعنى الواو نفاه الجمهور وتأولوها على الاستثناء المنقطع[4] الذين أجازوا أن يكون الاستثناء في (إلّا) في هذه الآية متصلًا أو منقطعًا[5]

٨–وبمعنى (بَعْدَ) : قال المرادي : ((ومن أغرب ما قيل في (إلّا) أنَّها قد تكون بمعنى (بَعْدَ) وجعل هذا القائل من قوله تعالى : (لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلّا الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ){البقرة : ١٥٠}))[6] وهذا الكلام لا

---

(١) ينظر : معاني الحروف للرماني ص ١٨٥–١٨٦.

(٢) مجاز القرآن ص ٣٦ وينظر : الأزهية ص ١٨٧ ومغني اللبيب ٧٣/١ والبرهان ص ٨٢٧ والزيادة والإحسان ٤٢/٨ .

(٣) الوجوه والنظائر ص ٧٨–٧٩ .

(٤) ينظر : الجنى الداني ص ٥١٨ ومغني اللبيب ٧٣/١ .

(٥) ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١٩٧/١ والدر المصون ١٧٨/٢.

(٦) الجنى الداني ص ٥٢١.

يحتاج إلى تعليق سوى أن أقول أنَّ كل كلام تضمن أن يكون حرف بمعنى حرف آخر يجب أن يكون مما يُستغرَب منه ، فـ(إلّا) لم ترد في القرآن الكريم إلّا بمعنى (إلّا) وهو المشار إليه بمعنى الاستثناء ولم ترد (إلّا) عند التحقيق إلّا بهذا المعنى .

والقول بأنَّ الحروف يجيء بعضعها بمعنى بعض تكرر التحقق من بطلانه فيما سبق ، وذكرنا في ذلك قول الزجاج ، كما أنَّه قول المنهزمين والعجزة الذين آثروا القول به على التحقيق والدراسة ، فإذا كان الأمر كما يقولون بأنَّ (إلّا) مثلًا جاءت بمعنى (غير) في قوله تعالى : (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا) أي : غير الله ، فلِمَ إذن استعمل القرآن (إلّا) ولم يستعمل (غير)؟ وهذا السؤال لا يستطيع أن يجيب عنه أهل اللغة ولا أهل النحو ولا أهل التفسير ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا ؛ لأنَّ الإجابة عنه لا تكون إلّا باتهام كلام الله باللحن ، بأنَّ الموضع موضع (غير) لا موضع (إلّا) ومثل هذا الكلام يقال في كل حرف جعله النحاة بمعنى حرف آخر ، فهم بالقول بتناوب الحروف والأدوات قد جعلوا أنفسهم بمثابة المقوِّم اللغوي لكتاب الله ، وإذا أرادوا أن يبرئوا أنفسهم من هذه التهمة فيجب عليهم أن يحرموا على أنفسهم القول بصحة وجود تناوب الحروف في القرآن الكريم .

٧-**أم** : تقدمت دراسة هذا الحرف في كتابي السابق برقم ٣٢ وكانت نتيجة هذه الدراسة هناك أنَّ (أم) تجمع في كل موضع بين العطف ومعنى (أو) والاستفهام ، وقد يحصل على هذه النتيجة بعض التعديل بعد التوسّع في دراستها في هذا الكتاب .

تعريف (أم) والغرض من استعمالها : قال المبرد : ((ومنها (أم) وهي في الاستفهام نظير (أو) في الخبر))[١] وقال ابن فارس : (((أم) حرف

---

(١) المقتضب ٥٨/١.

عطف نائب عن تكرير الاسم أو الفعل)) [١] وقال الزركشي : ((إنَّما تشرك بين المتعاطفين ، كما تشرك بينهما (أو) ، وقيل فيها معنى العطف ، وهي استفهام كالألف ، إلّا أنَّها لا تكون في أول الكلام ؛ لأجل معنى العطف)) [٢] وقيل أيضًا في تعريفها بأنَّها ((حرف عطف ، وهي نوعان : متصلة ... ومنقطعة)) [٣] فـ(أم) حسب تعريفها تجمع بين العطف والاستفهام

معاني (أم) : ذكر النحاة أنَّ (أم) وردت في اللغة والقرآن الكريم على ستة أوجه : عاطفة متصلة معادلة لألف الاستفهام ، وعاطفة متصلة معادلة لألف التسوية ، وبمعنى ألف الاستفهام ، وزائدة ، وبمعنى (أو) ، ومنقطعة .

الوجه الأول : عاطفة متصلة معادلة لألف الاستفهام : قال سيبويه : ((هذا باب (أم) إذا كان الكلام بها بمنزلة (أيُّهما) و(أيُّهم) وذلك قولك : أزيد عندك أم عمرو ؟ وأزيدًا لقيت أم بشرًا ؟ فأنت الآن مدَّع أنَّ عنده أحدهما ، لأنَّك إذا قلت : أيُّهما عندك ؟ وأيُّهما لقيت ؟ فأنت مدَّع أنَّ المسؤول قد لقي أحدهما أو أنَّ عنده أحدهما ، إلّا أنَّ علمك قد استوى فيهما لا تدري أيُّهما)) [٤] فقد صرَّح سيبويه بأنَّ (أم) في هذا الوجه تفيد معنى التسوية لما ذكره .

وعرَّف الرماني (أم) المتصلة بقوله : ((تكون عديلة لألف الاستفهام ، وهي معها بمنزلة (أيٍّ) وذلك قولك : أزيد عندك أم عمرو ؟ والمعنى : أيُّهما عندك ؟ والجواب يكون بالتعيين ، وذلك أن تقول : زيد ، إن كان

---

(١) الصاحبي في فقه اللغة ص ٨٧.

(٢) البرهان ص ٧٩٩.

(٣) الإتقان ص ٢٣٣ وينظر : الزيادة والإحسان ٤٦/٨-٤٧.

(٤) كتاب سيبويه ١٩٣/٣ .

عندك زيد ، وعمرو ، إن كان عندك عمرو))[١] وعرَّفها ابن هشام بأنَّ (أم) المتصلة هي التي ((يتقدَّم عليها همزة يُطلّب بها وبـ(أم) التعيين))[٢] وكذلك عرَّفها الهروي[٣]وابن الخباز[٤]والرضي[٥] والمالقي[٦]والمرادي[٧]وابن عقيل[٨] عقيل[٨] بمثل ما عرَّفها سيبويه والرمَّاني وابن هشام ، وهذا هو التعريف لـ(أم) لـ(أم) الذي أجمعوا عليه .

شواهد (أم) المتصلة المعادلة لألف الاستفهام : تعريف النحاة لـ(أم) المتصلة المتقدم ذكره الذي اتفقوا عليه ينطبق على الأمثلة المصنوعة ، وهي في حال الاستفهام الحقيقي ، لكنه لا ينطبق على ما جاء في القرآن الكريم لسببين أساسيين ، الأول : أنَّ (أم) لم ترد في كتاب الله إلّا ضمن الاستفهام المجازي ، و(أم) ضمن هذا الاستفهام لا يراد بها التعيين ، والثاني : أنَّه لا ينطبق أيضًا على ما جاء في القرآن الكريم ؛ لأنَّ الله سبحانه يعلم بالجواب ، وقد جاز تطبيقه على المثال : أزيد في الدار أم عمرو ؟ لأنَّ الاستفهام فيه حقيقي ، والمستفهم أراد من استعمال (أم) مع

---

(١) معاني الحروف ص ٤٥-٤٦.

(٢) مغني اللبيب ٤١/١.

(٣) ينظر : الأزهية ص ١٣١.

(٤) ينظر : الغرَّة المخفية ٣٨٦/١-٣٨٧.

(٥) ينظر : شرح كافية ابن الحاجب ٤٣١/٤

(٦) ينظر : رصف المباني ص ١٧٨-١٧٩ .

(٧) ينظر : الجنى الداني ص ٢٠٤-٢٠٥.

(٨) ينظر : شرح ابن عقيل ٢٢٩/٢ .

الهمزة ليعلم ؛ لأنَّه لا يعلم ، والله يعلم ؛ لذلك لم يُستعملا في القرآن الكريم لهذا الغرض .

وقد كان تعريف النحاة لـ(أم) المتصلة الذي اتفقوا عليه والأمثلة التي ذكروها في هذا الباب مبنية جميعها على أنَّ المخاطَب هو الذي يعيِّن أحد الأمرين لعلمه به من دون المستفهِم ، ويمليه عليه ليقرَّه ، أمَّا الشواهد القرآنية التي استشهدوا بها فعلى العكس من ذلك ، مبنية على أنَّ المستفهِم هو الذي يعيِّن أحد الأمرين ، ويمليه على المخاطَب ليقرَّه ؛ لأنَّه يمثل حقيقة يعلمها المخاطَب ولا يستطيع أن يردَّها .

وهذا هو الغرض من استعمال (أم) في القرآن الكريم التي اصطلحوا على تسميتها بالمتصلة ، قال المبرد : ((فأمَّا (أم) فلا تكون إلّا استفهامًا ، وتقع من الاستفهام في موضعين : أحدها أن تقع عديلة للألف على معنى (أيّ) وذلك قولك : أزيد في الدار أم عمرو ؟ وكذلك : أأعطيتَ زيدًا أم حرمته؟ فليس جواب هذا (لا) ولا (نعم) ... لأنَّ المتكلم مُدَّعٍ أنَّ أحد الأمرين قد وقع ، فالجواب أن تقول (زيد) أو(عمرو) ... فمن ذلك قول الله عز وجل : (أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الأبْصَارُ){ص : ٦٣} وقوله تعالى : (أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاء){النازعات : ٢٧} ومثله : (أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ){الدخان : ٣٧} فخرج هذا مخرج التوقيف والتوبيخ ، ومخرجه من الناس يكون استفهامًا ويكون توبيخًا)) [١]

فقد نبَّه المبرد على أنَّ ما قاله في المثالين لا ينطبق على الشاهد القرآني ، لأنَّه لا يصح فيه أن يكون قائله مُدَّعيًا أنَّ أحد أمريه قد وقع ، وأنَّه استفهم ليطلب تعيين أحدهما لعدم علمه به ، لذلك نبَّه على أنَّ

---

(١) المقتضب ٢٣٣/٢.

الاستفهام في الآية خرج مخرج الاستفهام المجازي الذي لم يرد منه التعيين بل أريد منه التوقيف والتوبيخ .

وقد استشهد ابن يعيش وابن مالك وابن هشام في هذا الباب بالشاهدين القرآنيين ، وأضافوا إليهما قوله تعالى : (قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ){الفرقان : ١٥} وقوله تعالى : (أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ){الصافات : ٦٢} وقوله تعالى : (أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ){الواقعة : ٥٩} [١] وهذه الشواهد لا يصحّ أن تفسَّر وفق التعريف الذي اتفق عليه النحاة ولا يصح أن تُحمَل على ما حُملت عليه الأمثلة المصنوعة ، فقوله تعالى في سورة الفرقان : (قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ) لا يصحّ أن تكون نحو : أزيد في الدار أم عمرو ؟ لأنَّ المخاطَب في هذا المثال هو الذي يعيِّن أحد الاسمين ويفرض على المستفهِم القبول به ، لأنَّه هو الذي يعلم به من دون المستفهِم ، وعلى العكس من ذلك الشاهد القرآني ، وهو أنَّ المستفهِم هو الذي يعيِّن أحد الاسمين ، لحمل المخاطَب على الإقرار به ، وقد تقدم الآية وصف النار ، واسم الإشارة (ذَلِكَ) راجع إليها ، ولا يصحّ جعل الاستفهام في الآية حقيقيًّا ؛ لأنَّه لا يصح أن يكون المراد من (أم) والهمزة التعيين ؛ لأنَّه ما من أحد لا يعلم أنَّ الجنة خير من النار ، وقد تبيَّن أنَّ الغرض من همزة الاستفهام المجازي هو حمل المخاطَب على إنكار ما جاء بعد الهمزة و(أم) أو إقراره ؛ ليشارك المستفهِم في هذا الإنكار أو الإقرار ، فالاستفهام في الآية مجازي ، وهو في الهمزة للإنكار ، أي : أريد منه حمل المخاطَب على إنكار أن تكون النار خيرًا من الجنة ، وهو في (أم) للتقرير ، أي : أريد منه حمل المخاطب على الإقرار بأنَّ جنة الخلد خير من النار .

---

(١) ينظر : شرح المفصل ١٧/٥ وشرح التسهيل لابن مالك ٢٤٨/٣ ومغني اللبيب ٤١/١-٤٢ .

وقد تقدم الكلام على همزة الاستفهام المجازي ، وشواهدها القرآنية ، ولم يصحّ عندي ولم يثبت في هذه الشواهد استعمال الهمزة للتقرير ، بل كانت في جميعها للإنكار ، لكن كثر مجيئها للتقرير في شواهد (أم) المتصلة المعادلة لألف الاستفهام ؛ ذلك أنّه في الغالب إذا أريد إنكار ما جاء بعد الهمزة ، اقتضى أن يكون المراد إقرار ما جاء بعد (أم) ، وإذا أريد إنكار ما جاء بعد (أم) اقتضى أن يكون المراد إقرار ما جاء بعد الهمزة ؛ لذلك سُمِّيتْ (أم) المعادلة ، وهذا ما تبيّن في شواهد (أم) التي تقدم الاستشهاد بها ، فـ(أم) عاطفة متصلة في سورة الصافات في قوله تعالى : (أَذَلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ) وما أريد منها التعيين ، بل التقرير والإنكار، أي : حمل المخاطب على الإقرار بما جاء بعد الهمزة ، وإنكار ما جاء بعد (أم) .

وكذلك (أم) عاطفة متصلة في سورة الواقعة في قوله تعالى : (أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ){الواقعة : ٥٩} وما أريد منها التعيين ، بل حمل المخاطبين على إنكار ما جاء بعد الهمزة ، والإقرار بما جاء بعد (أم) أي : حملهم على إنكار أن يكونوا هم الخالقين والإقرار بأنّ الخالق هو الله ، والمراد بإيجاز : حملهم على الإقرار بأنَّ الله هو الخالق وليسوا هم .

وكذلك (أم) في سورة ص في قوله تعالى : (وَقَالُوا مَا لَنَا لا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الأَشْرَارِ {٦٢}أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الأَبْصَارُ) متصلة وما أريد منها التعيين ، قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي بوصل الألف وكسرها في (اتَّخَذْنَاهُمْ) أي : بجعلها خبرًا ، وقرأ الباقون (أَتَّخَذْنَاهُمْ) بالهمز ، أي : بجعلها همزة استفهام ، قال أبو علي النحوي : ((فأمَّا وجه مَن فتح الهمزة فإنَّه يكون على التقرير ... فإن قلتَ : فما الجملة المعادلة لقوله سبحانه (أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الأَبْصَارُ) في قول من كسر الهمزة ، فالقول فيه : إنَّ الجملة المعادلة لـ(أم) محذوفة والمعنى : أمفقودون هم أم زاغت عنهم

الأبصار)) [١] فأبو علي النحوي جعل (أم) متصلة في القراءتين بردها على همزة الاستفهام في قراءة من أهمز ، وبردها على استفهام مقدّر في قراءة من وصل وكسر ، ويمكن بهذا التقدير جعل كلّ (أم) منقطعة جعلها متصلة ، وإن كانت مسبوقة بخبر محض ، وقال مكي ابن أبي طالب القيسي : ((وقد قيل : إنَّ (أم) في قراءة من وصل معادلة لـ(ما) في قوله تعالى : (مَا لَنَا لا نَرَى) وذلك أحسن ؛ لأنَّ (أم) إنَّما تقع في أكثر أحوالها معادلة للاستفهام و(ما) استفهام ، وحجة من أهمز أنَّه حمله على لفظ الاستفهام الذي معناه التقرير والتوبيخ ، وليس هو على جهة الاستخبار عن أمر لم يُعلَم ، بل علموا أنَّهم فعلوا ذلك في الدنيا ، فمعناه أنَّه يوبِّخ بعضهم بعضًا على ما فعلوه في الدنيا من استهزائهم بالمؤمنين)) [٢] أي : أنَّه ما أريد بـ(أم) والهمزة التعيين ؛ لعلمهم به وإنَّما حمل أنفسهم على إنكار ما فعلوا ، كما أنَّ القيسي كأبي علي النحوي جعل (أم) متصلة في القراءتين ؛ ذلك بردها على همزة الاستفهام في قراءة من أهمز ، وبردها على (ما) الاستفهامية في قراءة من وصل ، وقال الزمخشري : ((وقوله تعالى : (أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الأبْصَارُ) له وجهان من الاتصال : أحدهما : أن يتصل بقوله تعالى (مَا لَنَا) ... والوجه الثاني : أن يتصل بقوله تعالى (أَتَّخَذْنَاهُمْ) ... على معنى إنكار الأمرين جميعًا على أنفسهم ، وعن الحسن : كل ذلك فعلوا ، اتخذوهم سخريًّا وزاغت عنهم أبصارهم محقرة لهم)) [٣] والزمخشري كمكي القيسي أجاز اتصال (أم) بردها على (ما) الاستفهامية ، وهذا يعني أنَّه يمكن كسر القاعدة النحوية ؛ ذلك برد (أم) المتصلة على استفهام بغير الهمزة .

---

(١) الحجة في علل القراءات السبع ٤/٢٤٩-٢٥٠.

(٢) الكشف عن وجوه القراءات ٢/٢٣٤ .

(٣) الكشاف ٤/٩٩ .

فمعنى الآيتين في سورة ص : مَا لَنَا لا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدّهم منَ الأَشْرَارِ في الدنيا ، ما لنا لا نراهم معنا اليوم في النار ، أَلِأَنَّنا سخِرنا منهم في الدنيا وهم أهل كرامة ، فكانوا من أهل الجنة ، وكنَّا من أهل النار ، أم هم معنا في النار : لكن زاغت أبصارنا عنهم ؛ لأنَّه خفي علينا مكانهم؟ فأنت ترى أنَّه ما أريد من (أم) تعيين أحد الأمرين ، وإنَّما إنكار الأمرين جميعًا .

وكذلك الاستفهام في سورة النازعات : (أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاء) مجازي إنكاري وتقريري والمراد منه حمل المخاطبين على إنكار ما جاء بعد والإقرار بما جاء بعد (أم) أي : الإقرار بأنَّ السماء هي الأشد خلقًا ، ومثله قوله تعالى في سورة الدخان : (أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ)

وقد قال الزركشي المقلّد للنحاة والمتكلم عن لسانهم : ((فالمتصلة هي الواقعة في العطف ... والمراد بها الاستفهام عن التعيين ... كقوله تعالى : (أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ){يوسف : ٣٩} ... وقوله تعالى : (أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِؤُونَ){الواقعة : ٧٢}))[١]

كيف يصحّ تفسير هذين الشاهدين وفق تعريفهم لـ(أم) المتصلة بأنَّ الاستفهام فيها كان لطلب التعيين ، فالاستفهام في قوله تعالى : (أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ) ليس استفهامًا حقيقيًّا ليطلّب به التعيين على نحو ما طُلِب في المثال : أزيد في الدار أم عمرو ؟ وإنَّما الاستفهام في الآية مجازي ، ما أريد من (أم) والهمزة تعيين أحد الأمرين من لدن المخاطَب ، وإنَّما أريد منه حمله على إنكار ما جاء بعد الهمزة ، والإقرار بما جاء بعد (أم) أي : حمله إنكار ربوبيّة الأرباب المتفرقين ، والإقرار بربوبيّة الله الواحد القهّار ، فيكون المراد باختصار : الإقرار بأنَّ ربوبية الله الواحد القهّار خير

---

(١) البرهان ص ٧٩٩-٨٠٠.

من ربوبية الأرباب المتفرقين ، وكذلك الاستفهام في قوله تعالى : (أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِؤُونَ) للإنكار والتقرير ، أي : أريد حمل المخاطبين على أنَّ المنشئ هو الله وليسوا هم .

وقال السيوطي المتكلم أيضًا عن لسان النحاة ، في (أم) المتصلة هي : ((أن يتقدم عليها همزة يُطلَب بها وبـ(أم) التعيين نحو : (قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنثَيَيْنِ نَبِّؤُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ){الأنعام : ١٤٣}))[١] أيّ تعيين هذا ؟! فإنَّه لا يصحّ تعيين أيَّ أمر كان من هذه الأمور الثلاثة ، لأنَّ المراد إنكارها جميعًا ، فقد كان أهل الجاهلية يحرمون ذكور الأنعام تارة ، وإناثها تارة أخرى ، وكلا الجنسين تارة ثالثة ، فأنكر الله سبحانه عليهم ذلك كلّه ، فالاستفهام إنكاري فقد أريد منه حمل المشركين على إنكار هذه الأمور الثلاثة على حدٍّ سواء [٢]

ومن شواهد (أم) المتصلة الأخرى في القرآن الكريم قوله تعالى : (قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا أَنزَلَ اللّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلاَلاً قُلْ آللّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللّهِ تَفْتَرُونَ){يونس : ٥٩}

قال الزمخشري : ((والمعنى : أخبروني : آلله أذن لكم في التحليل والتحريم ، فأنتم تفعلون ذلك بإذنه أم تكذبون على الله في نسبة ذلك ؟ ويجوز أن تكون الهمزة للإنكار و(أم) منقطعة بمعنى : بل أتفترون على الله ؟ تقريرًا للافتراء)) [٣] وجاء في الدر المصون ((في (أم) هذه وجهان أحدهما : أنَّها عاطفة متصلة ... و(أم) منقطعة بمعنى : بل أتفترون على الله ؟ تقريرًا

---

(١) الإتقان ص ٢٣٣ .

(٢) ينظر : معاني الحروف للرماني ص ١ والكشاف ٧١/٢ وأنوار التنزيل ١٨٦/٢ ومدارك التنزيل ص ٣٤٦ والدر المصون ١٩٥/٥ .

(٣) الكشاف ٣٤١/٢ وينظر : مدارك التنزيل ص ٤٧٧ .

للافتراء ، والظاهر الأول ؛ إذ المعادلة ... واضحة ؛ إذ التقدير : أيُّ الأمرين وقع ، إذْنُ الله لكم في ذلك أم افتراؤكم عليه ؟))[1]

واستعمال (أم) هنا يدل على أنَّ المراد هو الاستفهام عما بعدها وعطفه ورده على ما قبلها ليكون معادلًا له على التقدير المذكور ، ولو أراد معنى الإضراب وعدم العطف واستئناف الاستفهام بعدها لاستعمل (بل) والهمزة كما قدروا ، وتقرير الافتراء يعني إثباته ، وإنكاره يعني عدم صدقه وصحته ، وقال ابن عاشور : ((والاستفهام ... تقريري باعتبار إلزامهم بأحد الأمرين إمَّا أن يكون الله أذن لهم أو يكونوا مفترين على الله ، وقد شيب التقرير في ذلك بإنكار على الوجهين)) [2]

وقول ابن عاشور : ((إلزامهم بأحد الأمرين)) يكون هذا هو الأصل لو كان الاستفهام حقيقيًّا ، وهو إلزامهم بتعيين أحد الأمرين إلّا أنَّ استفهام الهمزة و(أم) في الآية مجازي ، وهو للإنكار بعد الهمزة ، وللتقرير بعد (أم) فيكون المراد منه حمل المخاطبين على إنكار أن يكون الله أذن لهم في ذلك وحملهم على الإقرار بأنَّ ما يدعونه افتراء على الله سبحانه .

والمشهور في كتب النحو والتفسير إخراج همزة (أَرَأَيْتُم) بكلّ صيغها من معنى الاستفهام ، وجعلها الزمخشري هنا بتقدير : أخبروني ، والحقيقة أنّ الهمزة باقية على بابها ، وأريد منها التقرير ، أي : حمل المخاطبين على الإقرار بعلمهم اليقيني بأنّ أرزاقهم التي ينعمون بها ، هي كلّها منزلة عليهم من عند الله ، وحملهم على الإقرار بهذه الحقيقة يُعدُّ تمهيدًا أو مقدمة ؛ ليُوجّه إليهم قوله تعالى : (قُلْ آللّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللّهِ تَفْتَرُونَ) لأنّ تحريم

---

(١)الدرّ المصون ٢٢٧/٥ .

(٢) التحرير والتنوير ١١٥/١١.

بعض أرزاقهم أو تحليله لا يكون مِن حقّهم بل من حق مَن أنزلها عليهم ، وهو الله سبحانه .

ومن ذلك قوله تعالى : (قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ {٥٤} قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللاعِبِينَ){الانبياء : ٥٤-٥٥}

جاء في الدر المصون : (((أم أنت) (أم) متصلة وإن كان بعدها جملة ؛ لأنَّها في حكم المفرد ؛ إذ التقدير : أيُّ الأمرين واقع ، مجيئك بالحق أم لعبك ... ولو كانت منقطعة لقدِّرت بـ(بل) والهمزة ، وليس ذلك مرادًا)) [١]

وقد ثبت كما سيأتي جواز دخول (أم) المتصلة على الجملة من دون تأويلها بمفرد ، والخطاب في هذه الآية موجه من قوم إبراهيم إلى إبراهيم عليه السلام ، والمعنى : أجادٌّ أنت فيما تقول أم لاعب مازح ؟ ولم يطلب قومه منه أن يجيب عن هذا السؤال بتعيين أحد هذين الأمرين ، ولو أرادوا ذلك لعلموا علم اليقين بأنَّه سيجيبهم بأنَّه جاد في قوله وليس بهازل ، وهم لم يريدوا ذلك ، لأنَّ سؤالهم له كان مجازيًّا وليس حقيقيًّا ، وأرادوا من هذا الاستفهام المجازي حمله على الإقرار بأنَّه مازح في قوله وحمله أيضًا على إنكار أن يكون جادًّا فيما يقول ؛ لأنَّهم كانوا يستبعدون أن يكونوا على ضلال وينكرون على إبراهيم عليه السلام قوله فيهم بأنَّهم كانوا هم وآباؤهم في ضلال مبين

الوجه الثاني : عاطفة متصلة معادلة لألف التسوية : وهي الواردة بعد همزة التسوية مجردة من معنى الاستفهام كقوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ){البقرة : ٦} وقوله تعالى : (سَوَاء عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ){إبراهيم : ٢١} وهمزة التسوية هي التي يتقدمها لفظ (سواء) أو ما كان بمعناه ، نحو : سواء عليَّ

---

(١) ٨/١٦٩-١٧٠.

أبشرًا كلمتَ أم زيدًا ، بمعنى : سواء علي أيُّهما كلمتَ ، ونحو : ما أبالي أزيدًا لقيتَ أم عمرًا ، كما تقول : ما أبالي أيَّهما لقيتَ ، ومثل ذلك : ليت شعري أزيد ثمَّ عمرو ، وما أدري أزيد ثّمَّ عمرو : والتقدير : ليت شعري أيُّهما ثَمَّ ، وما أدري أيُّهما ثَمَّ ، وكذلك : سواء علي أبشرًا كلمتَ أم زيدًا ، تقديره : سواء عليَّ أيُهما كلمتَ ، فأنت ترى أنَّ النحاة ساووا بين نوعي (أم) المتصلة ، عندما جعلوا النوعين بتقدير : أيُّهما ، وأيُّهم ، إلّا أنَّهم على الرغم من ذلك فرقوا بينهما بأنَّ همزة الأول استفهامية وهمزة الثانية ليست استفهامية ، بل هي همزة تسوية مجردة من معنى الاستفهام[1].

فالدليل الأول على أنَّهما (أم) واحدة أنَّ النحاة كما تقدم ساووا بينهما في التقدير المذكور ، والدليل الثاني أنّ معنى التسوية لم يكن متأتِّيًا إليها من لفظ (سواء) وما كان بمعناه ، بل هذا المعنى موجود فيها في الأصل ، وقبل دخول ألفاظ التسوية عليها ، فقد تقدم كلام سيبويه : ((هذا باب (أم) إذا كان الكلام بها بمنزلة (أيُّهما) و(أيُّهم) وذلك قولك : أزيد عندك أم عمرو ؟ وأزيدًا لقيت أم بشرًا ؟ فأنت الآن مدَّع أنَّ عنده أحدهما ، لأنَّك إذا قلت : أيُّهما عندك ؟ وأيُّهما لقيتَ ؟ فأنت مدَّع أنَّ المسؤول قد لقي أحدهما أو أنَّ عنده أحدهما ، إلّا أنَّ علمك قد استوى فيهما لا تدري أيُّهما))[2] فتأمَّل قوله الأخير ((إلّا أنَّ علمك قد استوى فيهما لا تدري أيُّهما))

---

(١) ينظر : كتاب سيبويه ١٩٣/٣-١٩٤ والمقتضب ٢/ ٢٣٣، ٢٤٠ ومعاني الحروف للرماني ص ٤٥- ٤٦ وشرح كتاب سيبويه ٤٠٩/٣-٤١٠ والأزهية في علم الحروف ص ١٣١-١٣٢وشرح المفصل لابن يعيش ١٦/٥-١٧وشرح التسهيل لابن مالك ٢٤٧/٣-٢٤٨ وشرح كافية ابن الحاجب ٤٣١/٤ ورصف المباني ص ١٧٨-١٧٩ والجنى الداني ص ٢٠٤-٢٠٥ ومغني اللبيب ٤١/١ والبرهان في علوم القرآن ص ٧٩٩ والإتقان في علوم القرآن ص ٢٣٣ والزيادة والإحسان في علوم القرآن ٤٦/٨-٤٧.

(٢) كتاب سيبويه ١٩٣/٣ .

وقال الأخفش : ((فأمَّا قوله تعالى : (سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ) فإنَّما دخله حرف الاستفهام ، وليس باستفهام لذكره السواء ، لأنَّه إذا قال في الاستفهام : أزيد عندك أم عمرو ؟ وهو يسأل : أيُّهما عندك ، فهما مستويان عليه ، وليس واحد منهما أحق بالاستفهام من الآخر ، فلما جاءت التسوية في قوله (أَأَنذَرْتَهُمْ) أشبه بذلك الاستفهام ، إذ أشبهه في التسوية)) [١]

أكَّد الأخفش أنَّ همزة التسوية هي همزة الاستفهام نفسها الواردة في الوجه الأول ، وتفيد مع (أم) معنى التسوية كما قال سيبويه ، وقوله : ((فإنَّما دخله حرف الاستفهام ، وليس باستفهام)) يعني أنَّه استفهام مجازي ، وهذه هي الحقيقة أنَّها لم ترد إلّا ضمن الاستفهام المجازي في اللغة وفي القرآن الكريم

وذكر الزجاج أنَّ الهمزة في كلا النوعين همزة استفهام ، ومع ذلك فالكلام في كليهما خبر ؛ لاشتمالهما كليهما على معنى التسوية ، وبيَّن أنَّ هذه التسوية آلتها ألف الاستفهام و(أم) التي للاستفهام ، فقال : ((فأمَّا دخول ألف الاستفهام ودخول (أم) التي للاستفهام والكلام خبر ؛ فإنَّما وقع ذلك لمعنى التسوية ، والتسوية آلتها ألف الاستفهام و(أم)))[٢] ونحو هذا قال النحاس : ((والتقدير : سواء عليهم الإنذار وتركه ، أي : سواء عليهم هذان ، وجيء بالاستفهام من أجل التسوية)) [٣]

فليس ثمة همزة تسوية ، وإنَّما هي همزة استفهام ، والتسوية معنى مختلَق أو معنى السياق ، فالتسوية حاصلة في همزة الاستفهام ، كما هي

---

(١) معاني القرآن ص ٣٢ .

(٢) معاني القرآن ص ٣٢.

(٣) إعراب القرآن ص ١٩.

حاصلة في همزة التسوية ، فلا داعي إذن للتفريق والفصل بينهما ، وجعلِهما على نوعين .

والحقيقة أنَّ الهمزة في كلا النوعين استفهامية وتسوية ؛ لأنَّهم إذا كانوا قد أجمعوا على أنَّ الهمزة هي همزة استفهام في مثال النوع الأول : أزيد في الدار أم عمرو ؟ وجب عليهم أن يجمعوا على أنَّها باقية على استفهاميتها في مثال النوع الثاني : سواء عليَّ أزيد في الدار أم عمرو ؟ لأنَّ المثال بقي لم يتغير ، وكذلك يقال الكلام نفسه في بقية الأمثلة ، والجدير بالذكر أنَّهم جعلوا الهمزة في النوعين بتقدير : أيَّهما ، واتفقوا على أنَّ (أم) سُمِّيتْ في النوعين متصلة ومعادلة أو مساوية .

ولو صح أنَّ همزة النوع الثاني همزة تسوية وليست استفهامية ، لجاز الاستغناء عنها ، وعدم تقديرها إذا حذفتْ ؛ لأنَّ معنى التسوية مفهوم من السياق ومن كلمة (سواء) وما رادفها : قال ابن جني : ((ومن ذلك قراءة : (أَنذَرْتَهُمْ) بهمزة واحدة من غير مد[1] قال أبو الفتح : هذا مما لا بدَّ فيه أن يكون تقديره : (أَأَنذَرْتَهُمْ) ثم حذف همزة الاستفهام تخفيفًا لكراهة الهمزتين))[2] وتأمَّل كيف أنَّ ابن جني قال : ((ثمَّ حذف همزة الاستفهام)) ولم يقل : ثمَّ حذف همزة التسوية ، وقال العكبري : ((قرأ ابن محيصن بهمزة واحدة على لفظ الخبر ، وهمزة الاستفهام مرادة ، ولكن حذفوها تخفيفًا))[3]

شواهد (أم) المتصلة القرآنية بعد ألف التسوية : استشهد النحاة كما تقدم لهمزة التسوية بقوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ

---

(١) وهذه قراءة شاذة وهي قراءة ابن محيصن .

(٢) المحتسَب ١٢٩/١.

(٣) التبيان في إعراب القرآن ٢٥/١.

لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ){البقرة : ٦} وقوله تعالى : (سَوَاء عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ){إبراهيم : ٢١}

لو كان الاستفهام في الآيتين حقيقيًّا لكان المراد من (أم) والهمزة التعيين ، أي : أن يكون الجواب : نعم أنذرتهم ، أو أن يكون الجواب : لا لم أنذرهم ، إلّا أنَّ الاستفهام مجازي ، والدليل على ذلك قوله تعالى : (أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا) لأنَّ الإنسان لا يسأل نفسه أو يوجه الاستفهام إليه على الحقيقة ، ولكن جاز ذلك لأنَّ الاستفهام مجازي ، والمعنى أنَّهم قد اعترفوا وأيقنوا أنَّه لا ينفعهم لا الجزع ، ولا الصبر ، فكلاهما سيان ، فيكون المراد من الاستفهام حمل أنفسهم على الإقرار بتساوي الأمرين ؛ لتساوي جواب الاستفهامين عندهما .

وهذا هو المراد أيضًا من استفهام الهمزة و(أم) في قوله تعالى : (أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ) هو حمل المخاطّب على الإقرار بتساوي الأمرين ، لتساوي جواب الاستفهام فيهما .

وقد أجمع النحاة والمفسرون على أنَّ (أم) المتصلة بعد ألف التسوية لا تكون إلّا التي يتقدمها لفظ (سواء) وما كان في معناه ، وليس الأمر كما أجمعوا ، فقد جاء قوله تعالى : (وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ {٥٨} يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلاَ سَاء مَا يَحْكُمُونَ){النحل : ٥٨-٥٩}

فلو كان الاستفهام حقيقيًّا لكان المراد من (أم) والهمزة التعيين والتقدير : أيهما يفعل الإمساك على هون أم الدس في التراب ؟ ولاقتضى أن يكون الجواب : الإمساك ، أو أن يكون الجواب : الدس ، إلّا أنَّ الاستفهام مجازي ، فما أريد أن يكون الجواب هذا أو ذاك ، وإنَّما أريد حمله على الإقرار أو الإنكار ، لكن ليس إقرار الأمرين ؛ لأنَّه ما أراد فعلهما ، ولا إنكار الأمرين ؛ لأنَّه لم يرد أن لا يفعلهما ، فقد وجد نفسه بين أمرين ضدّين ،

لكنهما تساوياعنده ؛ لأنَّه كره كلًّا منهما الكره نفسه ، جاء في التفسير : ((يتغيب ويختفي من سوء الحزن والعار والحياء الذي يلحقه بسبب حدوث البنت له (أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ) أي : لا يزال مترددًا بين الأمرين ، وهو إمساك البنت التي بُشِّر بها أو دفنها في التراب))[1] فلو لم يكن قد تساوى عنده الأمران ، لما بقي مترددًا لا يدري ماذا يفعل ؟ فقد أريد من الاستفهام حمل المعنيِّ من أهل الجاهلية على الإقرار بتساوي الأمرين عنده ، لتساوي جواب الاستفهامين .

ومن ذلك قوله تعالى : (أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِ جِنَّةٌ){سبأ : ٨} وهذا قول الكافرين اتهموا الرسول صلى الله عليه وسلم بأحد أمرين ، إلّا أنَّهما تساويا عندهم ، والاستفهام مجازي وهو للتقرير ، وقد أريد منه حمل المخاطبين على الإقرار بتساوي هذين الاتهامين .

الوجه الثالث : (أم) بمعنى ألف الاستفهام : قال ابن فارس : ((وكان أبو عبيده يقول : (أم) يأتي بمعنى ألف الاستفهام كقوله جل ثناؤه (أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُواْ رَسُولَكُمْ){البقرة : ١٠٨} بمعنى : أتريدون)) [2] وقال ابن هشام : ((وزعم أبو عبيدة أنَّها قد تأتي بمعنى ألف الاستفهام المجرد ، فقال في قول الأخطل :

كذَبَتْكَ عينُكَ أم رأيتَ بواسطٍ غَلَسَ الظلام من الرَّباب خيالًا

إنَّ المعنى : هل رأيت ؟))[3] وقال السيوطي : (((أم) وأنكرها أبو عبيدة ... فقال : ليست بحرف عطف ، بل بمعنى همزة الاستفهام)) [4] وقد رجعتُ إلى

---

(١) فتح القدير ٢١١/٣ .

(٢) الصاحبي في فقه اللغة ص ٨٨.

(٣) مغني اللبيب ٤٥/١.

(٤) همع الهوامع ١٩٦/٣.

مجاز القرآن فوجدتُ في كلام أبي عبيدة اضطرابًا ، فقد جعلها بمعنى ألف الاستفهام أو هل في مواضع ، وبمعنى (بل) في مواضع كما جعلها بمعنى الواو ، فقد استشهد في تفسير قوله تعالى : (أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء){البقرة : ١٣٣} بقول الأخطل :

كذَبَتْكَ عينُكَ أم رأيتَ بواسطٍ   غَلَسَ الظلام من الرَّباب خيالاً

ثم قال : ((يقول : كذبتْكَ عينك هل رأيتَ أو بل رأيتُ)) [١] وقال في الصفحة التالية مباشرة في تفسير قوله تعالى : (أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ){البقرة : ١٤٠} (((أم) في موضع ألف الاستفهام ، ومجازها : أتقولون)) [٢] وكذلك جعلها بمعنى الألف في قوله تعالى : (أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم){البقرة : ٢١٤} والتقدير عنده : أحسبتم[٣] وقال : ((أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ){النساء : ٥٤} معناها : أيحسدون)) [٤] وقال في تفسير قوله (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ){السجدة : ١-٣} ((ومعنى (بل) سبيلها ويقولون قال الأخطل :

كذَبَتْكَ عينُكَ أم رأيتَ بواسطٍ   غَلَسَ الظلام من الرَّباب خيالاً

أي : بل رأيتُ))[٥] وقال في (أم) في قوله تعالى : (فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلا مَجْنُونٍ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ

---

(١) ينظر : مجاز القرآن ص ٣٤ .

(٢) ينظر : مجاز القرآن ص ٣٥ .

(٣) ينظر : مجاز القرآن ص٤٠.

(٤) ينظر : مجاز القرآن ص٦٠.

(٥) مجاز القرآن ص ٢١٨.

الْمَنُونِ){الطور : ٢٩-٣٠} ((مجازها : بل يقولون)) [١] بل وجدته قد جعلها بمعنى الواو في قوله تعالى : (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ){هود : ١٣}[٢]

وقال الفراء في تفسير الآية ١٠٨ من سورة البقرة : ((والأخرى أن يُستفهم بها فتكون على جهة النسق الذي يُنوى بها الابتداء ، إلّا أنَّه متصل بكلام ، فلو ابتدأتَ كلامًا ليس قبله كلام ، ثم استفهمتَ لم يكن إلّا بالألف ، أو بـ(هل) ومن ذلك قول الله عز وجل : (الم {١} تَنزِيلُ الْكِتَابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ {٢} أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ){السجدة : ١-٣} فجاءت (أم) وليس قبلها استفهام ، فهذا دليل على أنَّها استفهام مبتدأ على كلام سبقه ، وأمَّا قوله تعالى : (أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُواْ رَسُولَكُمْ){البقرة : ١٠٨} فإن شئتَ جعلته على مثل هذا... وربما جعلت العرب (أم) إذا سبقها استفهام لا تصلح (أيُّ) فيه على جهة (بل) فيقولون : هل لك فبلنا حق أم أنت رجل معروف بالظلم ، يريدون : بل أنت رجل معروف بالظلم)) [٣]

وقال في تفسير قوله تعالى : (أَمْ حَسِبْتُمْ){البقرة : ٢١٤} ((استفهم بـ(أم) في ابتداء لم يكن قبله ألف فيكون (أم) ردًّا عليه ، فهذا مما أعلمتك أنَّه يجوز إذا كان قبله كلام يتصل ، ولو كان ابتداءً ليس قبله كلام كقولك للرجل : أعندك خير ؟ لم يجز أن تقول : أم عندك خير ؟ ولو قلتَ أنت رجل لا تنصف أم لك سلطان تدل به ، لجاز إذ تقدمه كلام فاتصل به))[٤]وقال في تفسير قوله تعالى : (أَمْ حَسِبْتُمْ){التوبة : ١٦} من الاستفهام

---

(١) مجاز القرآن ص ٢٦٢ .

(٢) ينظر : مجاز القرآن ص ١٠٩ وينظر : زاد المسير ٢٥/٤ والبحر المحيط ٢٠٦/٥ .

(٣) معاني القرآن ٥٧/١.

(٤) معاني القرآن ٩٦/١.

الذي يتوسط في الكلام فيجعل بـ(أم) ليفرق بينه وبين الاستفهام المبتدأ الذي لم يتصل بكلام ، ولو أريد به الابتداء لكان إمَّا بالألف وإمَّا بـ(هل))) (١) وممن تبع مذهبه هذا الطبري(٢)

وقال ابن قتيبة : ((وتكون (أم) بمعنى ألف الاستفهام كقوله تعالى : (أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ){النساء : ٥٤} أراد : أيحسدون النساء؟ وقوله تعالى : (أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ){الطور : ٣٩} أراد : أله البنات ، وقوله تعالى : (أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ){الطور : ٤٠} أراد : أتسألهم أجرًا ، وقوله تعالى : (أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ){الطور : ٤١} أراد : أعنده الغيب ، وهذا في القرآن كثير ، يدلك عليه قوله تعالى : (الم {١} تَنزِيلُ الْكِتَابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ {٢} أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ){السجدة : ١-٣} ولم يتقدم في الكلام : أيقولون كذا وكذا فترد عليه : أم تقولون ، وإنَّما أراد : أيقولون افتراه ، ثم قال : (بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ))) (٣)

فالفراء ومن تبعه جعل (أم) وألف الاستفهام بمعنى واحد وإن اختلف لفظاهما وأنَّه لا فرق بينهما إلّا أنَّ كلًّا منهما لها موضعها فـ(أم) لا تقع كألف الاستفهام في بدء الكلام ، وأنَّ ألف الاستفهام لا تقع كـ(أم) في وسط الكلام ، أي : نقول : أعندك زيد ؟ ولا نقول : أم عندك زيد ؟ ونقول : أعندك زيد أم عندك عمرو ؟ ولا نقول : أعندك زيد أعندك عمرو ؟ وكذلك

---

(١) معاني القرآن ٢٨٢/١ .

(٢) ينظر على سبيل المثال : جامع البيان للطبري ١٠٧/١٠ وينظر قوله في تفسير (أَمْ حَسِبْتُمْ){التوبة : ١٦}

(٣) تأويل مشكل القرآن ص ٢٩١-٢٩٢ وينظر : الأزهية ص ١٣٨-١٣٩ والبرهان ص ٨٠١ .

نقول كما قال العرب : إنَّها لإبل أم شاء ؟ ولا نقول : إنَّها لإبل أشاء ؟ أي : أنَّ الألف و(أم) معناهما واحد بيد أنَّ هذا المعنى يقع في ابتداء الكلام بلفظ الألف لا بلفظ (أم) ، ويقع في وسط الكلام بلفظ (أم) لا بلفظ الألف ، لماذا ؟! لِمَ لا يكون اللفظ واحدًا في الحالين ، إمَّا الألف وإمَّا (أم) ؟! لأنَّه إذا تأكد أنَّ الألف لا تقع موقع (أم) ، ولا (أم) تقع موقع الألف ، فهذا يعني تمامًا أنَّه ليست إحداهما بمعنى الأخرى ، بل كل منهما بمعنى نفسها من دون الأخرى ، والدليل على ذلك أنَّ ألف الاستفهام مثل (أم) وقعت أيضًا في وسط الكلام كقوله تعالى : (وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلاَ تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً){النساء : ٢٠} وقوله تعالى : (فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُواْ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُواْ مَنْ أَضَلَّ اللّهُ وَمَن يُضْلِلِ اللّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً){النساء : ٨٨} وقوله تعالى : (الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ العِزَّةَ لِلّهِ جَمِيعًا){النساء : ١٣٩} وقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا){النساء : ١٤٤} وقوله تعالى : (وَإِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءنَا وَاللّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء أَتَقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ)الأعراف : ٢٨} وقوله تعالى : (قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَآؤكُم مَّا نَزَّلَ اللّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ){الأعراف : ٧١} وقوله تعالى : (قَالُواْ اتَّخَذَ اللّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الأَرْضِ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ){يونس : ٦٨} فلو أراد القرآن أن تكون (أم) بمعنى الألف لاستعمل الألف كما استعملها في هذه الشواهد القرآنية ، فهذه القضية ليست متعلقة بأول الكلام ووسطه بل هي متعلقة بأنَّ إحداهما ليست بمعنى الأخرى ، فاستعماله الألف في وسط الكلام كما استعمل (أم) في

وسطه دليل قاطع على أنَّ معنييهما مختلفان ودليل قاطع على أنَّه استعمل الألف لأنَّه أراد معنى الألف ، واستعمل (أم) لأنَّه أراد معنى (أم) فالمذهب الذي قال به الفراء وابن قتيبة والهروي وتبناه الطبري في تفسيرة يُعدَّ تحريفًا واضحًا لدلالة اللفظ القرآني ، لأنَّ فيه خلطًا بين معنيي هذين الحرفين ، وفي الأخذ به يعطلون البحث في المعنى المراد من الآية وفي البحث عن بلاغة القرآن الكريم أنَّه لِمَ استعمل مثلًا الألف في قوله تعالى : (فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُواْ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُواْ مَنْ أَضَلَّ اللّهُ وَمَن يُضْلِلِ اللّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً){النساء : ٨٨} ولم يستعمل (أم) ويقول : فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُواْ أَم تُرِيدُونَ أَن تَهْدُواْ مَنْ أَضَلَّ اللّهُ وَمَن يُضْلِلِ اللّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً ، ولِمَ استعمل (أم) في قوله تعالى : (أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ {١٠٧} أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُواْ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِن قَبْلُ وَمَن يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاء السَّبِيلِ){البقرة : ١٠٧-١٠٨} ولم يستعمل الألف ويقول : أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ {١٠٧} أَتُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُواْ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِن قَبْلُ وَمَن يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاء السَّبِيلِ .

فعلى أهل النحو واللغة والتفسير من أولهم إلى آخرهم عليهم أن يعلموا أنَّ اللفظ القرآني لا يطابق معناه إلّا اللفظ نفسه ، ومن يقل منهم بأنَّ حرف كذا في القرآن الكريم جاء بمعنى حرف كذا فقد حرَّف دلالة الحروف في القرآن الكريم وضيَّع معانيها عندما خلط بينها ، فلكل حرف في كتاب الله معناه لا يعوّض عنه البتة حرف آخر ؛ لذلك فإنَّه ما من حرفين ادعى نحاة أنَّهما بمعنى واحد إلّا تبيَّن الفرق بينهما عند التحقيق ، قال السيرافي : ((ولو وُضعت في موضع (أم) المنقطعة ألف الاستفهام لجاز ، ولم يتغير المعنى ، كقولك : إنَّها لإبل أشاء ، وكذلك : أيقولون افتراه مكان : (أم يقولون افتراه)

فإذا كانت بـ(أم) فهي معطوفة ، وإذا كانت بالألف فهي مستأنفة غير معطوفة ، واختاروه بـ(أم) لأنَّ فيها رجوعًا عن الأول وإبطالًا له كما يكون في (بل) وإذا كانت باستفهام مستأنف لم يكن بينهما وبين الأول عُلْقَة))[١] أي : لانقطعت العلاقة بينهما

وقد قال ابن يعيش ما قاله السيرافي : ((ولو كانت مقدَّرة بالألف وحدها ، لم يكن بين الأول والآخر عُلْقَة))[٢] أي : لانقطعت علاقتها بما قبلها ، وبعد أن نسب السيوطي هذا المذهب إلى أبي عبيدة وإلى الهروي ، قال ورُدَّ ((بأنَّها لو كانت بمعنى الهمزة لوقعت في أول الكلام وذلك لا يجوز))[٣]

وصفوة القول أنَّه لا يصح جعل (أم) بمعنى همزة الاستفهام وحدها ، لأنَّ (أم) تجمع بين العطف والاستفهام ؛ لذلك لا تكون في أول الكلام ، ولا يُبتدأ بها[٤] ، وقد تقدم أنَّه لا يصح جعلها بمعنى (بل) وحدها لما تقدم ذكره ، لذا ذهب آخرون إلى جعلها بمعنى (بل) والهمزة .

الوجه الرابع : جعل (أم) زائدة : قال ابن فارس : ((وقال أبو زيد : العرب تزيد (أم) وقال في قوله جل ثناؤه (أَمْ أَنَا خَيْرٌ){الزخرف : ٥٢} معناه : أنا خير))[٥]وقال الهروي : ((وقال أبو زيد : (أم) في قوله تعالى : (أَفَلا تُبْصِرُونَ {٥١} أَمْ أَنَا خَيْرٌ){الزخرف : ٥١- ٥٢} قال (أم) زائدة كأنَّه

---

(١) شرح كتاب سيبويه ٤١٦/٣

(٢) شرح المفصل ١٨/٥.

(٣) همع الهوامع ٢٠١/٣.

(٤) ينظر : الصاحبي في فقه اللغة ص ٨٧.

(٥) الصاحبي في فقه اللغة ص ٨٨ .

قال : أفلا تبصرون أنا خير من هذا الذي هو مهين)) [١] وقال المرادي : ((ذهب أبو زيد إلى أنَّ (أم) تكون زائدة ، وجعل من ذلك قوله تعالى : (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ){السجدة : ٣} وذكر الحريري في درة الغواص أنَّ بعض أهل اليمن يزيد (أم) في الكلام فيقولون : أم نحن نضرب الهام ، أي : نحن نضرب)) [٢]

ليس في كتاب الله حرف زائد ، ولا يقول بالزيادة إلّا عاجز حمله عجزه على الرغبة عن البحث ؛ قال سيبويه : ((هذا باب (أم) منقطعة ... ومثل ذلك قوله تعالى : (وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلا تُبْصِرُونَ {٥١} أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلا يَكَادُ يُبِينُ){الزخرف : ٥١-٥٢} كأنَّ فرعون قال : أفلا تبصرون أم أنتم بصراء ؟ فقوله (أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا) بمنزلة : أم أنتم بصراء لأنَّهم لو قالوا : أنت خير منه ، كان بمنزلة قولهم : نحن بصراء ، وكذلك : (أَمْ أَنَا خَيْرٌ) بمنزلة لو قال : أم أنتم بصراء))[٣] وقال الفراء : ((وقوله : (أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ) من الاستفهام الذي جُعِل بـ(أم) لاتصاله بكلام قبله ، وإن شئتَ رددتَه على قوله (أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ)))[٤] فقد جعلها كسيبويه عاطفة متصلة ، وقال أبو عبيدة : ((ومجاز (أم) مجاز (بل) وفي القرآن : (أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ) مجازها : بل أنا خير من هذا ؛ لأنَّ فرعون لم يشك فيسأل أصحابه ، إنَّما أوجب لنفسه)) [٥] فجعلها

---

(١) الأزهية ص ١٤١ وينظر : مغني اللبيب ٤٨/١.

(٢) الجنى الداني ص ٢٠٦-٢٠٧ وينظر : درة الغواص ص ١٥٠-١٥١ .

(٣) كتاب سيبويه ١٩٥/٣-١٩٦.

(٤) معاني القرآن ٣٢٧/٢.

(٥) مجاز القرآن ص ٢٤٤-٢٤٥.

منقطعة ، وفي قوله الأخير بيَّن الفرق بين (أم) و(بل) بأنَّ الأولى تفيد مشاركة المخاطَب لحمله على الإقرار بأنَّه خير ؛ لأنَّها مشرّبة بمعنى الاستفهام المجازي ، وليست الثانية كذلك ، وإنَّما تفيد القطع بالحكم والتفرد بالقول به ، وهذا تحريف صريح للحرف القرآني ، فلو أراد المعنى الذي ذكره أبو عبيدة لاستعمل (بل) لكن لمَّا أراد معنى التقرير ومشاركة المخاطَب فيه استعمل (أم) .

وقال المبرد : ((وأمَّا ما حكى فرعون من قوله تعالى : (أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلا تُبْصِرُونَ {٥١} أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلا يَكَادُ يُبِينُ) ... وهذه (أم) المنقطعة ؛ لأنَّه أدركه الشك في بصرهم ، كالمسألة في قولك : أزيد في الدار أم لا)) [١]

وقد جعل المبرد (أم) منقطعة بناء على الشك الذي صرَّح به ، والصحيح أنَّ (أم) عاطفة متصلة ، قال الزجاج : ((قال سيبويه والخليل : عطف (أَنَا) بـ(أم) على قوله تعالى : (أَفَلا تُبْصِرُونَ) لأنَّ (أَمْ أَنَا خَيْرٌ) معناه : أم تبصرون ، كأنَّه قال : أفلا تبصرون أم تبصرون)) [٢] وقال العكبري : ((قوله : (أَمْ أَنَا خَيْرٌ) (أم) ها هنا منقطعة في اللفظ ؛ لوقوع الجملة بعدها ؛ إذ المعنى أنا خير منه أم لا ، أو أيُّنا خير)) [٣] أي : هي منقطعة من حيث اللفظ ، لكنّها متصلة من حيث المعنى ، فـ(أم) عاطفة متصلة والاستفهام مجازي : وهو في الهمزة الأولى للإنكار وللتقرير ، والمراد منه حمل المصريين على إنكار عدم ملكيته لمصر ، أي : على الإقرار بأنَّ له ملك مصر ، وهو في الهمزة الثانية للإنكار ، والمراد منه حملهم على

---

(١) المقتضب ٢٤٣/٢ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣١٦/٤ .

(٣) التبيان في إعراب القرآن ٣٨٩/٢ .

إنكار كونهم لا يبصرون ، وهو في (أم) للتقرير ، والمراد منه حملهم على الإقرار بأنَّه خير من موسى عليه السلام ، وهذا هو شأن الطواغيت في كلّ عصر ومكان يدَّعون بأنَّ رعاياهم تؤيدهم ، ويشاركونهم فيما يقررون وينكرون

الوجه الخامس : (أم) بمعنى (أو) : قال ابن قتيبة : (((أم) تكون بمعنى (أو) كقوله تعالى : (أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاء أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ {١٦} أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاء أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ){الملك : ١٦-١٧} وكقوله تعالى : (أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لاَ تَجِدُواْ لَكُمْ وَكِيلاً {٦٨} أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى){الإسراء : ٦٧-٦٨} هكذا قال المفسرون وهي كذلك عند أهل اللغة في المعنى ، وإن كانوا يفرقون بينهما في الأماكن))[١]

جعل (أم) بمعنى (أو) مردود بما يأتي :

١-ألم يجمع أهل اللغة والنحو والتفسير على كثرة مجيء (أم) بعد همزة الاستفهام في اللغة والقرآن الكريم ، حتى شاع تسميتها بـ(أم) المعادلة للهمزة ؟! فما المسوغ الذي اعتمد عليه ابن قتيبة ومن تبعه كالزركشي لجعل (أم) بمعنى (أو) ؟! لأنَّ قولهم هذا يُعدُ إخراج الحرف عن أصله المتفق عليه مما يستوجب تقديم حجة فيما ذهبوا إليه ؛ فما الحجة التي استندوا إليها ؟! لا شيء ، وكل قول من هذا القبيل يصدر من أيِّ نحوي أو مفسر كائنًا من كان يجب أن يُردَّ على قائله حتى يأتي لنا بالحجة ، فإذا جاء بها استمعنا إليه وناقشناه فيها ، نقبلها أو نردها بحجة أكبر منها .

٢-زعم ما زعمه ابن قتيبة ومن تبعه على الرغم من أنَّ النحاة قد عنوا كثيرًا بإيضاح الفرق بين (أم) و(أو) حتى ذكروا هذا الفرق بينهما في

---

(١) تأويل مشكل القرآن ص ٢٩١ وينظر : البرهان ص ٨٠١.

أبواب خاصة ، قال سيبويه : ((هذا باب (أم) و(أو) ، أمَّا (أم) فلا يكون الكلام بها إلّا استفهامًا ، ويقع الكلام بها في الاستفهام على وجهين : على معنى (أيُّهم) و(أيُّهما) ، وعلى أن يكون الاستفهام بها منقطعًا من الأول ، وأمَّا (أو) فإنَّما يثبت بها بعض الأشياء ، وتكون في الخبر ، والاستفهام يدخل عليها على ذلك الحد))[1] وقال الرماني : ((اعلم أنَّ (أم) استفهام على معادلة الألف بمعنى (أيّ) أو الانقطاع عنه ، وليس كذلك (أو) لأنَّه لا يُستفهَم بها ، وإنَّما أصلها أن تكون لأحد الشيئين ، وإنَّما تجيء (أم) بعد (أو) يقول القائل : ضربتُ زيدًا أو عمرًا ، فتقول مستفهمًا : أزيدًا ضربتَ أم عمرًا ؟ فهذه المعادلة للألف ، كأنَّك قلتَ : أيُّهما ضربتَ ؟ فجوابه (زيد) إن كان هو المضروب ، أو عمرو ، إن كان وقع به الضرب ، ولو قلتّ : أزيدًا ضربتَ أو عمرًا ؟ لكان جوابه (نعم) أو (لا) لأنَّه في تقدير : أأحدهما ضربتَ ؟))[2]

وقال الهروي : ((باب الفرق بين (أم) و(أو) في النسق والاستفهام والجواب فيهما ، اعلم أنَّ (أو) للسؤال عن شيء بغير عينه ، والجواب فيها (نعم) أو (لا) و(أم) لسؤال عن شيء بعينه ، والجواب فيها أن تذكر أحد الاسمين ، وذلك إذا سأل سائل : أقام زيد أو عمرو ؟ فإنَّه لا يعلم أقام أحدهما أو لم يقم ، فاستفهم عن قيام أحدهما ، هل وقع أم لا ، والجواب أن تقول : (نعم) أو (لا) ولا يجوز أن تقول له (زيد) أو (عمرو) لأنَّ معناه : أقام أحد هذين ؟ فالجواب : (نعم) أو (لا) وكذلك إذا قال : أزيد عندك أو عمرو و: أتصدقتَ بدرهم أو بدينار ، فإنَّه لا يدري أنَّ عندك أحدهما ، ولا أنَّك تصدقت بأحدهما ، والجواب أن تقول له : نعم أو لا ،

---

(١) كتاب سيبويه ١٩٢/٣.

(٢) معاني الحروف ص ٢٤٠.

وإذا قال : أقام زيد أم عمرو ، فعطفت بـ(أم) فقد علم أنَّ أحدهما قام ، لكنه لم يعلم أيُّهما هو ، فاستفهم ليعلم القائم منهما ، والجواب أن تقول له (زيد) أو (عمرو) ولا يجوز أن تقول (نعم) ولا (لا) لأنَّ تأويله : أيُّهما قام أذا أم ذا ؟ فجوابه التعيين ، وكذلك إذا قال : أتصدقتَ بدرهم أم بدينار ، فقد علم أنَّك تصدقتَ بأحدهما ولم يعرفه بعينه ، والجواب أن تقول : تصدقتُ بدرهم ، أو تصدقتُ بدينار ، ولا يجوز أن تقول (نعم) ولا (لا) لأنَّ معناه : بأيِّهما تصدقتَ ، فالجواب التعيين ، وكذلك إذا قلتَ : أتقوم أو تقعد ؟ فالجواب (نعم) أو (لا) فإن قلتَ : أتقوم أم تقعد ، فعطفتَ بـ(أم) فالجواب أن تقول : أقوم ، أو أقعد ، فإن قلتَ : أزيد أفضل أم عمرو ؟ لم تعطف إلّا بـ(أم) لأنَّ المعنى : أيُهما أفضل ؟ ولو قلتَ : أزيد أفضل أو عمرو ، لم يجز ، لأنَّها تصير : أأحدهما أفضل ؟ وليس هذا بكلام ، ولكنك لو قلتَ : أزيد أو عمرو أفضل أم بكر ؟ جاز ؛ لأنَّ المعنى : أحد هذين أفضل أم بكر ؟ وجواب هذا أن تقول : بكر ، إن كان هو الأفضل أو تقول : أحدهما ، بهذا اللفظ من غير أن تذكر زيدًا أو عمرًا ؛ لأنَّك إنَّما تسأل : أأحدهما أفضل أم بكر ؟ وإنَّما أدخلتَ (أو) بين زيد وعمرو دون (أم) لأنَّك لم ترد أن تعادل بينهما ، وأن تجعل عمرًا عديلًا لزيد ، وإنَّما أردتَ أن تجعلهما بمنزلة اسم واحد تعادل بينهما وبين بكر بـ(أم) كأنَّك قلتَ : أأحدهما أفضل أم بكر ، ومثله قول صفية بنت عبد المطلب :

كيف رأيتَ زَبْرًا أأَقْطًا أو تمْرًا
أم قُرَشِيًّا أم صارمًا هِزَبْرًا ؟ [1]

---

(١) صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلَم ، وأخت حمزة بن عبد المطلب توفيت سنة ٢٠هـ.

وزَبْر : مكبّر زُبير ، تعني ابنها الزبير بن العوام ، وأنَّه صارع آخر فصرعه فقالت للمصروع : كيف رأيتَ زَبْرًا ، أي : الزبير ، أأقْطًا وتمرًا أم قرشيا ، أدخلت (أو) بين الأقط والتمر ؛ لأنَّه لم ترد أن تجعل التمر عديلًا للأقط بمعنى أيُّهما ، وإنَّما أرادت أن تجعلهما بمنزلة اسم واحد ، تعادل بينه وبين قرشي ، أي : أشيئًا رأيته من هذين أم قرشيًّا ، والمعنى : أرأيته طعامًا تأكله ويلين لضرسك أم خشنًا على قرنه كالأسد ؟ وقال الآخر وهو الحارث بن كَلَدَة (١):

كتبتُ إليهم كُتبًا مرارًا فلم يرجع إليَّ لهم جواب

وما أدري أغيَّرهم تناءٍ وطول العهد أم مال أصابوا

فعطف طول العهد على تناء بالواو وعطف المال بـ(أم) لأنَّه لم يرد أن يجعل طول العهد عديلًا للتنائي ، وإنَّما جعل التنائي وطول العهد بمنزلة اسم واحد عادل بينهما وبين المال بـ(أم) ، كأنَّه قال : وما أدري أغيرهم هذا أم مال أصابوه ، وحذف الهاء من الصلة ، فإن قيل : الدر أو الياقوت أفضل أم الزجاج ؟ فالجواب : أحدهما لا غير ، وتقول : سواء عليَّ أقمتَ أم قعدتَ فتعطف بـ(أم) ولا يجوز ها هنا بـ(أو) لأنَّ قبلها ألف الاستفهام فتعطف بـ(أم) والتأويل : سواء عليَّ أيُّهما فعلتَ ، فإن قلتَ : سواء عليَّ قمتَ أو قعدتَ ، بغير استفهام ، لم تعطف إلّا بـ(أو) لأنَّها بتأويل الجزاء تريد إن قمتَ أو قعدتَ فهما سواء ، فإن قلتَ : مَن يأتيك أو يحدثكَ ، و: أيُّهم تضرب أو تقتل ؟ لم تعطف إلّا بـ(أو) من قبل أنَّك إنَّما تستفهم عن الفاعل والمفعول ، والجواب أن تقول : فلان أو فلان))(٢)

---

(١) وهو الحارث بن كلدة بن عمرو من بني ثقيف طبيب العرب المشهور وكان شاعرًا حكيمًا .

(٢) الأزهية ص ١٤٣-١٤٧وينظر : العين للخليل ص ٤٦ والمقتضب للمبرد ٥٦٣/١ والمفصل في علم الربية للزمخشري ص ٣٩٥ وشرح المفصل لابن يعيش ٥٦٣/١

٣–فإذا كان الفرق بهذا الوضوح بين (أم) و(أو) فكيف يصحّ أن نجعل الأولى بمعنى الثانية في القرآن الكريم ؟! أو ليس يُعدُّ هذا تحريفًا لمعاني ألفاظه وأساليبه ؟!

وقد استشهد ابن قتيبة بجعل (أم) بمعنى (أو) بقوله تعالى : (أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاء أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ {١٦} أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاء أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ){الملك : ١٦–١٧}

أكَّد النحاة كما رأيت وجود فرق أساسي بين (أم) و(أو) وتوسَّعوا كثيرًا في تبيين هذا الفرق بينهما حتى استوفوا جميع حالاتهما ، ولكن على الرغم من ذلك فثمة مشكلة عانيت منها وأنا أحاول تطبيق ما توسعوا فيه على القرآن الكريم ؛ ذلك أنَّ الاستفهام في أغلب الشواهد التي جاؤوا بها في باب التفريق بين (أم) و(أو) كان استفهامًا حقيقيًّا ، بينما لم ترد (أم) في القرآن الكريم إلّا ضمن الاستفهام المجازي ، وقد تبين في باب الهمزة أنَّ الغرض من استعمال الاستفهام المجازي يكون عند النحاة لمعان كثيرة ، وثبت عندي أنَّه يكون إمَّا للإنكار أو التقرير ، قال ابن عاشور في تفسير الآية ١٦ : ((والاستفهام إنكار وتوبيخ وتحذير))[١] وقال في تفسير الآية التي أعقبتها : (((أم) لإضراب الانتقال من غرض إلى غرض ، وهو انتقال من الاستفهام الإنكاري التعجيبي إلى آخر مثله ، فالاستفهام الأول إنكار على أمنهم من أن يفعل فعلًا أرضيًّا ، والاستفهام الواقع بعد (أم) إنكار عليهم أن يأمنوا من أن يُرسَل عليهم من السماء حاصب ، وذلك أمكن لمن في السماء وأشدُّ وقعًا على أهل الأرض))[٢]

---

(١) التحرير والتنوير ٣١/٢٩ .

(٢) التحرير والتنوير ٣٣/٢٩ .

والمعنى أنَّ الله سبحانه يحذر ويخوف المشركين من عذابين ، خسف الأرض وإرسال الحاصب ، فاستعمل (أم) ليجعل العذاب الثاني عديلًا للعذاب الأول ، وهذا يعني في حال الاستفهام الحقيقي أنَّ المستفهِم يعلم أنَّ أنَّ أمن أحد العذابين قد وقع ، وهذا ما يعترف به المسؤول ، فيسأل ليطلب تعيين أحدهما ، والتقدير : أيُّهما أمنتم ذا أم ذا ؟ لدا وجب أن يكون الجواب بالتعيين ، أي : وجب أن يكون الجواب : أمنَّا عذاب الخسف ، أو أن يكون الجواب : أمنَّا عذاب الحاصب ، وهذا يعنى أنَّ (أم) عاطفة متصلة ، إلّا أنَّ الاستفهام في الآية مجازي ، وأريد منه حمل المشركين على إنكار أمنهم من العذاب الأول ، وعلى إنكار أمنهم من العذاب الثاني ، وأنت ترى أنَّه باستعمال (أم) يكون هناك استفهامان : الأول قبل (أم) والثاني : بعدها ، واستعملت (أم) للمعادلة بينهما ، ولكن لو جعلنا (أو) بدلًا منها لألغينا الاستفهام الثاني ، وألغينا المعادلة بينهما التي لا تكون إلّا بين شيئين ، وجعلنا الكلام استفهامًا واحدًا ؛ لأنَّه باستعمال (أو) يكون التقدير : أأحدهما أمنتم ؟ والإنكار ينصب عليهما معًا ؛ لأنَّهما باستعمالها يكونان بمنزلة اسم واحد ، أي : باستعمال (أم) في الآية صار استفهامان وإنكاران ، وهو إنكار ما جاء بعد (أم) وإنكار ماء جاء قبلها ، وباستعمال (أو) يكون استفهام واحد وإنكار واحد كقوله تعالى : (هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا){مريم : ٩٨} فالاستفهام مجازي ، والمراد منه حمل المخاطب على إنكار كل ما جاء بعد (هل) ، وكقوله تعالى : (قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ {٧٢} أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ){الشعراء : ٧٢-٧٣} والاستفهام مجازي والمراد منه أيضًا حمل المخاطبين على إنكار ما جاء بعد هل : أي : على إنكار سمعهم ونفعهم وضرهم ، بمعنى أنَّهم لا يسمعون ولا ينفعون ولا يضرون ، وهذا الفرق يتضح أكثر في الآية الثانية التي استشهد بها ابن قتيبة وهي قوله تعالى : (أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ

حَاصِبًا ثُمَّ لاَ تَجِدُواْ لَكُمْ وَكِيلاً {٦٨} أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفا مِّنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لاَ تَجِدُواْ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا){الإسراء : ٦٧-٦٨} والمعنى : أأمنتم خسف جانب البر بكم أو إرسال الحاصب عليكم أم أمنتم أن يقوي دواعيكم ويوفر لكم حوائجكم إلى أن ترجعوا فتركبوا البحر الذي نجاكم منه ، ويرسل عليكم قاصفًا من الريح ، وقد أُدخلتْ (أو) بين خسف جانب البرّ ، وإرسال الحاصب ؛ لأنَّه ما أريد جعل إرسال الحاصب عديلًا لخسف جانب البرِّ بمعنى أيُّهما ، وإنَّما أُريد جعلهما بمنزلة اسم واحد ؛ لِيُعادَل بين أحدهما وبين العودة إلى البحر ، ويكون المعنى : أيُّهما أمنتم أحدهما أم قصف الريح ؟ والاستفهام في الآية مجازي أريد منه حمل المشركين على إنكار ما جاء بعد (أم) وإنكار ما جاء قبلها ، ففي الآية استفهامان وإنكاران ، ولو جعلنا (أم) بمعنى (أو) ألغينا المعادلة وبإلغائه يُلغى الاستفهام بعدها ويصبح الكلام استفهامًا واحدًا وإنكارًا واحدًا ، فلا يصح جعل (أم) بمعنى (أو) لأنَّ في ذلك تغييرًا للمعنى المراد .

الوجه السادس : (أم) المنقطعة : تُقسم (أم) بصفة عامّة على قسمين : متصلة ، ومنقطعة ، وقد تقدّم الكلام بالتفصيل على (أم) المتصلة ، وسُمِّيتْ بهذا الاسم ، لأنّها عاطفة تعطف ما بعدها على ما قبلها ، وقد أجمع النحاة على أنَّ هناك (أم) منقطعة غير عاطفة تفيد الإضراب ، وتكون بمعنى (بل) وحدها أو بمعنى (بل) والهمزة ، أي : هي ليست كالمتصلة عاطفة لأحد الشيئين ، أو لأحد الأشياء ، ولا يطلَب بها التعيين[١]

(أم) المنقطعة هي (أم) المتصلة نفسها : تبيَّن مما مر تفصيله أنَّ (أم) المتصلة تجمع بين معنيي العطف والاستفهام ، فهي من جهة المعنى

---

(١) ينظر : معاني الحروف للرماني ص ٤٦ والأزهية ص ١٣٥ ورصف المباني ص ١٧٩ والجنى الجاني ص ٢٠٥ ومغني اللبيب ٤٤/١ .

الأول تكون عاطفة لأحد الشيئين أو لأحد الأشياء ، وهي من جهة المعنى الثاني تجيء للاستفهام الحقيقي والمجازي ، فإذا كان الاستفهام حقيقيًّا كان بمثابة سؤال موجه من سائل جاهل بالجواب يطلب من المسؤول تعيين أحد الشيئين أو أحد الأشياء ، وإذا كان الاستفهام مجازيًّا وهو الغالب بل لم ترد في القرآن الكريم إلّا ضمن المجاز ، كان بمثابة سؤال موجه من سائل يعلم بالجواب ، فهو لا يريد من المسؤول تعيين أحد الشيئين ، وإنَّما حمله على الإنكار أو الإقرار ، والحقيقة أنَّ هذا هو الغرض من استعمال (أم) أينما وردت في القرآن الكريم ، أمَّا القول بـ(أم) المنقطعة فهو قول مختلق ، هذه هي الحقيقة التي ستتضح من خلال دراسة الفروق التي اختلقها النحاة بين القسمين .

الفرق الأول : (أم) المنقطعة ومجيئها بعد الخبر المحض : اشترط النحاة لـ(أم) المتصلة أن تكون مسبوقة بهمزة استفهام ؛ لتكون معادلة لها ، وإلاَّ فهي منقطعة تفيد الإضراب عمَّا قبلها ، ولا داعي لهذا الشرط ؛ لأنَّ الاتصال والمعادلة في الحقيقة حاصلتان من دونها ، والدليل على ذلك أنَّه ما من (أم) عُدَّت متصلة لسبقها بهمزة استفهام إلّا جاز حذف هذه الهمزة ، وما كان هذا الجواز مطلقًا إلّا بسبب بقائها على معناها ، وعلى أنَّ حذفها لا يغير شيئًا من اتصالها وتعادلها .

يضاف إلى ذلك أنَّه ليس المراد أن تكون المعادلة بين حرفي الاستفهام (أم) والهمزة ، بل بين المستفهَم عنه بالأولى والمستفهَم عنه بالثانية ، أي : أن تكون المعادلة بين مضمون ما بعدها الذي لا يكون إلّا استفهامًا ؛ لأنَّ (أم) يلازمها الاستفهام وبين مضمون ما قبلها ، ولمَّا كان ما قبلها يجيء خبرًا واستفهامًا ، فلا داعي بعد ذلك اشتراط معادلتها للهمزة فحسب ،

ومع ذلك كله فقد أجمع النحاة على أنَّ (أم) المتصلة لا تجيء بعد الخبر المحض وتجيء بعده المنقطعة ، فتفيد في هذه الحالة الإضراب عمَّا

قبلها والانقطاع عنه ؛ لذلك جعلوها بتقدير (بل) وألف الاستفهام نحو : قام زيد أم عمرو ؟ وحكي عن العرب : إنَّها لإبل أم شاء ، والتقدير : قام زيد بل أعمرو؟ وإنَّها لإبل بل أهي شاء؟[١] والذي أراه أنَّها على العكس من ذلك تفيد في هذه الحالة الاستدراك على ما قبلها وإرجاعه ضمن استفهامها ؛ لأنَّها موضوعة للاستفهام عما بعدها ؛ ثم عطف هذا المستفهم بها ورده على ما قبلها سواء كان ما قبلها استفهامًا أم خبرًا ، وسواء كان مستفهمًا عنه بالهمزة أم بغيرها ، والدليل على ذلك أنَّه إذا قلنا : أوجب الله عليك طاعة والديك وعدم عقوقهما أم تريد أن تكون من أهل النار؟ فإنَّه ما من أحد يتردد في أنَّ المعنى المراد : أتريد أن تطيع والديك فتكون من أهل الجنة أم تريد أن تعقّهما فتكون من أهل النار؟ كأنَّ المعنى : ماذا تريد أن تختار هذا أم هذا ؟ وكذلك قول العرب : إنَّها لإبل أم شاء ؟ فإنَّ المعنى المراد : أإنَّها لإبل أم شاء ؟ بل قد تكون هذه الهمزة مقدَّرة ؛ وكثيرًا ما تحذف همزة الاستفهام في اللغة ، بل هذا الاستفهام كثيرًا ما يُعبَّر عنه بالنبر والتنغيم فيفهمه ويدركه السامع ، والجدير بالذكر أنَّ جمهور النحاة جعلوا قول العرب : إنَّها لإبل أم شاء ، بتقدير : إنَّها لإبل أم هي شاء ، كان استنادًا إلى أنَّ (أم) منقطعة لكونها مسبوقة بخبر محض ، و(أم) المنقطعة عندهم يجب أن يكون ما بعدها جملة ، والحقيقة أنَّ هذا التقدير مختلق ، وأنَّ (أم) هنا عطفت (شاء) على (إبل) أي : عطفت مفردًا على مفرد ، مما يدل على

---

(١) ينظر : كتاب سيبويه ٣/١٩٥-١٩٦ والمقتضب ٢/٢٤٣ ومعاني الحروف للرماني ص ٤٦، ٢٤٠ وشرح كتاب سيبويه ٣/٤١٤ والأزهية في علم الحروف ص ١٣٨وشرح المفصل لابن يعيش ٥/١٨وشرح التسهيل لابن مالك ٣/٢٥٠ وشرح كافية ابن الحاجب ٤/٤٣٣-٤٣٤ ورصف المباني ص ١٨٠ والجنى الداني ص ٢٠٦ومغني اللبيب ١/٤٤-٤٥ والبرهان في علوم القرآن ص ٧٩٩-٨٠٢ والإتقان في علوم القرآن ص ٢٣٣-٢٣٤ والزيادة والإحسان في علوم القرآن ٨/٤٧-٤٨.

أنَّها هي نفس (أم) التي سموها عاطفة متصلة ، ويكون هذا الشاهد من قول العرب الذي لم يذكر النحاة غيره دليلًا على جواز مجيء (أم) متصلة عاطفة بعد الخبر المحض ، ولا يشترط فيها أن تكون مسبوقة بألف الاستفهام ، وهذه هي الحقيقة التي استند إليها ابن مالك عندما قال : ((وإن ولي المنقطعة مفرد فهو معطوف بها على ما قبلها ، كقول بعض العرب : إنَّها لإبل أم شاء فـ(أم) هنا لمجرد الإضراب عاطفة ما بعدها على ما قبلها ... وزعم ابن جني أنَّها بمنزلة الهمزة و(بل) ، وأنّ التقدير : بل أهي شاء ، وهذه دعوى لا دليل عليها ولا انقياد إليها ، وقد قال بعض العرب : إنَّ هناك إبلًا أم شاءً ، فنصب ما بعد (أم) حين نصب ما قبلها ، وهذا عطف صريح مقَوٍّ لعدم الإضمار قبل المرفوع)) [1]

الفرق الثاني : مجيء المنقطعة من دون المتصلة بعد استفهام بغير الهمزة : ذهب جمهور النحاة إلى أنَّ مِما يميز المنقطعة من المتصلة أن تكون من دونها مسبوقة باستفهام بغير الهمزة كقوله تعالى : (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُواْ لِلّهِ شُرَكَاء){الرعد : ١٦}[2] وقد علل المبرد انقطاع (أم) بعد (هل) واتصالها بعد الهمزة فقال : ((ومن ذلك : هل زيد منطلق أم عمرو يا فتى ؟ أضرب عن سؤاله عن انطلاق زيد ، وجعل السؤال عن عمرو ، فهذا مجرى هذا ، وليس على منهج قولك : أزيد في الدار أم عمرو ؟ وأنت تريد : أيُّهما في الدار ؟ لأنَّ (أم) عديلة الألف ، و(هل) إنَّما تقع مستأنفة ، ألّا ترى أنَّك تقول : أما زيد في الدار ؟ على التقرير ، وتقول : يا زيد ، أَسُكُوتًا والناس يتكلمون ، توبِّخه بذلك ، وقد وقع منه السكوت ، ولا تقع (هل) في هذا الموضع ، ألا

---

(١) شرح التسهيل ٢٥٠/٣ .

(٢) ينظر : شرح التسهيل لابن مالك ٢٤٩/٣ ومغني البيب ٤٤/١ .

ترى إلى قوله من الرجز : أَطَرَبًا وأنتَ قِنَّسْرِيٌّ ؟ وإنَّما هو : أتطرب وهو في حال طرب ؟ وذلك لأنَّ الألف و(أم) حرفا الاستفهام اللذان يُستفهَم بهما عن جميعه ، ولا يخرجان منه ، وليس كذا سائر حروف الاستفهام ، لأنَّ كل حرف منها لضرب لا يتعدَّى ذلك إلى غيره ، ألا ترى أنَّ (أين) هي سؤال عن المكان لا يقع إلّا عليه ، و(متى) سؤال عن زمان ، و(كيف) سؤال عن حال ، و(كم) سؤال عن عدد ، و(هل) تخرج من حد المسألة فتصير بمنزلة (قد) نحو قوله تعالى : (هَلْ أَتَى عَلَى الأنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا){الإنسان : ١} فالألف و(أم) لا ينقلان عن الاستفهام كما تُنقل هذه الحروف فتكون جزاء ، ويكون ما كان منها يقع على الناس وغيرهم ، نحو (مَن) و(ما) و(أيٌّ) كذلك ، ويكون في معنى (الذي) ، وحرفا الاستفهام اللذان لا يفارقانه : الألف و(أم) وهما يدخلان على هذه الحروف كلها ، ألا ترى أنَّ القائل يقول : هل زيد في الدار أم هل عمرو هناك ؟))[١]

وقال : ((وذلك قولك : أقيامًا وقد قعد الناسُ؟ لم تقل هذا سائلًا ، ولكن قلته موبِّخًا مُنكرًا ... وإنَّما رأيته في حال قيام في وقت يجب فيه غيره ، فقلتَ له منكرًا ... ومثله : أقعودًا وقد سار الناس ؟ كما قال (العجاج من الرجز) :

أَطَرَبًا وأنتَ قِنَّسْرِيٌّ والدهرُ بالإنسان دَوَّارِيٌّ[٢]

فإنَّما قال إنكارًا على نفسه الطرب وهو على غير حينه)) [٣]

---

(١) المقتضب ٢/٢٣٥-٢٣٦ .

(٢) الطرب : الاهتزاز فرحًا أو حزنًا ، وقنَّسْريٌّ : شيخ كبير ، ودواريٌّ : كثير الدوران والتقلب من حالة إلى حالة ، والمعنى : هل يليق بك الاهتزاز ، وأنت شيخ كبير تدرك أنَّ دوام الحال من المحال .

(٣) المقتضب ٢/١٨٨ .

علل المبرد وغيره انقطاع (أم) بعد (هل) واتصالها بعد الهمزة بالعلل المعلولة الآتية :

١–تقدم قول المبرد : ((وليس على منهج قولك : أزيد في الدار أم عمرو ؟ وأنت تريد : أيُّهما في الدار ؟ لأنَّ (أم) عديلة الألف ، و(هل) إنَّما تقع مستأنفة ، ألّا ترى أنَّك تقول : أما زيد في الدار ؟ على التقرير ، وتقول : يا زيد ، أَسُكُوتًا والناس يتكلمون ، توبِّخه بذلك ، وقد وقع منه السكوت ، ولا تقع (هل) في هذا الموضع ، ألا ترى إلى قوله من الرجز : أَطَرَبًا وأنتَ قِنَّسْريٌّ ؟ وإنَّما هو : أتطرب وهو في حال طرب ؟)) ومثل هذا قال أبو علي النحوي : ((((ومما لا تكون (أم) فيه إلّا منقطعة قولهم : هل عندك زيد أم عمرو ؟ فهذه لا تكون بمنزلة (أيّ) لأنَّك في (أيّ) تثبت أحد الشيئين أو الأشياء وتدعي أحدهما ، وهذا المعنى إنَّما يكون في الهمزة بدلالة أنَّك قد تستفهم وأنت مثبت كقوله : أَطَرَبًا وأنتَ قِنَّسْريٌّ ، ولا يجوز أن تثبت بـ(هل) لو قلتَ : هل طربًا ، فمن ثَمَّ لم يكن مع (هل) إلّا المنقطعة)) [١]

ومثل هذا قال الجرجاني : ((اعلم أنَّ(أم) لا تعادل غير الهمزة لأنَّ معنى المعادلة أن تتصل بها ويجريا معًا مجرى (أيُّ) ، و(أيّ) لإثبات واحد من شيئين أو أكثر ، فإذا قلتَ : أزيد عندك أم عمرو ؟ بمعنى : أيُّهما عندك ؟ كنتَ قد أثبتَّ واحدًا من هذين بغير عينه ، والهمزة لها أصل في الإثبات بدلالة ما ذكره من أنَّها تجيء للإثبات كقوله : أطربًا ؟ لأنَّه لم يرد أن يستفهمه عن طربه ، وإنَّما أثبت له ذلك فوبَّخه عليه ، ولا يكون هذا الإثبات في (هل) لو قلتَ : هل تخرج ؟ كان استفهامًا صريحًا ، ولم تكن عالمًا

---

(١) المقتصد للجرجاني في شرح رسالة الإيضاح لأبي علي النحوي ٢/٢٥٠.

بخروجه ، وإذا كانت كذلك لم يجز أن تقول : هل زيد عندك أم عمرو ؟ بمعنى : أيُّهما عندك ؟ كما قلتَ : أزيد عندك أم عمرو ؟ فاعرفه))[1]

زعم الثلاثة المتكلمون عن لسان النحاة أنَّ علة كون (أم) بعد (هل) منقطعة ، وأنَّها بعد الهمزة متصلة مجيء الهمزة للإثبات ، والتقرير ، والتوبيخ في حال الاستفهام المجازي ، وعدم مجيء (هل) للإثبات ضمن هذا الاستفهام ، لا أدري ما دليلهم في ذلك ؛ لأنَّ (هل) وردت للإثبات في حال الاستفهام المجازي في مواضع كثيرة في القرآن الكريم ، بل كانت أقوى من الهمزة في هذا المجال ، حتى لشدة إثباتها جُعلت بمعنى (قد) في قوله تعالى : (هَلْ أَتَى عَلَى الأنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا){الإنسان : ١}[2] وهي كذلك في قوله تعالى : (وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى){طه : ٩} وقوله تعالى : (وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ){ص : ٢١} وقوله تعالى : (هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ){الذاريات : ٢٤} وقوله تعالى : (هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ){البروج : ١٧) فالاستفهام في (هل) في هذه المواضع جميعها كان الغرض منه نفس غرض الهمزة في قول الشاعر : أطربًا ؟ استفهام أريد منه الإثبات والتقرير ، ومن ذلك قوله تعالى : (قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ){يوسف : ٨٩} فقد جاء في الدر المصون أنَّ استفهام (هل) هنا أريد به التقرير والإثبات ، إثبات علمهم بما فعلوه بأخيهم يوسف عليه السلام ،

---

(١) المقتصد ٢/٢٥٠-٢٥١.

(٢) ينظر : مجاز القرآن لأبي عبيدة ص ٢٨٢ والمقتضب للمبرد بتحقيق هرون ٤٣/١-٤٤ ، وبتحقيق بديع ٨٥/١ وجامع البيان للطبري ٢٤٠/٢٩ ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢٠٠/٥ ، والأزهية للهروي ص ٢١٧ ، والكشاف للزمخشري ٦٥٣/٤ ، ورصف المباني للمالقي ص ٤٧٠-٤٧١ .

فهو لم يرد أن يستفهم عن علمهم ، وإنَّما أثبت لهم ذلك فوبَّخهم عليه ، كحال همزة الاستفهام[١]

٢- علل المبرّد انقطاع (أم) بعد (هل) واتصالها بعد الهمزة لكون (هل) غير خالصة لمعنى الاستفهام مثل الهمزة ، وهذا ما صرَّح به بقوله المذكور : ((و(هل) تخرج من حد المسألة ، فتصير بمنزلة (قد) ... فالألف و(أم) لا ينقلان عن الاستفهام ، كما تُنقَل هذه الحروف فتكون جزاء ، ويكون ما كان منها يقع على الناس وغيرهم ، نحو (مَن) و(ما) و(أيُّ) كذلك))

تأمَّل قوله : ((و(أيُّ) كذلك)) أيّ : هي مثل (هل) غير خالصة لمعنى الاستفهام ، فتكون استفهامًا وشرطًا وموصولًا ، وتكون للناس ولغيرهم ، لكن مع ذلك كانت (أيُّ) كما تقدم بإجماع النحاة والمفسرين التقدير الأوحد والعنوان الأمثل الذي أثبتوا به كون (أم) متصلة ليست منقطعة ، وهذا ما صرَّح به المبرد نفسه في هذا المقام بقوله المذكور : ((ومن ذلك : هل زيد منطلق أم عمرو يا فتى ؟ أضرب عن سؤاله عن انطلاق زيد ، وجعل السؤال عن عمرو ، فهذا مجرى هذا ، وليس على منهج قولك : أزيد في الدار أم عمرو ؟ وأنت تريد : أيُّهما في الدار ؟)) فلم يجعل (أم) بعد (هل) متصلة لأنَّها ليست بتقدير (أيّ) ، وجعلها بعد الهمزة متصلة لأنَّها بتقدير (أيُّ) وهذا ما صرَّح به أيضًا أبو علي بقوله المذكور ((ومما لا تكون (أم) فيه إلّا منقطعة قولهم : هل عندك زيد أم عمرو ؟ فهذه لا تكون بمنزلة (أيّ) لأنَّك في (أيّ) تثبت أحد الشيئين أو الأشياء وتدعي أحدهما)) وهذا ما صرَّح به الجرجاني أيضًا بقوله المذكور : ((اعلم أنَّ(أم)لا تعادل غير الهمزة لأنَّ معنى المعادلة أن تتصل بها ويجريا معًا مجرى (أيّ) ، و(أيّ) لإثبات واحد من شيئين أو أكثر ، فإذا قلتَ : أزيد عندك أم عمرو ؟ بمعنى : أيُّهما عندك

---

(١) ينظر : ٥٥١/٦.

؟ كنتَ قد أثبتَّ واحدًا من هذين بغير عينه)) فإذا كانت (أيّ) مع أنَّها غير خالصة لمعنى الاستفهام تعد عنوانًا للاستفهام المتصل ، فكذلك تكون (هل) أيضًا للاستفهام المتصل ، وإن كانت غير خالصة لمعنى الاستفهام ، فالنحاة كما اختلقوا لـ(أم) الأوجه اختلقوا معهاعللها

٣- وقوع (هل) مستأنفة ، وهذا ما صرَّح به المبرد بقوله المذكور ((لأنَّ (أم) عديلة الألف ، و(هل) إنَّما تقع مستأنفة)) والمعروف أنَّ قضية (هل) وألف الاستفهام في الاستئناف واحدة ، قال الفرّاء : (((أم) في المعنى تكون ردًّا على الاستفهام ... فلو ابتدأتّ كلامًا ليس قبله كلام ، ثم استفهمتَ لم يكن إلاَّ بالألف أو بـ(هل)))[1] وقال : (((أَمْ حَسِبْتُمْ){التوبة : ١٦} من الاستفهام الذي يتوسط في الكلام فيُجعل بـ(أم) ليفرق بينه وبين الاستفهام المبتدأ الذي لم يتصل بكلام ، ولو أريد به الابتداء لكان إمَّا بالألف ، وإمَّا بـ(هل)))[2] فـ(هل) والهمزة كلاهما يبتدأ به الكلام ويستأنف .

٤- بنى النحاة جعل (أم) بعد (هل) منقطعة بناء على أنَّ (هل) غير خالصة لمعنى الاستفهام ، والحقيقة أنَّ (هل) مثل الهمزة خالصة لمعنى الاستفهام ، والدليل على ذلك أنَّها حرف ، أمَّا القول بخروجها إلى معنى (قد) إن صح فإنَّما يكون هذا في حال الاستفهام المجازي ، كما أنَّه قول مردود .

٥- علل المبرد كما تقدم انقطاع (أم) بعد (هل) واتصالها بعد الهمزة بقوله المذكور : ((ومن ذلك : هل زيد منطلق أم عمرو يا فتى ؟ أضرب عن سؤاله عن انطلاق زيد ، وجعل السؤال عن عمرو ، فهذا مجرى هذا ، وليس على منهج قولك : أزيد في الدار أم عمرو ؟ وأنت تريد : أيُّهما في الدار ؟ لأنَّ (أم) عديلة الألف ، و(هل) إنَّما تقع مستأنفة)) والحقيقة أنَّ إرادة

---

(١) معاني القرآن ٥٧/١.

(٢) معاني القرآن ٢٨٦/١ وينظر ٢٨١/٢ .

الإضراب غير متعلقة البتة بـ(هل) وكذلك عدم إرادة معنى الإضراب غير متعلقة بالهمزة ، وإنَّما بما أوجبه المبرد على المتكلم وعلى المثال ، والدليل على ذلك أنَّ المبرد كما جعل (أم) منقطعة بعد (هل) هنا جعلها كذلك بعد الهمزة فيما بعد فقال : ((فإن أردت أن تجريه على استفهامين قلتَ : أزيد عندك أم عندك عمرو يا فتى ؟ استفهم أوَّلًا عن زيد ثمَّ أدركه الشك في عمرو فأضرب عن زيد ورجع إلى عمرو ، فكأنَّه قال : أزيد عندك بل أعندك عمرو ؟))[1] فالقضية إذن متعلقة بإرادة معنى الإضراب وليس بـ(هل) حتى إنّه لو أريد هذا المعنى بالمثال : أزيد عندك أم عمرو ؟ الذي جعله بمعنى : أيُّهما في الدار ، لوجب جعل (أم) فيه منقطعة كأنَّه قال : أزيد عندك بل أعمرو عندك؟ .

وكذلك ذكر الجرجاني وشيخه أبو علي النحوي أنَّ (أم) بعد (هل) منقطعة في نحو : هل زيد عندك أم عمرو ؟ لأنَّه لم يجز أن تكون بتقدير : أيُّهما عندك ؟ ومتصلة في نحو : أزيد عندك أم عمرو ؟ لأنَّه جاز أن تكون بتقدير : أيُهما عندك ؟ لماذا ؟ لماذا جاز هذا التقدير في المثال الثاني من دون المثال الأول الذي على أساسه جُعِلتْ (أم) فيه متصلة؟! ليس ثمة أيُّ مسوغ كان ، سوى أنَّ سيبويه والنحاة من بعده أوجبوا أن يكون المتكلم في المثال الأول أراد معنى الأضراب ، ولم يرده في المثال الثاني ، وهذا يعني أنَّ الإضراب غير متعلق بـ(هل) لأنَّه كما جاز إرادة معنى الإضراب في المثال : هل زيد عندك أم عمرو ؟ جاز إرادته بالقدر نفسه في المثال : أزيد عندك أم عمرو ؟ وجاز أن يكون التقدير في المثالين : بل أعندك عمرو ، فالقضية غير متعلقة بـ(هل) أو الهمزة ، ولا بعطف جملة على جملة ، أو

---

(١) المقتضب ٢/٢٤٠.

عطف مفرد على مفرد ، وإنَّما القضية متعلقة بإرادة معنى الإضراب أو عدم إرادته .

وقد يقال : كيف تدخل (أم) على (هل) وكلاهما حرف استفهام ؟ نحو قول عنترة :

هل غادر الشعراء من مُتَرَدَّمِ   أم هل عرفت الدار بعد توهُّم

وقد عللوا ذلك كون (هل) غير خالصة لمعنى الاستفهام[١] وقال ابن يعيش ((قيل (أم) فيها معنيان : أحدهما : الاستفهام ، والآخر : العطف ، فلمّا احتيج إلى معنى العطف فيها خلع منها دلالة الاستفهام)) [٢]

والحقيقة أنَّ استفهام (أم) مطلق ، فهو كاستفهام الهمزة لا يدل على شيء غير الاستفهام المجرد ، ولكونها كذلك جاز أن تدخل على كل استفهام مقيد بمعنى خاص غير معنى الاستفهام ، فتدخل عليه لهذا المعنى الخاص ، كدخولها على (كيف) لدلالتها على الكيفية والحال ، نحو : ((كيف صنعتَ أم كيف صنع أخوك))[٣] ودخولها على (مَن) لدلالتها على الذات العاقلة ودخولها على (هل) لما تميزت به من ذلك أنَّ الاستفهام بـ(هل) يكون أقوى وأشد تمكنًا من الاستفهام بـ(أم) لذلك تستعمل من دونها ومن دون الهمزة فيما عظم شأنه ، ومن شواهد دخولها على (هل) وغيرها ((قوله من البسيط :

هل ما علمتَ وما استودعتَ مكتوم   أم حبلُها إذ نأتْك اليوم مصرومُ

أم هل كبير بكى لم يقض عبرته   إثر الأحبة يوم البين مشكومُ[٤]

---

(١) ينظر : شرح القصائد العشر للتبريزي ص ٢١١.

(٢) شرح المفصل ١٠٢/٥-١٠٣ .

(٣) ينظر : المقتضب ٢٣٦/٢.

(٤) البيتان لعلقمة الفحل ، ومشكوم : مشكور أو مجازى بفعله.

فأدخل (أم) على (هل) ... وقال (من الكامل) :

كيف الفرار ببطن مكة بعدما   همَّ الذين تُحبُّ بالإنجاد

أم كيف صبرك إذ ثويتَ معالجًا   سَقَمًا خلافَهُمُ وسُقْمُكَ بادي)) [١]

وكذلك دخلت على (مَن) الاستفهامية في قوله تعالى : (هَاأَنتُمْ هَؤُلاء جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَن يُجَادِلُ اللّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً){النساء : ١٠٩}

إنَّه كان ينبغي أن نتخذ من الشواهد السابقة دليلًا على أنَّ (أم) حرف عطف ، ودليلًا على جواز استعمالها في عطف الاستفهام بالهمزة وغيرها ، وهذا ما ذهب إليه الفراء فقال في تقسير الآية ١٠٨ من سورة البقرة ((ومن ذلك قول الله عز وجل : (الم {١} تَنزِيلُ الْكِتَابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ {٢} أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ){السجدة : ١-٣} فجاءت (أم) وليس قبلها استفهام ، فهذا دليل على أنَّها استفهام مبتدأ على كلام قد سبقه ، وأمَّا قوله تعالى : (أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ {١٠٧} أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُواْ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِن قَبْلُ وَمَن يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاء السَّبِيلِ){البقرة : ١٠٨} فإن شئت جعلته على مثل هذا ، وإن شئتَ قلت : قبله استفهام فردَّ عليه ، وهو قوله تعالى : (أَلَمْ تَعْلَمْ) وكذلك قوله تعالى : (وَقَالُوا مَا لَنَا لا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الأَشْرَارِ {٦٢} أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الأَبْصَارُ){ص : ٦٢-٦٣} فإن شئتَ جعلته استفهامًا مبتدأ قد سبقه كلام ، وإن شئت جعلته مردودًا على قوله : (مَا لَنَا لا

---

(١) المقتضب ٢/٢٣٥-٢٣٧ وينظر : الأزهية ص ١٣٧والدر المصون ٣٨/٧ والبيتان لعمر بن أبي ربيعة ، والإنجاد : السير نحو نجد.

نَرَى)))[(١)] أي : جاز رد (أم) على غير الهمزة من أدوات الاستفهام ، كردها هنا على (ما) الاستفهامية ، وقال المالقي : ((اعلم أنَّ (أم) يكون لها في الكلام ثلاثة مواضع : الموضع الأول : أن تكون متصلة عاطفة في الاستفهام ، وتقع بين المفردين ، والجملتين ، ويكون الكلام بها معادلًا ... ويقع فبلها حرف الاستفهام ظاهرًا أو مقدَّرًا ، ولا يشترط أن تتقدمها الهمزة لا غير ، بل تتقدم (هل) إذا وقع الاستفهام عن كل جملة ، وإن كان المعنى المعادلة كما قال :

هل ما علمتَ وما استودعتَ مكتوم أم حبلُها إذ نأتْك اليوم مصرومُ

لأنَّ المعنى : أي هذين كان ؟))[(٢)]

الفرق الثالث : مجيء المنقطعة من دون المتصلة بعد همزة الاستفهام الإنكاري أو التقريري : ذكر ابن مالك أنَّ (أم) المنقطعة تفترق عن المتصلة بأن يكون ((صالح موضعها للنفي كقوله تعالى : (أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُواْ شُرَكَاءكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلاَ تُنظِرُونِ){الأعراف : ١٩٥} فـ(أم) في هذه المواضع الثلاثة منقطعة ؛ لأنَّها لا تصلح لـ(أيٍّ) وكذا إذا كان معنى ما فيه تقرير كقوله تعالى : (أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ){النور : ٥٠}))[(٣)]

وتبعه في ذلك ابن هشام فذكر أنَّ من أنواع (أم) المنقطعة ((أن تكون مسبوقة بهمزة لغير استفهام نحو قوله تعالى : (أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا

---

(١) معاني القرآن ١/٥٧-٥٨.

(٢) رصف المباني ص ١٧٨-١٧٩.

(٣) شرح التسهيل ٣/٢٤٩ .

قُلِ ادْعُواْ شُرَكَاءكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلاَ تُنظِرُونِ) إذ الهمزة للإنكار ، فهي بمنزلة النفي والمتصلة لا تقع بعده))[١]

بل تقع وقد وقعت في مواضع كثيرة ، فما ادعاه ابن مالك وتابعه فيه ابن هشام وغيره[٢] لا معنى له ؛ لأنَّ (أم) المتصلة وردت أيضًا بعد همزة للتقرير والإنكار كما تقدم كقوله تعالى : (أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ){يوسف : ٣٩} فالاستفهام مجازي ، وهو في (أم) المتصلة للتقرير ، وهو في الهمزة للإنكار ، والمراد منه حمل المخاطب على الإقرار بأنَّ ربوبية الله الواحد القهار خير من ربوبية الأرباب المتفرقين ، وكذلك الاستفهام في (أم) في قوله تعالى : (أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِؤُونَ){الواقعة : ٧٢})) للتقرير ، وهو في الهمزة للإنكار ، والمراد منه حمل المخاطبين على الإقرار بأنَّ المنشئ هو الله وليسوا هم .

ومن ذلك قوله تعالى : (قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنثَيَيْنِ نَبِّؤُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ){الأنعام : ١٤٣}))[٣] فـ(أم) في هذه الآية متصلة والاستفهام فيها وفي الهمزة للإنكار ، فقد كان أهل الجاهلية يحرمون ذكور الأنعام تارة ، وإناثها تارة أخرى ، وكلا الجنسين تارة ثالثة ، فأنكر الله سبحانه عليهم ذلك كله ، فالاستفهام إنكاري أريد منه حمل المشركين على إنكار هذه الأمور الثلاثة على حد سواء[٤]

---

(١) مغني اللبيب ٤٤/١ .

(٢) ينظر : الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ص ٢٣٣ .

(٣) الأتقان ص ٢٣٣ .

(٤) ينظر : معاني الحروف للرماني ص ١ والكشاف ٧١/٢ وأنوار التنزيل ١٨٦/٢ ومدارك التنزيل ص ٣٤٦ والدر المصون ١٩٥/٥ .

فـ(أم) في القرآن الكريم متصلة كانت أم منقطعة لم ترد إلّا ضمن الاستفهام المجازي ، وهو في كل موضع يكون إمَّا للتقرير أو الإنكار .

الفرق الرابع : (أم) المتصلة عاطفة و(أم) المنقطعة غير عاطفة :

هذا هو الشائع في كتب النحو أنَّ (أم) على قسمين عاطفة متصلة ، ومنقطعة منفصلة أي : غير عاطفة[1] والحقيقة أنَّ (أم) متصلة كانت أم منقطعة كما سموها فإنَّه لا بد من أن تكون عاطفة ، وأكبر دليل على ذلك إجماعهم على أنَّ (أم) لا تقع إلّا في وسط الكلام شأنها شأن واو العطف وهذا ما صرَّح به السيرافي شارح كتاب سيبويه بقوله : ((والوجه الثاني من وجهي الاستفهام بـ(أم) أن تكون منقطعة مما قبلها ، ومنزلتها منزلة الألف إذا اتصلت بكلام قبلها ، إلّا أنَّ الألف تكون في ابتداء ، و(أم) لا تكون ابتداء ؛ لأنَّها للعطف ، في الوجه الأول (يعني المتصلة) تعطف اسمًا على اسم ، أو فعلًا على فعل ، وهما من جملة واحدة ، والوجه الثاني (يعني المنقطعة) تعطف جملة على جملة))[2] وبقوله : ((ولو ذكرت في موضع (أم) المنقطعة ألف الاستفهام لجاز ولم يتغير المعنى ، كقولك : إنَّها لإبل أم شاء ، وكذلك : أيقولون افتراه ، مكان قوله تعالى : (أَمْ يَقُولونَ افتراه) فإذا كانت بـ(أم) فهي معطوفة ، وإذا كانت بالألف فهي مستأنفة غير معطوفة ... وإذا كانت باستفهام مستأنف لم يكن بينهما وبين الأول عُلْقَة)) [3] أي : علاقة ، ومثل هذا قال الأعلم الشنتمري : ((والوجه الثاني : أن تكون منقطعة مما قبلها ، ومنزلتها منزلة الألف إذا اتصلت بكلام قبلها إلّا أنَّ الألف تكون ابتداء و(أم) لا تكون ابتداء ؛ لأنَّها للعطف ، ففي الوجه الأول (يعني

---

(١) ينظر على سبيل المثال : رصف المباني ص ١٧٩ والجنى الداني ص ٢٠٦ .

(٢) شرح كتاب سيبويه ٣/٤١٥ .

(٣) شرح كتاب سيبويه ٣/٤١٦ .

المتصلة) تعطف شيئًا على شيء وهما من جملة واحدة ، وفي الوجه الثاني (يعني المنقطعة) تعطف جملة على جملة)) [1] وقال الجرجاني : ((ويدلك على أنَّ (أم) ليس كالهمزة على الإطلاق أنَّك لو قلتَ : إنَّها لإبل أهي شاء ؟ لم تكن قد عطفت قولك : أهي شاء ؟ بالجملة التي قبلها ، وإذا قلتَ : إنَّها لإبل أم هي شاء ، كنتّ قد عطفت هذه على الأولى))[2] وقال ابن يعيش : ((وأمَّا الضرب الثاني : من ضربي (أم) وهي المنقطعة ، فإنَّما قيل لها منقطعة ؛ لأنَّها انقطعت مما قبلها خبرًا كان أو استفهامًا ...ومثل ذلك قول العرب : إنَّها لإبل أم شاء ... فلا بد من إضمار (هي) لأنَّه لا يقع بعد (أم) إلّا الجملة ، لأنَّه كلام مستأنَف ؛ إذ كانت (أم) في هذا الوجه إنَّما تعطف جملة على جملة))[3] فتكون (أم) مهما بَعُدَ انقطاعها عما قبلها فإنَّها تكون كـ(الواو) التي سموها ((واو الاستئناف أو واو الابتداء ... وذكر بعضهم أنَّ هذه الواو قسم آخر غير واو العاطفة ، والظاهر أنَّها الواو التي تعطف الجمل التي لا محل لها من الإعراب ، لمجرد الربط ، وإنَّما سُمِّيت واو الاستئناف لئلّا يُتوهم أنَّ ما بعدها من المفردات معطوف على ما قبلها)) [4] نحو : سافر زيد وبكر رجع ، فالواو هنا عاطفة إلّا أنَّها ليست لعطف (بكر) على (زيد) ، وإنَّما هي لعطف جملة : بكر رجع ، على جملة : سافر زيد ، وكذلك (أم) التي سميت منقطعة عاطفة إلّا أنَّها ليست لعطف مفرد على مفرد بل هي لعطف جملة على جملة سواء كان بينهما لفظ مشترك أم لا .

---

(١) النكت في تفسير كتاب سيبويه ص ٤٢٣.

(٢) المقتصد ٢/٢٤٨-٢٤٩.

(٣) ينظر شرح المفصل ٥/١٧-١٨.

(٤) الجنى الداني ص ١٦٣.

الفرق الخامس : جعل المتصلة من دون المنقطعة بتقدير (أيٌّ) الاستفهامية : أجمع النحاة على أنَّ (أم) عُدَّت متصلة عاطفة لصحة تقديرها بـ(أيٌّ) الاستفهامية ، وجعلت منقطعة لعدم صحة هذا التقدير فيها[1] قال سيبويه في باب المتصلة : ((وتقول : أضربتَ زيدًا أم قتلته ؟ ... كأنَّك قلتَ : أيٌّ ذاك كان بزيد ؟))[2] وقال المبرد : ((ألا ترى أنَّك إذا قلتَ : سواء علي أذهبتَ أم جئتَ ؟ فمعناه سواء عليَّ أيٌّ ذاك كان ؟ كما تقول : ما أبالي أقمتَ أم قعدتَ ؟ ، أي : ما أبالي أيٌّ ذاك كان ؟))[3]

وأنت ترى أنَّ هذا التقدير : أيٌّ ذاك كان ؟ عام ، جاز جعله تقديرًا لـ(أم) المنقطعة بقدر جواز جعله تقديرًا لـ(أم) المتصلة

وقال سيبويه مستشهدًا لـ(أم) المتصلة : ((ومثل ذلك قول الشاعر حسان (من الخفيف) :

ما أبالي أَنَبَّ بالحَزْنِ تَيْسٌ   أم لحاني بظهر غيب لئيمُ

كأنَّه قال : ما أبالي أيُّ الفعلين كان ؟))[4] وأنت ترى أنَّه لا يصحّ عطف الفعل (لحاني) على الفعل (أنَبَّ) لاختلاف الفاعلين ؛ لذلك لا يمكن جعله من باب عطف فعل على فعل ، ولا يصح عطف (لئيم) على (تيس) لاختلاف الفعلين ، لذلك لا يمكن جعله من باب عطف اسم على اسم ؛ مما يتحتم أن تكون (أم) واقعة بين جملتين فعليتين ، فإذا صح جعل (أم)

---

(١) ينظر على سبيل المثال : كتاب سيبويه ٣/١٩٣ ، ١٩٥ والمقتضب ٢/٢٤٠ ، ٢٤١ والأزهية ص ١٣١ ، ١٣٦.

(٢) كتاب سيبويه ٣/١٩٤

(٣) المقتضب ٢/٢٤٤ .

(٤) كتاب سيبويه ٣/٢٠٥ وينظر : الأزهية ص ١٣٣ والحزْن : ما غلظ من الأرض ، ولحاني : شتمني ، ونبيب التيس : صوته .

المتصلة هنا بتقدير : أيُّ الفعلين كان ؟ صح بالقدر نفسه جعله تقديرًا لكل (أم) منقطعة وقعت بين جمليتين فعليتين

وقال ابن مالك : ((و(أم) : متصلة ومنقطعة فالمتصلة : المسبوقة بهمزة صالح موضعها لـ(أيٌّ)))[١] وقال : ((و(أم) المعتمد عليها في العطف هي المتصلة ... وشرط ذلك أن يكون متبوعها مسبوقًا بهمزة صالح موضعها لـ(أيٌّ) ... وقد يكون مصحوباهما فعلين لفاعلين متباينين كقول حسان : ما أبالي أنَبَّ ... وقد يكون مصحوباهما جملتين ابتدائيتين كقول الشاعر (متمم بن نويرة من الطويل) :

ولستُ أبالي بعد فقدي مالكًا أموتي ناءٍ أم هو الآن واقع

ومثله (قول الشاعر الأسود بن يعفر من الطويل أيضًا) :

لعمرك ما أدري وإن كنتُ داريًا شُعيثُ بن سهم أم شعيثُ بن مِنقر

فهذه الأبيات شواهد على وقوع (أم) المتصلة بين جملتين ؛ إذ كان المعنى : أيٌّ ، وابن سهم وابن منقر خبران لا صفتان))[٢]

إلّا أنَّ هاتين الجملتين في الشاهد الأخير عند غير ابن مالك في حكم المصدر المؤول وتأويل المفردين[٣] إلّا أنَّ ابن هشام أكَّد وقوع (أم) المتصلة في شواهد أخرى بين جملتين ليستا في تأويل مفردين فقال : (((أم) على أربعة أوجه : أحدها أن تكون متصلة وهي منحصرة في نوعين ، وذلك لأنَّها إمَّا أن تتقدم عليها همزة التسوية نحو قوله تعالى : (سَوَاء عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا){إبراهيم : ٢١} ... أو تتقدم عليها همزة يُطلَب بها وبـ(أم) التعيين نحو : أزيد في الدار أم عمرو ... و(أم) (هذه) تقع بين مفردين ، وذلك هو

---

(١) شرح التسهيل ٣/٢٤٥.

(٢) شرح التسهيل ٣/٢٤٧-٢٤٨ .

(٣) مغني اللبيب ١/٤١ .

الغالب نحو قوله تعالى : (أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاء){النازعات : ٢٧} وبين جملتين ليستا في تأويل المفردين وتكونان أيضًا فعليتين كقوله :

فقمتُ للطيف مُرتاعًا فأرَّقني   فقلتُ أهي سَرتْ أم عادني حُلُمُ

واسميتين كقوله :

لعمرك ما أدري وإن كنتُ داريًا   شُعيثُ بن سهم أم شعيثُ بن مِنقر

والمعنى : أيُّ النسَبَين هو الصحيح ومثله بيت زهير السابق)) [١]

فإذا صح جعل (أم) المتصلة الواقعة بين جملتين فعليتين كانت أم اسميتين ليستا في تأويل المفردين بتقدير : أيُّ الفعلين ، أو أيَّ النسبين ، جاز مثل هذا التقدير في كل (أم) منقطعة وقعت بين جملتين فعليتين ، أو اسميتين ، أو وقعت بين كلامين ؛ وجاز نحوه كجعلها بتقدير : أيُّ الأمرين ، أو بتقدير : أيُّ الشيئين ، لأنَّ هذا التقدير عام وبيد النحوي ، يتصرف فيه بما يلائم التركيب فقد ذكر ابن مالك أنَّ (أم) المنقطعة تفترق عن المتصلة بأن يكون ((صالح موضعها للنفي كقوله تعالى : (أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُواْ شُرَكَاءكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلاَ تُنظِرُونِ){الأعراف : ١٩٥} فـ(أم) في هذه المواضع الثلاثة منقطعة ؛ لأنَّها لا تصلح لـ(أيُّ) ، وكذا إذا كان معنى ما فيه تقرير كقوله تعالى : (أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ){التور : ٥٠})) [٢]

بل تصلح لـ(أيّ) وأن تكون (أم) في سورة الأعراف بتقدير : أيُّ الأشياء لهم أذا أم ذا أم ذا ؟ وكذلك جاز جعلها في سورة النور بتقدير : أيُّ الأمرين كان ؟ أو أيُّ ذاك كان ؟

---

(١) مغني اللبيب ١/٤١-٤٢ .

(٢) شرح التسهيل ٣/٢٤٩ وينظر مغني البيب ١/٤٤

الفرق السادس : جعل المنقطعة من دون المتصلة تجي بعد وهم يستدركه المتكلم : إذا ساوت المتصلة المنقطعة في وقوعها بين جملتين ، وساوت المنقطعة المتصلة في جواز تقديرها بـ(أيّ) فلِمَ إذن لم يساووا المنقطعة بالمتصلة بالتسمية ويجعلوها مثلها عاطفة لأحد الشيئين ويراد بها التعيين بعد أن ثبت تساويهما في هذين الأمرين الأساسيين ؟ ! وهذا هو الذي كان يجب أن يكون ؛ بيد أنَّ الذي ظهر لي ومن خلال كلامهم وما صرَّحوا به أنَّهم لم يجعلوا المتصلة متصلة ، والمنقطعة منقطعة لأنَّ الأولى تكون في جملة واحدة وبتقدير (أيّ) والثانية تكون في جملتين ولا تكون بتقدير (أيّ)

قال سيبويه في باب (أم) المتصلة : ((إنَّ قولك : أزيد عندك أم عمرو ؟ بمنزلة قولك : أيهما عندك ؟))[١] وقال في باب (أم) المنقطعة : ((وذلك قولك : أعمرو عندك أم عندك زيد ؟ فهو ليس بمنزلة : أيُّهما عندك ؟)) لماذا ؟ لِمَ لا يكون أيضًا بمنزلة : أيُّهما عندك؟ أجاب سيبويه عن هذا السؤال في الصفحة نفسها بقوله : ((وذلك أنَّه حين قال : أعمرو عندك ؟ فقد ظن أنَّه عنده ، ثمَّ أدركه مثل ذلك الظن في زيد بعد أن استغنى كلامه ، ومثل ذلك : إنَّها لإبل أم شاء ؟ إنَّما أدركه الشك حيث مضى كلامه على اليقين)) [٢]

وقال المبرد : ((تقول : أعندك زيد أم عمرو ؟ فإذا أردتَ : أيُّهما عندك ؟ فهذا عربي حسن ... فإن أردت أن تجريه على استفهامين قلتَ : أزيد عندك أم عندك عمرو يافتى ؟))

---

(١) ينظر : كتاب سيبويه ١٩٣/٣

(٢) كتاب سيبويه ١٩٥/٣

لِمَ لا نجعل المثال الثاني كالأول بتقدير : أيُّهما عندك ؟ ولِمَ لا نجعل أيضًا المثال الأول كالثاني جاريًا على استفهامين بتقدير (عندك) بعد (أم) ليكون خبرًا للمبتدأ المذكور ؟! ويكون التقدير : أعندك زيد أم عندك عمرو ؟! أجاب المبرد عن ذلك في الصفحة نفسها بقوله : ((استفهم أوّلًا عن (زيد) ثم أدركه الشك في (عمرو) فأضرب عن (زيد) ورجع إلى (عمرو) فكأنَّه قال : أزيد عندك بل أعندك عمرو ؟))[١]

وقال سيبويه في باب (أم) المنقطعة : ((ومن ذلك أيضًا : أعندك زيد أم لا ؟))[٢] لِمَ جعل سيبويه (أم) هنا منقطعة ولم يجعلها متصلة ؟ أجاب عن ذلك في الصفحة نفسها بقوله : ((كأنَّه حيث قال : أعندك زيد ؟ كان يظن أنَّه عنده ، ثمَّ أدركه مثل ذلك الظن في أنَّه ليس عنده ، فقال : أم لا))[٣] وقال المبرد في نحو هذا المثال ((و(أم) المنقطعة تقع بعد الاستفهام كموقعها بعد الخبر ، ومن ذلك قولك : أزيد في الدار أم لا ؟ ليس معنى هذا (أيُّهما))) ولماذا لا تكون بهذا التقدير أجاب عن ذلك بقوله : ((ليس معنى هذا (أيُّهما) ولكنك استفهمتَ على أنَّك ظننتَ أنَّه في الدار ، ثمَّ أدركك الشك في أنَّه ليس فيها ، فأضربتَ عن السؤال عن كونه فيها وسألت عن إصدارها منه)) [٤]

والحقيقة أنَّ (أم) في هذا التركيب هي ليست منقطعة كما زعم سيبويه والمبرد ؛ لأنَّ (لا) عبارة عن جملة منفية تقابل الجملة المثبتة المذكورة ، والتقدير : أزيد في الدار أم ليس زيد فيها ؟ فهي (أم) المتصلة

---

(١) المقتضب ٢٤٠/٢ .

(٢) كتاب سيبويه ١٩٦/٣ .

(٣) كتاب سيبويه ١٩٦/٣.

(٤) المقتضب ٢٤١/٢ .

بعينها ، وقد أريد منها التعيين ، ليكون الجواب : نعم ، زيد في الدار ، أو ليكون الجواب : لا ، ليس زيد في الدار ؟ بل هي مثل (أم) المتصلة في نحو قوله تعالى : (سَوَاء عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ){المنافقون : ٦} وهو بمعنى : أستغفرت لهم أم لا ؟

وما قاله سيبويه والمبرد عن (أم) المنقطعة بأنَّها تجيء بعد وهم يستدركه المتكلم وهمٌ واختلاق لا وجود له في واقع اللغة ، وأنا أريد في هذا المقام أن أجعل القارئ يلمس هذه الحقيقة بنفسه ؛ لأنَّ جعل (أم) منقطعة بهذا المعنى في المثال الذي ذكره سيبويه : أعندك زيد أم لا ؟ والذي ذكره المبرد : أزيد في الدار أم لا ؟ ونحوهما تُعدُّ من الأساليب الشائعة جدًّا في كلام الناس قديمًا وحديثًا حتى إنَّه لا يخلو أحدنا من أن يقول كل يوم نحو ما مثل سيبويه والمبرد كقولك : أسافر فلان أم لا ؟ أرجع فلان أم لا ؟ أفلان في كذا أم لا ؟ أنجح فلان أم لا ؟ أزرت فلانًا أم لا ؟ أعدته أم لا ؟ أأنت راض بكذ أم لا ؟ أسمعت كذا أم لا ؟ أفعلت كذا أم لا ؟ فكيف يُعقَل أن يكون المتكلم قصد ما ذكره سيبويه والمبرد ؟! وأنت أيُّها القارئ لا بد من أنَّك قد كررتَ قولًا أو كتابة نحو هذا العبارات ، فتذكر جيدًا أكنت قد استعملتَ (أم) فيها ولو مرة واحدة على نحو ما فسرها سيبويه والمبرد ؟؟؟!!!

وبالتفسير الذي ذكره سيبويه والمبرد لـ(أم) المنقطعة وقعت الطامة الكبرى حين وقف النحاة عند تفسيرهما هذا وتبنوه ، وبنوا دراستهم لـ(أم) على هذا الأساس المبني على الشك والوهم ، قال السيرافي : ((والوجه الثاني (يعني المنقطعة) : تعطف جملة على جملة ... فقوله : إنَّها لإبل أم شاء ؟ تقديرها : أم هي شاء ؛ لأنَّ قوله : إنَّها لإبل ، إخبار ، وهو كلام تام ، وقوله : أم شاء استفهام عند شك عرض له بعد الإخبار ، ولا بدَّ من إضمار

(هي))) [١] وتأمَّل أنَّ السيرافي يؤكِّد في كل مرة أنَّ المنقطعة عاطفة فقال بالحقيقة ، إلّا أنَّه أفسدها بتبني كلام سيبويه في بناء المنقطعة على الظن .

وقال أبو علي النحوي : ((وأمَّا المنقطعة فإنَّها تستعمل بعد الخبر والاستفهام جميعًا فمثال استعمالها بعد الخبر قولهم : إنَّها لإبل أم شاء ، كأنَّه رأى أشخاصًا فسبق إلى نفسه أنَّه إبل ، وأخبر عن ذلك ، ثم شك فقال : أم شاء ، فصار بسؤاله بـ(أم) مضربًا عما كان أخبر به ، ومستأنفًا السؤال ، فكأنَّه في التمثيل : بل أهي شاء ؟ لأنَّ (أم) فيها دلالة على الإضراب ، كما في (بل) وفيها دلالة على الاستفهام كما في الهمزة ، فترجموا (أم) هذه بـ(بل) والهمزة لاشتمالها على معنييهما)) [٢]

وقال الرماني : ((ومنها (أم) تكون عديلة لألف التسوية ، وهي معها بمنزلة (أيٍّ) وذلك قولك : أزيد عندك أم عمرو ؟ والمعنى : أيُّهما عندك والجواب يكون بالتعيين ، وذلك أن تقول : زيد ، إن كان عندك زيد ، وعمرو إن كان عندك عمرو ... وتكون قطعًا تقدَّر بـ(بل) مع الهمزة ، وذلك قولك : أزيد عندك أم عمرو ؟ والمعنى : بل أعندك زيد ؟))[٣]

فقد أجاز الرماني مجيء (أم) متصلة ومنقطعة في المثال نفسه ، وفرَّق بينهما حسب التقدير والمعنى المراد من كل منهما ، فقال : (وقد يأتي في الخبر ، وذلك نحو قول العرب : إنَّها لإبل أم شاء ، وذلك أنَّه رأى أشباحًا فقال : إنَّها لإبل متيقنًا ، ثمَّ بان له أنَّها ليست بـ(إبل) فأضرب عن ذلك فقال : أم شاء ، على معنى : بل هي شاء))[٤]

---

(١) شرح كتاب سيبويه ٣/٤١٥-٤١٦.

(٢) المقتصد في شرح رسالة الإيضاح ٢/٢٤٧ .

(٣) معاني الحروف ص ٤٦.

(٤) معاني الحروف ص ٤٦.

وقال الهروي : ((تكون (أم) بمعنى (بل) وتسمى المنقطعة ؛ لأنَّها منقطعة مما قبلها ، وما بعدها قائم بنفسه غير متعلق بما قبله ... وقد تقع (أم) في هذا الوجه بعد الخبر ، كما تقع بعد الاستفهام ... وإنَّما جُعلت (أم) ها هنا بمعنى (بل) لأنَّها بمعنى الرجوع عن الأول ، كقولك إذا رأيتَ شخصًا من بعيد ، فقدرتَ أنَّه زيد ، فقلتَ : إنَّه زيد ، ثمَّ استبان لك أنَّه عمرو ، فقلتَ : أم عمرو ، ورجعت عن الأول ، فلذلك جعلتَ (أم) بمعنى (بل))) [1]

وقال الثمانيني : ((وتقدر هذه المنقطعة بـ(بل) والهمزة ... ومثال هذا من كلامهم : إنَّها لإبل أم شاء ، كأنَّه رأى أشخاصًا تلوح فغلب في ظنه أنَّها إبل ، فأخبر بحسب ما غلب في ظنه ، ثم شكَّ فرجع إلى السؤال والاستثبات ، كأنَّه قال : بل أشاء هي ؟))[2]

وقال ابن يعيش : ((فإنَّما قيل لها منقطعة ؛ لأنَّها انقطعت مما قبلها خبرًا كان أو استفهامًا ؛ إذ كانت مقدرة بـ(بل) والهمزة على معنى : بل أكذا ؟ وذلك نحو قولك فيما كان خبرًا : إنَّ هذا لزيد أم عمرو ؟ كأنَّك نظرت إلى شخص ، فتوهمته زيدًا ، فأخبرتَ على ما توهمتَ ، ثم أدركك الظن أنَّه عمرو ، فانصرفتَ عن الأول ، وقلت : أم عمرو ؟ مستفهمًا على جهة الإضراب عن الأول ، ومثل ذلك قول العرب : إنَّها لإبل أم شاء ؟ أي : بل أهي شاء ؟ فقوله : إنَّها لإبل ، إخبار ، وهو كلام تام ، وقوله : أم شاء ، استفهام عن ظن وشك عرض له بعد الإخبار ... من حيث كانت مقدرة بـ(بل) والهمزة على ما تقدم)) [3] أي : جعلتها بمعنى (بل) والهمزة على ما تقدم من الظن والشك ، أهذه هي اللغة العربية عند النحاة مبنية قواعدها على

---

(١) الأزهية ص١٣٦ .

(٢) الفوائد والقواعد ص ٣٨٥.

(٣) شرح المفصل لابن يعيش ١٧/٥ .

الأوهام ؟! لا بأس مع ذلك إذا أخذ بهذه القواعد لتطبيقها على كلام البشر ، لكن ليت شعري كيف يجوز تطبيقها على كلام الله ويؤخذ بها في تفسيره ؟!

وقال الرضي : ((وأمَّا في المنقطعة ... فهي إذن بمعنى (بل) التي تدل على أنَّ الأول وقع غلطًا في نحو قولهم : إنَّها لإبل أم شاء)) [١]

هذا ما أجمع عليه النحاة ، وهو أنَّ (أم) المنقطعة كما سموها أحدثها وصنعها الوهم والشك والغلط ، الذي جاء بعدها الاستدراك والرجوع عنها ، أصحيح ما قالوه ؟! لأنَّ هذا الوهم والشك والغلط ، هو مما يعلم به المتكلم ، أمَّا السامع والقارئ فكيف يعلم أنَّ هذا هو الذي حصل أو لم يحصل ؛ ليعلم فيما إذا كانت (أم) بمعنى (بل) والهمزة أو لا ؟!

كيف يتسنى للسامع أو القارئ أن يدرك ما قصده المتكلم ؟! كما أنَّ هذه الحالات من الوهم والغلط التي وقعت في مثل قول العرب : إنَّها لإبل أم شاء ، لا يكون إلاَّ مشافهة ، سرعان ما يتداركه القائل وقبل أن يعلم به السامع ، فكيف صحّ تسجيل هذا الغلط وتدوينه ؟! وكيف يصحّ أن نجعل هذا الغلط كلامًا ونحتج به ؟! قال ابن الحاجب : ((وأمَّا (بل) فللإضراب مطلقًا موجبًا كان الأول أو منفيًّا ، فإذا قلت : جاءني زيدٌ بل عمروٌ ، فقد أضربتَ عن نسبة المجيء إلى زيد وأثبته لعمرو ، فهو إذن من باب الغلط فلا يقع مثله في القرآن ولا في كلام فصحيح)) [٢]

وهذا ما صرَّح به المالقي وهو يتكلم على (بل) فقد قال : ((اعلم أنَّ معنى (بل) في كلام العرب الإضراب عن الأول ، إمَّا تركًا له وأخذًا في غيره لمعنى يظهر له ، وإمَّا لأنَّه بَداء ، نحو قولك : ضربتَ زيدًا بل عمرًا ، وإمَّا لغلطه بذكر لفظه ، وأنتَ تريد غيره نحو : رأيتَ رجلًا بل حمارًا ، وهذا لا

---

(١) شرح كافية ابن الحاجب ٤٣٣/٤

(٢) الإيضاح في شرح المفصل ص ٥٤٨ .

يقع في القرآن ولا في فصيح كلام في حال تبليغ ، وإمَّا لنسيان ، وهو أيضًا لا يصح في القرآن ، ولا في كلام مبلَّغ عن الله ، والأمثلة في كليهما واحدة ، وإنَّما يقع الفرق بين الموضعين من جهة المعنى ، وهو أنَّ النسيان وضعُ شيء على غيره من غير علم به ولا خطور بالبال ، والغلط وضعُ شيء على غيره بمضيِّ الوهم إليه ثم يظهر المقصود ، وأمَّا البَداء فهو وضعُ شيء على معنى بالقصد ، ثم يتبيَّن أنَّ الأَولى غير ذلك)) [١]

هذه هي الحقيقة التي قالها ابن الحاجب والمالقي أنَّه لا يصح أن نجعل في القرآن الكريم حرفًا بمعنى ما ، مبنيًّا على الشك والنسيان والغلط والبَداء ؛ ؟ وإذا تبيَّن كما تقدم أنَّ جعل (أم) المنقطعة غير عاطفة ، وجعلها بمعنى (بل) أو بمعنى (بل) والهمزة بُنيت على هذه الأوهام ، فهذا يعني أنَّه لا وجود لمثل (أم) هذه في كتاب الله ، ولا في كلام فصيح ، مما يقتضي أن لا تكون في القرآن الكريم إلّا عاطفة ، وأن لا تكون بمعنى (بل) ، أو بمعنى (بل) والهمزة .

فهذا التفسير المبني في الأساس على الشك والوهم وعلى الغلط باطل وباطلة كل النتائج التي بنيت على أساسه التي منها : اختلاق (أم) المنقطعة وجعل (أم) المنقطعة هذه غير عاطفة ، وجعلها بمعنى (بل) أو بمعنى (بل) والهمزة .

فـ(أم) المتصلة هي المنقطعة نفسها ، و(أم) المنقطعة هي المتصلة نفسها ، كلاهما استفهامية عاطفة لأحد الشيئين ، أمَّا قضية التفريق بينهما فلا وجود له في واقع اللغة ؛ بل هي متعلقة بإرادة معنى الإضراب أو عدم إرادته ، وهاتان الإرادتان مفروضتان على المتكلم من لدن سيبويه والنحاة من بعده ، وهذا يعني أنَّ سيبويه والنحاة من بعده تجاوزوا حدود عملهم في هذه

---

(١) رصف المباني ص٢٣٠.

القضية ، فهم بدلًا من أن يقتصروا على استقراء اللغة كما هي ووصفها كما هي ، راحوا يفرضون على اللغة ما ليس فيها . ويقوِّلون المتكلم ما لم يقله ، ويقصِّدونه ما لم يقصده .

ومما يجب التنويه به من جهة أخرى أنَّ هذه النتائج قامت جميعها على دراسة (أم) ضمن الاستفهام الحقيقي ، و(أم) في القرآن الكريم متصلة كانت أم منقطعة لم ترد إلّا ضمن الاستفهام المجازي ، وهذا ما نبَّه عليه سيبويه والمبرد

(أم) المنفطعة في القرآن الكريم : أجمع النحاة كما تقدم على أنَّ (أم) المنقطعة تجيء لتدارك الغلط قبلها ، وهذا المعنى لا يصحّ وروده في القرآن الكريم لسببين أساسيين : الأول : أنَّ (أم) بهذا المعنى قد تكون في حال الاستفهام الحقيقي و(أم) متصلة كانت أم منقطعة لم ترد في القرآن إلّا ضمن الاستفهام المجازي ، والثاني : أنَّ تدارك الغلط قد يحصل عند البشر ، والله عز وجل منزّه عنه والقرآن الكريم كلام الله ؛ لذلك لا يصحّ جعلها في القرآن الكريم بمعنى (بل) ولا بمعنى (بل) والهمزة ولا يصح جعلها بأيِّ معنى آخر فيه معنى الإضراب

جعل (أم) بمعنى (بل) : جعل كثير من النحاة (أم) التي سموها المنقطعة بمعنى (بل) لأنَّ الاستدراك والاستئناف يعني الإضراب ، وذهبوا إلى أنَّ الفارق الدلالي الأساسي بين (أم) المتصلة و(أم) المنقطعة أنَّه إذا قُدِّرتْ بأنَّها عاطفة فهي متصلة ، وإذا قُدِّرت بـ(بل) فهي منقطعة ، قال الفراء : ((وربَّما جعلت العرب (أم) إذا سبقها استفهام لا تصلح (أيُّ) فيه على جهة (بل) فيقولون : هل لك قبلنا حق أم أنت رجل معروف بالظلم ، يريدون : بل أنت رجل معروف بالظلم))[1] وقال أبو حيان : ((ذهب الكسائي

---

(١) معاني القرآن ٥٨/١.

وهشام إلى أنَّها بمنزلة (بل) وما بعدها مثل ما قبلها ، فإذا قلت : قام زيد أم عمرو ، فالمعنى : بل قام))[١] وذكر ابن هشام أنَّ هذا هو مذهب الكوفيين[٢]

كيف يصح ذلك وقد صرحوا بأنَّ ((ما يقع بعد (بل) يقين ، وما يقع بعد (أم) مظنون ومشكوك فيه))[٣] كيف يصح أن نجعل الحرف بمعنى ضدِّه ؛ قال السيرافي : ((والدليل على أنَّها ليست بمنزلة (بل) مجردة قوله عز وجل : ((وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الأنسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ {١٥} أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُم بِالْبَنِينَ){الزخرف : ١٥-١٦} لا يجوز أن يكون المعنى : بل اتخذ مما يخلق بنات ، تعالى الله عن ذلك ، وتقديره في اللفظ : أأتخذ بالألف للاستفهام والمعنى : الإنكار ... ونحو ذلك : (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ){يونس: ٣٨}{هود : ١٣، ٣٥}{السجدة : ٣}{الأحقاف : ٨} بمعنى : أيقولون افتراه على وجه الإنكار ، ولو قيل : بل يقولون ، صار ذلك من قولهم على وجهة الإخبار منهم بحسب ، وإذا كان على جهة : أيقولون افتراه ؟ فهوعلى جهة التثبيت عليهم بالتقرير لهم بذلك ، ولا يجعله موجبًا لهم بالإخبار عنهم ، فهذا الفصل بين (أم) و(بل))) [٤]

وقال جامع العلوم الباقولي : ((تقول : هل عندك زيد أم هل عندك عمرو ؟ ومعناه : بل أعندك عمرو ؟ ولا بد من ذلك ؛ لأنَّه إعراض عن الأول وسؤال عن الثاني ، والدليل على أنَّه بمعنى (بل) مع الهمزة قوله

---

(١) ارتشاف الضَّرب من لسان العرب ٦٥٤/٢ وهشام هو هشام بن معاوية الضرير ، أخذ عن الكسائي ، وكان مشهورًا بصحبته له ، وله مقالة في النحو تُعزى إليه . ينظر : نزهة الألباء ص ١٢٩- ١٣٠وبغية الوعاة للسيوطي ٢٧٥/٢ .

(٢) مغني اللبيب ٤٥/١

(٣) المقتضب ٢٣٥/٢ وينظر : شرح المفصل لابن يعيش ١٨/٥ والبرهان ص ٧٩٩ .

(٤) شرح كتاب سيبويه ٤١٦/٣-٤١٧.

تعالى : (أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ){الزخرف : ١٦} ولو كانت متضمنة لـ(بل) وحدها لم يجز ؛ لأنَّه يصير التقدير : بل اتخذ مما يخلق بنات ، فيكون خبرًا لا جحدًا فيؤدي إلى الكفر)) [١]

وقال ابن يعيش : ((من حيث كانت مقدرة بـ(بل) والهمزة على ما تقدم فـ(بل) للإضراب عن الأول ، والهمزة للاستفهام عن الثاني ، وليس المراد أنَّها مقدرة بـ(بل) وحدها ، ولا بالهمزة وحدها ؛ لأنَّ ما بعد (بل) متحقق ، وما بعد (أم) هذه مشكوك فيه ومظنون ، ولو كانت مفدرة بالألف وحدها لم يكن بين الأول والآخر عُلْقة ، والدليل على أنَّها ليست بمنزلة (بل) مجردة من معنى الاستفهام قوله تعالى : (أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُم بِالْبَنِينَ){الزخرف : ١٦} وقوله تعالى : (أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ){الطور : ٣٩} إذ يصير ذلك محقَّقًا ، تعالى عن ذلك)) [٢]

وكذلك لا يصح جعلها بمعنى (بل) في قوله تعالى : (أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ){الطور : ٣٩} ((إذ لو قُدِّرت للإضراب المحض لزم المحال))[٣] فلا يصح جعل الآية بتقدير : بل له البنات ولكم البنون ؛ لأنَّه خلاف الحقيقة والواقع والمعنى المراد ، وجاز استعمال (أم) في الآية لأنَّ الاستفهام فيها للإنكار ، ومثل ذلك قوله تعالى : (أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ){الطور : ٣٠} وقوله تعالى : (أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ {٣٥} أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بَل لا يُوقِنُونَ){الطور : ٣٥-٣٦} وقوله تعالى : (أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ {٣٧} أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ){الطور : ٣٧-٣٨} وقوله

---

(١) شرح اللمع ص ٢٦٧-٢٦٨.

(٢) شرح المفصل ١٨/٥ .

(٣) مغني اللبيب ٤٥/١.

تعالى : (أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ){الطور : ٤١} وقوله تعالى : (أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ){الطور : ٤٣}

فالاستفهام في (أم) في هذه الآيات للإنكار ، وهو المعنى المراد فلا يصح جعلها بمعنى (بل) لأنَّ المراد إنكار ونفي ما جاء بعدها وليس إثباته وكذلك لا يصح جعلها بمعنى (بل) في قوله تعالى : (أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَـهَكَ وَإِلَـهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ إِلَـهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ){البقرة : ١٣٣} وقوله تعالى : (أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ وَصَّاكُمُ اللّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ){الأنعام : ١٤٤} لأنَّ المراد عدم حصول هذه الشهادة وليس إثباتها

ومن ذلك قوله تعالى : (أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُواْ شُرَكَاءكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلاَ تُنظِرُونِ){الأعراف : ١٩٥} و(أم) في هذه المواضع منقطعة ، والضمير (هم) عائد إلى الأصنام التي كانت تُعبَد من دون الله ، والاستفهام في (أم) للإنكار ، أي: تنفي أن يكون لهذه الأصنام أرجل تمشي بها أو أيد تبطش بها أو أعين تبصر بها أو آذان تسمع بها ، وجعل (أم) بمعنى (بل) يثبت لها ذلك كله وهو خلاف الواقع والمعنى المراد .

ومن ذلك قوله تعالى : (أَمْ لِلأنسَانِ مَا تَمَنَّى){النجم : ٢٤} فالاستفهام في (أم) للإنكار ، والمعنى ليس للإنسان يعني الكافر ما تمنى من شفاعة الأصنام ، وقيل هو تمني بعضهم أن يكون هو النبي[1] فهذا هو المعنى المراد ، وهو نفي أن يحقق الكافر لنفسه مثل هذا التمني وجعل (أم) بمعنى (بل) يثبت لهم ذلك ، فيكون خلاف المعنى المراد .

---

(١) مدارك التنزيل ، تفسير النسفي ص ١١٨٠.

فما تقدم ذكره يدل بما لا يدع مجالًا للشك بأنَّ (أم) لا يصحّ جعلها بمعنى (بل) حتى لو صح في مواضع جعل (أم) بمعنى (بل) فإنَّ هناك فرقًا أساسيًّا بين (أم) و(بل) غير الذي تقدم ذكره نوه به السيرافي ، فقد مرَّ قوله : ((ونحو ذلك : (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ) بمعنى : أيقولون افتراه على وجه الإنكار ، ولو قيل : بل يقولون ، صار ذلك من قولهم على وجهة الإخبار منهم بحسب ، وإذا كان على جهة : أيقولون افتراه ؟ فهو على جهة التثبيت عليهم بالتقرير لهم بذلك ، ولا يجعله موجبًا لهم بالإخبار عنهم ، فهذا الفصل بين (أم) و(بل))) [1] فـ(أم) متصلة كانت أم منقطعة تفيد إشراك المخاطب بما جاء بعدها ؛ لكونها مشربة بمعنى الاستفهام ، أمَّا (بل) فهي تفيد تفرد قائلها بالحكم الذي يجيء بعدها ؛ فالبارئ عز وجل إذا أراد إشراك عباده بالحكم استعمل (أم) وإذا أراد أن يتفرد به استعمل (بل) ، وهذا ما حصل في الشواهد المذكورة ، فقد استعمل (أم) لمَّا أراد معنى (أم) كقوله تعالى : ((وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الأنسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ {١٥} أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُم بِالْبَنِينَ){الزخرف : ١٦} وقوله تعالى : (فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلا مَجْنُونٍ {٢٩} أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ {٣٠} قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُتَرَبِّصِينَ {٣١} أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلامُهُم بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ){الطور : ٢٩-٣١} واستعمل (بل) لمَّا أراد معنى (بل) كقوله تعالى : (أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لا يُؤْمِنُونَ){الطور : ٣٣} وقوله تعالى : (أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بَل لا يُوقِنُونَ){الطور : ٣٦}

هذا ما حصل في شواهد (أم) المنقطعة ، وحصل الشيء نفسه في شواهد (أم) المتصلة ، فقد استعمل (أم) لمَّا أراد معنى (أم) كالشواهد التي تقدم ذكرها في هذا الباب ، كقوله تعالى (أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ

---

(١) شرح كتاب سيبويه ٣/٤١٦-٤١٧.

السَّمَاء)}النازعات : ٢٧} وقوله تعالى : (أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ)}الدخان : ٣٧} وقوله تعالى : (قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ)}الفرقان : ١٥} وقوله تعالى : (أَذَلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ)}الصافات : ٦٢} وقوله تعالى : (أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ)}الواقعة : ٥٩}

واستعمل (بل) لمَّا أراد معنى (بل) كقوله تعالى : (أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ)}النمل : ٦٠} وقوله تعالى : (أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ)}النمل : ٦١} وقوله تعالى : (أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لا يَرْجُونَ نُشُورًا)}الفرقان : ٤٠} وقوله تعالى : (أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ)}ق : ١٥} وقوله تعالى : (أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ)}الذاريات : ٥٣} وقوله تعالى : (أَؤُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ)}القمر : ٢٥}

وكذلك استعمل (بل) لمَّا أراد معناها ، واستعمل (أم) لمَّا أراد معناها كا جاء هذا في قوله تعالى : (أَأُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ {٨} أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ {٩} أَمْ لَهُم مُّلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الأَسْبَابِ)}ص : ٨-١٠}

جعل (أم) المنقطعة بمعنى (بل) والهمزة : ذهب جمهور النحاة إلى أنَّ (أم) المنقطعة هي بمعنى (بل) والهمزة قال أبو حيان : ((ومذهب

البصريين أنَّها تتقدر بـ(بل) والهمزة مطلقًا))[1] وقال ابن هشام : ((نقل ابن الشجري عن جميع البصريين أنَّها أبدًا بمعنى (بل) والهمزة جميعًا))[2]

هذا ما قاله النحاة من دون أن يخطر ببال أكثرهم أيصح جعل (أم) بهذا المعنى في القرآن الكريم ؟ وهذا ما خطر ببال الرضي فذكر أنَّ (أم) المنقطعة لا يصح أن تكون بمعنى الإضراب الإبطالي في القرآن الكريم وإنَّما تكون فيه ((بمعنى (بل) التي تكون للانتقال من كلام إلى كلام آخر ، لا لتدارك الغلط)) [3] والحاصل كما تقدم من كلام النحاة أنَّ جعل (أم) منقطعة بمعنى (بل) والهمزة قائم عندهم في الأساس على معنى الإضراب الإبطالي الذي لا يصح وقوعه في كتاب الله ، فقد مر قول المبرد : ((فإن أردتَ أن تجعله على استفهامين قلتَ : أزيد عندك أم عندك عمرو يا فتى ؟ استفهم أولاً عن زيد ثم أدركه الشك في عمرو ، فأضرب عن زيد ورجع إلى عمرو ، فكأنَّه قال : أزيد عندك بل أعندك عمرو ؟))[4]

وقول ابن قتيبة : (((بل) تأتي لتدارك كلام غلطتَ فيه ... وتكون لترك شيء من الكلام وأخْذٍ في غيره ، وهي في القرآن بهذا المعنى كثير)) [5]

---

(١) ارتشاف الضَّرب من لسان العرب ٦٥٤/٢ وهشام هو هشام بن معاوية الضرير ، أخذ عن الكسائي ، وكان مشهورًا بصبته له ، وله مقالة في النحو تُعزى إليه . ينظر : نزهة الألباء ص ١٢٩- ١٣٠وبغية الوعاة للسيوطي ٢٧٥/٢ .

(٢) مغني اللبيب ٤٥/١ وينظر : المقتضب ٢٤٠/٢ ومعاني الحروف للرماني ص ٤٦ ، ٢٤٠ وشرح المفصل لابن يعيش ١٨/٥ ومغني اللبيب ٤٥/١ ورصف المباني ص ١٧٩-١٨٠ والجنى الداني ص ٢٠٥-٢٠٦ والبرهان ص ٧٩٩ والإتقان ص ٢٣٣ والزيادة والإحسان ٤٧/٨-٤٨ .

(٣) شرح كافية ابن الحاجب ٤٣٣/٤.

(٤) المقتضب ٢٤٠/٢.

(٥) تأويل مشكل القرآن ص ٢٨٦.

وقول الجرجاني في قول العرب إنَّها لإبل أم شاء : ((قد أضربت عن إخبارك بأنَّ تلك الأشخاص إبل ، وبدأتَ تستفهم بقولك : أهي شاء ؟ فكذلك يكون : هي شاء ، في قولك : أم هي شاء ؟ كلامًا مستأنفًا ؛ لأنَّ (أم) بمنزلة الهمزة و(بل) جميعًا فيفيد الإضراب عن الأول والأخذ في الاستفهام معًا)) [١]

وقول الثمانيني : ((وتقدَّر هذه المنقطعة بـ(بل) والهمزة ، وإنَّما قُدِّرت بـ(بل) لأنَّ فيها تركًا للأول وانصرافًا عنه كما في (بل) وقدِّرت بالهمزة لأنَّ ما بعد (بل) متحقق وما بعد (أم) هذه مشكوك فيه ، فلذلك قدِّرت بالهمزة ليسأل عنه وجوابها (نعم) أو (لا))) [٢]

وقول ابن يعيش : ((وأمَّا الضرب الثاني من ضربي (أم) وهي المنقطعة ، فإنَّما قيل لها منقطعة ؛ لأنَّها انقطعت مما قبلها خبرًا كان أو استفهامًا ؛ إذ كانت مقدرة بـ(بل) والهمزة على معنى : بل أكذا ؟ وذلك نحو قولك فيما كان خبرًا : إنَّ هذا لزيد أم عمرو ؟ كأنَّك نظرت إلى شخص ، فتوهمته زيدًا ، فأخبرتَ على ما توهمتَ ، ثم أدركك الظن أنَّه عمرو ، فانصرفتَ عن الأول ، وقلت : أم عمرو ؟ مستفهمًا على جهة الإضراب عن الأول ، ومثل ذلك قول العرب : إنَّها لإبل أم شاء ؟ أي : بل أهي شاء ؟ فقوله : إنَّها لإبل ، إخبار ، وهو كلام تام ، وقوله : أم شاء ، استفهام عن ظن وشك عرض له بعد الإخبار فلا بد من إضمار (هي) لأنَّه لا يقع بعد (أم) هذه إلّا الجملة ؛ لأنَّه كلام مستأنف إذ كانت (أم) في هذا الوجه إنَّما

---

(١) المقتصد٢/٢٤٨.

(٢) الفوائد والقواعد ص ٣٨٥ .

تعطف جملة على جملة إلّا أنَّ فيها إبطالًا للأول وتراجعًا عنه من حيث كانت مقدرة بـ(بل) والهمزة على ما تقدم)) [١]

تأمَّل قوله : ((إلّا أنَّ فيها إبطالًا للأول وتراجعًا عنه من حيث كانت مقدرة بـ(بل) والهمزة على ما تقدم)) وقال : ((واعلم أنَّ الإضراب له معنيان : أحدهما إبطال الأول والرجوع عنه إمَّا لغلط أو لنسيان على ما ذكرنا)) [٢] فجعل (أم) منقطعة قائم على معنى الإضراب الإبطالي الذي لا يصح وقوعه في القرآن الكريم كما تقدم ، بل هذا المعنى لم يكن في الأصل مرادًا حتى في قول العرب : إنَّها لإبل أم شاء ؟ قال الجرجاني : ((ويدلك على أنَّ (أم) ليس كالهمزة على الإطلاق أنَّك لو قلتَ : إنَّها لإبل أهي شاء ؟ لم تكن قد عطفت قولك : أهي شاء ؟ بالجملة التي قبلها ، وإذا قلتَ : إنَّها لإبل أم هي شاء ، كنتّ قد عطفت هذه على الأولى))[٣] لقد كان ينبغي لأهل النحو والتفسير أن يقفوا جميعًا عند هذه النتيجة ، لكن الذي جعلهم لا يأخذون بها هو تفسيرهم الذي أجمعوا عليه على أنَّ (أم) المنقطعة موضوعة لتدارك كلام غلط فيه المتكلم ، وهذا المعنى يُعبَّر عنه بـ(بل) والهمزة ، إلّا أنَّ المتكلم ما أراد هذا المعنى ، ولو أراده لقال في البدء : إنَّها لإبل بل أهي شاء ؟ لكنه لما قال : إنَّها لإبل أم شاء ؟ فقد أراد من (أم) المعنى الموضوع لها أنَّها استفهامية عاطفة لأحد الشيئين .

إنَّه بعد أن تبيَّن أنَّه لا يصح جعل (أم) بمعنى (بل) وحدها لِما تقدَّم ذكره ، فإنَّه كان ينبغي للنحاة أن يتراجعوا عن قولهم بـ(أم) المنقطعة ويذهبوا إلى إلغائها ، إلّا أنَّهم راحوا يرقعون ما ذهبوا إليه بجعل (أم) بتقدير : (بل)

---

(١) شرح المفصل لابن يعيش ١٧/٥–١٨ .

(٢) شرح المفصل لابن يعيش ٢٧/٥.

(٣) المقتصد ٢٤٨/٢–٢٤٩.

والهمزة ظنًّا منهم أنَّه يطابق دلالة (أم) المنقطعة بيد أنَّه لم يزل بين هذا التقدير وبين (أم) فرق أساسيٌّ فجعل قوله تعالى مثلًا : (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ){يونس: ٣٨} بتقدير : بل أيقولون افتراه ؟ يكون المراد حمل المخاطب على إنكار ما جاء بعد الهمزة فحسب ، شأنها في ذلك شأن كل كلام يستأنف بهمزة استفهام إنكاري كقوله تعالى : (أَتَقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ){الأعراف : ٢٨} لكنه باستعمال (أم) يكون المراد حمل المخاطب على أن ينظر نظرة تأمل واحدة بين ما جاء بعد الهمزة وما جاء قبلها ويوازن بينهما ؛ ليرى أيّهما أحق بالإقرار ليقره ، وأيّهما أحق بالإنكار لينكره ؛ لأنَّ (أم) عاطفة لأحد الشيئين ، وجعلها بمعنى (بل) والهمزة يجردها من هذا العطف .

يضاف إلى ذلك أنَّه قد ورد في اللغة دخول (بل) على (هل) لكنه لم يرد دخول (بل) على همزة الاستفهام فكيف يصح أن نجعل (أم) في القرآن الكريم بهذا التقدير ؟!

حمل (أم) المنقطعة على معنى الإنكار والتقرير : قال سيبويه في باب (أم) المنقطعة : ((ومثل ذلك قوله تعالى : (أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُم بِالْبَنِينَ){الزخرف : ١٦} فقد علم النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون أنَّ الله عز وجل لم يتخذ ولدًا ، ولكنه جاء على حرف الاستفهام ليبصروا ضلالتهم ، ألا ترى أنَّ الرجل يقول للرجل : السعادة أحب إليك أم الشقاء ، وقد علم أنَّ السعادة أحب إليه من الشقاء ، وأنَّ المسؤول يقول : السعادة ، ولكنَّه أراد أن يبصِّر صاحبه ، وأن يعلمه)) [١]

وقال الأخفش في هذا الباب : ((وليس قوله تعالى : (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ) لأنَّه شك ، ولكنه قال هذا ليقبِّح صنيعهم ، كما تقول : ألستَ الفاعل

---

(١) كتاب سيبويه ٣/١٩٥-١٩٦ .

كذا وكذا ؟ ليس تستفهم إنَّما توبخه ... ومثل هذا في القرآن كثير ، قال تعالى : (فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلا مَجْنُونٍ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ){الطور : ٢٩-٣٠ ... ليقبح ما قالوا عليه ، نحو قولك للرجل : الخير أحبُّ إليك أم الشر ، وأنت تعلم أنَّه يقول : الخير ، ولكن اردت أن تقبح عنده ما صنع)) [(١)]

وقال المبرد في هذا الباب أيضًا : ((فأمَّا قول الله عز وجل : (الم {١} تَنزِيلُ الْكِتَابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ {٢} أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ){السجدة : ١-٣} وقوله عز وجل : (أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا){القلم : ٤٦} وما كان مثله نحو قوله عز وجل : (أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُم بِالْبَنِينَ){الزخرف : ١٦} فإنَّ ذلك ليس على جهة الاستفهام ... والله عز وجل منفي عنه ذلك ، وإنَّما تخرج هذه الحروف في القرآن مخرج التوبيخ والتقرير ، ولكنها لتكرير توبيخ بعد توبيخ عليهم ، ألا تراه يقول عز وجل (أَفَمَن يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ(فصلت : ٤٠} وقد علم المستمعون كيف ذلك ؛ ليزجرهم عن ركوب ما يؤدي إلى النار كقولك للرجل : السعادة أحب إليك أم الشقاء ؛ ليوقفه أنَّه على خطأ ، وعلى ما يصيره إلى الشقاء ومن ذلك قوله عز وجل : (أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ){الزمر : ٦٠} كما قال (جرير من الوافر) :

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح

وأنت تعلم أنَّه لم يستفهم ، ولكن قررهم بأنَّهم كذلك ، وأنَّه قد ثبت لهم ذلك ، فمجاز هذه الآيات ، والله أعلم ، أيقولون افتراه ؟ على التوبيخ ، وأنَّهم قالوا ، فنبَّه الرسول والمسلمين على إفكهم ، وترك خبرًا على خبر ، لا

---

(١) معاني القرآن ص ٣٤.

على جهة الإضراب ، ولكن على جهة تكرير خبر بعد خبر ، كما يقع أمر بعد زجر ، وأمر بعد أمر للترغيب والترهيب والله أعلم)) [١]

فالاستفهام في (أم) في هذه الآيات ليست للإضراب وإنَّما هي للتقرير كحال الاستفهام في بيت الشاعر جرير ، وتأمَّل قول المبرد هنا في شواهد (أم) المنقطعة القرآنية ((وإنَّما تخرج هذه الحروف في القرآن مخرج التوبيخ والتقرير)) وقد تقدم قوله في شواهد (أم) المتصلة القرآنية : ((فخرج هذا مخرج التوقيف والتوبيخ)) [٢] فالغرض في الوجهين واحد ، ووحدة غرضيهما في كتاب الله يُعدُّ من أقوى الأدلة على أنَّه ليس ثمة (أم) متصلة وأخرى منقطعة وأنَّهما (أم) واحدة اسفتهامية عاطفة لأحد الشيئين ، وهذا هو الغرض من استعمالها في كل مواضع ورودها في القرآن الكريم .

شواهد (أم) المنقطعة في القرآن الكريم : كان صفوة ما تقدم تفصيله ما يأتي :

١-لا يصحّ جعل (أم) المنقطعة كما اصطلحوا على تسميتها بمعنى بل وحدها ؛ لأنَّ ما بعد (بل) محقق ويقين ، وما بعد (أم) مشكوك فيه ؛ لذلك فإنَّ جعلها بمعنى (بل) يقلب المعنى إلى الضد ، بل إلى الكفر في كثير من الشواهد القرآنية ، وهذا ما صرَّح به جمهور النحاة أنفسهم .

٢-لا يصح جعلها بمعنى ألف الاستفهام وحدها ؛ لأنَّه يجعل ما بعدها كلامًا مستأنفًا ويقطع علاقتها بما قبلها ، و(أم) كما أجمع النحاة لا تستعمل إلّا في موضع يسبقها كلام تتصل به ، وهذا ما صرَّح به جمهور النحاة أيضًا .

---

(١) المقتضب ٢/٢٣٨-٢٣٩.

(٢) المقتضب ٢/٢٣٣ .

٣–ذهب جمهور النحاة إلى جعل (أم) بمعنى (بل) وهمزة الاستفهام معًا ، بعد أن عللوا استبعادهم للمعنيين السابقين ، إلّا أنَّه قد تبيَّن أنَّ هذا التقدير مبني في الأساس جملة وتفصيلًا على جعل (أم) المنقطعة موضوعة لتدارك وهم أو شك أو غلط وقع فيه المتكلم ، وهذا ما قال به النحاة من لدن سيبويه حتى يومنا هذا ، وهذا ما لا يصح وقوعه في القرآن الكريم كما صرَّح بذلك النحاة أنفسهم ؛ لأنَّ هذه الأمور قد تحصل في حال الاستفهام الحقيقي و(أم) متصلة كانت أم منقطعة لم ترد في القرآن إلّا ضمن الاستفهام المجازي ، كما أنَّ القرآن الكريم كلام الله ، والله سبحانه منتف عنه الوهم والشك والغلط أو شيء من هذا القبيل مما يعتري الحال البشرية .

و(أم) في الحقيقة في القرآن الكريم متصلة كانت أم منقطعة استفهامية عاطفة لأحد الشيئين ، تعطف ما بعدها على ما قبلها خبرًا كان أم استفهامًا ، وبها يستفهم عنهما ، ولكن لا يراد من استفهامها التعيين ، لآنَّ الاستفهام فيها مجازي ، أي : أنَّ المستفهم يعلم بالجواب ، ولا يراد منها أيضًا استدراك وهم أو غلط لما علمتَه ، وإنَّما كما قلت من قبل يكون المراد منها حمل المخاطب على أن ينظر نظرة تأمل واحدة بين ما جاء بعدها وما جاء قبلها ويوازن بينهما ؛ ليرى أيّهما أحق بالإقرار ليقره ، وأيّهما أحق بالإنكار لينكره ؛ وعلى أساس هذا المعنى المراد ينبغي أن تُفسَّر كل (أم) أينما وردت في كتاب الله ، وفيما يأتي دراسة لشواهد مختارة من شواهد (أم) المنقطعة كما سمَّاها أهل النحو والتفسير مرتبة حسب ورودها في القرآن الكريم ؛ لنبين من خلالها أنَّه لا فرق بينها وبين التي سموها (أم) المتصلة .

١–قال الله تعالى : (وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ){البقرة : ٨٠}

علاقة مضمون الجملة بعد (أم) بمضمون ما جاء قبلها واضحة ، وهي علاقة رد شيء على شيء ، وهذا هو الغرض من استعمال (أم) أينما وردت أن تكون بالمعنى الذي عبروا عنه بقولهم عاطفة متصلة ، لكنه قيل بأنَّ (أم) في قوله تعالى : (أَمْ تَقُولُونَ) بمعنى (بل) وحدها[1] وهو قول مردود من لدن جمهور النحاة لما مرَّ ذكره ، وقال الزمخشري : ((و(أم) إمَّا أن تكون معادلة بمعنى : أي الأمرين كائن ، على سبيل التقرير ؛ لأنَّ العلم واقع بكون أحدهما ، ويجوز أن تكون منقطعة)) [2] ومثل هذا قال البيضاوي إنَّها متصلة ((للعلم بوقوع أحدهما ، أو منقطعة بمعنى : بل أتقولون))[3]((وكأنَّه يقول : أي هذين واقع ؟ : اتخاذكم العهد عند الله أم قولكم على الله ما لا تعلمون ؟ وأخرج ذلك مخرج المتردد في تعيينه على سبيل التقرير ، وإن كان قد علم وقوع أحدهما وهو قولهم على الله ما لا يعلمون ... وقيل (أم) هنا منقطعة فتتقدر بـ(بل) والهمزة ، كأنَّه قال : بل أتقولون على الله ما لا تعلمون ، وهو استفهام إنكار ؛ لأنَّه قد وقع منهم قولهم على الله ما لا يعلمون ؛ فأنكر عليهم صدور هذا منهم)) [4] وقد عيَّن ابن عاشور جعل (أم) هنا متصلة ، وقال : ((ولا معنى للانقطاع هنا ؛ لأنَّه يفسد ما أفاده الاستفهام من الإلجاء والتقرير))[5] .

والقول بـ(أم) المنقطعة هنا وفي كل موضع قول مختلق ، فليس المراد حسب هذا القول إنكار ما جاء بعدها فحسب ؛ لأنَّ (أم) اسستفهامية

---

(١) الدر المصون ٤٥٥/١.

(٢) الكشاف ١٥٩/١ .

(٣) أنوار التنزيل ٩٠/١ .

(٤) البحر المحيط ٤٠٥/١.

(٥) التحرير والتنوير ٥٦٢/١.

عاطفة تعطف مضمون ما بعدها على مضمون ما قبلها وبها يُستَفهَم عن هذين المضمونين لحمل المخاطَبين على إنكار قولهم على الله ما لا يعلمون ، وهو إنكار توبيخي كما سماه ابن هشام ؛ لأنَّه إنكار لما هو حاصل ، وحملهم أيضًا على إنكار اتخاذهم العهد عند الله سبحانه ، وهو إنكار إبطالي كما سماه ابن هشام ؛ لأنّه غير حاصل ؛ فيكون الغرض منه نفيه ، وهذا هو المعنى المراد من (أم) في هذه الآية أنَّها عطفت ما بعدها على ما قبلها ، وبها استُفهِم عنهما ، لكنه ما أريد منه التعيين ، وإنَّما أريد منه حمل المخاطبين على إنكار الأمرين المذكورين

٢–قال الله تعالى : (مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ {١٠٦} أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ {١٠٧} أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُواْ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِن قَبْلُ وَمَن يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاء السَّبِيلِ){البقرة : ١٠٨}

قيل بأنَّ (أم) في قوله تعالى : (أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُواْ رَسُولَكُمْ) بمعنى ألف الاستفهام[١] وقال ابن عطية : ((وقالت فرقة (أم) هنا بمعنى (بل) وألف الاستفهام ، وقال مكي وغيره : وهذا يضعف ؛ لأنَّ (أم) لا تقع بمعنى (بل) إلّا إذا اعترض المتكلم شك فيما يورده ، قال القاضي أبو محمد : وليس كما قال مكي رحمه الله ؛ لأنَّ (بل) قد تكون للإضراب عن اللفظ لا عن معناه ، وإنَّما يلزم ما قال على أحد معنيي (بل) وهو الإضراب عن اللفظ والمعنى))[٢] والقول المنسوب إلى مكي هو الصحيح فقد تقدم أنَّ سيبويه

---

(١) ينظر : معاني القرآن للفراء ٥٧/١ وجامع البيان للطبري ٥٥٨/١

(٢) المحرر الوجيز ١٩٥/١ وينظر : الوسيط للواحدي ١٩١/١ والبحر المحيط ٤٩٩/١ .

والنحاة من بعده جعلوا (أم) المنقطعة بمنزلة (بل) بمعناها الإبطالي لا بمعناها الانتقالي ، وفي حال الاستفهام الحقيقي لا المجازي .

والصحيح أنَّ (أم) متصلة كما سميت ، مردودة على همزة الاستفهام قبلها ، وهذا ما أجازه الفراء وغيره[1] وتفسير الآية أنَّ من علموا أنَّ الله سبحانه على كل شيء قدير وأنَّ له ملك السموات والأرض اقتضى أن لا يسألوا رسولهم سؤال من جهل ذلك ، كما فعل قوم موسى بموسى عليه السلام ، وهذا المعنى يلزم أن يكون المراد من استفهام (أم) حمل المخاطبين على إنكار ما جاء بعدها ، والإقرار بما جاء قبلها .

٣-قال الله تعالى : (وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إَلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ {١٣٢} أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَـهَكَ وَإِلَـهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ إِلَـهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ){البقرة : ١٣٢-١٣٣}

قيل إنَّ (أم) في قوله تعالى : (أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء) منقطعة بمعنى ألف الاستفهام أو بمعنى (بل) وحدها ، أو بمعنى (بل) وألف الاستفهام بمعنى الإضراب الانتقالي لا الإبطالي ، وقيل إنَّها عاطفة متصلة مردودة على همزة الاستفهام قبلها ، والتقدير : أكنتم غائبين أم كنتم شاهدين ؟ أو : أتَدَّعون على الأنبياء اليهودية أو النصرانية أم كنتم شهداء ؟ أو التقدير : أي الأمرين وقع ذا أم ذا ؟ [2]

---

(١) ينظر : معاني القرآن للفراء ٥٧/١ والمحرر الوجيز لابن عطية ١٩٥/١ وأنوار التنزيل للبيضاوي ١٠٠/١ والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٤٩٩/١ والدر المصون ٦٤/٢ .

(٢) ينظر : مجاز القرآن لأبي عبيدة ص ٣٤-٣٥ وجامع البيان للطبري ٦٥٠/١ الوسيط للواحدي ٢١٧/١ والكشاف للزمخشري ١٩١/١ والمحرر الوجيز لابن عطية

وأيًّا كانت التسمية وأيًّا كان التقدير فالمعنى الأخير هو المعنى المراد في الآية ، وهي على نحو ما قاله ابن عاشور ، وإن عدَّها منقطعة بأنَّ (((أم) عاطفة جملة (كُنتُمْ شُهَدَاء) على (وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ) فإنَّ (أم) من حروف العطف كيفما وقعتْ ، وهي هنا منقطعة للانتقال من الخبر عن إبراهيم ويعقوب إلى مجادلة من اعتقدوا خلاف ذلك ، ولما كانت (أم) يلازمها الاستفهام ، فالاستفهام هنا غير حقيقي لظهور أنَّ عدم شهودهم احتضار يعقوب محقق ، فتعيَّن أنَّ الاستفهام مجازي ومحمله على الإنكار ؛ لأنَّه أشهر محامل الاستفهام المجازي)) [(١)]

إذا تبيَّن عند ابن عاشور أنَّ (أم) في الآية عاطفة وظهرت علاقة ما بعدها بما قبلها ، فما الداعي بعد ذلك إلى تسميتها بالمنقطعة ؟ أوليست هذه التسمية خلاف المعنى والتفسير الذي أكَّده ابن عاشور نفسه ؟

فـ(أم) عاطفة متصلة عطفت مضمون ما جاء بعدها على مضمون ما جاء قبلها ، وبها استفهِم عنهما لا لإرادة تعيين أحدهما ، بل لإنكار المضمون البعدي والإقرار بالمضمون القبلي .

٤-قال الله تعالى : (قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِي اللّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ {١٣٩} أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأسْبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللّهِ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ){البقرة : ١٣٩-١٤٠}

١/٢١٣-٢١٤ وأنوار التنزيل للبيضاوي ١/١٠٧ والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ١/٥٧٣-٥٧٤ والدر المصون ٢/١٢٧-١٢٨.

(١) التحرير والتنوير ١/٧١٠ .

قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم (أَمْ تَقُولُونَ) وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم في رواية أبي بكر (أَمْ يقُولُونَ) بالياء ، وقيل بأنَّ (أم) في قوله تعالى : (أَمْ تَقُولُونَ) منقطعة بمعنى (بل) وحدها ، أو بمعنى ألف الاستفهام وحدها ، أو بمعنى (بل) وألف الاستفهام بمعنى الإضراب الانتقالي لا الإبطالي ، وقيل بأنَّها عاطفة متصلة في قراءة من قرأ بالتاء ومنقطعة في قراءة من قرأ بالياء ، والصحيح قول من قال : هي عاطفة متصلة مردودة على (أَتُحَآجُّونَنَا) في كلا القراءتين والتقدير أو المعنى : أيُّ هذين الأمرين تفعلون : أتجادلوننا في الله فتزعمون أنَّكم أولى وأهدى منَّا سبيلًا أم تزعمون أنَّ إبراهيم والأنبياء من بعده كانوا هودًا أو نصارى ، وهم قد أُرسلوا قبل نشأة اليهودية والنصرانية ؟ أو المعنى : أيُّ الأمرين تأتون : المحاججة في حكم الله أم ادعاء اليهودية والنصرانية على الأنبياء ؟ والمراد بالاستفهام عنهما لا لتعيين أحدهما بل لإنكارهما معًا[١]

٥-قال الله تعالى : (كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ لِمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللّهُ يَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ {٢١٣} أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللّهِ قَرِيبٌ){البقرة : ٢١٣-٢١٤}

---

(١) ينظر : مجاز القرآن لأبي عبيدة ص ٣٥ وجامع البيان للطبري ٦٦٤/١ وإعراب القرآن للنحاس ص ٦٨ والحجة لأبي علي النحوي ٢٤٣/٢ والكشف عن وجوه القراءات للقيسي ٢٦٦/١ والوسيط للواحدي ٢٢٣/١ والكشاف للزمخشري ١٩٦/١ والمحرر الوجيز لابن عطية ٢١٦/١-٢١٧ والجامع لأحكام القرآن ١١٣/٢ وأنوار التنزيل للبيضاوي ١١٠/١.

قيل بأنَّ (أم) في قوله تعالى : (أَمْ حَسِبْتُمْ) منقطعة بمعنى ألف الاستفهام أو بمعنى (بل) وحدها أو بمعنى (بل) والف الاستفهام بمعنى الإضراب الانتقالي لا الإبطالي ، وقيل بأنَّها عاطفة متصلة ولا يستقيم ذلك إلّا بتقدير : جملة محذوفة قبلها والمعنى : فهدى الله الذين آمنوا فصبروا على استهزاء قومهم ، أتسلكون سبيلهم أم تحسبون أن تدخلوا الجنة من غير سلوك سبيلهم [1] ولا حاجة إلى هذا التقدير ، فـ(أم) تستعمل لعطف ما بعدها على ما قبلها استفهامًا كان أم خبرًا ، والاستفهام عنهما ، لكن لا لتعيين أحدهما ، لأنَّ الاستفهام مجازي ، وإنَّما لإنكار ما جاء بعدها ، وهو اعتقادهم بدخول الجنة من دون اختبارهم بالشدائد ، والإقرار بما جاء قبلها ، وهو أنَّه لا بد من اختبار الناس بالتكاليف التي جاءت بها الرسل وبالفتن ؛ ليميز مؤمنهم من كافرهم .

٦-قال الله تعالى : (إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ {١٤٠} وَلِيُمَحِّصَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ {١٤١} أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللّهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِين){آل عمران : ١٤٠-١٤٢}

قيل بأنَّ (أم) في قوله تعالى : (أَمْ حَسِبْتُمْ) منقطعة بمعنى (بل) وحدها أو بمعنى (بل) وألف الاستفهام بمعنى الإضراب الانتقالي لا الإبطالي ، وقيل بأنَّها عاطفة متصلة معادلة لهمزة استفهام تتقدر من معنى ما يتقدمها كأن تكون بتقدير : أتعلمون أنَّه لا بدَّ من اختبار الناس بالتكاليف والشدائد

---

(١) ينظر : معاني القرآن للفراء ٩٦/١ مجاز القرآن لأبي عبيدة ص ٤٠ وجامع البيان للطبري ٤١٠/٢ والوسيط للواحدي ٣١٧/١ والكشاف للزمخشري ٢٥٣/١ والبيان في غريب إعراب القرآن ١٤٩/١-١٥٠ والجامع لأحكام القرآن ١٢٨/٣ وأنوار التنزيل للبيضاوي ١٣٥/١ والدر المصون ٣٨٠/٢ .

لتمييز المؤمن الصادق من المؤمن الكاذب أم حسبتم أن تدخلوا الجنة من دون هذا الاختبار ؟[1] وهذا دليل على أنَّ (أم) في الآية عاطفة متصلة ؛ لأنَّه لو لم تكن كذلك لما قيل بهذا التقدير ، عطفت مضمون ما جاء بعدها على مضمون ما جاء قبلها ، إلّا أنَّه ما أريد منها تعيين أحد هذين المضمونين ، وإنَّما حمل المخاطَب على إنكار المضمون البعدي والإقرار بالمضمون القبلي .

٧–قال الله تعلى : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ بَلِ اللّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاء وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً {٤٩} انظُرْ كَيفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا {٥٠} أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَؤُلاء أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُواْ سَبِيلاً {٥١} أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا {٥٢} أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لاَّ يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا){النساء : ٤٩–٥٣}

قيل بأنَّ (أم) في قوله تعالى : (أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ) منقطعة بمعنى ألف الاستفهام أو بمعنى (بل) وحدها أو بمعنى (بل) وألف الاستفهام بمعنى الإضارب الانتقالي لا الإبطالي ؛ لفوات شرط الاتصال وهو عدم سبقها بهمزة استفهام[2]

وقد بيَّنتُ فيما تقدم أنَّه لا يشترط لـ(أم) المتصلة أن تكون مسبوقة بهمزة استفهام ، كما أنَّ (أم) في الآية في الحقيقة مسبوقة بهذه الهمزة ، فهي

---

(١) ينظر : الكشاف للزمخشري ٤١٢/١ والمحرر الوجيز لابن عطية ٥١٥/١ والبيان في غريب إعراب القرآن ٢٢٣/١ والجامع لأحكام القرآن ١٦٥/٤ وأنوار التنزيل للبيضاوي ٤٠/٢ والبحر المحيط ٩٨/٣ والدر المصون ٤٠٩/٣.

(٢) ينظر : مجاز القرآن لأبي عبيدة ص ٦٠ ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٥٠/٢ والوسيط للواحدي ٦٧/٢ والكشاف للزمخشري ٢٥٣/١ والجامع لأحكام القرآن ١٨٤/٥ وأنوار التنزيل للبيضاوي ٧٩/٢ والدر المصون ٦/٤.

موضوعة لجعل ما بعدها معادلًا لما قبلها ومعطوفًا ومردودًا عليه ، وما قبلها يبدأ بقوله تعالى : (أَلَمْ تَرَ) جاء في التفسير : ((قوله تعالى : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ) سبب نزولها أنَّ مرحب بن زيد وبحري بن عون ، وهما من اليهود أتيا النبي صلى الله عليه وسلم بأطفالهما ومعهما طائفة من اليهود فقالوا : يا محمد ، هل على هؤلاء من ذنب ؟ قال : لا ، قالوا : والله ما نحن إلاّ على هيئتهم ، ما من ذنب نعمله في النهار إلاَّ كُفِّر عنَّا بالليل ، وما من ذنب نعمله بالليل إلاَّ كُفِّر عنَّا بالنهار ... وفي الذي زكوا به أنفسهم أربعة أقوال : أنَّهم برؤوا أنفسهم من الذنوب ... والثاني : أنَّ اليهود قالوا : إنَّ أبناءنا الذين ماتوا قبلنا يزكوننا عند الله ... والثالث : أنَّ اليهود كانوا يقدمون صبيانهم في الصلاة فيؤمونهم ، يزعمون أنَّه لا ذنوب لهم ... والرابع : أنَّ اليهود والنصارى قالوا : (وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاء اللّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ){المائدة : ١٨} وقالوا : (وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى){البقرة : ١١١} ... وقوله تعالى : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ) في سبب نزولها أربعة أقوال : أحدها : أنَّ جماعة من اليهود قدموا على قريش فسألوهم : أديننا خير أم دين محمد ؟ فقال اليهود : بل دينكم ... والثاني : أنَّ كعب بن الأشرف وحُيَي بن أحطب قدما مكة فقالت لهما قريش : أنحن خير أم محمد ؟ فقالا : أنتم ... والثالث : أنَّ كعب بن الأشرف هو الذي قال لكفار قريش : أنتم أهدى من محمد ... والرابع : أنَّ حيي بن أحطب قال لكفار قريش : نحن وإياكم خير من محمد ... قوله تعالى : (أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ) هذا استفهام معناه الإنكار فالتقدير ليس لهم)) [1] فقد زعموا أنَّ الملك سيصير لهم

---

(١) زاد المسير ٢/٦٣-٦٦.

فأنت ترى كيف أنَّ اليهود راحوا يزكون من شاؤوا ، ويفتون ويحكمون بهذا وهذا من تلقاء أنفسهم ومن دون سند ، فأخذوا يقولون ويفعلون قول وفعل من ملك الدنيا والآخرة ، لذلك جاء الرد عليهم بقوله تعالى : (أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ) لحمل المخاطبين على إنكار ما جاء بعد (أم) من أجل حملهم على إنكار ما جاء قبلها .

٨- قال الله تعالى : (أَلاَ تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَؤُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤُمِنِينَ {١٣} قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ {١٤} وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللّهُ عَلَى مَن يَشَاء وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ {١٥} أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُواْ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللّهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ اللّهِ وَلاَ رَسُولِهِ وَلاَ الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ){التوبة : ١٣-١٦}

ذهب جمهور المفسرين تبعًا لما ذهب إليه جمهور النحاة إلى أنَّ (أم) في قوله تعالى (أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُواْ) منقطعة بمعنى ألف الاستفهام ، أو بمعنى (بل) وألف الاستفهام[1] وقال ابن عطية : (((أم) في هذه الآية ليست المعادلة ، وإنَّما هي المتوسطة في الكلام ، وهي عند سيبويه التي تتضمن إضرابًا عن اللفظ لا عن معناه ، واستفهامًا تسد مسد (بل) وألف الاستفهام ، وهي التي في قولهم : إنَّها لإبل أم شاء ، التقدير : بل أهي شاء))[2] وقد تقدم أنَّ المفسرين حين يجعلون (أم) بمعنى (بل) وألف الاستفهام يذكروننا أنَّ المراد أن تكون بمنزلة (بل) بمعناها الانتقالي لا بمعناها الإبطالي ، لعلمهم

---

(١) ينظر : معاني القرآن للفراء ٢٨٦/١ وجامع البيان للطبري ١٠٧/١٠ والكشاف للزمخشري ٢٤٥/٢

(٢)المحرر الوجيز ١٤/٣ .

أنَّ المعنى الثاني لا يصح وقوعه في القرآن الكريم ، هذا حال التابعين بعامَّة ، فهم بدلًا من أن ينبهوا على خطأ من سبقوهم ، ويلغوا النتائج التي بنوها على هذا الخطأ ولا يعملوا بها في تفسير كتاب الله راحوا يسوغون العمل بما ترتب عليه حتى راحوا من أجل ذلك ينسبون إلى النحاة القدامى خلاف ما صرَّحوا به ، ؟! فقد تقدم قول سيبويه في باب (أم) المنقطعة : ((وذلك أنَّه حين قال : أعمرو عندك ؟ فقد ظن أنَّه عنده ، ثمَّ أدركه مثل ذلك الظن في زيد بعد أن استغنى كلامه ، ومثل ذلك : إنَّها لإبل أم شاء ؟ إنَّما أدركه الشك حيث مضى كلامه على اليقين)) [1] وقال الثمانيني : ((وتقدر هذه المنقطعة بـ(بل) والهمزة ...ومثال هذا من كلامهم : إنَّها لإبل أم شاء ، كأنَّه رأى أشخاصًا تلوح فغلب في ظنه أنَّها إبل ، فأخبر بحسب ما غلب في ظنه ، ثم شكَّ فرجع إلى السؤال والاستثبات ، كأنَّه قال : بل أشاء هي ؟))[2]

هذا هو تفسير (أم) المنقطعة وتقديرها الذي أجمع عليه النحاة وقالوا مثل ما قال سيبويه والثمانيني مستشهدين بقول العرب المذكور[3] وهو أنَّ (أم) المنقطعة كما سموها أحدثها وصنعها الوهم والشك والغلط ، الذي جاء بعدها الاستدراك والرجوع عنها ، أهذه هي اللغة العربية عند النحاة مبنية قواعدها على الأوهام ؟! لا بأس مع ذلك إذا أخذ بهذه القواعد لتطبيقها على كلام البشر ، لكن ليت شعري كيف يجوز تطبيقها على كلام الله ويؤخذ بها في تفسيره ؟! كما فعل المفسرون ، لا أدري أيفعلون ذلك عمدًا وعن علم أم

---

(١) كتاب سيبويه ١٩٥/٣

(٢) الفوائد والقواعد ص ٣٨٥.

(٣) ينظر : شرح كتاب سيبويه للسيرافي ٤١٥/٣-٤١٦ والمقتصد للجرجاني في شرح الإيضاح لأبي علي النحوي ٢٤٧/٢ ومعاني الحروف للرماني ص ٤٦ وشرح المفصل لابن يعيش ١٧/٥ وشرح كافية ابن الحاجب للرضي ٤٣٣/٤.

عن جهل؟ ألم يرجع ابن عطية إلى ما قاله سيبويه والنحاة من بعده وهم يعرِّفون (أم) المنقطعة في الأمثلة المصنوعة وفي قول العرب : إنَّها لإبل أم شاء ؟

فهذا التفسير المبني في الأساس على الشك والوهم وعلى الغلط باطل وباطلة كل النتائج التي بنيت على اساسه التي منها : اختلاق (أم) المنقطعة وجعلها بمعنى (بل) أو بمعنى (بل) والهمزة كالشاهد القرآني المذكور : (أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُواْ) على الرغم من أنّ معادلة ما بعد (أم) هنا لما قبلها واضحة لا تحتاج إلى بيان ، فما فبلها حث المؤمنين على الجهاد ، والترغيب فيه والترهيب من التقاعس عنه ، وما بعدها تنبيههم على أن لا يظنوا بأنَّ الله سبحانه يتركهم من دون أن يختبرهم بالجهاد وتبعاته ، والمعنى : جاهدوا في سبيل الله أم تحسبون أنَّكم تدخلون الجنة من دون أن يختبركم الله بالجهاد في سبيله ؟ هذا هو المعنى الذي يقتضي جعل (أم) عاطفة متصلة ، والاستفهام مجازي ، والمراد حمل المخاطَبين على إنكار ما جاء بعدها ، والإقرار بما جاء قبلها .

٩-قال الله تعالى : (وَمَا كَانَ هَـذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَى مِن دُونِ اللّهِ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لاَ رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ {٣٧} أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ){يونس : ٣٧-٣٨}

قيل بأَنَّ (أم) في قوله تعالى : (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ) غير متصلة لأَنَّها ليست معادلة للهمزة ، بل هي منقطعة بمعنى ألف الاستفهام ، أو بمعنى (بل) وألف الاستفهام ، فهي مثل (أم) في قول العرب : إنَّها لإبل أم شاء[1]

---

(١) ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١٨/٣ والكشاف للزمخشري ٣٣٥/٢ والمحرر الوجيز ١٢٠/٣ والبحر المحيط ٢٠٦/٥ والدر المصون ٢٠٥/٦ .

وقيل بأنَّها عاطفة ((متصلة ولا بد حينئذ من حذف جملة ليصح التعادل والتقدير أيقرون به أم يقولون افتراه ؟))[1]وهذا هو الصحيح لكن من دون حاجة إلى اشتراط معادلتها للهمزة ، ومن دون حاجة إلى هذا التقدير ، فمضمون ما بعد (أم) وما قبلها واحد ، وهو الحديث عن القرآن الكريم بأنَّه مفترى أم غير مفترى ، وهذه هي حقيقة الاتصال والمعادلة ؛ لأنَّ (أم) هنا وفي كل موضع موضوعة للاستفهام عما بعدها ثم عطفه ورده على ما قبلها ليكون معادلاً له خبرًا كان أم إنشاء

١٠-قال الله تعالى : (فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَآئِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَاء مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ {١٢} أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ){هود : ١٢-١٣}

جاء في الدر المصون : ((في (أم) هذه وجهان : أحدهما : أنَّها منقطعة فتتقدَّر بـ(بل) والهمزة ، فالتقدير : بل أتقولون افتراه ، والضمير في (افْتَرَاهُ) لـ(مَا يُوحَى) والثاني أنَّها متصلة فقدَّروها بمعنى : أيكتفون بما أوحينا إليك من القرآن أم يقولون : إنَّه ليس من عند الله)) [2]

فـ(أم) هنا غير مسبوقة بالهمزة ، وهذه هي حجة انقطاعها عند النحاة والمفسرين ، ولكن على الرغم من ذلك فإنَّ اتصال ما بعدها بما قبلها حاصل والمعادلة بينهما قائمة ، فما قبل (أم) يفيد أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ضاق صدره لشدة كفر قومه حتى ترك أن يبلغهم ببعض ما يوحى إليه مخافة أن يقترحوا عليه للإيمان به أن يُنزَل عليه كنز ينتفعون به ، أو مَلَك يصدِّقه ويبيِّن لهم صدق رسالته ، وما بعدها يفيد اتهامهم له بأنَّه قد

---

(١) الدر المصون ٢٠٥/٦ .

(٢) الدر المصون ٢٩٥/٦ وينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣٤/٣ ومدارك التنزيل ص ٤٩١ .

اختلق هذا القرآن إن لم يُلبِّ لهم مثل هذه المقترحات ، ومما يؤكِّد هذا الاتصال عود الضمير المذكور بعدها على ما قبلها ، وهذه هي وظيفة (أم) أينما وردت في كتاب الله ، هو الاستفهام عما بعدها ثم عطفه ورده على ما قبلها ، والمراد منه حمل المخاطبين على إنكار ما جاء بعد (أم) وما جاء قبلها .

١١-قال الله تعالى : (قَالُواْ يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتَنِا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ {٣٢} قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ اللّهُ إِن شَاء وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ {٣٣} وَلاَ يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ {٣٤} أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَاْ بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرَمُونَ){هود : ٣٢-٣٥}

لكون (أم) في قوله تعالى : (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ) غير مسبوقة بالهمزة عُدَّت منقطعة بمعنى (بل) أو ألف الاستفهام أو (بل) وألف الاستفهام[1]بل هي عاطفة متصلة ؛ ذلك أنَّ المعنى كما جاء في تفسير الطبري وغيره : أم يقول كفار مكة افترى محمد صلى الله عليه وسلم هذا القرآن وهذه القصة عن نوح عليه السلام ؟ فنزلت الآية في ذلك [2] فكأنَّ المعنى : هذه هي قصة نوح مع قومه فاعتبروا بها أيها المشركون أم تقولون إنَّ هذه القصة افتراها محمد كما افترى القرآن .

١٢- قال الله تعالى : (فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا {٦} إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ

---

(١) ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣/١٦٧ والمحرر الوجيز ٣/١٦٧ وزاد المسير ٤/٧٧

(٢) ينظر : جامع البيان ١٢/٤٠ والمحرر الوجيز ٣/١٦٧ وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/٢٢٣.

عَمَلًا {٧} وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا {٨} أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا){الكهف : ٦-٩}

جاء في الدر المصون : (((أَمْ حَسِبْتَ) (أم) هذه منقطعة فتقدر بـ(بل) التي للانتقال لا للإبطال وبهمزة الاستفهام عند جمهور النحاة ، و(بل) وحدها ، أو بالهمزة وحدها عند غيرهم)) [١]

بل هي عند سيبويه وجمهور النحاة الأُول مقدرة بـ(بل) للإبطال ؛ وقد عرَّف النحاة (أم) بأنَّها عاطفة لأحد الشيئين ، وأنَّ معنى الاستفهام ملازم لها ، وعليه فإنَّه يجب الأخذ بهذا التعريف عند تفسير الشاهد القرآني الذي ترد فيه حتى لو بدا منقطعًا عمَّا قبله ، وأنَّ قليلًا من إمعان النظر في تتبع الغرض من استعمالها كفيل إلى أن يوصلنا إلى حقيقة صلتها بما قبلها ، وهذا خير ألف مرة من أن نجعلها بمعنى من معاني الانقطاع كجعلها بمعى (بل) أو بمعى ألف الاستفهام ، أو بما يجمع بينهما ؛ لأنَّه سيكون حتمًا معنى دخيلًا عليها ، وفي ذلك تحريف لدلالتها الحقيقية الذي يعني تحريفًا للغة القرآن الكريم ؛ فالقرآن لمَّا استعمل (أم) في قوله تعالى : (أَمْ حَسِبْتَ) فلا بد من أن يكون استعماله لها للعطف والردّ على كلام تقدمها فـ((عن مجاهد قوله (أَمْ حَسِبْتَ) كانوا يقولون هم عجب ... وعن قتادة قد كان من آياتنا ما هو أعجب من ذلك ... وقال آخرون : بل معنى ذلك : أحسبت يا محمد أنَّ أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبًا فإنَّ الذي آتيتك من العلم والحكمة أفضل منه)) [٢] وقال الزجاج : ((ثم أعلم الله عز وجل أنَّ

---

(١) ٤٤٥/٧ .

(٢) جامع البيان ٢٢٧/١٥.

قصة أصحاب الكهف ليست بعجيبة ؛ لأنَّا نشاهد من خلق السموات والأرض ما هو أعجب من قصة أصحاب الكهف فقال عز وجل : (أَمْ حَسِبْتَ))) [١]

فالخطاب وإن كان موجهًا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فالمراد بذلك أيضًا قومه ؛ فتكون (أم) إذن عطفًا وردًّا على قول قيل ، أو على ظنٍّ ظنَّه المخاطب ، يضاف إلى ذلك أنَّ قوله تعالى : (أَمْ حَسِبْتَ) تقدمه قوله تعالى : (إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا {٧} وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا) والمراد بالزينة الشجر والنبات والأنهار وهذه الآية تفيد تذكير الناس بآية من آيات الله ، وهي إحياء الأرض بهذه الزينة ثم إماتتها بتجريدها من هذه الزينة ، قال ابن عاشور : (((أم) هذه هي (أم) المنقطعة بمعنى (بل) وهي ملازمة لتقدير الاستفهام معها ... والتقدير هنا : أحسبت أنَّ أصحاب الكهف كانوا أعجب من بقية آياتنا فإنَّ إماتة الأحياء بعد حياتهم أعظم من عجب إنامة أهل الكهف)) [٢] وقال : ((على أنَّ مناسبة الانتقال إليه (أي : إلى قوله تعالى : (أَمْ حَسِبْتَ){الكهف : ٦} تتصل بقوله تعالى : (فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا){الكهف : ٩} إذ كان مما صرف المشركين من الإيمان إحالتهم الإحياء بعد الموت فكان ذكر أهل الكهف وبعثهم بعد خمودهم سنين طويلة مثالًا لإمكان البعث)) [٣]

أليس كل الذي قاله المفسرون وابن عاشور دليل قاطع على اتصال (أم) بما قبلها اتصال عطف وردٍّ ؟ أي : دليل على أنَّها موضوعة للاستفهام

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٢٢٠/٣ وينظر : اللباب في علوم الكتاب ٤٣٠/١٢.

(٢) التحرير والتنوير ١٩/١٥.

(٣) التحرير والتنوير ١٨/١٥-١٩.

عمَّا بعدها ثم عطفه وردُّه على ما قبلها ليكون معادلًا له في أمر إمكان البعث ؟! فيا ليت شعري : لِمَ يبقون يصرون على جعلها منقطعة ؟!

١٣–قال الله تعالى : (قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ {٤٢} أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ){الأنبياء : ٤٢–٤٣}

قال الزمخشري : ((ثم أضرب عن ذلك بما في (أم) من معنى (بل))[١] وقال أبو حيان ((أضرب ثم استفهم)) [٢] فـ(أم) هنا عند المفسرين كما هي عند النحاة منقطعة بتقدير ألهم آلهة ؟[٣] والاستفهام فيها للإنكار ، ينفي وجود آلهة لهم ، وجعلها بمعنى (بل) وحدها ، يثبت لهم هذه الآلهة ، فتكون خلاف الحقيقة والمعنى المراد ، ولو استعمل بل والهمزة وقال كما قدروا : بل ألهم آلهة ، لأفاد الإضراب عما قبلها والاستفهام عما بعدها ، والحقيقة أنَّه ما أراد الإضراب ، بل الاستفهام عمَّا بعدها ثم عطفه ورده على ما قبلها وهو قوله تعالى : ((قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ) لتكون المعادلة بينهما والمراد حمل المخاطب على إنكارهما معًا ، أي : ليس لهم مَن يحفظهم أو يمنعهم من دوننا ، وتأمَّل أنَّه استعمل (بل) لمَّا أراد التفرد بالحكم وعدم مشاركة المخاطبين فيه ، وعدم جعل ما بعدها معادلًا لقوله تعالى : (قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ) واستعمل (أم) لمَّا أراد ذلك

١٤–قال الله تعالى : (الم {١} تَنزِيلُ الْكِتَابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ {٢} أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ){السجدة : ١–٣}

---

(١) الكشاف ١١٦/٣ .

(٢) البحر المحيط ٣٨٧/٦ .

(٣) ينظر : الدر المصون ١٦١/٨.

أجمع النحاة والمفسرون على أنَّ (أم) في قوله تعالى : (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ) منقطعة تفيد الإضراب ، وهي بتقدير (بل) أو ألف الاستفهام أو بتقديرهما جميعًا ، والأخير هو مذهب الجمهور من الفريقين [1].

والصحيح أنَّها عاطفة متصلة ، عادلت ما بعدها بما قبلها ، فقد كان مضمون ما قبلها أنَّ كتاب الله حقٌّ لا شك فيه منزل من عند الله ، وكان مضمون ما بعدها قول المشركين أنَّ هذا الكتاب كذب ، وهو من اختلاق محمد صلى الله عليه وسلَّم ، فهي مثل (أم) في قوله تعالى السابق في الشاهد التاسع : (وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَى مِن دُونِ اللّهِ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لاَ رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ {٣٧} أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ){يونس : ٣٧-٣٨} التي قيل فيها بأنَّها عاطفة ((متصلة ... والتقدير أيقرون به أم يقولون افتراه ؟))[2]وهي كذلك في هذا الشاهد عاطفة متصلة والمعنى : أيقرون بأنَّ هذا الكتاب منزل من رب العالمين أم يقولون افتراه ، والاستفهام مجازي أريد منه حمل المخاطبين على إنكار الأمر الثاني ، وقد أريد منهم أيضًا أن يكون جوابهم هو الإقرار بالأمر الأول بتعيينه ، وقد جاء قوله تعالى : (بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ) ليكون هو الجواب المطلوب منهم ، وهذا هو حال كل (أم) أجمعوا على أنَّها بمعنى (بل) أو بمعنى (بل) والهمزة ، تستعمل عندما يراد منها مشاركة المخاطب في الحكم ، وتستعمل (بل) عندما يراد منها التفرد في الحكم .

---

(١) ينظر : كتاب سيبويه ٩٥/٣ ومجاز القرآن لأبي عبيدة ص ٢١٨ ومعاني القرآن للأخفش ص ٣٤ والمقتضب للمبرد ٢٣٥/٢-٢٣٨ ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ١٥٥/٤ والكشاف للزمخشري ٤٩١/٣ والمحرر الوجيز لابن عطية ٣٥٧/٤ وزاد المسير لابن الجوزي ١٧٧/٦والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٦٣/١٤ والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٢٥٨/٧ والتحرير والتنوير لابن عاشور ١٤٢/٢١ .

(٢) الدر المصون ٢٠٥/٦ .

١٦- قال الله تعالى : (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاء وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ {٢٧} أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ){ص : ٢٧-٢٨}

((قال كفار قريش للمؤمنين إنَّا نُعطى في الآخرة ما تُعطون ، فأنزل الله : (أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا))) [١] فـ(أم) هنا إذن جاءت ردًّا على قول قيل ، وقال الزمخشري : (((أم) منقطعة ومعنى الاستفهام فيها الإنكار ، والمراد أنَّه لو بطل الجزاء كما يقول الكافرون لاستوت عند الله أحوال من أصلح وأفسد واتقى وفجر ، ومن سوَّى بينهما كان سفيهًا ولم يكن حكيمًا)) [٢] فتأمَّل شدة اتصال مضمون ما بعد (أم) بمضمون ما قبلها ، وذكر البيضاوي أنَّ التسوية بين الصالحين والمفسدين هي من لوازم خلق السموات والأرض وما بينهما باطلاً [٣] فقد جعل ما بعد (أم) من لوازم ما قبلها ، وليس ثمة اتصال أشد من هذا الاتصال ، وقال ابن عاشور : (((أم) منقطعة أفادت إضرابًا انتقاليًّا ... وقد كان هذا الانتقال بناء على ما اقتضاه قوله تعالى : (ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا) فلأجل ذلك بُني على استفهام مقدَّر بعد (أم) وهو من لوازم استعمالها ، وهو استفهام إنكاري ، والمعنى : لو انتفى البعث والجزاء كما تزعمون لاستوت عند الله أحوال الصالحين وأحوال المفسدين)) [٤]

كيف تسنى للمفسرين أن يجعلوا (أم) منقطعة وقد أثبتوا هذا الاتصال بين ما جاء بعدها وما جاء قبلها ، حتى أصبح ما بعدها لا يدرك تفسيره

---

(١) الوسيط في تفسير القرآن المجيد للواحدي ٣/٥٥٠.

(٢) الكشاف ٤/٨٧.

(٣) أنوار التنزيل ٥/٢٨ .

(٤) التحرير والتنوير ٢٣/١٤٦-١٤٧.

والحكمة منه إلّا بناء على ما جاء قبلها ، إنَّه كان ينبغي لهم أن يكفروا بما أجمع عليه النحاة حين ذهبوا إلى أن يجعلوا (أم) منقطعة تفيد الإضراب في كل موضع وقعت فيه بعد خبر كـ(أم) في هذه الآية أم أنَّه التقليد حال بينهم وبين النطق بالحق والحقيقة ، وحال بينهم وبين التحرر من أسره ، فقد بان مما جاء في كتب تفسير القدامى والمحدثين أنَّ المراد من استعمال (أم) هنا أن تكون استفهامًا إنكاريًا وردًّا وعطفًا على ما قبلها وكأنَّ المعنى : أي الأمرين واقع بطلان الخلق أم التسوية بين الصالحين والمفسدين ؟ إلّا أنَّ هذا الاستفهام ما أريد منه تعيين أحد هذين الأمرين لأنَّه استفهام مجازي ؛ فيكون الغرض منه حمل المخاطبين على إنكار هذين الأمرين جميعًا ، والمعادلة حاصلة بينهما على أساس أنَّه إذا ثبت عدم حصول الأمر الاول ثبت تلقائيًّا عدم حصول الأمر الثاني ؛ لأنَّ أحدهما ناتج عن الآخر

١٧-قال الله تعالى : (وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ {٨} أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي المَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ){الشورى : ٨-٩}

و(أم) هنا عند المفسرين منقطعة تفيد الإضراب ، وهي بمعنى (بل) وحدها أو ألف الاستفهام وحدها ، أو بمعنى (بل) وألف الاستفهام [١] ويبدو أنَّ المفسرين بصفة عامة راحوا يجعلون (أم) في مثل هذا الموضع منقطعة للإضراب وبأحد هذه المعاني من دون أن يفكروا لحظة واحدة في المعنى المراد ، أليس مضمون ما جاء بعد (أم) وما جاء قبلها واحدًا ؟ إلّا أنِّي لم أجد من المفسرين من أشار إلى وحدة هذين المضمونين التي تقتضي اتصال (أم) بما قبلها لا انقطاعها ، فـ(أم) هنا وفي كل موضع استفهمت عما جاء

---

(١) ينظر : الدر المصون ٥٤٢/٩ والمحرر الوجيز ٢٧/٥ وزاد المسير ١١٠/٧-١١١ والتحرير والتنوير ١٠٩/٢٥.

بعدها ثم عطفته وردته على ما قبلها ليكون معادلًا له في أمر ، وهو أنَّه من اتخذ وليًّا من دون الله يكون كمن لا وليَّ له ولا ناصر ؛ لأنَّ أي وليٍّ كان من دونه سبحانه لا ينفع ولا يضر إلّا بإذن الله فيكون وجوده وعدم وجوده سيان ، ولهذا ((أثبت الحكم بأنَّه عز وجل هو الولي الذي تنفع ولايته)) [١]

١٨–قال الله تعالى : (مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الأَخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الأَخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ {٢٠} أَمْ لَهُمْ شُرَكَاء شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ وَلَوْلا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ){الشورى : ٢٠–٢١}

قال الزمخشري : ((ومعنى الهمزة في (أم) التقرير والتقريع))[٢] و(أم) هنا عند جمهور المفسرين منقطعة للإضراب الانتقالي بتقدير : بل ألهم شركاء[٣] وكان ينبغي أن يجعلوا الغرض من استعمال (أم) هو الأساس في تفسير الآية ، فبدلًا من أن يجعلوها متصلة بما قبلها اتصال اضراب وانتقال ، يجعلوها متصلة بما قبلها اتصال رد وعطف لأحد الشيئين ، وهذا ما قيل به والتقدير: ((أيقبلون ما شرع الله أم لهم آلهة شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ؟))[٤] وهذا الاستفهام لا يراد منه تعيين أحد هذين الشرعين ؛ لأنَّه استفهام مجازي فيكون المراد منه حمل المخاطبين على إنكار ما جاء بعد (أم) والإقرار بما جاء قبلها ، وهذا هو المعنى والتفسير الموافق لدلالة (أم) الذي أراده القائل ، أمَّا ما قاله المفسرون فهو تفسير مفروض على النص ، فلو أراد ما قالوا به لاستعمل (بل) وألف الاستفهام كما قدروا .

---

(١) المحرر الوجيز ٢٧/٥ .

(٢) الكشاف ٢١٢/٤ .

(٣) ينظر : المحرر الوجيز ٣٢/٥ وأنوار التنزيل ٨٠/٥ والتحرير والتنوير ١٤٠/٢٥.

(٤) مدارك التنزيل ص ١٠٨٦.

١٩–قال الله تعالى : (ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاء الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ {١٨} إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيئًا وإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ {١٩} هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ {٢٠} أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَّن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاء مَّحْيَاهُم وَمَمَاتُهُمْ سَاء مَا يَحْكُمُونَ){الجاثية : ١٨–١٩}

(أم) هنا استفهمت عمَّا جاء بعدها استفهامًا إنكاريًّا وهو إنكار أن يساوي الله بين الصالحين والمفسدين وهو ردٌّ على شريعة من يتبعون الهوى التي لا تميز بين الحق والباطل التي نهى البارئ عز وجل رسوله الكريم من أن يتبعها ، كما أنَّ مضمون ما جاء بعدها لا بدَّ من أن يكون ردّا على من يدعي أو يظن أنَّ الله سبحانه يساوي من يعمل الصالحات بمن يعمل السيئات ، وقد جاء في كتب التفسير أنَّ هذه الآية نزلت في نفر من مشركي مكة قالوا للمؤمنين لئن كان ما تقولون حقًّا أنَّ هناك آخرة وبعثًا لنفضلنَّ عليكم في الآخرة كما فضلنا عليكم في الدنيا[(١)] فيكون المعنى أي الأمرين واقع : المساواة بين الصالحين والمفسدين أم عدم المساواة بينهم ؟ أي : أيهما واقع هذا أم هذا ؟ وهذا الاستفهام لا يراد منه تعيين أحد هذين الأمرين لأنَّه استفهام مجازي ، فيكون المراد منه حمل المخاطبين على إنكار الأمر الأول والإقرار بالامر الثاني .

٢٠–قال الله تعالى : (وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ {٧} أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ){الأحقاف : ٧–٨}

---

(١) ينظر : الوسيط في تفسير القرآن المجيد ٩٨/٤والمحرر الوجيز ٨٥/٥ وزاد المسير ١٦٤/٧ والجامع لأحكام القرآن ١١٥/١٦ والتحرير والتنوير ٣٦٩/٢٥–٣٧٠.

قال الزمخشري : (((أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ) إضراب عن ذكر تسميتهم الآيات سحرًا إلى ذكر قولهم أنَّ محمدًا افتراه ، والهمزة في (أم) للإنكار والتعجب ، كأنَّه قيل : دع هذا واسمع قولهم المستنكر المقضي منه التعجب)) [١] وقال ابن عطية : (((أم) منقطعة مقدرة بـ(بل) وألف الاستفهام))[٢] وقال أبو حيان : ((أي : بل أيقولون اختلقه ، انتقلوا من قولهم : هذا سحر ، إلى هذه المقالة الأخرى ، والضمير في (افْتَرَاهُ) عائد إلى الحق)) [٣]

والحقيقة أنَّ (أم) عاطفة متصلة ومن أدلة ذلك اتصال ما بعدها بما قبلها بالضمير المذكور ، فهي متصلة بما قبلها اتصال عطف لأحد الشيئين وليس اتصال إضراب ، ولو كانت بهذا الذي قالوه لاستعمل (بل) كما قدروا ، وإنَّما هي عاطفة استفهامية استفهمت عمَّا بعدها الذي يتضمن القول بالافتراء ، ثم عطفته وردته على ما قبلها الذي يتضمن القول بالسحر ، والمعنى : أيُّ الأمرين بالقرآن الموصوف بالحق كائن ؟ أنَّه سحر أم أنَّه قول مفترى ؟ ذا أم ذا ؟ وهذا الاستفهام ما أريد منه تعيين أحد هذين الأمرين ؛ لأنَّه استفهام مجازي ؛ فيكون المراد منه حمل المخاطبين على إنكار هذين الأمرين جميعًا ، أي : أنَّ هذا القرآن ليس بسحر ، وليس هو بقول مُفترى .

٢١-قال الله تعالى : (فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ {٢٩} أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ){الطور : ٣٠}

قال أبو عبيدة في (أَمْ) في هذه الآية ((مجازها : بل يقولون ، وليست بجواب استفهام ، قال الأخطل :

---

(١) الكشاف ٢٨٩/٢.

(٢) المحرر الوجيز ٩٣/٥.

(٣) البحر المحيط ٧٩/٨.

كذبتْكَ عينُكَ أم رأيتَ بواسطٍ   غَلَسَ الظلام من الرَّباب خيالا[1]

لم يستفهم إنَّما أوجب أنَّه رأى بواسط غلس الظلام من الرباب خيالاً)) [2] وقد أكَّد أنَّ الواقع ما جاء بعد (أم) لأنَّه جعلها بمعنى (بل) والشاعر لم يرد المعنى الذي ذكره أبو عبيدة ، وقد تقدم أنَّ جمهور النحاة استبعدوا مجيء (أم) بمعنى (بل) لوجود فرق أساسي بينهما وهو أنَّ ما بعد (بل) متحقق ويقين وما بعد (أم) مظنون ومشكوك فيه ، والحقيقة أنَّ (أم) لا يفارقها الاستفهام ، وهو في الآية استفهام مجازي ، والغرض منه هنا حمل المخاطَبين على إنكار ما يدعونه وهو قولهم بأنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم شاعر ، وجعل (أم) بمعنى (بل) يجردها من معنى الاستفهام وغرضه المذكور ، وقال سيبويه : ((وزعم الخليل أنَّ بيت الأخطل (من الكامل) :

كذبتْكَ عينُكَ أم رأيتَ بواسطٍ   غَلَسَ الظلام من الرَّباب خيالا

كقولك : إنَّها لإبل أم شاء ، ومثل ذلك لكثيِّر بن عزة (من الطويل) :

أليس أبي بالنَّضْر أم ليس والدي   لكل نجيب من خزاعة أزهرَا[3]

ويجوز في الشعر أنَّه يريد بـ(كذبتك) الاستفهام ويحذف الألف)) [4]

وقال المبرد في الشاهد الشعري الأول : ((ويجوز أن يكون (أكذبتْكَ عينُك) فحذف الالف ، ويجوز أن يكون ابتدأ (كذبتك عينك) مخبرًا ثم أدركه

---

(١) واسط : مدينة عراقية ، وغلس الظلام : ظلمة آخر الليل ، والرَّباب : اسم محبوبته ، والمعنى : خدعتك عينك في رؤية رباب أم كانت رؤيتك لها في المنام ليلاً ؟

(٢) مجاز القرآن ص ٢٦٢-٢٦٣ .

(٣) الأزهر : الحسن الجميل من الرجال ، وقد جاءت هنا بمعنى القدوة أو المثال الذي يحتذى به ، والمعنى : إني شريف النسب ، فأبي أبو قريش النَّضْر بن كنانة الذي كان مثالاً يقتدي به الناس من بني خزاعة التي تعود بنسبها إلى النضر بن كنانة .

(٤) كتاب سيبويه ٣/١٩٦-١٩٧.

الشك في أنَّه قد رأى (يعني في المنام) فاستفهم مستثبتًا) [١] فسيويه والمبرد لم يجعلا (أم) منقطعة بمعنى (بل) وحدها كما ذهب أبو عبيدة ، أو بمعنى ألف الاستفهام وحدها ، بل جعلاها وجمهور النحاة منقطعة بمعنى (بل) وألف الاستفهام[٢]وهي عندهم استدراك لشك تقدمها ، قال السيرافي : ((وأمَّا قوله : كذبتْكَ عينُك أم رأيتَ بواسط ، فإنَّه يكون على أنَّه خبَّر بكذب عينيه ثُمَّ أدركه ظن فقال :

كذبتْكَ عينُكَ أم رأيتَ بواسطٍ   غَلَسَ الظلام من الرَّباب خيالا

وقد يخبر الشاعر بالشيء ثم يرجع عنه إمَّا بتكذيب نفسه أو بالتشكيك فيه كقول زهير :

قف بالديار التي لم يعفها القِدم   بلى وغيَّرها الأرواح والدِّيمُ

فقوله : بلى ، تكذيب منه لما نفاه ، ويجوز أن يكون على حذف الألف من (كذبتْك) كأنَّه قال : أكذبتْكَ أم رأيتَ ، على تقدير : أيُّهما كان ، كأنَّه قال : أتمثَّلَتْ لك في اليقظة لفكرك فيها على غير حقيقة أم رأيتها في النوم)) [٣] والظاهر أنَّ الشاعر أراد المعنى الأخير في الحالين أي : أنَّه لم يرد البتة معنى الشك ثم الرجوع عنه وقوله : ((وقد يخبر الشاعر بالشيء ثم يرجع عنه إمَّا بتكذيب نفسه أو بالتشكيك فيه كقول زهير :

قف بالديار التي لم يعفها القِدم   بلى وغيَّرها الأرواح والدِّيمُ

فقوله : بلى ، تكذيب منه لما نفاه)) فإنَّه ثمة فرق أساسي بين معنى الشك والرجوع عنه ، وهو المعنى الذي أوجبه سيبويه والنحاة على قول الأخطل

---

(١) المقتضب ٢٤٣/٢ .

(٢) ينظر : المحتسب لابن جني ٣٤١/٢ والبيان في غريب إعراب القرآن ٣٩٥/٢ والدر المصون ٧٥/١٠-٧٦.

(٣) شرح كتاب سيبويه ٤١٨/٣-٤١٩ .

وجعلوه بتقدير (بل) وألف الاستفهام والذي بموجبه جعلوا(أم) فيه منقطعة ، وبين المعنى الذي جاء في بيت زهير ، فالنحاة قد زعموا أنَّ الأخطل رجع عن شك أو غلط وقع فيه من غير عمد عندما قال : أم رأيت بواسط ، ثم تداركه باستعمال (أم) وهذا ما لا يصح وقوعه في القرآن الكريم ولا في كلام فصيح كما صرَّح بذلك عدد من النحاة كما تقدَّم ، وزهير لم يستعمل قوله : بلى وغيَّرها الأرواح ، لتدارك شك أو غلط وقع فيه بل ردَّ على ما قاله عن علم وعمد مسبق وهذا جائز وقوعه في القرآن الكريم وفي الشعر العربي ، كما أنَّ الشاعر في الحقيقة لم ينف ما أثبته ؛ لأنَّ التغيير غير الإعفاء فقولك : ((عفت الرياح الآثار : إذا درستها ومحتها)) (١) وهذا ما يؤكد ما نبهتُ عليه غير مرة بأنَّ جعل (أم) بهذا التقدير المزدوج مبني على أنَّها بمنزلة (بل) بمعناها الإبطالي لا الانتقالي ، أي : إبطال غلط وقع فيه المتكلم ، وقد أقر النحاة بعدم صحة وقوع هذا المعنى في القرآن الكريم ، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإنَّ استدراك شك أو وهم أو غلط يحصل في حال الاستفهام الحقيقي ، ويمتنع حصوله في حال الاستفهام المجازي ، والاستفهام في الشاهد الأول مجازي ؛ لأنَّ الشاعر فيه يخاطب نفسه ، فهو لم يشك حتى يستدرك على شكه لعلمه مسبقًا بما ابتدأ من الكلام وبما انتهى إليه ، فالشاعر يريد أن يقول لنا إنَّه لا يدري أهذا الخيال الذي يرى حبيبته عليه أهو خداع عين أم حلم منام ؟ فهو لم يقطع بأحدهما ، لذلك أخرجه مخرج الاستفهام والغرض من ذلك حمل نفسه على الإقرار بتساوي هذين الأمرين عنده ، وهذا هو حال (أم) في الشاهد الثاني : أليس أبي بالنَّضْر أم ليس والدي ، وقد استشهد به المبرد وقال فيه : ((ترك استفهام الأول ومال إلى

---

(١) لسان العرب ٢١٠/١٠.

الثاني ، وإنَّما أخرجه مخرج التقرير في اللفظ كالاستخبار)) [١] وهذا هو غرض الاستفهام المجازي ، والدليل على ذلك أيضًا أنَّ الشاعر في هذا البيت يستفهم عن أمر يعلمه ؛ لأنَّه يتعلق بأبيه ونسبه ؛ فهو أعلم به من غيره ، والغرض منه حمل المخاطبين على الإقرار بما جاء بعد (أم) وبما جاء قبلها ، وهذا هو معنى (أم) في قوله تعالى : (فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ {٢٩} أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ) وقد جاء في كتب التفسير أنَّ قريشًا نسبت إليه أنَّه كاهن وأنّه مجنون ، وروي أنَّ قريشًا اجتمعت في دار الندوة فكثرت آراؤهم فيه حتى قال قائل منهم : تربصوا به ريب المنون : أي : انتظروا أن تصيبه حوادث الدهر فإنَّه شاعر سيهلك كما هلك زهير والنابغة والأعشى وغيرهم فافترقوا على ذلك فنزلت الآية[٢] وإذا كان (أم) يلازمها معنى الاستفهام كما أكَّد ذلك جمهور النحاة والمفسرين كما تقدم ، فإنَّه يلازمها أيضًا معنى العطف ، قال ابن عاشور : ((إن كانت (أم) مجردة عن عمل العطف فالجملة مستأنفة استئنافًا ابتدائيًّا ، وإلاَّ فهي عطف على جملة : (فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ))) [٣] فاتصال ما بعدها بما قبلها واضح لا يحتاج إلى بيان ، فاستفهام (أم) هنا وفي كل موضع ليس استفهامًا مستأنفًا والدليل على ذلك أنَّه لا تستعمل إلّا في وسط الكلام ، وما كان هذا إلّا لأنّها عاطفة ، ولمَّا كان ما بعدها مستفهمًا عنه ؛ فعطف هذا الاستفهام على ما قبلها يعني إدخال ما قبلها ضمن هذا الاستفهام فيكون المعنى : أيُّ الأمرين كائن : أهو كاهن أو

---

(١) المقتضب ٢/٢٤٠-٢٤١ .

(٢) ينظر : جامع البيان ٢٧/٣٩-٤١ والمحرر والوجيز ٥/١٩١ وزاد المسير ٧/٢٦٧ .

(٣) التحرير والتنوير ٢٧/٧٢ .

مجنون أم هو شاعر يتربصون به ريب المنون ؟ وهذا الاستفهام لا يراد منه التعيين لأنَّه ليس استفهامًا حقيقيًّا لعلم المستفهم بالجواب ، بل هو استفهام مجازي والمراد منه حمل المخاطبين على إنكار ما جاء بعد (أم) وما جاء قبلها ، والذي سوَّغ مشاركة قريش في هذا الإنكار هو علم المستفهم بأنَّ قريشًا يعلمون علم اليقين أنَّ محمدًا صلى الله عليه وسلم ليس بكاهن أو مجنون وليس هو بشاعر إلّا أنَّهم نسبوا إليه ما نسبوا ؛ لصد الناس عنه وعن القرآن الذي يدعو الناس إليه .

وصفوة ما تقدَّم ذكره أنَّ (أم) لا تكون إلا عاطفة لأحد الشيئين متصلة بما قبلها بهذا العطف أينما وردت في كتاب الله ، وأنَّه يجب البحث عن هذا الاتصال ، لأنَّه لا بدَّ من وجوده على كل حال ، لأنَّه حتى إذا أجمع النحاة والمفسرون على أنَّها منقطعة بمعنى (بل) والهمزة فلا بدَّ من أن تكون متصلة بما قبلها ، وهذا ما يوجبه معنى إضراب (بل) نفسه ، فالإضراب لا يكون إلّا إضرابًا عن كلام تقدَّمها ، فيكون هذا الكلام نفسه هو الكلام الذي اتصلت به اتصال عطف لا اتصال إضراب ، من ذلك مثلًا قوله تعالى : (اللَّهُ يَتَوَفَّى الأنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لايَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ {٤٢} أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاء قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلا يَعْقِلُونَ){الزمر : ٤٢–٤٣} فلا حجة هنا أن يقال إنَّ (أم) منقطعة ، لأنَّ اتصالها بما قبلها غير ظاهر ، لأنَّ إثبات عدم الاتصال لا يلغي كون (أم) متصلة عاطفة فحسب ، بل يلغي أيضًا كونها منقطعة ؛ لأنَّ انقطاعها جاء بإجماع النحاة والمفسرين من جعلها بمعنى (بل) والهمزة ؛ و(بل) لا بد من أن تكون متصلة بما فبلها اتصال إضراب إبطالي أو انتقالي قال ابن عاشور : (((أم) منقطعة وهي للإضراب الانتقالي انتقالًا من تشنيع إشراكهم إلى إبطال معاذيرهم في شركهم ، ذلك أنَّه لمَّا دمغتهم حجج القرآن

باستحالة أن يكون لله شركاء تمحلوا تأويلًا لشركهم فقالوا (أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء مَا نَعْبُدُهُمْ إِلّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى){الزمر : ٣} كما حكى عنهم في أول السورة ، فلما استوفيت الحجج على إبطال الشرك أقبل هنا على إبطال تاويلهم منه ومعذرتهم ، والاستفهام الذي تُشعر به (أم) في جميع مواقعها هو هنا للإنكار بمعنى أنَّ تأويلهم وعذرهم منكر كما كان المعتَذَر عنه منكرًا فلم يقضوا بهذه المعذرة وطرًا)) [١]

فـ(أم) هنا في الآية ٤٣ من سورة الزمر عاطفة ، متصلة بهذا العطف بما جاء في الآية الثالثة من السورة نفسها ، والاستفهام في (أم) إنكاري والمراد منه إنكار مضمون ما جاء في هاتين الآيتين كما قال ابن عاشور وهو إنكار شركهم وإنكار اعتذارهم له .

فـ(أم) ليست من الألفاظ المشتركة ، وهي في كل مواضعها وشواهدها القرآنية عاطفة متصلة ، أي : موضوعة للاستفهام عمَّا بعدها ثم عطفه وردُّه على ما قبلها ، ولم ترد إلّا ضمن الاستفهام المجازي ؛ والغرض منه حمل المخاطَب على إنكار ما جاء بعدها أو إقراره ، وإنكار ما جاء قبلها أو إقراره .

٨-**أن** : ذهب النحاة إلى أنَّ (أن) المفتوحة الهمزة الساكنة النون حرف مشترك جاء في اللغة والقرآن الكريم على ثمانية أوجه هي : مصدرية ، ومخففة من الثقيلة ، وتفسيرية بمعنى (أي) ، وزائدة ، وشرطية ، ونافية ، وبمعنى (إن) المخففة من الثقيلة ، وتعليلية بمعنى (لئلّا) أو(إذ) [٢].

---

(١) التحرير والتنوير ١٠٢/٢٤.

(٢) ينظر : معاني الحروف للرماني ص ٤٧-٤٨ والأزهية ص ٥١-٧٠ ورصف المباني ص ١٩٣-١٩٨ والجنى الداني ص ٢١٦-٢٢٦ ومغني اللبيب ٢٧/١-٣٦ والبرهان ص ٨١٩-٨٢٢ .والإتقان ٢٣٦-٢٣٧ والزيادة والإحسان ٥٦/٨-٥٩ .

وقد توسعتُ كثيرًا في دراسة هذا الحرف في كتابي : دراسات في النحو القرآني ، في دراستين ، الأولى تحت عنوان : نواصب الفعل المضارع في القرآن الكريم /دراسة نحوية ، والثانية تحت عنوان : (أن) المخففة من الثقيلة في القرآن الكريم /دراسة نحوية ، وثبت عندي بعد الدراسة والتحقيق أنَّ جميع هذه المعاني مختلقة ، بل هو حرف ليس له أي معنى كان ، وإنَّما استعمل وصلة يُتوصل به للدخول إلى الفعل المضارع ، وإلى الجملة بقسميها الفعلية والاسمية [١].

٩-إن : تُعدُّ (إن) المكسورة الهمزة والساكنة النون من الحروف المشتركة ، وقد ذكر النحاة أنَّها تجيء في اللغة والفرآن الكريم على ستة معان : شرطية ، ونافية ، ومخففة من الثقيلة ، وبمعنى (قد) ، وتعليلية بمعنى (إذ) ، وزائدة [٢]وقد تقدمت دراسة هذا الحرف في كتابي : لا وجوه ولا نظائر برقم ١٩١ ولم يثبت هناك من هذه المعاني بعد التحقيق إلّا الشرطية كقوله تعالى : (وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ){الأنفال : ١٩} والنافية كقوله تعالى : (وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ){الأنبياء : ١٠٩} والمؤكدة التي عبر عنها النحاة بالمخففة من الثقيلة : (وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ){القلم : ٥١}

أمَّا القول بالزيادة فقد قيل به في قوله تعالى : (وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ) [الاحقاف: ٢٦] [٣] و(إن) هنا نافية والمعنى : إنَّ الله أعطى

---

(١) ينظر : كتابي : دراسات في النحو القرآني ص ٤-١٣٢.

(٢) ينظر : معاني الحروف للرماني ص ٤٩-٥٢ والأزهية ص ٣٢-٥٢ ورصف المباني ص ١٨٦-١٩٣ والجنى الداني ص ٢٠٧-٢١٥ ومغني اللبيب ١/٢٢-٢٧والبرهان ص ٨١٦-٨١٩ والإتقان ٢٣٥-٢٣٦ والزيادة والإحسان ٥٢/٨-٥٥.

(٣) ينظر : الزيادة والإحسان ٥٤/٨ .

القوم من قبلكم ما لم يعطكم ، هذا ما قال به الفراء[1] والطبري[2] والأخفش[3] وغيرهم[4] وذكر الزجاج أن(إن) في النفي مع (ما) التي في معنى (الذي) أحسن في اللفظ من (ما) ألا ترى أنك لو قلت : رغبت فيما ما رغبت فيه لكان الأحسن أن تقول : رغبت فيما إن رغبت فيه ، لاختلاف اللفظين[5]، ومثل هذا قال الزمخشري: إنَّه استعمل (إن) دون (ما) مخالفة ما قبلها في التكرير المستبشع[6]

فـ(إن) حرف مشترك له ثلاثة أوجه : شرطية ، ونافية ، ومخفَفة من الثقيلة ، أمَّا الأوجه الثلاثة الباقية : جعلها بمعنى (قد) ، وتعليلية ، وزائدة ، فهي أوجه مختلقة .

١٠-**إنّ** : ذكر النحاة أنَّ (إنَّ) المكسورة الهمزة والمشددة النون تجيء في اللغة والقرآن الكريم على ثلاثة معان هي : التوكيد ، توكيد الجملة الاسمية ، وبمعنى (نعم) كقراءة من قرأ (إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ){طه : ٦٣} وللتعليل أثبته ابن جني من النحاة كقوله تعالى : (وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ){التوبة : ١٠٣ } وقوله تعالى : (وَمَا أُبَرِّىءُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ

---

(١) ينظر : معاني القرآن ٢/٣٤٤ .

(٢) ينظر : جامع البيان٢٦/ ٣٥ .

(٣) ينظر : معاني القرآن ص ٨٨.

(٤) ينظر : معاني الحروف للرماني ص ٥١ ورصف المباني ص ١٩٠ .

(٥) معاني القرآن واعربه ٤/ ٣٤٠ .

(٦) الكشاف ٤/ ٣٠٠

بِالسُّوءِ){يوسف : ٥٣} وقوله تعالى : (وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ){المزمل : ٢٠} [(١)]

و(إنَّ) استعملها العرب للتوكيد لا غير فهي ليست من الحروف المشتركة ، أمَّا جعلها بمعنى (نعم) فقد قيل به في القرآن الكريم في موضع واحد وهو قراءة من قرأ : (إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ) بتشديد النون ورفع (هذان) بالألف وهي قراءة ابن عامر ونافع وحمزة والكسائي وقرأ حفص بتخفيف النون ورفع (هذان) وقرأ أبو عمرو بتشديد النون ونصب (هذين) وخُرِّجت القراءة الأولى على ثلاثة أوجه :

الأول : جعل (إنَّ) على لغة بني الحارث بن كعب ، وهو إلزام التثنية بالألف في الحالات الثلاث ، الرفع والنصب والجر ، الثاني : جعل اسم (إنَّ) ضمير شأن محذوف ، والتقدير : إنَّه هذان لساحران ، فتكون (إنَّ) على بابها في هذين الوجهين حرف توكيد من الأحرف المشبهة بالفعل .

الثالث : جعل (إنَّ) بمعنى (نعم) أو (أجل) ، ورفع (هذان) على الابتداء [(٢)]

فجعل (إنَّ) بمعنى (نعم) كما ترى كان في موضع واحد ، كما أنَّه كان في قراءة واحدة ضمن عدة قراءات ، وأحد ثلاثة أقوال ، يضاف إلى ذلك كلّه أنَّ هناك من استبعد هذا القول ((لدخول اللام في (لساحران) واللام إنَّما حقها أن تدخل في الابتداء دون الخبر ، وإنَّما تدخل في الخبر إذا

---

(١) ينظر : رصف المباني ص ١٩٨-٢٠٤ ومغني اللبيب ٣٨/١ والبرهان ص ٨٢٢ والإتقان ص ٢٣٧-٢٣٨ .

(٢) ينظر : جامع البيان ٢١١/١٦ ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢٩٤/٣-٢٩٦ ومعاني القراءات لأبي منصور الأزهري ص ٢٩٥-٢٩٦ والحجة في القراءات السبع لأبي علي النحوي ٥٢٤/٣ والكشف عن وجوه القراءات السبع للقيسي ٩٩/٢ .

عملت (إنَّ) في الاسم)) [١] وقال ابن هشام : ((إنَّ مجيء (إنَّ) بمعنى (نعم) شاذ حتى قيل : إنَّه لم يثبت)) [٢] وكذلك جعلها بمعنى التعليل ، لم يثبت بل هو قول مختلق ، وقد عقبتُ عليه في كتابي : لا وجوه ولا نظائر بقولي : ((قال الدكتور فاضل السامرائي : ((تأتي (إنَّ) لمعان عدة أشهرها : التوكيد ... والربط ... والتعليل ، نحو قوله : (فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ){البقرة : ١٧٣} ... فأنت ترى أنَّ (إنَّ) في هذه المواطن تفيد التعليل)) [٣]

إن صحّ هذا المعنى فهو ما يدل عليه السياق ، وليس ما تدل عليه (إنَّ) فلو استندنا إلى السياق في هذه الآية ، لجاز أن نجعل كل لفظ فيه يفيد معنى التعليل ، لأجزنا هذا المعنى نفسه مثلًا لـ(لا) النافية للجنس ، ولأجزناه للواو لو قيل : والله غفور رحيم ، بل قد وردت الواو في مثل هذا السياق في قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ){التحريم : ١} فقد جاز بالطريقة نفسها أن نجعل الواو هنا تفيد التعليل ، كما أفادته (إنَّ) هناك ، بل لجاز بنفس هذه الطريقة أن نجعل لكل حرف معاني لا حصر لها ؛ لأنَّ معاني السياق لا حصر لها ، فكثير من وجوه الحروف ومعانيها في كتب الوجوه وفي كتب حروف المعاني اختلقتْ عن طريق جعل الحرف بمعاني السياق الذي ورد فيه)) [٤]

---

(١) الكشف عن وجوه القراءات السبع للقيسي ١٠٠/٢ وينظر : مغني اللبيب ٣٨/١ .

(٢) مغني اللبيب ٣٨/١ .

(٣) معاني النحو ٢٦١/١-٢٦٦ .

(٤) لا وجوه ولا نظائر ص ٢٣٣-٢٣٤ تحت عنوان : العلاقة بين دلالة الحرف والسياق .

فما علاقة (إنَّ) بالتعليل ؟! لكن الذي أوهم ابن جني وغيره على أنَّه أريد منها معنى التعليل كون التركيب يصلح لإرادة معنى التعليل ، لكنه ما أراد هذا المعنى ، ولو أراده لاستعمل لفظه وقال مثلًا في الشاهد الأول : وما أبرئ نفسي لأنَّ النفس أمَّارة بالسوء ، إلّا أنَّه ما أراد أن يعلل بل أراد أن يؤكد في المواضع جميعها ، فالله سبحانه وتعالى بعد أن أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يصلي على أتباعه أكَّد أنّ صلاته سكن لهم ، فقال تعالى : (وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ){التوبة : ١٠٣ } وبعد أن نفى يوسف عليه السلام عن نفسه أنَّها منزهة من كل زلل ، أكد أنَّ النفس أمَّارة بالسوء ، فقال تعالى : (وَمَا أُبَرِّىءُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ){يوسف : ٥٣} وبعد أن أمر الله عباده أن يستغفروه أكَّد لهم أنَّه غفور رحيم ، فقال تعالى : (وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ){المزمل : ٢٠} وبعد أن رفع الله سبحانه الإثم عمَّن اضطرّ إلى أكل ما حرّمه أكَّد أنّه غفور ورحيم بعباده ، فقال تعالى : (فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ){البقرة : ١٧٣} فالمنهج الصحيح والسليم أن نقف عند حدود ما أراده القائل ولا يصح تجاوزها فنكون ممن يقوّله ما لم يقله ونقصِّده ما لم يقصده ، فليس من حقنا أن نتدخل فيما أراده ، ونعلم مراده من اللفظ الذي استعمله المعلوم في اللغة معناه وغرضه .

١١-**أنّ** : ذكر النحاة أنَّ (أنَّ) المفتوحة الهمزة والمشددة النون تجيء في اللغة على وجهين : الوجه الأول : أن تكون للتوكيد .

والوجه الثاني : جعلها بمعنى (لعلَّ) وهذا الوجه قيل به في قوله تعالى : (وَأَقْسَمُواْ بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِندَ اللّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءتْ لاَ يُؤْمِنُونَ) [الانعام: ١٠٩]

قرأ (إنها) بالكسر ابن كثير وأبو عمرو، وقرأ بالفتح نافع وعاصم في رواية حفص وحمزة والكسائي[١] فعند قراءتها بالكسر تكون (إنها) مستأنفة وقد تم الكلام عند (يشعركم) و(لا) نافية وليس ثمة إشكال ، وعند قراءتها بالفتح تكون (أنها) هي المفعول به الثاني في محل نصب، والمعنى: ومن يعلمكم عدم إيمانهم إذا جاءتهم الآية؟ فيكون تأخير الآية عذرا لهم في ترك الإيمان؛ لذلك اختار سيبويه قراءة (إنها) بالكسر على الاستئناف والمفعول الثاني محذوف والتقدير: وما يشعركم إيمانهم حتى ذكر الزجاج ((والكسر أحسنها وأجودها))[٢]

ومن قرأها بالفتح جعل (لا) زائدة ليصح المعنى؛ ورده الزجاج بأنّها نافية في قراءة الكسر فيجب ذلك في قراءة الفتح [٣] لذلك عدَّ بعضهم جعل (لا) زائدة إشكالًا ، وحل هذا الإشكال بأحد الأوجه الآتية .

١-جعل (أنَّها) بفتح الهمزة بمعنى لعلَّ استنادًا إلى ما نسبه سيبويه إلى الخليل أن تكون (أنَّ) لغة في (لعلَّ) كقول بعض العرب : إئت السوق أنَّك تشتري لنا شيئًا ، أي : لعلَّك تشتري لنا شيئًا وجعل الآية بتقدير : وما يشعركم إيمانهم لعلَّها إذا جاءتهم لا يؤمنون[٤]

٢-جعل (((أنَّ) على بابها و(لا) غير زائدة ، والمعنى : وما يدريكم عدم إيمانهم ، وهذا جواب لمن حكم عليهم بالكفر أبدًا ويئس من إيمانهم

---

(١) ينظر : معاني القراءات لأبي منصور الأزهري ص ١٦٥ والحجة في علل القراءات لأبي علي النحوي ٥٢٢/٢-٥٢٦ والكشف عن وجوه القراءات للقيسي ٤٤٤/١-٤٤٦ وإعراب القراءات السبع وعللها لابن خالويه الأصبهاني ص ١٠٤-١٠٥.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٢٢٨/٢.

(٣) ينظر : معاني القرآن وإعرابه ٢٢٨/٢.

(٤) ينظر : رصف المباني ص ٢٠٥-٢٥٧ ومغني اللبيب ٣٩/١-٤٠ والبرهان ص ٨٢٣ والإتقان ص ٢٣٨ والزيادة والإحسان ٦١/٨ .

٣–أنَّ الفتح على تقدير لام العلة والتقدير : إنَّما الآيات التي يقترحونها عند الله لأنَّها إذا جاءت لا يؤمنون (وما يشعركم) اعتراض .

٤–أنَّ في الكلام حذف معطوف ، والمعنى : وما يشعركم أنَّها إذا جاءت لا يؤمنون أو يؤمنون ، فحذف هذا لعلم السامع ، وقدَّره غيره : وما يشعركم بانتفاء الإيمان أو وقوعه .

٥–جعل (ما) نافية [1].

فأنت ترى أنَّ جعل (أنَّ) بمعنى (لعلَّ) قيل به في موضع واحد في القرآن الكريم ، كما كان أحد خمسة أقوال ، وقيل به لحل مشكلة ؛ لذا هو معنى لم يثبت ولا يصح جعله معنى ثانيًا لـ(أنَّ) التي ما شاع فيها غير معنى التوكيد الذي لا يمكن التخلي عنه في كل مواضع ورودها في القرآن الكريم .

والظاهر أن (أنها) بالفتح على بابها، وأن (لا) نافية وقوله تعالى: (أَنَّهَا إِذَا جَاءتْ لاَ يُؤْمِنُونَ) جملة مستأنفة أُريد بها أن تكون تفسيرًا لما قبلها، والمعنى: وما يشعركم إيمانهم، أي: أنها إذا جاءت لا يؤمنون. ولا فرق بين فتح (أنها) وكسرها من حيث صلاحها في الحالتين أن تكون وما بعدها جملة مستانفة مفسرة لما قبلها سوى أن الفتح يكون عند جعل الآية المفسرة أكثر ارتباطا بما قبلها كأنهما جملة واحدة أو سياق واحد.

١٢–أو : أشهر معاني (أو) في كتب حروف المعاني هي :

١–الشك : كقوله تعالى : (قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ){الكهف : ١٩}

٢–الإبهام : كقوله تعالى : (وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ){سبأ : ٢٤} والشك من جهة المتكلم ، والإبهام على السامع .

---

(١) التبيان في إعراب القرآن ٣٩٦/١ والدر المصون ١٠٢/٥–١٠٦ .

٣–الإباحة : كقوله تعالى : (وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا){الدهر : ٢٤}

٤–التخيير : كقوله تعالى : (لاَ يُؤَاخِذُكُمُ اللّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ){المائدة : ٨٩}

والفرق بين التخيير والإباحة أنَّ للمكلَّف المخاطَب أن يجمع بين الشيئين في الإباحة ، وليس له ذلك في التخيير ، يفعل أحد الشيئين ويترك الآخر ، إن تركهما عوقب أو ذُمَّ ، وكذلك إن جمع بينهما .

٥–تبيين النوع : كقوله تعالى : (وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاء حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاء إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ){الشورى : ٥١}

٦–بمعنى الواو : كقوله تعالى : (فَقُولا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى){طه : ٤٤} يعني لعله يتذكر ويخشى ، وقوله تعالى : (وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا){طه : ١١٣} يعني : لعلهم يتذكرون ويحدث لهم ذكرا ، وقوله تعالى : (فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا {٥} عُذْرًا أَوْ نُذْرًا){المرسلات : ٥–٦} يعني : عذرًا ونذرًا .

٧–بمعنى بل : كقوله تعالى : (وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ){الصافات : ١٤٧} يعنى : بل يزيدون ، وقوله تعالى : (وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلاَّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ){النحل : ٧٧} يعني : بل هو أقرب ، وقوله تعالى : (فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى){النجم : ٩} يعني : بل أدنى

٨–بمعنى (إلّا) : كقوله تعالى : (لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ){آل عمران : ١٢٨} وقوله تعالى : (لاَّ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاء مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةً){البقرة : ٢٣٦}

٩–التبعيض أو التفصيل أو التقسيم : كقوله تعالى : (وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُواْ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ){البقرة : ١٣٥}[١]

هذه المعاني جميعها معاني السياق ، أمّا (أو) فقد استعملت في الكلام ((حرف عطف تشرك في الإعراب لا في المعنى ؛ لأنَّك إذا قلتَ : قام زيدٌ أو عمروٌ ، فالفعل واقع من أحدهما)) [٢] وهذا هو المراد من كل شاهد من شواهد المعاني المذكورة ، وفيما يأتي دراسة معانيها المذكوره في أعلاه :

١–الشك كقوله تعالى : (قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ) : استُعمِلَت (أو) لإيقاع حدوث اللبث على (يَوْمًا) من دون (بَعْضَ يَوْمٍ) ، أو إيقاعه على (بَعْضَ يَوْمٍ) من دون (يَوْمًا) على حد سواء ، أي : من دون تعيين أحدهما ، أو ترجيحه ، ومن دون الإشارة إلى جواز الجمع بينهما أو عدم جوازه .

٢–الإبهام كقوله تعالى : (وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ) قال أبو عبيدة : ((مجازه : إنَّا لعلى هدى وإيّاكم إنكم في ضلال مبين ؛ لأنَّ العرب تضع (أو) في موضع واو المولاة))[٣] وكذلك جعلها الهروي بمعنى الواو[٤] وقال ابن الجوزي : ((مذهب المفسرين أنَّ (أو) ها هنا بمعنى الواو)) [٥]

---

(١) ينظر : الأزهية ص ١١٥–١٣٠ ورصف المباني ص ٢١٠–٢١٣ والجنى الداني ص ٢٢٧–٢٣١ ومغني اللبيب ١/٦١–٦٧ والبرهان في علوم القرآن ص ٨١٣–٨١٦ والإتقان في علوم القرآن ص ٢٣٨–٢٤٠ والزيادة والإحسان في علوم القرآن ٨/٦٣–٦٧.

(٢) الجنى الداني ص ٢٢٧ .

(٣) مجاز القرآن ص ٢٢٧.

(٤) الأزهية ص ١١٨.

(٥) زاد المسير ٦/٢٤٤.

وهي عند غيرهم على بابها وبمعنى الإبهام ، والإبهام ، هو إخفاء الأمر على السامع مع العلم به[١] قال الفرّاء : ((قال المفسرون : معناه : وإنَّا لعلى هدى ، وأنتم في ضلال مبين ، معنى (أو) معنى الواو عندهم ، وكذلك هو في المعنى ، غير أنَّ العربية على غير ذلك ، لا تكون (أو) بمنزلة الواو ، ولكنّها تكون في الأمر المُفوَّض ، كما تقول : إن شئت فخذ درهمًا أو اثنين ، فله أن يأخذ واحدًا أو اثنين ، وليس له أن يأخذ ثلاثة ، وفي قول من لا يبصر العربية ، ويجعل (أو) بمنزلة الواو ، ويجوز له أن يأخذ ثلاثة ؛ لأنَّه في قولهم بمنزلة قولك : خذ درهمًا واثنين ، والمعنى في قوله تعالى : (وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) إنَّا لضالون أو مهتدون ، وإنَّكم أيضًا لضالون أو مهتدون ، وهو يعلم أنَّ رسوله المهتدي ، وأنَّ غيره الضالون ، فأنت تقول في الكلام للرجل : إنَّ أحدنا لكاذب ، فكذبته تكذيبًا غير مكشوف ، وهو في القرآن وفي كلام العرب كثير ، أن يوجه الكلام إلى أحسن مذاهبه)) [٢] وقال الأخفش : ((فليس هذا لأنَّه شك ، ولكن هذا في كلام العرب على أنَّه هو المهتدي))[٣]

فـ(أو) في الآية على بابها موضوعة لأحد الشيئين على حد سواء ، وهذا ظاهر من المعنى والتقدير ، فقد جعلها الفراء فيما تقدم بمعنى : ((إنَّا لضالون أو مهتدون ، وإنَّكم أيضًا لضالون أو مهتدون)) وجعلها الزجاج بتقدير : ((وإنَّا لعلى هدى أو في ضلال مبين ، أو إنَّكم لعلى هدى أو

---

(١) ينظر : الجنى الداني ص ٢٢٨ ومغني اللبيب ٦١/١ والبرهان ص ٨١٣ والإتقان ص ٢٣٨ والزيادة والإحسان ٦٣/٨.

(٢) معاني القرآن ٢٤٨/٢ ، وينظر : جامع البيان ١١٢/٢٢-١١٣ .

(٣) معاني القرآن ص ٢٧٠ .

ضلال مبين))[1] فقد استعمل (أو)لأنَّ المتكلم واثق من صدق مذهبه وبطلان مذهب المخاطَب ، ويكون الخطاب باستعمال (أو) شبيه بالمباهلة ، وفيه تعريض ، ويُعدُّ من أدب الكلام وأجمل الأساليب في مخاطبة الخصوم وأهل الكفر والضلال .

٣-الإباحة كقوله تعالى : (وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا) قال سيبويه : ((وإن نفيت هذا قلت : لا تأكل خبزًا أو لحمًا أو تمرًا ، كأنَّه قال : لا تأكل شيئًا من هذه الأشياء ، ونظير ذلك قوله تعالى : (وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا) أي : لا تطع أحدًا من هؤلاء))[2]

وقال العكبري : (((أَوْ كَفُورًا) أو : ها هنا على بابها عند سيبويه وتفيد في النهي المنع من الجميع ؛ لأنَّك إذا قلتَ في الإباحة : جالس الحسن أو ابن سيرين ، كان التقدير : جالس أحدهما ، فإذا نهى قال : لا تكلم زيدًا أو عمرًا ، فالتقدير : لا تكلم أحدهما ، فأيهما كلمه كان أحدهما ، فيكون ممنوعًا منه ، فكذلك في الآية)) [3] فـ((أو) في النهي نقيضة (أو) في الإباحة ؛ فيجب اجتناب الأمرين كقوله تعالى : (وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا) فلا يجوز فعل أحدهما ، فلو جمع بينهما كان للمنهي عنه مرتين ؛ لأن كل واحد منهما أحدهما))[4] وقال ابن الجوزي : ((وترد للإباحة ، تقول : جالس الحسن أو ابن سيرين ، أي : جالس الأخيار ، فإن جالسهما أو أحدهما فقد أطاعك))[5]وقال ابن يعيش : فهذه (أو) هي التي تقع في الإباحة ؛ لأنَّ

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ١٩١/٤.

(٢) كتاب سيبويه ٢٠٨/٣ .

(٣) التبيان في إعراب القرآن ٤٨٣/٢.

(٤) الإتقان في علوم القرآن ص ٢٤٠.

(٥) نزهة الأعين ص ٢٧.

النهي قد وقع على الجمع والتفريق ، ولا يجوز طاعة الآثم على الانفراد ولا طاعة الكفور على الانفراد ولا جمعهما))[١]وقال ابن هشام : ((الإباحة : وهي الواقعة بعد الطلب نحو : جالس العلماء أو الزهاد ، وتعلَّم الفقه أو النحو ، وإذا دخلت لا الناهية امتنع فعل الجميع نحو قوله تعالى : (فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا) إذ المعنى : لا تطع أحدهما ، فأيهما فعله فهو أحدهما)) [٢] وقال ابو البركات بن الأنباري ((وأمَّا قول الله تعالى : (فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا) فلا حجة لهم فيه ؛ لأنَّ (أو) فيها للإباحة ، أي : قد أبحتك كل واحد منهما كيف شئتَ ، كما تقول في الأمر : جالس الحسن أو ابن سيرين ، أي : قد أبحتك مجالسة كل واحد منهما كيف شئتَ ، والمنع بمنزلة الإباحة))[٣]

فـ(أو) إذن في معنى الإباحة على بابها موضوعة لأحد الشيئين

٤–التخيير : كقوله تعالى : (لاَ يُؤَاخِذُكُمُ اللّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ)

ولا شكَّ أنَّ معنى التخيير ما كان بالإمكان استحصاله من السياق لو لم تكن (أو) مستعملة لأحد الشيئين أو الأشياء .

٥– تبيين النوع : كقوله تعالى : (وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاء حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاء إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ)

---

(١) شرح المفصل لابن يعيش ٢٠/٥ .

(٢) مغني اللبيب ٦٢/١.

(٣) الإنصاف في مسائل الخلاف ١٦/٢–٢٠ مسألة ٦٧ .

ومعنى تبيين النوع كالمعنى السابق متأتٍ من كون (أو) موضوعة لآحد الشيئين أو لأحد الأشياء

٦–بمعنى الواو كقوله تعالى : (فَقُولا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى) وقوله تعالى : (وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا) وقوله تعالى : (فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا {٥} عُذْرًا أَوْ نُذْرًا).

قال ابن قتيبة : (((أو) تأتي للشك ... وربما كانت بمعنى واو النسق كقوله تعالى : (فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا {٥} عُذْرًا أَوْ نُذْرًا) يريد عذرًا ونذرًا ، وقوله : (لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى) وقوله : (لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا) أي : لعلهم يتقون ويحدث لهم ذكرًا ، هذا كله عند المفسرين بمعنى واو النسق))[١] ومثل هذا قال ابن فارس[٢]

و(أو) ليست بمعنى الواو ، وقد استعملَت في قوله تعالى : (فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا عُذْرًا أَوْ نُذْرًا) لأنَّه أريد أن يكون المعنى ((أنَّ الملقيات ذكرًا تجمع بين الإعذار والإنذار ، فتعذر في وقت وتنذر في وقت))[٣]((أي : عذرًا للمحقين ، أو نذرًا للمبطلين)) [٤] وقال البيضاوي في تفسير قوله تعالى: (فَقُولا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى)){طه : ٤٤} ((والتذكر للمتحقق والخشية للمتوهم ؛ لذلك قدَّم الأول ، أي : إن لم يتحقق صدقكما ، ولم يتذكَّر

---

(١) تأويل مشكل القرآن ص ٢٩٠–٢٩١ ، وينظر : تفسير غريب القرآن له ص ٣٧٥ .

(٢) ينظر : الصاحبي في فقه اللغة ص ٨٨–٩٠ .

(٣) الوجوه والنظائر للعسكري ص ٧٣ .

(٤) أنوار التنزيل ، تفسير البيضاوي ٥/٢٧٤ .

، فلا أقل من أن يتوهمه فيخشى)) [١] فـ(أو) هنا على بابها ؛ لأنَّ المعنى : إن لم تتحقق التذكرة تحققت الخشية ، وكذلك هي على بابها أينما وردت في القرآن الكريم .

٧-بمعنى بل كقوله تعالى : (وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ) وقوله تعالى : (وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلاَّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ) وقوله تعالى : (فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى)

قال الخليل : ((ويقال : (أو) تكون بمعنى الواو ، وتكون بمعنى (بل) وتفسر هذه : (وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ) أي : بل يزيدون ، ومعناه : ويزيدون)) [٢] وهذا ما قال به بصري آخر ، فقد قال أبو عبيدة : (((أو) ها هنا ليس بشك ، وهي في موضع آخر : بل يزيدون ، وفي القرآن : (قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ){الذاريات : ٥٢} ليس بشك قالوهما جميعًا ، فهي في موضع الواو التي للموالاة)) [٣]

قال الفراء : (((أَوْ يَزِيدُونَ) أو : ها هنا في معنى بل ، كذلك في التفسير مع صحته في العربية))[٤] وقال ابن قتيبة : ((وأمَّا قوله : (وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ) فإنَّ بعضهم يذهب إلى أنَّها بمعنى : بل يزيدون ، على مذهب التدارك لكلام غلطتَ فيه ، وكذلك قوله تعالى : (وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلاَّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ) وقوله تعالى : (فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى) وليس هذا كما تأولوا ، وإنَّما هي بمعنى الواو في جميع هذه المواضع : وأرسلناه إلى مئة ألف ويزيدون ، وما أمر الساعة إلّا كلمح

---

(١) أنوار التنزيل ، تفسير البيضاوي ٢٨/٤.

(٢) العين ص ٤٥ .

(٣) مجاز القرآن ص ٢٣٩-٢٤٠.

(٤) معاني القرآن ٢٧٥/٢.

البصر وهو أقرب ، فكان قاب قوسين وأدنى))[١] ومثل هذا قال ابن فارس[٢]

وقال الأخفش : (((أَوْ يَزِيدُونَ) يقول : كانوا كذلك عندكم))[٣] وجعل (أو) بمعنى (بل) والواو مذهب نسبه النحاة إلى الكوفيين ، وشاع أنَّ البصريين منعوه ، فقد ردَّ المبرد هذا المذهب بقوله : ((فأمَّا قول الله عز وجل : (وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ) فإنَّ قومًا من النحويين (يعني الكوفيين) يجعلون (أو) في هذا الموضع بمزلة (بل) ، وهذا فاسد عندنا من وجهين ، أحدهما : أنَّ (أو) لو وقعت في هذا الموضع موقع (بل) لجاز أن تقع في غير هذا الموضع ، وكنتَ تقول : ضربتُ زيدًا أو عمرًا ، وما ضربتُ زيدًا أو عمرًا ، على غير الشك ، ولكن على معنى (بل) فهذا مردود عند جميعهم ، والوجه الآخر : أنَّ (بل) لا تأتي في الواجب في كلام واحد إلّا للإضراب بعد غلط أو نسيان ؛ وهذا منفي من الله عز وجل)) [٤]

وقال الزجاج في تفسير الآية نفسها : ((وقال قوم : معناه معنى الواو ، و(أو) لا تكون بمعنى الواو ؛ لأنَّ الواو معناها الاجتماع ، وليس فيها دليل على أنَّ أحد الشيئين قبل الآخر ، و(أو) معناها إفراد شيئين أو أشياء)) [٥]

وقال النحاس : ((وقول الفراء أنَّها بمعنى (بل) وقول غيره أنَّها بمعنى الواو ، وأنَّه لا يصح هذان القولان ؛ لأنَّ (بل) ليس هذا من مواضعها ؛ لأنَّها للإضراب من الأول ، والإيجاب لما بعده ، وتعالى الله جل وعز عن

---

(١) تأويل مشكل القرآن ص ٢٩٠–٢٩١ ، وينظر : تفسير غريب القرآن لـه ص ٣٧٥ .

(٢) ينظر : الصاحبي في فقه اللغة ص ٨٨–٩٠ .

(٣) معاني القرآن ص٢٧٣ .

(٤) المقتضب تحقيق هرون ٣/٣٠٤–٣٠٥ ، وتحقيق بديع المجلد الثاني ص ٢٥١.

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٤/٢٣٦ .

ذلك ، أو الخروج من شيء إلى شيء ، وليس هذا موضع ذلك ، والواو معناها خلاف معنى (أو) فلو كانت إحداهما بمعنى الأخرى لبطلت المعاني ، ولو جاز ذلك لكان : وأرسلناه إلى أكثر من مئة ألف ، أخصر ، وفي الآية قولان سوى هذين ، أحدهما أنَّ المعنى : وأرسلناه إلى جماعة ، لو رأيتموهم لقلتم : هم مئة ألف أو أكثر ، وإنَّما خوطب العباد على ما يعرفون ، والقول الآخر ، كما تقول : جاءني زيدٌ أو عمروٌ ، وأنت تعرف من جاءك منهما ، إلّا أنَّك أبهمتَ على المخاطَب)) [1] وقال الزمخشري : (((أو يزيدون) في مرأى الناظر ، أي : إذا رآها الرائي ، قال : هي مئة ألف أو أكثر ، والغرض الوصف بالكثرة)) [2]

وفي ذلك قال الأنباري : ((وذهب الكوفيون إلى أنَّ (أو) تكون بمعنى الواو وبمعنى (بل) وذهب البصريون إلى أنَّها لا تكون بمعنى الواو ولا بمعنى (بل) أمَّا الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : إنَّما قلنا ذلك ؛ لأنَّه قد جاء ذلك كثير في كتاب الله تعالى وكلام العرب ، قال الله تعالى : (وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ) فقيل في التفسير : إنَّها بمعنى (بل) أي : بل يزيدون ، وقيل : إنَّها بمعنى الواو ، أي : ويزيدون ... وقال تعالى : (فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا){الدهر : ٢٤} أي : وكفورًا ، وأمَّا البصريون فاحتجوا بأن قالوا : الأصل في (أو) أن تكون لأحد الشيئين على الإبهام بخلاف الواو و(بل) ؛ لأنَّ الواو معناها الجمع بين شيئين و(بل) معناها الإضراب ، وكلاهما مخالف لمعنى (أو) والأصل في كل حرف أن لا يدلّ إلّا على ما وضع له ، ولا يدلّ على معنى حرف آخر ؛ فنحن تمسّكنا بالأصل ؛ ومن تمسّك بالأصل استغنى عن إقامة الدليل ؛ ومن عدل عن

---

(١) إعراب القرآن ص ٨٥٣ .

(٢) الكشاف ٦٠/٤ .

الأصل بقي مرتَهَنًا بإقامة الدليل ، ولا دليل لهم يدل على صحة ما ادعوه ، وأمَّا الجواب عن كلمات الكوفيين ، أمَّا احتجاجهم بقوله تعالى : (وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ) فلا حجة لهم فيه ، وذلك من وجهين ، أحدهما : أن تكون للتخيير ، والمعنى : أنَّهم إذا رآهم الرائي تحيَّر في أن يقدّرهم : مئة ألف ، أو يزيدون على ذلك ، والوجه الثاني : أن تكون بمعنى الشك ، والمعنى : أنَّ الرائي إذا رآهم شكَّ في عدتهم لكثرتهم ، أي : أنَّ حالهم حال من يشك في عدتهم لكثرتهم ، فالشك يرجع إلى الرائي ، لا إلى الحق تعالى ، كما قال الله تعالى : (فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ){البقرة : ١٧٥} بصيغة التعجب ، والتعجب يرجع إلى المخاطبين لا إلى الله تعالى ، أي : حالهم حال من يُتَعَجَّب منه ؛ لأنَّ حقيقة التعجب في حقّ الله لا تتحقق))[١]

٨-بمعنى (إلّا) : كقوله تعالى : (لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذَّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ) وقوله تعالى : (لاَّ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاء مَا لَمْ تَمَسُّوهُنُّ أَوْ تَفْرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةً)

قلت في بحث لي تحت عنوان : نواصب الفعل المضارع ((يتضح مما تقدم أنَّ (أو) لا ينصب بعدها الفعل المضارع إلّا إذا كانت بمعنى (حتى) أو (إلّا أن)))[٢] وقد قلتُ بهذا هناك لأوكد أنَّ (أو) وغيرها لا تنصب المضارع بلفظها ، ولا بإضمار (أن) بعدها ، وإنَّما تنصبه بالمعنى الذي تحمله ، وأنَّ أقرب المعاني الناصبة إليها هذان المعنيان ، ومع ذلك فقد بينتُ هناك أنَّ (أو) الناصبة للفعل المضارع قد جاءت على بابها وفيما يأتي بعض ما قلته : ((ومن مواضع ورودها في القران الكريم قوله تعالى: (لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ {١٢٧} لَيْسَ لَكَ مِنَ

---

(١) الإنصاف في مسائل الخلاف ٢/١٦-٢٠ مسألة ٦٧ .

(٢) دراسات في النحو القرآني ص ٦٢ .

الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذَّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ){ آل عمران : ١٢٧– ١٢٨}، وفي نصب المضارع في (أو يتوبَ) وجهان : إنْ شئت جعلته معطوفًا على قوله تعالى: (لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْ يَكْبِتَهُمْ) ، وإنْ شئت جعلت نصبه على مذهب (حتى) بمعنى: حتى يتوب عليهم أو بمعنى: إلّا أنْ يتوبَ عليهم[1].

وقول الله تعالى: (لاَّ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاء مَا لَمْ تَمَسُّوهُنُّ أَوْ تَفْرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةً) [البقرة: ٢٣٦]. قال أبو حيان: (((أو) على بابها من كونها تأتي لأحد الشيئين أو الأشياء ، والفعل بعدها معطوف على (تمسوهن) ، فهو مجزوم ، أو معطوف على مصدر متوهم ، فهو منصوب على إضمار (أنْ) بعد (أو) بمعنى (إلّا) والتقدير: ما لم تمسوهن إلّا أن تفرضوا لهن فريضة، أو معطوف على جملة محذوفة والتقدير: أفرضتم أو لم تفرضوا))[2].

وقول الله تعالى: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا) [إبراهيم: ١٣] قال الفرّاء: ((فيكون معناه معنى (حتى) ، أو (إلّا) إلّا أنّها جاءت بحرف نسق))[3] وقال أبو حيان: ((و(أو) لأحد الأمرين : أقسموا على أنّه لا بد من إخراجهم ، أو عودهم في ملّتهم ، كأنهم قالوا: ليكونَنَّ أحد هذين))[4]))[5]

([1]) ينظر: معاني القرآن للفراء ١٦٥/١ ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣٦٣/١ ، والبيان في غريب إعراب القران ١/ ٢٢١، والدر المصون ٣/ ٣٩١– ٣٩٢.

([2]) ينظر: شرح الرضي على الكافية ٤/ ٥٤ والبحر المحيط ٢/ ٣٦٩، والدر المصون ٢/ ٤٨٧.

([3]) معاني القرآن للفراء، ٢/ ٥.

([4]) البحر المحيط ٥/ ٢٥٦، وينظر: الدر المصون ٧/ ٥٦

([5]) دراسات في النحو القرآني ص ٥٩–٦٢ .

فـ(أو) عنـد التحقيـق لـم يتـأتَّ لهـا نصـب المضـارع إلّا لاسـتعمالها عاطفة لأحد الشيئين

٩– التبعـيض أو التفصـيل أو التقسـيم كقولـه تعـالى : (وَقَـالُواْ كُونُـواْ هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُواْ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)

ومـن الواضـح أنَّ هـذه المعـاني الثلاثـة والمعـاني السـابقة التـي قيلـت فيها ، كالشك والتخيير والإباحة والتقريب والتفصيل بعد الإجمال والإضراب ومطلـق الجمـع والاستثناء والتبعيض والشرط ، هـي جميعهـا متأتيـة مـن أنَّهـا تستعمل لأحد الشيئين أو الأشياء ، وهذا ما صـرَّح بـه النحـاة أنفسـهم ، قـال ابن يعيش : ((قد تقدم القول : إنَّ الباب في (أو) أن تكون لأحد الشيئين أو الأشياء فـي الخبـر وغيـره)) [1] وقـال الرضـي : ((وينبغـي أن نعـرف أنَّ جـواز الجمع بين الأمرين في نحو : تعلَّم الفقه أو النحو ، لم يُفهم من من (إمَّا) أو (أو) بل ليستا إلّا لأحد الشيئين في كل موضـع ، وإنَّما استفيدت الإباحـة ممـا قبـل العاطفـة ومـا بعدها ؛ لأنَّ تعلـم العلـم خيـر ، وزيـادة الخيـر خيـر ، فدلالـة (أو) و(إمَّـا) فـي الأباحـة ، والتخييـر ، والشـك ، والإبهـام ، والتفصـيل علـى معنـى أحد الشيئين أو الأشياء على السواء ، وهذه المعاني تُعرض في الكـلام لا مـن قبـل (أو) و(إمَّـا) ، بـل مـن قبـل أشياء أُخَـر ، فالشـك مـن قبـل جهل المتكلم وعدم قصده إلـى التفصـيل ، أو الإبهام ، والتفصـيل مـن حيـث قصـده إلـى ذلـك ، والإباحـة مـن حيـث كـون الجمـع يحصـل بـه فضـيلة ، والتخيير مـن حيـث لا يحصـل بـه ذلـك))[2] وقـال ابـن هشـام : ((التحقيـق أنَّ (أو) موضـوعة لأحـد الشـيئين أو الأشـياء وهـو الـذي يقولـه المتقـدمون ، وقـد

([1]) شرح المفصل ١٩/٥ .

([2]) شرح كافية ابن الحاجب للرضي ٤٢٣/٤ .

تخرج إلى معنى (بل) وإلى معنى الواو ، وأمَّا بقية المعاني فمستفادة من غيرها)) [1]

فهذه المعاني وغيرها فليست معاني أو ، بل هي معاني السياق ، أو هي مستفادة من القرائن كما قالوا والأحرف المعبرة عن هذه المعاني كـ(بل) والواو ، و(إلّا) و(حتى) هي مما تقاربت في تراكيب مع أو في الفائدة ، فيظن الضعيف العلم باللغة أنَّهما بمعناها ، وهي ليست بمعناها بدلالة عدم حصول هذه الفائدة في تراكيب أخرى .

١٣-**الباء** : ذكر النحاة أنَّ المعنى الأصلي للباء هو الإلصاق ، وزعموا أنَّها تأتي لمعان أُخَر غير معنى الإلصاق وهي : السببية أو التعليل ، والزيادة للتوكيد ، والتبعيض بمعنى (من) ، والمجاوزة بمعنى (عن) ، والظرفية بمعنى (في) ، والتعدية ، والمصاحبة بمعنى (مع) والتعجب ، والمقابلة والعوض ، والاستعلاء بمعنى (على) ، والغاية بمعنى (إلى) ، والاستعانة ، وبمعنى اللام ، وبمعنى (مِن) [2]وفيما يأتي دراسة لشواهد هذا المعاني المختلقة .

١-جعل الباء بمعنى السببية أو التعليل : كقوله تعالى : (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ){البقرة : ٥٤} وقوله تعالى : (كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ){آل عمران : ١١}

([1]) مغني اللبيب ٦٧/١ وينظر الإتقان ص ٢٣٩ والكليات للكفوي ص ١٦٨-١٧١.

([2]) ينظر : الصاحبي في فقه اللغة ص ٦٦-٧٠ والأزهية ص ٢٩٤ ورصف المباني ص ٢٢٠-٢٢٨ والجنى الداني ص ٣٦-٥٦ ومغني اللبيب ١٠١/١-١١١والبرهان ٨٣٣-٨٣٦ والإتقان ص ٢٤٢-٢٤٣ وهمع الهوامع ٤١٦/٢-٤٢٣ والزيادة والإحسان ٧٣/٨-٧٦

قيل في الشاهد الثاني : ((والباء في (بِذُنُوبِهِمْ) يجوز أن تكون للسببية ، أي : أخذهم بسبب ما اجترموا ، وأن تكون للحال ، أي : أخذهم ملتبسين بالذنوب غير تائبين)) [١]

ولا معنى للقول بجواز مجيئها لمعنى السببية أو الحالية أو المصاحبة ، وغيرها من المعاني التي قيلت فيها ؛ لأنَّها واحدة من حيث إنَّها جميعها لا تمثل المعنى الحقيقي للباء ، بل هي من لوازم أصل معناها، وأنت ترى أنَّ جميع المعاني التي ذكرت للباء متأتية من إفادتها لمعنى الإلصاق الذي يُعدُّ أقرب المعاني إليها .

وقد ذكر الدكتور فاضل السامرائي أنَّ التعليل يُؤدَّى باللام ، و(في) و(مِن) والباء ، كقوله تعالى : (وَلَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ){البقرة : ١٠} وقوله تعالى : (بَل لَّعَنَهُمُ اللَّه بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً مَّا يُؤْمِنُونَ){البقرة : ٨٨} والحقيقة أنَّ الباء للإلصاق ، أمَّا إفادتها للتعليل فهو متأتٍّ من جهتين : من الإلصاق الذي يمثل أصل معناها ، والسياق ، والدكتور الفاضل يؤكد ذلك عندما يقول : ((إنَّ التعليل بالباء إنَّما هو بمقابل شيء حصل ، تقول عاقبته بذنبه ، فالعقاب مقابل الذنب الذي اقترفه صاحبه ، وهو كأنَّه عوض عنه أو ثمن له جرى عليه بسببه قال تعالى : (بَل لَّعَنَهُمُ اللَّه بِكُفْرِهِمْ) فاللعنة مقابل الكفر ، وقال تعالى : (وَلَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ) فالعذاب مقابل كذبهم))[٢]

وهذه المقابلة التي ذكرها تعني الإلصاق ، والإلصاق يقتضي تعلق شيء بشيء وارتباطه به ، وهو إلصاق اللعنة بكفرهم ، وإلصاق العذاب بكذبهم ، فالتعليل من لوازم معنى الإلصاق حتى أمكن اختلاق معنى التعليل

---

(١) الدر المصون ٤٠/٣.

(٢) معاني النحو ٧٦/٣-٧٧ .

للباء في كل معانيها ، فقد أجمعوا مثلًا على القول بزيادة الباء في قوله تعالى : ((وَكَفَى بِاللّهِ شَهِيدًا){النساء : ٧٩} ومن الواضح أنَّ الباء أفادت إلصاق فعل الكفاية بالله ، أي : تعلقها به سبحانه ، أي : المراد أنَّ الكفاية لا تحصل إلّا به ، فيكون الله عز وجل سببًا لتحقق معناها .

٢-الزيادة للتوكيد : كل باء قيل بأنَّها زائدة للتوكيد إنَّما هي مستعملة في الحقيقة لمعنى الإلصاق وليس للتوكيد ، ومن مواضع الباء الزائدة التي ذكروها دخولها على الفاعل كقوله تعالى : (وَكَفَى بِاللّهِ شَهِيدًا){النساء : ٧٩} ومن المعلوم أنَّ النحاة قالوا بهذه الزيادة ؛ لأنَّ الفاعل عندهم لا يكون إلّا مرفوعًا فإذا جاء مجرورًا بحرف الجر عدّوا هذا الحرف زائدًا كالشاهد المذكور ، فالباء هنا في الحقيقة زائدة من الناحية النحوية وليست زائدة من الناحية المعنوية ، قال الراغب : ((وقوله تعالى : (وَكَفَى بِاللّهِ شَهِيدًا) فقيل : كفى الله شهيدًا نحو قوله تعالى : (وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ){الأحزاب : ٢٥} الباء زائدة ، ولو كان ذلك كما قيل لصحَّ أن يقال : كفى بالله المؤمنين القتال ، وذلك غير سائغ ، وإنَّما يجيء ذلك حيث يُذكر بعده منصوب في موضع الحال كما تقدم ذكره ... ومعناه : اكتف بالله شهيدًا ، وعلى هذا قوله تعالى : (وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا){الفرقان : ٣١} وقوله تعالى : (وَكَفَى بِاللّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللّهِ نَصِيرًا){النساء : ٤٥} وقوله تعالى : (أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ){فصلت : ٥٣}))[1] وهذا ما بينَّه الزركشي على الرغم من أنَّه أدخلها في باب الحروف الزائدة فقال : ((وقد تأتي زائدة ... نحو قوله تعالى : (وَكَفَى بِاللّهِ شَهِيدًا)فـ(الله) ... والباء زائدة ، دخلت لتأكيد الاتصال ، أي : لتأكيد شدة ارتباط الفعل بالفاعل ؛ لأنَّ الفعل يطلب فاعله لا بد منه ، والباء توصل الأول إلى الثاني ، فكأنَّ الفعل

(١) المفردات في غريب القرآن ص ٧٦.

يصل إلى الفاعل ، وزادته الباء اتصالًا ، قال ابن الشجري : فعلوا ذلك بأنَّ الكفاية من الله ليست كالكفاية من غيره في عظم المنزلة فضوعف لفظها ليضاعف معناها ، وقيل : دخلت الباء لتدل على المعنى ؛ لأنَّ المعنى : اكتفوا بالله))[1] فإذا كانت الباء قد أدَّت كل هذا المعنى فكيف يصح عدها زائدة ؟!

وقالوا بزيادة الباء في خبر (ما) و(ليس) كقوله تعالى : (وَمَا رَبُّكَ بِظَلَامٍ لِّلْعَبِيدِ){فصلت : ٤٦} فقد استعمل الباء لنفى الإلصاق بالظلم ، ولو حذف الباء ، وقيل : وما ربك ظلامًا للعبيد ، لحذف معها معنى نفي الإلصاق بالظلم ، وحلّ محلّه معنى استيعاب النفي للظلم واشتماله عليه ، وتتضح هذه القضية في الباء التي عدّوها زائدة للتوكيد في قوله تعالى : (أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ) فقد استعمل الباء في هذه الآية لمعنى الإلصاق ؛ لتدلّ بهذا المعنى على قرب كفايته من عبده واتصالها به ، ولو حذف الباء وقيل : أليس الله كافيًا عبده ، لغابت هذه الدلالة ، ودلّت الآية على أنَّ الاستفهام الإنكاري قد استوعب كفاية الله لعبده واشتمل عليها ، فكأنَّ الآية باستعمال الباء تُعد خطابًا لمن ظنَّ أنَّ كفاية الله بعيدة عن عبده لبعد ذاته عنا ؛ فاستعملت الباء لتدل على قربها منه ، وكأنَّ الآية بحذف الباء تُعدُّ موجهة لمن ظن أنَّ كفاية الله محدودة وضيقة ، والإنسان غالبًا ما يظنُّ ببعد الله عنه ؛ لذلك كان الغالب في خبر (ما) و(ليس) ارتباطها بالباء .

وكذلك حال الباء التي قالوا بزيادتها في خبر (أنَّ) في قوله تعالى : (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ){الأحقاف : ٣٣} فاستعمل الباء ليعنى قرب الله من قدرته على إحياء الموتى ، فكأنَّ الآية موجهة لمن

([1]) البرهان ص ٨٣٣.

ظنّ ببعدها ، ولو حذفت لدلت الآية على شمول هذه القدرة ووسع دائرتها وتكون حينئذ موجهة لمن ظن أنَّها محدودة .

وقالوا بزيادة الباء في قوله تعالى : (وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ) قال الحلبي : ((في هذه الباء ثلاثة أوجه : أنَّها زائدة في المفعول به ؛ لأنَّ (ألقى) يتعدى بنفسه ... الثاني : أنَّها متعلقة بالفعل غير زائدة ، والمفعول محذوف ، تقديره : ولا تلقوا أنفسكم بأيديكم ، ويكون معناها السبب ... الثالث : أن يضمَّن (ألقى) معنى ما يتعدى بالباء فيُعدَّى تعديته ، فيكون المفعول به في الحقيقة هو المجرور بالباء ، تقديره : ولا تفضوا بأيديكم إلى التهلكة ... ويكون قد عبَّر بالأيدي عن الأنفس ؛ لأنَّ بها البطش والحركة))[1]((والصحيح أنَّ معناه : لا تلقوا أنفسكم بأيديكم إلى التهلكة ، إلّا أنَّه حذف المفعول استغناء عنه ، وقصدًا إلى العموم ؛ فإنَّه لا يجوز إلقاء أنفسهم ولا غيرهم إلى التهلكة)) [2]

وقالوا بزيادتها في المفعول به كما قالوا في قوله تعالى : (وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاء تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ) والتقدير عندهم : تنبت الدهنَ ، وهذا القول مردود لأنَّ مفعول تَنبتُ في الحقيقة ليس (الدهن) والمعنى تنبت النباتَ أو ثمرها وفيه الدهن ، وهو زيت الزيتون ، قال الزجاج : ((تنبت وفيها دهن ومعها دهن ، كما تقول : جاءني زيد بالسيف ، تريد : جاءني ومعه السيف)) [3]واستنادًا إلى هذا المعنى ردَّ الراغب القول بالزيادة فقال : ((قيل معناه : تنبت الدهنَ ، وليس ذلك بالمقصود ، بل المقصود أنَّها تنبت النباتَ ومعه الدهن ، أي : والدهن فيه موجود بالقوة))[4]

([1]) الدر المصون ٣١٠/١-٣١١ وينظر : التبيان ١٣٠/١.

([2]) المفردات في غريب القرآن ص ٧٦.

([3]) معاني القرآن وإعرابه ١٠/٤ .

([4]) المفردات في غريب القرآن ص ٧٥-٧٦ .

وقال الشوكاني : ((وقرأ الجمهور (تَنبُتُ بِالدُّهْنِ) بفتح التاء الأولى وضم الباء ، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بضم التاء وكسر الباء ، والمعنى على القراءة الأولى : أنَّها تنبت في نفسها ملتبسة بالدهن ، وعلى القراءة الثانية : الباء بمعنى (مع) فهي للمصاحبة))[1] والالتباس بالشي والمصاحبة من لوازم معنى الإلصاق .

وقال الزركشي في هذا الشاهد وشواهد الباء الزائدة بعامة : ((والجمهور على أنَّها لا تجيء زائدة ، وأنَّه إنَّما يجوز الحكم بزيادتها إذا تأدَّى المعنى المقصود بوجودها وحالة عدم وجودها على السواء ... ومعنى (وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ) اجعلوا المسح ملاصقًا بروؤسكم ... أشار إلى مباشرة العضو بالمسح ... وهذا كما تتعين المباشرة في قولك : أمسكت به ، وتحتملها في : أمسكته))[2] وكذلك قوله تعالى : (وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ) فقد تعيَّن باستعمال الباء معنى المباشرة والإلصاق ، ولا يتعيَّن فيها هذا المعنى عند حذفها وجعل الفعل (ألقى) يتعدى إلى الأيدي بنفسه ، وهذه هي وظيفة الباء في باقي الشواهد وفي كل مواضع ورودها في القرآن الكريم .

وكذلك قالوا بزيادتها في قوله تعالى : (وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا) و((كل خشبة في أصل شجرة فهي جذع ، ومعنى (إليك) : إلى جهتك))[3] فيكون المعنى : ((خذي إليك بجذع النخلة))[4] واستعمل الباء لأنَّه قال (إليك) فناسب أن يكون المراد احتضان الجذع بيديها لجذبه إليها ، فاستعمال الباء يفيد مباشرة الفعل للمفعول ، فيكون المعنى

([1]) فتح القدير ٣/٥٩٣-٥٩٤.

(٢) البرهان ص ٨٣٣.

([3]) فتح القدير ٣/٤٠٦.

([4]) تفسير القرآن العظيم ٤/١٦٨ .

باستعمالها ، أنَّ هزّها الجذع كان بمباشرة منها ، ولو قيل : هزي الجذع من دون الباء لأفاد هزّ الجذع بوجه ما من غير مباشرة ، فلو لم يستعمل الباء لما تعيَّن أن يكون المراد هذا المعنى ، وقد أريد تعيينه لجعله كرامة لمريم عليها السلام تحققت بمسكها الجذع بيدها

وقالوا بزيادتها في قوله تعالى : (فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاء ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ){الحج : ١٥} والباء هنا للإلصاق ؛ لأنَّ الصعود إلى السماء لا يكون إلاَ بمسك السبب الذي هو الحبل ، وقالوا بزيادتها في قوله تعالى : (وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ){الحج : ٢٥} قال ابن يعيش : ((واللازم لمعناها الإلصاق ، وهو تعليق الشيء بالشيء فمن ذلك قوله تعالى : (وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ) فالمعنى : من يرد أمرًا من الأمور بإلحاد ، أي : بميل عنه ، ثم قال : (بِظُلْمٍ) فبيَّن أنّ ذلك الإلحاد الذي قد يكون بظلم وغير ظلم إذا وقع ، هذا حكمه ، فالباء الأولى على تقدير : عمل الشيء بالشيء ، والثانية على تقدير : تخصيص الشيء بالشيء)) [1] فالباء للإلصاق ، وجاء في الدر المصون : ((قوله : (وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ) فيه أربعة أوجه : أحدها : أنَّ مفعول (يُرِدْ) محذوف وقوله : (بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ) حالان مترادفتان ، والتقدير : ومن يرد فيه مرادًا ما عادلًا عن القصد ظالمًا ، نذقه من عذاب أليم ، وإنَّما حُذف ليتناول كل متناول ، والثاني : أنَّ المفعول أيضًا محذوف تقديره : ومن يرد فيه تعدِّيًا ، و(بِإِلْحَادٍ) حال ، أي : ملتبسًا بإلحاد و(بِظُلْمٍ) بدل بإعادة الجار ، الثالث : أن يكون (بِظُلْمٍ) متعلقًا بـ(يُرِدْ) والباء للسببية ، أي : بسبب الظلم و(بِإِلْحَادٍ) مفعول به ، والباء مزيدة فيه ... ويؤيده قراءة الحسن : ومن يرد إلحاده بظلم

---

(1) شرح المفصل ٤/٤٧٤.

الرابع : أن يُضمَّن (يُرِدْ) معنى يتلبَّس ؛ فلذلك تعدَّى بالباء ، أي : ومن يتلبَّس بإلحاد مريدًا له)) [١]

ولا حاجة للتضمين المذكور كما جاء في الوجه الرابع ؛ لأنَّ معناه يتحقق بالإلصاق الذي تفيده الباء ، ففي الإلصاق معنى الملابسة ، والزيادة كما جاء في الوجه الثالث يراد منها التوكيد ، والتوكيد يتحقق معناه أيضًا بمعنى الإلصاق ، أمَّا قراءة الحسن فهي شاذة ، ومن جهة أخرى فإنَّ الآية لم تقرَأ قراءة ثانية إلّا لإرادة معنى ثان ، والغرض من ذلك الجمع بين معنيي القراءتين ، وهذا هو إحدى الحِكَم من تعدد القراءات[٢] والصحيح الوجه الأول أو الثاني والباء للإلصاق .

وقال ابن يعيش : ((ومن ذلك قوله تعالى : (أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى){العلق : ١٤} الباء زائدة ، لقوله تعالى : (وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ){النور : ٢٥} من غير باء)) [٣] وقد فرَّق الخطيب الإسكافي بين استعمال الباء في قوله تعالى (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ){القلم : ٧} وعدم استعمالها في قوله تعالى : (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ){الأنعام: ١١٧} بقوله : (((إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ) معناه : الله يعلم أيَّ المأمورين يضل عن سبيله ، زيد أم عمرو ... وأمَّا قوله تعالى : (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ) فمعناه : الله أعلم بأحوال من ضل ، كيف كان ابتداء

---

(١) الدرّ المصون ٢٥٩/٨-٢٦٠

(٢) ينظر : كتابي : دروس إسلامية ، الدرس الثاني الذي عنوانه : نزول القرآن على سبعة أحرف .

(٣) شرح المفصل لابن يعيش ٤٧٩/٤ وينظر : معاني النحو ٢٧/٣ .

ضلاله ، وما يكون من مآله ، أيصرّ على باطله ، ويرجع عنه إلى حقه))[1]
وقال الدكتور فاضل السامرائي : ((والصواب أنَّ هناك فرقًا بين قولك : علمته ، وعلمت به ، فقولك : علمته ، معنى : علمت الأمر نفسه ، أمَّا علمت به ، فالمعنى : علمتُ بحاله ، فقوله تعالى : (أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى) لا يطابق : ألم يعلم أنَّ الله يرى ، فمعنى الثانية : ألم يعلم رؤية الله ، ومعنى الأولى : ألم يعلم بهذا الأمر ؟ ألم يُخبر به ؟ ألم يسمع بهذا الأمر سماع علم ، ونحو ذلك ... وكذلك قولك : سمعته ، أو سمعت به ، فقولك : سمعتُ خالدًا ، يتعلق بالمسموع من صوته وحركته ، وأمَّا سمعتُ به ، فمعناه : أنَّك سمعت بحاله من تقدم وتأخر ، أو كسب أو خسارة ، أو هدى وضلال ، وما إلى ذلك)) [2]

وقد تبيَّن لي من دراسة (ما) في كتابي : (ما) في القرآن الكريم/دراسة نحوية ، أنَّ خبر (ما) النافية العاملة الداخلة على الجملة الاسمية غالبًا ما يقترن بالباء الزائدة للتوكيد ، بل لم يرد غير مقترن بها إلّا في موضعين هما : قوله تعالى : (وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ {٣٠} فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ){٣٠-٣١} وقوله تعالى : (الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلّا اللائِي وَلَدْنَهُمْ){المجادلة : ٢} ثم أضفت إليهما فيما بعد موضعًا ثالثًا هو قوله تعالى : (فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ){القلم : ٤٧}

([1]) درة التنزيل وغرة التأويل ص ١٢٨-١٢٩ وينظر : معاني النحو للدكتور فاضل السامرائي ٣/٢٨ .
([2]) معاني النحو للدكتور ٣/٢٨-٢٩ .

وقد قلتُ بالباء الزائدة في خبر (ما) النافية في كتابي المذكور اتباعًا لما أجمع عليه النحاة ، وأنا هنا أرجعُ عما قلته هناك بأنَّ الباء لم تستعمل للتوكيد ، فربط خبر (ما) النافية بالباء لم يكن لتوكيد النفي ، بل للإلصاق ، وبين استعمالها وعدم استعمالها فرق واضح ، فقوله تعالى : (مَا هَذَا بَشَرًا) يفيد استيعاب النفي لبشرية يوسف عليه السلام ، واشتماله عليه ، أي : نفي بشريته بالكلية ، بمعنى إخراجه من جنس البشر من لدن النسوة اللائي رأينه ، وأنَّه ليس له من البشر مثيل[1] لذلك عبروا عن هذا المعنى بأنَّ قصروه على أنَّه ملَك بـ(إن) النافية وأداة الحصر (إلّا) فقلنَ : (إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ) ولو استعمل الباء وقيل : ما هذا ببشر ، لانتفت الدلالة المذكورة وأفادت فقط إلصاق النفي ببشريته من دون أن تنقي بشريته بالكامل ؛ لأنَّ الإلصاق لا يتحقق معناه إلّا بوجود الملصق به فيكون المعنى : أنَّه بشر لكنَّه لا يشبه البشر في جماله وحسنه ؛ لذلك لو استعمل الباء وقال : ما هذا ببشر ، لما ناسب أن يعقبه بقوله : (إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ) لأنَّه باستعمال الباء لم يخرج من جنس البشر ليدخل في جنس الملائكة ، وإنَّما خرج من بعض صفاته ، وأنت ترى أنَّ معنى عدم استعمال الباء هو الملائم للسياق ، الموافق لشدة إعجابهنَّ بجمالهنَّ حتى كبَّرْنَ أي : صِحْنَ : الله أكبر ورُحْنَ يُقَطِّعْنَ أيديهنَّ ولم يشعرن بالألم لاشتغالهنَّ وانبهارهنَّ بجماله حين رأينه ، ونقول بإيجاز أنَّه لو استعمل الباء لأفاد نفي التشبيه ، وجاءت الآية بعدم استعمالها لأنَّه أراد نفي المَثَلِيَّة .

وكذلك قوله تعالى : (مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ) فلو استعمل الباء وقيل : ما هنَّ بأمهاتهم ، لأفاد نفي التشبيه ، والمراد نفي المثلية ، لذلك لم يستعمل الباء وقال : (مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ) والدليل على ذلك أيضًا حصر أمهاتهم باللائي

([1]) قال العسكري : ((إنَّ الشيء يُشبَّه بالشيء من وجه واحد لا يكون مثله في الحقيقة إلّا إذا أشبهه من جميع الوجوه لذاته)) الفروق اللغوية ص ١٧٦ .

ولدهنَّ باستعمال أداتي (إن) النافية و(إلّا) في قوله تعالى : (إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللائِي وَلَدْنَهُمْ)

وقد بيَّنت مثل هذا الفرق بين استعمال الباء وعدم استعمالها في لفظ الكفر في كتابي السابق : لا وجوه ولا نظائر ، برقم ٢ أي : الفرق بين استعمال الباء مثلًا في قوله تعالى : (أُوْلَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ){الرعد : ٥} وعدم استعمالها في قوله تعالى : (أَلا إِنَّ عَادًا كَفَرُواْ رَبَّهُمْ أَلاَ بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ){هود : ٦٠} وفيما يأتي نص ما ذكرته هناك : ((والأصل في الفعل (كفر) أنَّه يتعدى إلى مفعول واحد كقول الشاعر الذي تقدم ذكره :

يعلو طريقة متنها متواترًا   في ليلة كفرَ النجومَ غمامُها

والفاعل هنا الغمام ، أي : كفر الغمامُ النجومَ ، وجاز إسناد الفعل إلى الله ، وأن نقول : كفرَ اللهُ النجومَ بالغمام ، وقد قلَّ وروده متعديًا إلى مفعوله بنفسه في القرآن الكريم ... وجاء كثيرًا متعديًا إلى مفعوله بالباء كقوله تعالى : (بِئْسَمَا اشْتَرَوْاْ بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُواْ بِمَا أنَزَلَ اللّهُ){لبقرة : ٩٠} وقوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَاتِ اللّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ){آل عمران : ٤} وقوله تعالى : (وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللّهِ وَبِرَسُولِهِ){التوبة : ٥٤} وقوله تعالى : (ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِم يَعْدِلُونَ){الأنعام : ١} وقوله تعالى : (أُوْلَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ){الرعد : ٥} وقوله تعالى : (مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ){إبراهيم : ١٨} وكما أفاد الكفر معنى الستر والتغطية في نحو قولنا : كفر الفلاحُ الحبَّ بالتراب ، فكذلك قوله تعالى : (أُوْلَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ) إذ المعنى : كفروا بربهم بجحودهم إيّاه ، أي : غطوا وستروا حقه بهذا الجحود ... وما قلتُه هناك أقوله هنا ، فاستعمال الباء في قوله تعالى : (ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِم يَعْدِلُونَ) يفيد مجرد إلصاق الكفر بالرب تبارك وتعالى ، ومعنى الإلصاق كما قلت لا يتحقق معناه إلّا بوجود الملصق به ، وهذا يعني أنَّ الكفر باستعمال الباء لا

يشمل الكفر بالله بالكلّية ، بل ببعض صفاته كالتوحيد ، وهكذا كان حال كثير من الأمم ، فقد كانوا يؤمنون بوجود الله وبأنَّه خالقهم ورازقهم ، لكنهم كانوا يشركون بالله في هذا الخلق والرزق ، وعند حذف الباء ينتصب الرب تبارك وتعالى على معنى المفعولية ، ويفيد عندئذٍ أنَّ كفر الكافرين اشتمل عليه واستوعبه ، فيكون النصب أشد وأوسع كفرًا من الجر ؛ لذلك استحق أصحابه أن يكون عقابهم عند الله أشد وأوسع ، وهذا ما حصل ، فقد كان عقاب من كفروا ربَّهم ، هو استئصالهم من الوجود ، وهو العقاب الذي حل بعاد وثمود ، قال الله تعالى : (أَلا إِنَّ عَادًا كَفَرُواْ رَبَّهُمْ أَلاَ بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ){هود : ٦٠} وقال تعالى : (أَلاَ إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُواْ رَبَّهُمْ أَلاَ بُعْدًا لِّثَمُودَ){هود : ٦٨} والجدير بالذكر أنَّ الفعل (كفر) لم يتعدَّ بنفسه إلى الرب تبارك وتعالى إلّا في هذين الموضعين ، وفي حق هذين القومين ، ولو أنَّهم كفروا بربهم لعوقبوا مثل ما عوقب غيرهم ، لكنهم لمَّا كفروا ربهم محاهم عقاب الله ومحا نسلهم حتى سُموا العرب البائدة))

والجدير بالذكر أنَّ النحاة ربطوا بين زيادة الباء والتوكيد ، والتوكيد لو صح فهو متأت من معنى الإلصاق الذي أفادته الباء .

وما تقدم ذكره يُعدُّ ردًّا على ما أجمع عليه النحاة ، وهو القول بالنصب على نزع الخافض ، ودليلًا على بطلانه ؛ لأنَّ النصب على نزع الخافض مبنيٌّ أولًا وآخرًا على أنَّ المنصوب والمجرور بمعنى واحد .

٣-جعل الباء تبعيضية بمعنى (مِن) : كقوله تعالى : (عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا){الإنسان : ٦} ذكر النحاة كما تقدم أنَّ الباء في هذه الآية بمعنى (مِن) والتقدير : يشرب منها [1]

---

(١) ينظر : الأزهية في علم الحروف ص ٢٩٤ ومغني اللبيب ١/١٠٥

لا يصح أن تكون الباء بمعنى (مِن) لأنَّه ليس المراد التعامل مع العين مباشرة ، فلم يرد في التفسير أنَّ كل أهل الجنة يلتقون ويجتمعون عند هذه العين ليشربوا منها ؛ ففي تفسير قوله تعالى : (يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا){الإنسان : ٦} قال الفرّاء : ((حيث ما أحب الرجل من أهل الجنة فجَّرها لنفسه)) [١] وقال الطبري : ((قوله : (يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا) يقول ، تعالى ذكره : يفجرون تلك العين التي يشربون بها كيف شاؤوا ، وحيث شاؤوا من منازلهم وقصورهم تفجيرًا ، ويعني بالتفجير : الإسالة ، والإجراء ... يعدلونها حيث شاؤوا ... ويصرفونها حيث شاؤوا)) [٢] وقال أبو حيان : ((يفجرونها : يثقبونها بعود قصب ونحوه حيث شاؤوا ، فهي تجري عند كل واحد منهم ، هكذا ورد في الأثر ، وقيل : هي عين في دار رسول الله ، صلَّى الله عليه وسلَّم ، تنفجر إلى دور الأنبياء والمؤمنين)) [٣]

وقد ذكر النحاة أنَّ من معاني الباء : السببية والاستعانة ، وهما من لوازم معنى الإلصاق وجعلوا من ذلك قوله تعالى : (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ){البقرة : ٥٤} وقوله تعالى : (فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللّهِ كَثِيرًا){النساء : ١٦٠} وقوله تعالى : (وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ){البقرة : ٢٢} ونحو : لقيتُ بزيد الأسد ، وقطعتُ اللحم بالسكين ، وبريتُ القلم بالمبراة ، وكتبتُ بالقلم [٤] فقد أفادت الباء في هذه

---

(١) معاني القرآن ١٠٧/٣ ، وينظر : زاد المسير لابن الجوزي ١٦٧/٨ .

(٢) جامع البيان ٢٤٦/٢٩-٢٤٧ .

(٣) البحر المحيط ٥٥٢/٨

(٤) ينظر : الأزهية في علم الحروف ص ٢٩٧ ، ورصف المباني ص ٢٢٢ ، والجنى الداني ص ٣٩ ، ومغني اللبيب ١٠٣/١ .

الشواهد معنى الوسيلة والواسطة الذي هو من لوازم معنى الإلصاق ، وهذا ما أفادته ودلَّت عليه في قوله تعالى : (عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا){الإنسان : ٦} فأهل الجنة ، وهم في مواضعهم ومنازلهم من الجنة القريبين من العين والبعيدين منها ، يتمتعون ، كل في مكانه ، بالشرب من ماء العين ، ذلك بوساطة جداولها وسواقيها المتفرِّعة منها ، والممتدة إلى كل بيت من بيوتها ، اللهم اجعلنا وأهلينا وذرياتنا من أهلها .

وكذلك جعلوا الباء تبعيضية بمعنى (مِن) في قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ){المائدة : ٦} وهذا ما تطرقت إليه في كتابي : النصب على نزع الخافض ، وفيما يأتي نص ما كتبته هناك

((قال أبو حيان الأندلسي : ((واختلفوا في مدلول الباء هنا ، فقيل : إنَّها للإلصاق ... وقيل الباء للتبعيض ... وقيل الباء زائدة ... وحكى سيبويه ... مسحتُ رأسه وبرأسه في معنى واحد)) [١] ذهب النحاة والمفسرون إلى القول بأنَّ الجر والنصب معنييهما واحد ، وقد كثر ما أكدوا هذا المذهب ، وصرحوا به والصحيح ، كما هو ظاهر من سياق الآية ، أنَّ الباء للإلصاق ، حتى إنَّه يترتب عليه حكم ، وهو أن يمس هذا المسح الرأس ، لا أن يكون مجرد لمس لشعره ، فالباء حددتْ فقط غرض إلصاق المسح بالرأس ، ولا علاقة لها بمساحة الممسوح منه ، لذا جاز أن يكون المسح لجميع الرأس ، أو لجزء منه ، إلّا أنَّه يتعيَّن أن يكون المسح لجميع الرأس عند حذف الباء ، وقولنا في الكلام : وامسحوا رؤوسكم ؛ لأنَّ (رؤوسكم) ، تكون عندئذ منصوبة على المفعولية ، ويكون المعنى بها أن يستوعب المسح

(١) البحر المحيط ٦٠٩/٣ ، وينظر : الدر المصون ٦٩٣/٣ .

(رؤوسكم) مما يقتضي شمول الرأس جميعه بفعل المسح ، فالفرق بين الجر والنصب جلي وكبير ، ما كان ينبغي للنحاة والمفسرين أن يساووا بينهما))[١].

٤-جعل الباء للمجاوزة بمعنى (عن) : وجعلوا من ذلك الباء في قوله تعالى : (يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم){الحديد : ١٢} وقوله تعالى : (وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاء بِالْغَمَامِ){الفرقان : ٢٥} وقوله تعالى : (فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا){الفرقان : ٥٩} أي : فاسأل عنه .

قال الدكتور فاضل السامرائي : ((وأمَّا قوله تعالى : (يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم) فليس على معنى المجاوزة ، والله أعلم ؛ لأنَّ معنى : عن أيمانهم ، مبتعد عن أيمانهم وليس هناك دليل عليه في هذه الآية ، بل الأقرب أنَّ النور قريب من اليمين أو مختلط باليمين لا مبتعد عنها ، كما في قوله تعالى : (وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى){طه : ١٧} وأمَّا قوله تعالى : (وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاء بِالْغَمَامِ) فليس على المجاوزة أيضًا والله أعلم فإنَّ هناك فرقًا بين قولك : قولك : انشقت التربة عن النبتة ، وانشقت التربة بالنبتة ، فمعنى الأول : أنَّها انكشفت عن النبتة ، ومعنى الثاني : أنَّها انشقت بسببها)) [٢]

وكذلك قالوا أنَّها بمعنى (عن) في قوله تعالى : (سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ {١} لِّلْكَافِرينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ){المعارج ١-٢} أي : سأل عن عذاب ، وهذا ما عُبِّر عنه أيضًا بمعنى المجاوزة .

---

(١) النصب على نزع الخافض والتضمين من بدع النحاة والمفسرين ، المبحث الثالث تحت عنوان : النصب على نزع الخافض المطَّرد في القرآن الكريم رقم الشاهد ١١.

(٢) معاني النحو٣/٢٠ .

المنهج الصحيح والسليم أن نبقي الحرف على معناه وإن بدا بمعنى حرف آخر ، وقليل من التأمل كفيل إلى أن يوصلنا إلى سرِّ استعماله من دون سواه ، فقد جعلوا الباء مثلًا بمعنى (عن) في قول ((علقمة :

فإن تسألوني بالنساء فإنني   خبير بأدواء النساء طبيب

إذا شاب رأس المرء أو قلَّ ماله   فليس له في ودِّهنَّ نصيب)) [١]

((أي : عن النساء)) [٢]

والحقيقة أنَّ جعل الباء على معناها الذي هو الإلصاق أكثر ملاءمة إلى سياق البيت ومضمونه ؛ فلو لم يكن الشاعر قريبًا من النساء وملتصقًا بهنّ لما أصبح خبيرًا بأسرارهنَّ وشؤونهنَّ وصرّح بما صرّح به ، فهو إذن جدير بأن يُسأل بهنَّ لا عنهنَّ ، أمَّا قوله تعالى : (فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا) فإنَّ المفسرين أجازوا جعل الباء بمعنى (عن) ولم يعيِّنوه بل فسروا الآية بما يطابق المعنى الأصلي للباء فقد فسَّرها الطبري بقوله : (((فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا) يقول : فاسأل يا محمد خبيرًا بالرحمن ، خبيرًا بخلقه فإنَّه خالق كل شيء ، ولا يخفى عليه ما خلق)) [٣] وقال الواحدي : ((قال الكلبي : فاسأل الخبير بذلك)) [٤] فالتفسير يدل على أنَّ (به) متعلق بالخبير لا بالسؤال ، فالصحيح أنَّ الباء على بابها ؛ لأنَّ ((المراد بالخبير الله تعالى ، ويكون من التجريد كقولك : لقيتُ به أسدًا ، والمعنى : فاسأل الله الخبير بالأشياء))[٥] وجعل الباء بمعنى (عن) ((أنكره علي بن سليمان وقال : أهل النظر ينكرون أن

---

(١) الدر المصون ١٥/١ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٥٢/١٣.

(٣) جامع البيان ٣٥/١٩ .

(٤) الوسيط ٢٨١/٣ .

(٥) الدر المصون ٤٩٣/٨ وينظر : الكشاف ٢٨١/٣ .

تكون بمعنى (عن) لأنَّ في هذا إفسادًا لمعاني قول العرب ... وكذلك قال ابن جبير : الخبير هو الله تعالى)) [١]

أمَّا جعل الباء بمعنى (عن) في قوله تعالى : (سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ {١} لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ) فهذا ما بسطت القول فيه في كتابي : النصب على نزع الخاف والتضمين من بدع النحاة والمفسرين ، وفيما يأتي نص ما قلته هناك ((أجمعت كتب القراءات ، وكتب معاني القرآن وتفسيره على أنَّ الباء بمعنى (عن) ، والتقدير : سأل سائل عن عذاب واقع [٢] قال ابن خالويه الأصبهاني : ((فقال النحويون : الباء ها هنا بمعنى (عن) ،والتقدير : سأل سائل عن عذاب واقع)) [٣] وفي إجماع أهل اللغة ، والتفسير على أنَّ الباء في قوله تعالى : (سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ) هي بمعنى (عن) مآخذ خطرة يمكن الإفصاح عنها بما يأتي :

١–الادعاء بأنَّ الباء في هذه الآية بمعنى (عن) ، يعني أنَّ كلام الله ، سبحانه ، عبَّر عن معنى (عن) بغير الحرف الدالِّ عليه بالأصالة ، بل بما ناب عنه ، وكأنَهم بهذا الادعاء يريدون أن يقولوا : كان من الأولى على الله ، جل وعلا ، استعمال الأصيل لا البديل ، فلو استعمل الأصيل لما احتجنا إلى هذا التقدير .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٥٢/١٣ وعلي بن سليمان هو الأخفش الأوسط (ت : ٣١٥هـ) ينظر : بغية الوعاة للسيوطي ١٤١/٢ .

(٢) ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١٧١/٥ ، وكتاب معاني القراءات لأبي منصور الأزهري ص ٥٠٣ ، والأزهية للهروي ص ٢٩٥ ، والكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها للقيسي ص ٣٣٥ ، ومشكل إعراب القرآن للقيسي ٤٠٦/٢ والمحرر الوجيز لابن عطية ١٦٤/٥ والتبيان في إعراب القرآن للعكبري ٤٦٦/٢ ورصف المباني ص ٢٢٢ ، والجنى الداني للمرادي ص ٤١ والبحر المحيط لأبي حيان ٤٦٥/٨ .

(٣) إعراب القراءات السبع وعللها ص ٤٥٩ .

ب–هذا الادعاء يعنى تدخلًا سافرًا في كلام الله ، سبحانه ، من جهة ، وتحريفًا لدلالته من جهة أخرى ؛ لأنَّ الله ، سبحانه ، ما استعمل الباء إلّا لإرادة دلالتها في الإلصاق التي لا تفارقها في كل أحوالها ، كما صرَّح بذلك النحاة [١] وهم يزعمون بأنَّه أراد معنى المجاوزة [٢]

ج–هذا الادعاء أيضًا أدَّى إلى الظن بتساوي التركيبين : سأل عن عذاب ، وسأل بعذاب ، مما جعل أهل اللغة والتفسير يعزفون عن ذكر الفرق الدلالي بينهما ، بل لم يشيروا البتة إلى سر استعمال الباء من دون (عن) ، وإذا علمنا أنَّ سر إعجاز القرآن قائم على مثل هذه القضايا التعبيرية ، فإنَّ هذا يعني أنَّهم بما زعموا قد أماتوا روح هذا الإعجاز ، وأقبروا ما في القرآن الكريم من الأوجه البلاغية .

د–إنَّ الغرض من استعمال الباء هنا واضح لا يحتاج للتعرف إليه إلّا إلى قليل من الملاحظة بين الآية وسبب نزولها ، فقد أجمعوا على أنَّ الباء بمعنى (عن) على الرغم من أنَّهم قد أجمعوا على أنَّ معنى الآية وسبب نزولها هو : ((دعا داعٍ بعذاب واقع ، وهو النضر بن الحارث بن كلدة ، قال : اللهم إن كان ما يقوله محمد ، هو الحق من عندك ، فأمطر علينا حجارة من السماء ، أو ائتنا بعذاب أليم ، فأُسِر يوم بدر فقُتِل هو ، وعقبة))[٣] وهو إشارة إلى قوله تعالى : (وَإِذْ قَالُواْ اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاء أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ){الأنفال :

---

(١) ينظر : رصف المباني ص ٢٢١–٢٢٢ والجنى الداني ص ٣٦ ومغني اللبيب ١٠١/١ .

(٢) ينظر : الجنى الداني ص ٤١ ومغني اللبيب ١٠٤/١ .

(٣) معاني القرآن للفراء ٨١/٣ .

٣٢}[١] وقال أبو حيَّان في تفسير هذه الآية : ((قال الجمهور : نزلتْ في النضر بن الحارث حين قال : اللهم أنزل)) [٢] وعن هذه العلاقة ((قال أبو عبد الله : أول هذه السورة جواب لقوله تعالى ، حكاية عن المشركين : (وَإِذْ قَالُواْ اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاء أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ){الأنفال : ٣٢} فأنزل الله قوله تعالى : (سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ {١} لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ){المعارج : ١-٢}[٣]

فليس هناك تناسب بين (عن) وحال سؤال هذا المنكر المستهزئ ؛ لأنَّ استعمال (عن) يكون جوابًا عمَّن سأل عن الشيء ليعرف ما العمل لتجنب العذاب ، فلو كان الأمر كذلك ، لقيل : سأل سائل عن عذاب الله ، فاتقوه يا عباد الله ، ولكن لمَا كان سؤال السائل عن شيء ينكره ، ويريد مستهزئًا ومتحدِّيًا وقوعه عليه ، لم تجئ الآية في أسلوب جواب ، بل في أسلوب ردٍّ لهذا الإنكار، فناسب استعمال الباء التي تفيد الإلصاق ؛ ليتضمَّن هذا الرد بأنَّ هذا العذاب سيقع عليه لا محالة ، وتأمَّل كيف تطابق الإنكار والرد عليه ، وتناسقا بين قوله تعالى : (بِعَذَابٍ أَلِيمٍ){الأنفال : ٣٢} وقوله تعالى : (بِعَذَابٍ وَاقِعٍ){المعارج : ١} ولو استعمل (عن) بدلًا من الباء لاختل هذا التناسق بين الاستهزاء والجواب عنه ، من جهة اللفظ ، ومن جهة المعنى)) [٤]

---

(١) ينظر : المحرر الوجيز لابن عطية ٣٦٤/٥ .

(٢) البحر المحيط ٤٦٥/٨ .

(٣) إعراب القراءات السبع وعللها ، لابن خالويه الأصبهاني ص ٤٥٩ .

(٤) النصب على نزع الخافض والتضمين من بدع النحاة والمفسرين : تحت عنوان : شواهد التضمين في القرآن الكريم ، الشاهد رقم ٦ .

٥-جعل الباء ظرفية بمعنى (في) : فرق الدكتور فاضل السامرائي بين ظرفية (في) وظرفية الباء بقوله : ((إنَّ ظرفية (في) ظرفية تضمن واحتواء وظرفية الباء ظرفية ملاصقة واقتران ... وتقول : أقام بالبصرة ، على معنى الملاصقة والاقتران ، فإن قلت : أقام فيها فعلى معنى تضمنته واحتوته ... جاء في الأصول : واعلم أنَّ العرب تتسع فيها ، أي : في حروف الجر فتقيم بعضها مقام بعض إذا تقاربت المعاني ، فمن ذلك الباء ، تقول فلان بمكة وفي مكة ، وإنَّما جازا معًا ؛ لأنَّك إذا قلت : فلان بموضع كذا وكذا ، فقد خبرت عن اتصاله والتصاقه بذلك الموضع[١] وإذا قلتَ في موضع كذا ، فقد خبرت بـ(في) عن احتوائه إيّاه وإحاطته ، فالباء للملاصقة والاقتران و(في) للاحتواء ، قال تعالى : (الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ){البقرة : ٢٧٤} وقال : (وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ){الأنعام : ٦٠} فجاء بالباءِ لأنَّ الإنفاق مقترن بوقت الليل والنهار وكذلك التوفي ، بخلاف قوله تعالى : (يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ){الحج : ٦١} فإنَّه جاء بـ(في) لإرادة التضمن والاحتواء ، فقد جعل النهار ظرفًا للّيل ، والليل ظرفًا للنهار ، كأنَّه يحتويه ، أي : يدخل فيه ، فلما كان كذلك جاء بـ(في) بخلاف ما مرَّ فإنَّ التوفي لا يدخل في الليل ولا الإنفاق ، وإنَّما يقترن الفعل بهذا الوقت ، فجاء بالباء لإرادة المصاحبة والاقتران ، وجاء بـ(في) للتضمن والاحتواء ، وتقول : نزل بالبئر ، ونزل في البئر ، فالأولى على معنى أنَّه نزل بقربها ... فإن أردت النزول في داخلها فلا تقول إلّا : نزل في البئر))[٢]

---

(١) انتهى هنا الكلام الذي نقله من كتاب الأصول في النحو لابن السراج تحقيق عبد الحسين الفتلي ١/٥٠٥-٥٠٦

(٢) معاني النحو ٣/٨٠.

جعل النحاة المعنى الأساسي للباء هو الإلصاق ، قال المالقي : ((أن تكون للإلصاق ، نحو : مررتُ بزيد ، وقدتُه بعصاه ، وجذبته بشعره ، معنى ذلك كله أنَّك ألصقت المرور بزيد ، والقود بالعصا ، والجذب بالشعر))[١] وجعلوه على ضربين : ((حقيقي ، نحو : أمسكتُ الحبل بيدي ... ومجازي ، نحو : مررتُ بزيد))[٢] وقال الدكتور فاضل السامرائي : أي : ((ليس على معنى أنَّك ألصقت نفسك به في مرورك))[٣] فالمراد إذن إلصاق الفعل لا الفاعل وإلصاق المعنى لا الذات ، ومعنى الإلصاق يتحدد ويتسع ويتصل بالملصق به بقدر ما يسمح به معنى الملتصِق ، فقد يتحدد بالاقتراب منه ، نحو المثال المذكور : مررتُ بزيد ، أو بملامسته ، نحو : مسحتُ برأسي ، أو يتسع إلى حد الامتزاج والاختلاط حتى يصير الملتصِق جزءًا من الملصَق به ، لذلك وجب تعريف الباء بأنَّها تفيد الإلصاق والاختلاط ، لِئلّا يُتوَّهم من القول المذكور : فلان بمكة ، أنَّه ليس داخل مكة ، بل هو ملتصق بها ، أي : قريب منها ، والصحيح أن يكون المراد أنَّه داخل مكة ، والباء تفيد اختلاط وجوده بها ، فلو قلتُ عن نفسي مثلًا : كنت في الدراسة الابتدائية طالبًا بالمدرسة القحطانية ، فيجب أن لا يكون المقصود أنِّي في تلك المرحلة من الدراسة كنتُ طالبًا بجوار المدرسة القحطانية ، بل المراد أني كنت طالبًا فيها وليس في مكان ملاصق ومتصل بها ، ويكون الفرق بين الباء و(في) أنَّه باستعمال الأولى يكون المعنى أنَّ وجودي طالبًا أنذاك كان ممتزجًا بالمدرسة ، حتى كنت بامتزاج وجودي بوجودها جزءًا منها ، أي : التعبير عن ظرفية الباء أنَّها ظرفية امتزاج

---

(١) رصف المباني ص ٢٢١ .

(٢) الجنى الداني ص ٣٦–٣٧ وينظر مغني اللبيب ١٠١/١

(٣) معاني النحو ١٧/٣ .

واختلاط ، أدق من التعبير عنها بظرفية ملاصقة واقتران ، لذلك كما جاز استعمال (في) في قوله تعالى مثلًا : ((يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ){الحج : ٦١} لما ذكره الدكتور فاضل السامرائي جاز أيضًا استعمال الباء وأن يقال في الكلام : يولج الليل بالنهار ويولج النهار بالليل ، ويكون المراد امتزاج الليل بالنهار حتى يصير كلاهما نهارًا ، وامتزاج النهار بالليل ، حتى يصيران معا ليلًا .

فعلى الرغم من الفرق الذي ذكره الدكتور فاضل السامرائي بين الباء و(في) بأنّ الأولى تفيد الملاصقة والاقتران ، والثانية تفيد التضمن والاحتواء فإنَّ كليهما في الحقيقة يفيد معنى التضمن والاحتواء ، فإذا قلتَ : أقام زيد بالبصرة ، فإنَّه لا يعني أنَّه أقام في مكان مقترن أو ملاصق لمدينة البصرة ، كما ذهب الدكتور فاضل السامرائي ؛ بل أراد أنَّه أقام داخل البصرة ، لأنَّ الإقامة لا يتحقق معناها إلّا أن تكون في مكان من الأرض ، وقد أراد المتكلم أن يكون هذا المكان هو أرض البصرة نفسها أي : أنَّه لمَّا قال : أقام بالبصرة ، فقد جعل البصرة وسيلة لوقوع فعل الإقامة ، أي : باستعمال الباء وقولنا : أقام بالبصرة ، جعلنا البصرة ظرفًا للإقامة ، وباستعمال (في) وقولنا : أقام في البصرة ، جعلنا البصرة ظرفًا للمقيم ، وهذا كله متأتٍّ من أنَّ الإلصاق لا يعني كما تقدم إلصاق المقيم بالبصرة ، بل إلصاق الإقامة بها وكذلك قولك : فلان بمكة وفي مكة ، فباستعمال (في) جعلنا مكة ظرفًا لفلان ، وباستعمال الباء جعلناها ظرفًا لوجوده ، وقد استعمل الباء في قوله تعالى : (الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ){البقرة : ٢٧٤} لأنَّه والله أعلم أراد أن يجعل كلًّا من الليل والنهار ظرفًا للإنفاق ، وجاز استعمال (في) لو أريد أن يكون كلٌّ منهما ظرفًا للمنفقين ، وكذلك استعمل الباء في قوله تعالى : (وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ

لِيُقْضَى أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ){الأنعام : ٦٠} لأنَّه أراد والله أعلم جعل الليل ظرفًا للتوفي ، ولو استعمل (في) لجعله ظرفًا للمتوفَّى وللمتوفِّي (ملك الموت)

وكذلك إذا قلتَ : نزل بالبئر ، لا يفيد أنَّه نزل بقرب البئر كما ذكر هذا أيضًا الدكتور الفاضل ؛ لأنَّ الإلصاق لا يعني إلصاق النازل بالبئر ، بل إلصاق نزوله به ، ويلزم من هذا المعنى أنَّه نزل البئر ؛ لأنَّ فعل النزول لا يتحقق مدلوله إلّا بوجود شيء يُنزل فيه ، وقد جعل القائل هذا الشيء هو البئر ، فكأنَّ البئر أصبح وسيلة لفعل النزول ، فنزل بالبئر ، ونزل فيه ، كلاهما يعني نزوله ، ويكون الفرق بينهما أنَّه باستعمال الباء جُعل البئر ظرفًا للنزول ، وباستعمال (في) يكون ظرفًا للنازل ، وقد تقدم أنَّ سيبويه لم يعرِّف الباء بأنَّها تفيد الإلزاق فحسب بل الإلزاق والاختلاط [١]

وكذلك الباء في قوله تعالى : (وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ بِبَدْرٍ){آل عمران : ١٢٣} التي جعلوها للظرفية بمعنى (في)[٢] فهي على بابها فليس المعنى أنَّ الله سبحانه نصر المسلمين وهم في بدر ، وليس المعنى أيضًا أنَّه سبحانه نصرهم في مكان قريب أو ملتصق ببدر، بل المعنى أنَّ نصر الله سبحانه لهم كان ممتزجًا ببدر ومختلطًا به ، أي : أنَّ بدرًا كانت ظرفًا لنصر الله لهم ، وليس ظرفًا للمنتصرين ، وكذلك الباء في قوله تعالى : (نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ){القمر : ٣٤} فليس المراد أنَّه سبحانه نجاهم قبيل السحر ، بل نجاهم في السحر ، ولم يجئ بـ(في) لأنَّه ما أريد أن يكون وقت السحر ظرفًا للذين أنجاهم ، بل جاء بالباء لأنَّه أراد اختلاط وقت النجاة بوقت السحر ، وكذلك الباء في قوله تعالى : (رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ){إبراهيم : ٣٧} ليس المراد منها إلصاق أشخاص ذريته بالوادي ، بل إلصاق إسكانهم به ، فكأنَّ الوادي غير ذي الزرع صار وسيلة أو

---

(١) كتاب سيبويه ٤/٣٣٩.

(٢) كما جاء أيضًا في الدر المصون ٣/٣٨٣.

واسطة لهذا الإسكان ، أي : أنَّ إلصاق الساكنين به من ذريته لا يعني أيضًا أنَّهم قائمون بجانب الوادي ، بل يعني أنَّهم ملتبسون ومختلطون به فعادوا بعضًا منه ، ولو استعمل (في) لكان المراد جعل الوادي ظرفًا تحلُّ فيه ذريته للسكن فيه ، واستعمل الباء لأنَّه أراد المعنى الأول ، ومن ذلك جعلهم الباء بمعنى (في) في قوله تعالى : (سَوَاء مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ){الرعد : ١٠} وليس الباء بمعنى (في) كما قالوا ؛ لأنَّه ليس المراد جعل الليل ظرفًا للمستخفي بل ظرفًا للاستخفاء ، وهذه الظرفية جاءت لكون الباء أفادت إلصاق الاستخفاء بالليل ، بمعنى تعلقه به ، فيكون الليل وسيلة للخفاء ؛ لأنَّه ارتبط به بمعنى الإلصاق ، ومستخف من استخفى على صيغة استفعل ، وهي تفيد هنا معنى الطلب ، فيتحقق بها معنى آخر ، فيكون معنى (مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ) : طالبٌ من الليل أن يخفيه ، أي : مستعين به ليختفي ويستتر ، ولو استعمل (في) وقيل : مستخف في الليل ، لأفادت معنى الظرفية من دون أن تفيد جعل الليل وسيلة للخفاء ، وهو المعنى المراد ، وكذلك كان النهار وسيلة لظهور العبد نهارًا .

وكذلك جعلوا الباء بمعنى (في) في قوله تعالى : (وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيه أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا){يونس : ٨٧} أي : في مصر، وجعل الباء بمعنى (في) هنا لا مسوغ له ، لا من حيث اللغة ولا من حيث الدلالة ، لأنِّي لم أجد في معاجم اللغة من ذكر أنَّ الأصل في الفعل (تبوَّأ) أنَّه يتعدَّى إلى مفعوله بـ(في) ، وقد ورد في القرآن الكريم تعدّيه إليه بالباء كالشاهد المذكور ، وتعديه إليه بـ(من) كقوله تعالى : (وَكَذَلِكَ مَكَّنِّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاء){يوسف : ٥٦} وقوله تعالى : (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا){العنكبوت : ٥٨} وكذلك جاء تعديه إليه

بـ(من) في الحديث المشهور : من كذب علي متعمدًا فليتبوَّأ مقعده من النار . رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجة[1]

وكذلك من حيث الدلالة ، فقد ((قال المفسرون لمَّا أُرسل موسى أمر فرعون بمساجد بني إسرائيل فخُرِّبَتْ كلّها ، ومنعوا من الصلاة فأُمروا أن يتخذوا مساجد في بيوتهم ويصلوا فيها خوفًا من فرعون)) [2] فقال : بمصر ، ولم يقل : في مصر ؛ لأنَّهم لم يكونوا بعد متمكنين فيها .

وكذلك جعلوا الباء بمعنى (في) في قوله تعالى : (وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ {١٣٧} وَبِاللَّيْلِ أَفَلا تَعْقِلُونَ){الصافات : ١٣٧-١٣٨} أي : وفي الليل ، وفي التفسير أنَّ في هذه الآية خطابًا موجهًا إلى المشركين من أهل مكة الذين ((كانوا إذا ذهبوا إلى الشام وجاؤوا مرّوا على قرى قوم لوط صباحًا ومساءً)) [3] فالمراد إذن من قوله تعالى : (وَبِاللَّيْلِ) المساء ليقابل ، المعطوف عليه (مُّصْبِحِينَ) و(مُّصْبِحِينَ) حال ، والذي يناسب الحال الباء وليس (في) ، هذا من جهة ومن جهة أخرى أنَّه لو قال : وفي الليل ، لكان المراد كل أوقاته التي من ضمنها وسط الليل وظلامه الدامس ، والمراد من سياق الآية أن يعتبر المشركون من أهل مكة بما يرونه في سفرهم من آثار عقاب الله التي حلت بالقرى الظالمة ، وفي الليل تنعدم الرؤية ، لذلك قال : (وَبِاللَّيْلِ) ليعني أوّله قبل أن يشتد ظلامه فيغطي بظلامه كل شيء ، بل العرب كانوا عادة لا يسافرون في الليل .

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر ١٦٢/١.

(٢) الوسيط في تفسير القرآن المجيد ٥٥٦/٢ وينظر : مدارك التنزيل وحقائق التأويل ص ٤٨٢-٤٨٣ .

(٣) زاد المسير ٣٢١/٦ .

وكذلك قالوا كما تقدم بأنَّ الباء بمعنى (في) في قوله تعالى : (فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا {١٧} السَّمَاء مُنفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا){المزمل : ١٨} أي : منفطر فيه ، أعيد وأكرر أنَّه يجب ثم يجب أن نبقي الحرف على بابه ، ثم نفسر الشاهد القرآني استنادًا إلى معناه الموضوع له ، وهذا ما فعله الزمخشري ففسر هذا الشاهد القرآني بقوله : ((والباء في (بِهِ) مثلها في قولك : فطرتُ العود بالقدوم فانفطر به ، يعني أنَّها تنفطر بشدة ذلك اليوم وهوله ، كما ينفطر الشيء بما يفطر به ، ويجوز أن يراد السماء مثقلة به إثقالًا يؤدي إلى انفطارها لعظمه عليها وخشيتها من وقوعه))[١]وقيل الباء فيه للاستعانة أو للسببية والمعنى ((متشققة بسبب هوله)) [٢] والاستعانة والسببية من لوازم معنى الإلصاق .

فيكون الفرق العام بين الباء و(في) أنَّ الباء إذا قيل بأنَّها تفيد معنى الإلصاق فإنَّه يراد منه معنى الالتباس والاختلاط ، أمَّا (في) فإنَّه يراد منها الظرفية ، فالمجرور بـ(في) يكون ظرفًا للشيء ، ولا يكون جزءًا منه ، أمَّا المجرور بالباء فيكون ملتبسًا بالشيء ، كأنَّه صار جزءًا منه ، ولهذا آثر كثير من الأساتذة أن يقولوا : الدكتور فلان الأستاذ بجامعة كذا ، على قولهم : في جامعة كذا ، استنادًا إلى أنَّ الجامعة تكون مؤلَّفة من مبنى وأساتذة وطلاب ، فاستعمال الباء يعني جعل الأستاذ جزءًا من الجامعة

٦-أن تكون الباء للتعدية : قال المرادي : ((وباء التعدية هي القائمة مقام الهمزة في إيصال معنى الفعل إلى المفعول نحو قوله تعالى : (ذَهَبَ اللّهُ بِنُورِهِمْ){البقرة : ١٧} وقوله تعالى (لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ){البقرة : ٢٠} ومذهب الجمهور أنَّ باء التعدية بمعنى همزة التعدية لا تقتضي مشاركة

---

(١) الكشاف ٦٢٩/٤.

(٢) الدر المصون ٥٢٨/١٠ .

الفاعل للمفعول ، وذهب المبرد والسهيلي إلى أنَّ باء التعدية تقتضي مصاحبة الفاعل للمفعول في الفعل ، قال السهيلي : إذا قلتَ : قعدتُ به ، فلا بدَّ من مشاركة ، ولو باليد ، ورُدَّ عليهما بقوله تعالى : (ذَهَبَ اللّهُ بِنُورِهِمْ) لأنَّ الله تعالى لا يوصف بالذهاب مع النور ، وأجيب بأنَّه يجوز تعالى : وصف نفسه بالذهاب على معنى يليق به، كما وصف نفسه بالمجيء في قوله تعالى : (وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا){الفجر : ٢٢} وهذا ظاهر البعد ، ويؤيد أنَّ باء التعدية بمعنى الهمزة قراءة اليماني : أذهبَ اللهُ نورهم)) [١]

وهذه القراءة شاذة ، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإنَّها حتى لو صحت لا تكون دليلًا على ما قاله المرادي ؛ لأنَّ قراءة الآية بقراءة أخرى لا تكون إلّا لإرادة معنى آخر ، ويكون الغرض من الجمع بين القراءتين إرادة الجمع بين معنييهما ، وقوله ((لأنَّ الله تعالى لا يوصف بالذهاب)) تعطيل لصفات البارئ عز وجل ، فصفات الله سبحانه وتعالى : كالذهاب والمجيء والصعود والنزول والسمع والبصر يجب إثباتها كما أثبتها الله سبحانه وأثبتتها السنة الصحيحة ، من دون تعطيل ولا تأويل ، ومن دون أن نسأل ونبحث عن الكيفية ، هذه هي عقيدة أهل السلف وعقيدة أهل التوحيد ، وقد بيَّنَّا الفرق بين استعمال الباء وعدم استعمالها ، وقد استعملت الباء في قوله تعالى : (ذَهَبَ اللّهُ بِنُورِهِمْ) لا لمصاحبة الفاعل للمفعول ، وإنَّما لإلصاق الفعل بالمجرور ، فلو قيل : أذهب الله نورهم ، كما جاء في قراءة اليماني الشاذة لوقع (نورهم) مفعولًا به لـ(أذهب) ولكان الذهاب قد وقع على النور واستوعبه ، وما أريد هذا المعنى بل أريد إلصاق الذهاب به ، والفرق بين

---

(١) الجنى الداني ص ٣٧-٣٨ وينظر : مغني اللبيب ١٠٢/١ والدر المصون ١٦٢/١ والبرهان ص ٨٣٤ والإتقان ص ٢٤٢ والزيادة والإحسان ٧٥/٨.

المعنيين كبير ، لأنَّ تسليط الذهاب على النور واحتوائه يعني محق النور ومحوه ، وليس كذلك إلصاق الذهاب به ، فهو لا يعني إفناء النور ، وإنَّما خطفه من أمامهم ومن بين أيديهم وإبعاده عنهم ، وهذا أدلّ على قرب الله الذاهب لنورهم منهم ، وأدل على قدرته عليهم ، وهو أنَّه سبحانه ذهب بنورهم عن قرب منهم لا عن بعد .

٧-جعل الباء للمصاحبة بمعنى (مع) : ومن شواهدهم فيه قوله تعالى : (وَإِذَا جَآؤُوكُمْ قَالُوَاْ آمَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِ وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ){المائدة : ٦١} وقوله تعالى : (قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلاَمٍ مِّنَّا){هود : ٤٨} وقوله تعالى : (فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ){طه : ٧٨}

فقد جُعلتْ الباء في الشاهد الأول بمعنى (وَقَد دَّخَلُواْ بِالْكُفْرِ) ((ملتبسين بالكفر ، أي : ومعهم الكفر ، كقولهم : خرج زيد بثيابه ، وقراءة من قرأ : (تَنْبُتُ بِالْدُّهْنِ){المؤمنون : ٢٠} أي : وفيها الدهن))[١] وهذا ما قالوه في الشاهد الثاني : (اهْبِطْ بِسَلاَمٍ) بأنَّ ((بسلام : حال من فاعل (اهبط) أي : ملتبسًا بسلام)) [٢] وكذلك قالوا في الشاهد الثالث : (((بجنوده : فيه أوجه : أحدها : أن تكون الباء للحال ... والثاني : أنَّ الباء زائدة في المفعول الثاني ... والثالث : أنَّها ... بمعنى (مع))) [٣]

والزيادة تعني التوكيد ، والتوكيد والحال والمصاحبة ومعنى الالتباس جميعها مستوحاة من كون الباء أفادت في هذه الشواهد معنى الإلصاق ، فهي بهذا المعنى أو من لوازمه .

---

(١) الدر المصون ٣٤٠/٤.

(٢) الدر المصون ٣٢٩/٦ .

(٣) الدر المصون ٨٣/٨-٨٤ .

٨-جعل الباء للتعجب : وجعلوا من شواهد ذلك الباء في قوله تعالى : (قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا){الكهف : ٢٦} والشاهد : (أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ) وقوله تعالى : (أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ){مريم : ٣٨}

ماعلاقة الباء بالتعجب ؟ وإن أجمع النحاة على ذلك ، وكيف يصح فيها هذا المعنى وقد عدوها زائدة للتوكيد ؟! ومن الواضح ومما لا شك فيه ولا لبس أنَّ (أَبْصِرْ) وَ(أَسْمِعْ) في الشاهدين فعل أمر ، وأنَّ الباء للإلصاق ، هذه هي الحقيقة ، والدليل على ذلك أنَّ النحاة لم يستطيعوا أن يخفوا هذه الحقيقة على الرغم من إجماعهم على خلافها ، قال الزمخشري في نحو : أكرمْ بمحمدٍ : ((إنَّه أمر لكل أحد بأن يجعل (زيدًا) كريمًا ، أي : بأن يصفه بالكرم ، والباء مزيدة ... أو بأن يصيَّره ذا كرم ، والباء للتعدية)) [1] بل الباء للإلصاق والفاعل ضمير مستتر وجوبًا يعود على كل شخص يسمع هذا الخطاب ، وقال الرضي في نحو : أحسنْ بزيد : ((فقال الفرّاء وتبعه الزمخشري وابن خروف بأن يجعل (زيدًا) حسنًا ، وإنَّما يجعله حسنًا كذلك بأن يصفه بالحسن ، فكأنَّه قيل : صِفْهُ بالحسن كيف شئت ؛ فإنَّ فيه كل ما يمكن أن يكون في شخص)) [2]

وجاء في الدر المصون : ((قوله (أَبْصِرْ بِهِ) صيغة تعجب بمعنى : ما أبصره ، على سبيل المجاز ، والهاء لله تعالى ، وفي مثل هذا ثلاثة مذاهب : الأصح أنَّه بلفظ الأمر ومعناه الخبر ، والباء مزيدة في الفاعل إصلاحًا للفظ . والثاني : أنَّ الفاعل ضمير المصدر . والثالث : أنَّه

---

(١) المفصل في علم العربية ص ٣٥٧ وشرح المفصل لابن يعيش ٤١٨/٤ .

(٢) شرح كافية ابن الحاجب ٢٣٥/٤.

ضمير المخاطَب ، أي : أوقع أيها المخاطَب ، وقيل هو أمر حقيقة لا تعجب ، وأنَّ الهاء تعود على الهدى المفهوم من الكلام)) [1]

وجاء فيه (((أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ) هذا لفظه أمر ، ومعناه التعجب ، وأصح الأعاريب كما تقرر في علم النحو ، أنَّ فاعله هو المجرور بالباء ، والباء زائدة وزيادتها لازمة إصلاحًا للفظ ، لأنَّ (أفعل) أمرًا لا يكون فاعله إلّا ضميرًا مستترًا ، ولا يجوز حذف هذه الباء)) [2]

فالنحاة قد أجمعوا على أنَّ (أَبْصِرْ) وَ(أَسْمِعْ) في الشاهدين فعل أمر ، حقيقة أو مجازًا ، وأجمعوا على أنَّ الباء ، وإن عُدَّت زائدة فإنَّه لا يجوز حذفها ، أي : أنَّ زيادتها لازمة ، وهذا أكبر دليل على أنَّها ليست زائدة ، بل هي على معناها الذي هو الإلصاق ، وبعد أن أجمعوا على أنَّ (أفعل) في : أفعل به ، فعل أمر ، اختلفوا في فاعله الذي لا يصح أن يكون إلاَّ ضميرًا مسستترًا واجب الاستتار ، والصحيح ((أنَّه ضمير المخاطَب ، أي : أوقع أيها المخاطَب)) والمعنى ألصق أيها المخاطَب صفة السمع أو البصر بمن وقع مجرورًا بباء الإلصاق ، لتنبيهه على وجود هذه الصفة بالمعنيّ به وعلى أنَّها حاصلة وقريبة منه .

٩-جعل الباء بمعنى المقابلة والعوض : كقوله تعالى : (وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَى أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ){سبأ : ١٦}

جاء في الدر المصون : ((قوله تعالى : (بِجَنَّتَيْهِمْ) تقدم أنَّ المجرور بالباء هو الخارج والمنصوب هو الداخل ؛ ولهذا غلط من قال من الفقهاء :

---

(١) الدرّ المصون ٤٧١/٧ .

(٢) الدرّ المصون ٦٠٢/٧.

فلو أبدل ضادًا بظاء ، بطلت صلاته ، بل الصواب أن يقال ظاءً بضاد)) [١] يعني في الفاتحة في قوله تعالى : (وَلاَ الضَّالِّينَ)

والباء هنا لا يصح أن تكون للعوض ؛ لأنَّ العوض ليست (بِجَنَّتَيْهِمْ) المجرورة بل هي (جَنَّتَيْنِ) المنصوبة ، كما أنَّ الخارج من الجنتين جاء من إلصاق التبديل بها ، أمَّا العوض فقد جاء من دلالة قوله (وَبَدَّلْنَاهُم)

وجعلوها بمعنى العوض والمقابلة في قوله تعالى : (ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ){النحل : ٣٢} والمقابلة التي قيل بها هنا هي أيضًا متأتية من معنى الإلصاق ؛ لأنَّ فيه ربط شيء بشيء وجعل شيء جزاءً لشيء يقابله ، وإذا قيل بأنَّ جزاء الله الذي هو الجنة لا يمكن أن يقابله عمل ، إلّا أنَّ الله سبحانه جعل جزاءه العظيم يكون بعمل الإنسان لوسع رحمته وفضله .

١٠–جعل الباء للاستعلاء بمعنى (على) : جعلوا من شواهد الباء التي بمعنى (على) قوله تعالى : (وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)آل عمران : ٧٥} فالباء في قوله تعالى : (إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ) وقوله تعالى : (إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ) بمعنى (على) بدلالة استعمالها في قوله تعالى : (قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلاَّ كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَاللّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ){يوسف : ٦٤} قال الدكتور فاضل السامرائي : ((والحقّ أنَّ المعنى مختلف فقولك : أمنته به ، مختلف عن قولك : أمنته عليه ، فقولك : لا آمنه عليك ، معناه : لا آمنه أن يحيف عليك ، أو أن يهجم عليك ، أو يتعدى عليك ، وما إلى ذلك ، ففيه معنى الاستعلاء والتسلط والعدوان ، وأمَّا قولك : لا آمنه بدرهم ، فمعناه : لا آمنه من أن يتصرف به

(١) الدرّ المصون ١٧٢/٩.

، أو يعبث به ؛ لأنَّ (على) تفيد الاستعلاء ، والباء تفيد الإلصاق ، والمعنى أنَّه لا يلتصق أمنه بدرهم ، بل ستفارقه أمانته ويتصرف به ، فأمنه عليه تستعمل للهجوم والاعتداء ، وأمنه به تستعمل للتصرف كما ذكرنا ، تقول : لا آمن عليك الذئاب ، ولا آمن عليك غوائل الطريق ، ولا تقول : لا آمن بك الذئاب)) [١]

١١-جعل الباء للغاية بمعنى (إلى) : كقوله تعالى : (وَقَدْ أَحْسَنَ بِي){يوسف : ١٠٠} والمعنى عندهم : وقد أحسن إليَّ ، قال الزركشي : ((وكما في قوله تعالى : (وَقَدْ أَحْسَنَ بِي) فإنَّه يقال : أحسن بي وإليَّ وهي مختلفة المعاني ، وأليقها بيوسف عليه السلام (بي) لأنَّه إحسان درج فيه دون أن يقصد الغاية التي صار إليها))[٢] وقال الدكتور فاضل السامرائي : ((وثمة فرق بين : أحسن إليه ، وأحسن بي ، فإنَّ معنى : أحسن إليه ، قدَّم إليه إحسانًا ، أو صنع له إحسانًا ، أمَّا : أحسن به ، فمعناه : وضع إحسانه به ، ومن ذلك أنَّك تقول : أحسنتُ بهذا الأمر ، وأحسنتُ بعملك ، أي : ألصقتَ إحسانك بعمله ووضعته به ، ولا تقول : أحسنتُ إلى عملك ، ولا أحسنتُ إلى هذا الأمر ، إلاَّ على معنى آخر ، وهو أنَّك قدمتَ إليه إحسانًا ، وهو معنى مجازي ، فإنَّ الإحسان في : أحسنَ به ، ألصق ؛ إذ إنَّ فيه معنى الرعاية واللطف ، قال تعالى : (وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ){القصص : ٧٧} وقال على لسان سيدنا يوسف عليه السلام ، (وَقَدْ أَحْسَنَ بِي) ففي الثانية إحسان خاص يختلف عن الأول ، فإنَّ الأولى في عموم الخلق ، وإحسان الله إلى الخلق إحسان عام يشترك فيه سيدنا يوسف عليه السلام وبقية الخلق ، أمَّا قوله تعالى : (وَقَدْ أَحْسَنَ بِي) فإنَّ فيه إحسانًا

---

(١) معاني النحو ٢١/٣.

(٢) البرهان ص ٧٩٨ .

خاصًّا ألصق من الأول ؛ إذ أخرجه من السجن وبوَّأه مكانة عالية ، وجاء إليه بأهله وما إلى ذلك من العناية الربانية واللطف)) [(١)]

١٢-جعل الباء بمعنى الاستعانة : قالوا بمجيء الباء للاستعانة كقولك: كتبتُ بالقلم ، أي : استعنتُ بالقلم للكتابة ، بل هي للإلصاق فقد أُريد إلصاق الكتابة بالقلم بمعنى ربطها به فصار القلم بهذا الربط وسيلة أو واسطة أو مُعينًا لك في الكتابة ، ومن البديهي أنَّ الكتابة ومن يكتب لا تحصل في كل وقت إلّا بقلم فتكون الكتابة والكاتب والقلم عناصر متصاحبة لا تفترق عن بعضها إذا أريد للكتابة أن تكون ؛ لذلك أمكن أن تعد الباء للمصاحبة أو حالية ، وجعلوا من شواهدهم القرآنية في ذلك قوله تعالى : (وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ){البقرة : ٤٥} وجميع المعاني المذكورة في المثال يمكن القول بها في الشاهد القرآني ، والدليل على ذلك ما جاء في الدر المصون : ((قوله تعالى : (وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ)... والباء للاستعانة أو السببية ... ويجوز أن تكون الباء للحالية ، أي : ملتبسين بالصبر)) [(٢)]

١٣-بمعنى (مِن) : قال ابن قتيبة : ((الباء مكان (مِن) ... وقال عز وجل : (فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّمَا أُنزِلِ بِعِلْمِ اللّهِ){هود : ١٤} أي : من علم الله))[(٣)] والمراد معنى الباء وليس معنى (مِن) قال الزجاج : ((ومعنى (أُنزِلِ بِعِلْمِ اللّهِ) أي : أُنزل والله عالم بإنزاله ، وعالم أنَّه حق من عنده ، ويجوز أن يكون والله أعلم : (بِعِلْمِ اللّهِ) أي : بما أنبأ الله فيه من غيب ودلّ ما سيكون وما سلف ، مما لم يقرأ به النبي صلى الله عليه وسلم

---

(١) معاني النحو ٢٣/٣.

(٢) ٣٣٠/١ .

(٣) تأويل مشكل القرآن ص ٣٠١-٣٠٢ .

كتابًا ، وهذا دليل على أنَّه من عند الله)) [١] وقال الزمخشري : ((أي : أُنزل ملتبسًا بما لا يعلمه إلّا الله من نظم معجز للخلق وأخبار بغيوب لا سبيل لهم إليه)) [٢]

١٤– بمعنى اللام : قال ابن قتيبة : ((الباء مكان اللام قال الله تعالى : (مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ){الدخان : ٣٩} أي : للحق)) [٣]

المراد أيضًا معنى الباء وليس معنى اللام جاء في الدر المصون : ((إِلّا بِالْحَقِّ) حال إمَّا من الفاعل ، وإمَّا من المفعول ، أي : محقين أو ملتبسين بالحق))[٤] والحال من لوازم معنى الإلصاق

ومما يجب التنبيه عليه في هذا المقام أنَّه إذا قيل بأنَّ (مِن) بمعنى اللام ؛ لأنَّه جاز أن يقال : ما خلقناهما إلّا للحق ، فإنَّ هذا لا يعني أبدًا أنَّ الباء هنا جاءت بمعنى اللام ، وإنَّما يعني جواز إرادة معنييهما : الإلصاق والتعليل ، فالذي أوهم النحاة بمجيء حرف بمعنى حرف آخر هو جواز معنى كل منهما ، ولا سيما إذا لم يكن معنى أحدهما ضد معنى الآخر ، وهذا ما عبَّر عنه الزجاج بتقاربهما في الفائدة

فالباء في كل موضع للإلصاق ، ثم سمّها بعد ذلك ما شئت ، واجعلها بما شئت من المعاني ، فإنَّها لا تخرج من أن تكون من لوازم معنى الإلصاق ، أو من مرادفاته ؛ بل تعدّ معنًى واحدًا ؛ لأنَّها تدخل جميعها ضمن معنى ارتباط شيء بشيء ، أو تعلق شيء بشيء حقيقة أو مجازًا

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣٥/٣ وينظر : زاد المسير ٦٤/٤ .

(٢) الكشاف ٣٦٩/٢.

(٣) تأويل مشكل القرآن ص ٣٠٢ .

(٤) ٦٢٦/٩.

معنى الباء الجارة : قال سيبويه : ((وباء الجر إنَّما هي للإلزاق والاختلاط ، وذلك قولك : خرجتُ بزيد ودخلتُ به وضربته بالسوط ، ألزقتَ ضربك إياه بالسوط ، فما اتسع من هذا في الكلام فهذا أصله))[1] وقال المرادي : ((وردَّ كثير من المحققين سائر معاني الباء إلى الإلصاق...وجعلوه معنى لا يفارقها))[2]وقال ابن هشام : ((ثم الإلصاق حقيقي كـ : أمسكت بزيد ، إذا قبضت على شيء من جسمه أو على ما يحبسه من يد أو ثوب ونحوه ، ولو قلتَ : أمسكته احتمل ذلك وأن يكون منعته من التصرف)) [3] وهذا هو الفرق بين تعدي الفعل إلى مفعوله بنفسه ، وتعديه إليه بالباء ، وعُرِّف الإلصاق بأنَّ ((معناه : اختلاط الشيء بالشيء)) [4] وبأنَّه ((هو تعلق أحد المعنيين بالآخر)) [5]

ثمة حقيقة طالما رددتها في كتابي السابق : لا وجوه ولا نظائر ، أنَّ اللفظ ولا سيما اللفظ القرآني لا يطابق معناه إلّا اللفظ نفسه ، فالباء الجارة مثلًا ، وهي في تركيبها اللغوي لا يمكن التعبير عنها بما يطابق دلالتها ، والإلصاق الذي جعله النحاة المعنى الأصلي للباء ولا يفارقها في كل مواضع ورودها في اللغة والقرآن الكريم ، لا يمثل المعنى الحقيقي للباء ، وكذلك معاني المصاحبة والسببية والتعليل والحالية والعوض والتبعيض وغيرها ، وإنَّما تمثل المعاني القريبة منها ، ويبدو أنَّ الإلصاق أقرب المعاني إليها ، فقد جعل النحاة مثلًا الباء للإلصاق في نحو : مررتُ بزيد ، والمعنى كما قالوا أنَّك ألصقتَ مرورك بزيد أو جعلته قريبًا منه ، وهذا المعنى يتطلب أن

---

(1) كتاب سيبويه ٣٣٩/٤.

(2) الجنى الداني ص ٤٦ وينظر : مغني اللبيب ١٠١/١ .

(3) مغني اللبيب ١٠١/١ .

(4) البرهان ص ٨٣٣.

(5) الإتقان ص ٢٤٢ وينظر : الزيادة والإحسان ٧٣/٨ .

يكون مرورك بزيد مصاحبًا له ، وجاز جعله بما يقابل الحال ، لأنَّ الحال صفة مصاحبة لصاحبها ، وأنَّه لولا زيد لما حصل المرور ، لأنّ حدوث المرور لا يكون إلّا بوجود ممرور به فيكون (زيد) سببًا أو وسيلة أو واسطة لحدوثه أو عوضًا عنه ؛ ولأنَّ حدوث المرور أيضًا لا يكون إلّا بوجود مارٍّ ، فيكون أحدهما يقابل الآخر في حصول حدوث المرور ، فتكون معاني الإلصاق والسببية والتعليل والمصاحبة والحالية والعوض والتبعيض وكذلك معنى الوسيلة أو الواسطة معنى واحد ؛ لأنَّها جميعًا تدخل ضمن معنى ارتباط شيء بشيء أو تعلق شيء بشيء

فالباء إذن ليست من الحروف المشتركة ، وأنَّها لم ترد إلّا لمعنى واحد ، شاع بأنَّه الإلصاق لأنَّه يمثل أقرب المعاني إليها . وكل المعاني المذكورة وغيرها تدخل جميعها ضمن هذا المعنى أو ضمن مرادفاته أو ما كان من لوازمه .

وقد تقدم أنَّ جمهور النحاة زعموا أنَّ الباء في القرآن الكريم وردت بمعاني الحروف الآتية : بمعنى (مِن) و(عن) و(في) و(مع) و(على) و(إلى) وبمعان أُخر لم يكن لها في اللغة ألفاظ تعبر عنها ، ونحن نتساءل في معاني القسم الأول : أنَّه إذا كانت لها ألفاظها الخاصة المعبّرة عنها فلِمّ إذن عبَّر عنها القرآن الكريم بلفظ الباء ولم يعبّر عنها بألفاظها ؟ وهذا ما لا يستطيع النحاة الإجابة عنه ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا ، اللهم إلّا إذا تجرأ بعضهم وادعى أنَّ القرآن الكريم قد ألحن فعبَّر عن المعاني بغير ألفاظها ، ووضع الألفاظ في غير مواضعها ، وما جرأه على هذا الادعاء إلّا الادعاء بمجيء حروف بمعاني حروف أُخر في القرآن الكريم ، وهذا الإشكال الذي فيه نيل من كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه الذي وضع كل لفظ في مكانه من دون زيادة ولا نقصان لا يُحلُّ إلّا بإلغاء فكرة مجيء الحروف بعضها بمعنى بعض في كتاب الله ، أمَّا القسم

الثاني من هذه المعاني التي لم يكن لها ألفاظ خاصة تعبر عنها فهي إن صحت معاني السياق وليست معاني الباء أو هي ما كان من لوازم معنى الإلصاق الذي تدل عليه الباء بالأصالة .

١٤-ثُمّ : حرف عطف تفيد الترتيب مع التراخي ، وهي ليست من الحروف المشتركة ، أي : لا تفيد إلّا معناها المذكور ، قال المرادي : ((ثُمَّ : حرف عطف يشرك في الحكم ، ويفيد الترتيب بمهلة ، فإذا قلتَ : قام زيد ثُمَّ عمرو ، آذنتَ بأنَّ الثاني بعد الأول بمهلة ، هذا مذهب الجمهور ، وما أوهم خلاف ذلك تأوّلوه)) [١] إلّا أنّه مع ذلك فقد اختلقوا لـ(ثُمَّ) ثلاثة معان ، فقد قيل بمجيئها في القرآن الكريم زائدة ، وبمعنى الواو ، واستئنافية ، وفيما يأتي دراسة لشواهد هذه المعاني [٢]

١-جعلها زائدة : قيل بمجيء (ثُمَّ) زائدة في قوله تعالى : (وعلى الثلاثةِ الذين خُلِّفوا حَتَّى إذا ضاقتْ عليهمُ الأرضُ بما رَحُبَتْ وضاقتْ عليهم أنفُسُهُمْ وَظَنُّواْ أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللّهِ إِلاّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُواْ){التوبة : ١١٨} وقيل بهذه الزيادة استنادًا إلى أنَّ (إذا) شرطية لا بد من أن يكون لها جواب ، ولا جواب لها هنا إلّا قوله (ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ) ولا يصلح هذا أن يكون هو الجواب إلّا بعد جعل (ثُمَّ) زائدة ، والحقيقة أنَّ جواب (إذا) هنا محذوف ، وكثيرًا ما جاء جواب (إذا) محذوفًا في القرآن الكريم ، وهذا ما يصرح به أهل اللغة أنفسهم وقد تطرقتُ إلى هذا الحذف في كتابي : دراسات في النحو القرآني وذكرتُ له شواهد كثيرة منها الشاهد المذكور ، وقد ذكرتُ بأنَّ جواب

([١]) الجنى الداني ص ٤٢٦.

([٢]) ينظر : رصف المباني ص ٢٤٩-٢٥١ والجنى الداني ص ٤٢٦-٤٣٢ ومغني اللبيب ١/١١٧-١١٨ والبرهان ص ٨٣٩-٨٤١ والإتقان ص ٢٤٤-٢٤٥ والزيادة والإحسان ٨/٨٣-٨٥ وينظر من كتب الوجوه : الوجوه والنظائر للدامغاني ص ١٥١ ونزهة الأعين لابن الجوزي ص ٨٧ ومنتخبه قرة العيون ص ٨٧ أيضًا

(إذا) محذوف تقديره : تاب عليهم ، وحُذِفَ لدلالة (ثم تاب عليهم) عليه ، وكان ذلك فيما يفهم من السياق للإشارة إلى أنَّ التوبة عليهم ، تأخرت لامتحان هذه الصفوة المختارة ، وليكونوا قدوة لمَن بعدهم في الصبر وعدم اليأس من رحمة الله سبحانه وتعالى ، وأضيف إلى ما ذكرته هناك أنَّ جواب (إذا) قد يكون غير ما قدرته ، بل جاز أن يكون : استيأسوا ، أو يئسوا ، أو قنطوا ، أو قالوا في أنفسهم لن يتوب الله عنَّا ، أو هلكنا ، أو غير ذلك ، فالله سبحانه أخفى الجواب ولم يصرح به لسبب ولحكمة ما ، وليذهب المرء في تقديره كل مذهب .

٢-جعلها بمعنى الواو : قيل بمجيء (ثُمَّ) لا تفيد الترتيب ، أي : تكون بمعنى الواو كقوله تعالى : (وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ){الأعراف : ١١} **وقوله** تعالى : (فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ){يونس : ٤٦} بمعنى : والله شهيد ، وقوله تعالى : (إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ){الأعراف : ٥٤} يعني : واستوى على العرش ، وقوله تعالى : (خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا){الزمر : ٦}

قال الرماني : ((ثُمَّ : وهي من الحروف الهوامل ومعناها العطف ، وهي تدل على التراخي والمهلة ، وذلك نحو قولك : قام زيد ثُمَّ عمرو ، والمعنى أنَّ عمرًا قام بعد زيد ، وبينهما مهلة ، وأمَّا قوله تعالى : (وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ) والأمر بالسجود كان قبل خلقنا ، ففيه ثلاثة أقوال للعلماء ، أحدها : أنَّ التقدير : ولقد خلقنا أباكم آدم وصوَّرناه ، ثم قلنا للملائكة اسجدوا له ، فجاء على حد كلام العرب ، وذلك أنَّهم يقولون : نحن هزمناكم يوم كذا

وكذا ، أي : آباؤنا هزموا آباءكم ... والثاني : أنَّ الترتيب وقع ها هنا في الخبر ... والثالث : أنَّ (ثُمَّ) وقع هنا موقع الواو لاشتراكهما في العطف)) [١]

وقال المرادي : ((وذهب الفراء ... والسيرافي والأخفش وقطرب ... إلى أنَّ (ثمَّ) بمنزلة الواو لا تُرَتِّب ومنه عندهم : (خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا){الزمر : ٦} ومعلوم أنَّ هذا الجعل كان قبل خلقنا ... وقد حمل بعضهم قوله تعالى : (ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا) على أنَّ (ثم) في الآية لترتيب الأخبار ، وقيل أخرج ذرية آدم من ظهره كالذَرِّ ، ثم خلق بعد ذلك حواء ، فعلى هذا تكون (ثمَّ) على أصلها من الترتيب في الزمان))[٢] وقد ردَّ ابن هشام المذهب المذكور المنسوب إلى الأخفش مؤكدًا مجيئها للترتيب في كل شواهدها[٣]

وقال الزمخشري في تفسير الآية التي في الزمر : ((فإن قلتَ ما وجه قوله : (ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا) وما يعطيه من معنى التراخي ، قلتُ : هما آيتان من جملة الآيات التي عدَّدها دالًّا على وحدانيته وقدرته ، تشعيب هذا الخلق الفائت للحصر من نفس آدم ، وخلق حواء من قصيراه ، إلّا أنَّ إحداهما جعلها الله عادة مستمرة ، والأخرى لم تجر بها العادة ، ولم تُخلَق أنثى غير حواء من قصيري رجل ، فكان أدخل في كونها آية ، وأجلب لعجب السامع فعطفها بـ(ثُمَّ) على الآية الأولى ؛ للدلالة على مباينتها فضلًا ومزية ، وتراخيها عنها فيما يرجع إلى زيادة كونها آية ، فهو من التراخي في المنزلة ، لا من التراخي في الوجود ، وقيل : (ثم) متعلق بمعنى واحدة ،

---

(١) معاني الحروف ص ١١٩-١٢٠ .

(٢) الجنى الداني ص ٤٢٧-٤٣٠.

(٣) ينظر : مغني اللبيب ١/١١٧-١١٨ .

كأنَّه قيل : خلقكم من نفس واحدة ، ثم شفعها الله بزوج ، وقيل : أخرج ذرية آدم من ظهره كالذَرِّ ، ثم خلق بعد ذلك حواء)) [1]

وقال الزركشي : (((ثُمَّ) للترتيب مع التراخي ، وأمَّا قوله تعالى : (وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى){طه : ٨٢} والهداية سابقة على ذلك ، فالمراد : ثم دام على الهداية ... وقد تأتي لترتيب الأخبار لا لترتيب المخبَر عنه كقوله تعالى : ((فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ){يونس : ٤٦} وقوله تعالى : (وَاسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ){هود : ٩٠} وتقول : زيد عالم كريم ثم هو شجاع ، قال ابن بَرّي : قد تجي (ثُمَّ) كثيرًا لتفاوت ما بين رتبتين في قصد المتكلم ... كقوله تعالى : (الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِم يَعْدِلُونَ){الأنعام : ١} فـ(ثُمَّ) هنا لتفاوت رتبة الخلق والجعل من رتبة العدل ... ومثله قوله تعالى : (فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ {١١} وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ {١٢} فَكُّ رَقَبَةٍ {١٣} أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ {١٤} يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ {١٥} أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ {١٦} ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ){البلد : ١١-١٧} دخلت لبيان تفاوت رتبة الفكّ والإطعام من رتبة الإيمان ... وذكر غيره في قوله تعالى : (ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِم يَعْدِلُونَ){الأنعام : ١} أنَّ (ثُمَّ) دخلت لبعد ما بين الكفر وخلق السماوات والأرض ... وعلى ذلك جرى الزمخشري في مواضع كثيرة من الكشاف ... وقوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا){الأحقاف : ١٣} قال : كلمة التراخي دلت على تباين المنزلتين ... أعني أنَّ الاستقامة على الخير مباينة لمنزلة الخير نفسه ؛ لأنَّها أعلى منها وأفضل[2] ومنه قوله

---

(١) الكشاف ١١٠/٤ وينظر : الدر المصون ٤٠٩/٩-٤١٠

(٢) الكشاف ٧٨/٣ .

تعالى : (إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ {١٨} فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ {١٩} ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ){المدثر : ١٨-٢٠} إن قلتَ : ما معنى (ثُمَّ) الداخلة في تكرير الدعاء؟ قلتُ : الدلالة على أنَّ الكرَّة الثانية من الدعاء أبلغ من الأولى[١] ... واعلم أنَّه بهذا التقدير يندفع الاعتراض بأنَّ (ثُمَّ) قد تخرج عن الترتيب والمهلة وتصير كالواو)) [٢]

٣-جعلها استئنافية أو ابتدائية : قال المالقي : ((ثُمَّ : ولها في الكلام موضعان ، الموضع الأول : أن تكون حرف عطفٍ مفردًا على مفرد ... الثاني : أن تكون حرف ابتداء ، إمَّا أن تكون حرف ابتداء على الاصطلاح ، أي : يكون بعدها المبتدأ والخبر ، وإمَّا ابتداء كلام ، فالأول نحو أن تقول : أقول لك : اضرب زيدًا ثم أنت تترك الضرب ، ومنه قوله تعالى : (قُلِ اللّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ){الأنعام : ٦٤} وإمَّا ابتداء كلام كقولك : هذا زيد قد خرج ، ثم إنَّك تجلس ، قال الله عز وجل : (فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ){المؤمنون : ١٤} ثم قال بعد ذلك (ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ {١٥} ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ){المؤمنون : ١٥-١٦} وقد يرجع هذا إلى عطف الجمل ، إذا كان الجملتان في كلام واحد ، وذلك بحسب إرادة المتكلم ، والأظهر في الجمل الانفصال في المراد إلّا حيث يدل الدليل على أنَّ مقصود الكلام واحد ، فاعلم ذلك والله الموفق بمنِّه)) [٣]

---

(١) الكشاف ٦٣٧/٤.

(٢) البرهان في علوم القرآن ص ٨٣٩-٨٤٠

(٣) رصف المباني ص ٢٥٠-٢٥١ .

وقد نقل المرادي كلام المالقي بنصه بعد أن نسبه إليه وقال : ((ولا يصح كونها حرف ابتداء ، وإنَّما هي حرف عطف تعطف جملة على جملة ، كما تعطف مفردًا على مفرد)) [1]

وقد اختلق الفيروزآبادي ثلاثة معاني أُخَر أضافها إلى التي تقدم ذكرها ، فقد قال : ((ثُمَّ : حرف عطف يقتضي تأخر ما بعده عما قبله ، إمَّا تأخيرًا بالذات أو بالمرتبة أو بالوضع ، وثُمَّت لغة فيه ، وقد ورد في القرآن على ستة أوجه :

الأول : للعطف .

الثاني : للتعجب : (ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِم يَعْدِلُونَ){الأنعام : ١}

الثالث : للابتداء .

الرابع : بمعنى الواو .

الخامس : بمعنى (مع) : (ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا){البلد : ١٧}

السادس : بمعنى (قبل) : (ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء){البقرة : ٢٩} (ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لالَى الْجَحِيمِ){الصافات : ٦٨}[2]

وتبعه الكفوي إلّا أنَّه جعلها بمعنى (قبل) في قوله تعالى : (إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ){الأعراف : ٥٤} أي : فعل ذلك قبل استوائه على العرش ، كما قال[3] وقد تقدم الكلام على معاني : العطف ، والابتداء ، والواو ، وفيما يأتي دراسة لشواهد المعاني المذكورة الباقية .

---

(١) الجنى الداني ص ٤٣٢.

(٢) بصائر ذوي التمييز ٣٤٤/٢ .

(٣) الكليات ص ٢٧٠-٢٧١.

١-جعل (ثُمَّ) بمعنى التعجب في قوله تعالى : (الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِم يَعْدِلُونَ){الأنعام : ١} قال الزمخشري : ((فإن قلت : علام عطف قوله : (ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِم يَعْدِلُونَ) قلتُ : إمَّا على قوله : (الْحَمْدُ لِلّهِ){الفاتحة : ٢} وغيرها على معنى أنَّ الله حقيق بالحمد على ما خلق ؛ لأنَّه ما خلقه إلّا نعمة ، ثم الذين كفروا بربهم يعدلون ، فيكفرون نعمته ، وإمَّا على قوله : (خَلَقَ السَّمَاوَاتِ){البقرة : ١٦٤} وغيرها على معنى أنَّه خلق ما خلق مما لا يقدر عليه أحد سواه ثم هم يعدلون به مما لا يقدر على شيء منه ، فإن قلتَ : فما معنى (ثُمَّ) ؟ قلتُ : استبعاد أن يعدلوا به بعد وضوح آيات قدرته ، وكذلك : (ثُمَّ أنتم تمترون){الأنعام : ٢} استبعاد لأن يمتروا فيه بعد ما ثبت أنَّه محييهم ومميتهم وباعثهم))[١]

وقال ابن عطية : ((وقوله تعالى : (ثُمَّ) دالة على قبح فعل الذين كفروا ؛ لأنَّ المعنى : أنَّ خلقه السموت والأرض وغيرهما قد تقرر ، وآياته قد سطعت ، وأنعامه بذلك قد تبين ، ثمَّ بعد هذا كله عدلوا بربهم ، وهذا كما تقول : يا فلان ، أعطيتك وأكرمتك وأحسنتُ إليك ثُمَّ تشتمني ، أي : بعد وضوح هذا كلّه ، ولو وقع العطف في هذا ونحوه بالواو لم يلزم التوبيخ كلزومه بـ(ثُمَّ))) [٢]

ونقل أبو حيان الأندلسي قول الزمخشري وقول ابن عطية ثُمَّ قال : ((وهذا الذي ذهب إليه ابن عطية من أن (ثُمَّ) للتوبيخ والزمخشري من أنَّ (ثُمَّ) للاستبعاد ليس بصحيح ؛ لأنَّها لم توضع لذلك ، وإنَّما التوبيخ أو الاستبعاد مفهوم من سياق الكلام لا من مدلول (ثُمَّ) ، ولا أعلم أحدًا من

---

(١) الكشاف ٤/٢.

(٢) المحرر الوجيز ٢٦٦/٢ .

النحويين ذكر ذلك بل (ثُمَّ) هنا للمهلة في الزمان ، وهي عاطفة جملة اسمية على جملة اسمية)) [١] يعني على قوله تعالى : ((الْحَمْدُ لِلّهِ)

وقال الحلبي : ((قوله : (ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا) (ثَمَّ) هذه ليست للترتيب الزماني ، وإنَّما هي للتراخي بين المرتبتين)) [٢] وما قاله أبو حيان : ((وإنَّما التوبيخ أو الاستبعاد مفهوم من سياق الكلام لا من مدلول (ثُمَّ))) يمثل عين الحقيقة والصواب ، والظاهر أنَّ (ثُمَّ) للترتيب الزماني كما قال أبو حيان ، لأنَّ الذين كفروا بربهم وعدلوا به غيره كان بعد خلق السماوات والأرض ، وسواء كانت للتراخي في الزمان أو التراخي في المرتبة فهي في كلا الحالين عاطفة للترتيب على ما تقدمها ، والفيروزآبادي نفسه عرَّف (ثُمَّ) بأنَّها تكون عاطفة للترتيب والتراخي في الزمان أو المرتبة .

٢-جعل (ثُمَّ) بمعنى (مع) في قوله تعالى : (فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ {١١} وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ {١٢} فَكُّ رَقَبَةٍ {١٣} أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ {١٤} يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ {١٥} أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ {١٦} ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ){البلد : ١١-١٧} و(ثُمَّ) هنا عاطفة وليست بمعنى (مع) كما قال الفيروزآبادي ، قال الزمخشري : (((ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا) جاء بـ(ثُمَّ) لتراخي الإيمان وتباعده في الرتبة والفضيلة عن العتق والصدقة لا في الوقت ؛ لأنَّ الإيمان هو السابق المُقدَّم على غيره ، ولا يثبت عمل صالح إلّا به)) [٣] وقال أبو حيان : (((ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا) هذا معطوف على قوله : (فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ) ودخلت (ثُمَّ) لتراخي الإيمان والفضيلة لا للتراخي للزمان ، لأنَّه لا بد أن يسبق تلك الأعمال الحسنة

---

(١) البحر المحيط ٩٣/٤ .

(٢) الدر المصون ٥٢٤/٤ .

(٣) الكشاف ٧٤٥/٤.

الإيمان ؛ إذ هو شرط في صحة وقوعها من الطائع ، أو يكون المعنى : ثم كان في عاقبة أمره من الذين وافوا الموت على الإيمان ؛ إذ الموافاة عليه شرط في الانتفاع بالطاعات أو التراخي في الذكر كأنَّه قيل : ثم اذكر أنَّه كان من الذين آمنوا)) (١)

٣-جعل (ثُمَّ) بمعنى (قبل) : في قوله تعالى : (هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ){البقرة : ٢٩} يعني : أنَّ خلق السماوات والأرض كان قبل الاستواء على العرش ، وهذا وجه مختلَق بدرجة امتياز ؛ لأنَّه تحصيل حاصل ؛ لأنَّ (ثّمَّ) لما كانت للترتيب فمن البديهي أن يكون ما قبلها حاصل قبل ما بعدها في الزمان أو الرتبة ، وهذا هو حالها في كل مواضعها ، قال الحلبي : ((قوله تعالى : (ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء) أصل (ثُمَّ) أن تقتضي تراخيًا زمانيًا ولا زمان هنا ، فقيل : إشارة إلى التراخي بين رتبتي خلق الأرض والسماء ، وقيل لما كان بين خلق الأرض والسماء أعمال أُخر من جعل الجبال والبركة وتقدير الأقوات ، كما أشار إليه في الآية الأخرى عطف بـ(ثُمَّ) إذ بين خلق الأرض والاستواء إلى السماء تراخ)) (٢)

فـ(ثُمَّ) لا تكون إلّا عاطفة وهي للترتيب والتراخي ، إمَّا التراخي في الزمان أو التراخي في الرتبة

١٥-**حتّى** : بسطتُ الكلام على حتى في كتابي : لا وجوه ولا نظائر برقم ١٣١ وتبين من دراستها هناك أنَّ (حتى) ليست من الحروف المشتركة في القرآن الكريم ، وأنَها لم ترد فيه إلّا عاطفة .

---

(١) البحر المحيط ٦٦٩/٨ .

(٢) الدر المصون ٢٤٢/١.

١٦-**على** : قال المرادي : إنَّ أصل معناها ((الاستعلاء حِسًّا كقوله تعالى : (كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ){الرحمن : ٢٦} أو معنًى كقوله تعالى : (تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ)البقرة : ٢٣٥} ولم يثبت لها أكثر البصريين غير هذا المعنى ، وتأوّلوا ما أوهم خلافه)) [١] وقد ذكر لها النحاة باستثناء معنى الاستعلاء المعاني الآتية : المصاحبة بمعنى (مع) ، والتعليل ، والظرفية بمعنى (في) وتكون مكان الباء ، ومكان (مِن) ، وبمعنى (عند) واختلفوا في دلالة (على) المضافة إلى الله سبحانه[٢] وفيما يأتي دراسة للشواهد القرآنية التي استشهدوا بها للمعاني المذكورة :

١-المصاحبة بمعنى (مع) : جعلوا من شواهد ذلك قوله تعالى : (لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ){البقرة : ١٧٧}

لو أراد معنى المصاحبة كما قالوا لقال : مع حبه ، و(مع) تفيد المصاحبة والمجاورة ، و(على) تفيد الاستعلاء على الشيء مع التصاقه بسطحه العلوي ، فهي أشد تمكنًا من (مع) ولهذا قال (عَلَى حُبِّهِ) ولم يقل : مع حبه ؛ لأنَّ معنى التمكن من حب المال هو المعنى المراد ، قال ابن عاشور : ((وليس هذا معنى مستقلًّا من معاني (على) بل هو استعلاء

([١]) الجنى الداني ص ٤٧٦.

([٢]) ينظر : تأويل مشكل القرآن ص ٣٠٠ ، ٣٠٢ ومعاني الحروف للرماني ص ١٢٢ والأزهية ص ٢٨٥-٢٨٦ والجنى الداني ص ٤٧٦-٤٨٠ ومغني اللبيب ١/١٤٢-١٤٦ والبرهان ٨٤٦-٨٤٧ والإتقان ص ٢٥٠ والكليات للكفوي ص ٥٢٩-٥٣٢ والزيادة والإحسان ٨/١٠٥-١٠٦ ٧.

مجازي أريد تحقق ثبوت مدلول مدخولها لمعمول متعلقها ؛ لأنَّه لبعد وقوعه يحتاج إلى تحقيق)) [1]

وكذلك جعلوا (على) بمعنى (مع) في قوله تعالى : (وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ){الرعد : ٦} قال الكفوي في استعمال (على) من دون (مع) في هذا الشاهد : ((ولها مزية على (مع) لإفادتها التمكن دون (مع))) [2]

واستعمل (على) هنا أيضًا ؛ لأنَّه أراد معنى تمكن الناس من الظلم ، ليكون المعنى : أنَّه سبحانه ذو مغفرة للناس على الرغم من شدة ظلمهم

٢–جعل (على) للتعليل بمعنى لام العلة : كقوله تعالى : (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ اللّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ){البقرة : ١٨٥} والشاهد قوله تعالى : (وَلِتُكَبِّرُواْ اللّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ) والتقدير عندهم : لتكبروا الله لما هداكم ، ولو أراد الله سبحانه معنى لام العلة كما زعموا لقال كما قدَّروا ، فيا ويلهم لِمّ يُقَوِّلون الله جلّ وعلا ما لم يقله ؟! قال الزمخشري : ((وإنَّما عدَّى فعل التكبير بحرف الاستعلاء (على) لكونه مضمَّنًا معنى الحمد كأنَّه قيل : ولتكبروا الله حامدين على ما هداكم)) [3] والصحيح أن يقال إنَّه عدَّاه بـ(على) لأنَّه أراد معناه لا لأنَّه ضمَّن التكبير معنى الحمد ، وقد تكلمتُ على التضمين ومهازله في كتابي : النصب على نزع الخافض والتضمين من بدع النحاة والمفسرين ، فلا حاجة إليه ، بل هو قول باطل ، وكأنَّ الزمخشري والنحاة عزموا على تحريف دلالة

([1]) التحرير والتنوير ١٢٩/٢ .

([2]) الكليات ص ٥٣٠.

([3]) الكشاف ٢٢٦/١.

التركيب القرآني في الشاهد المذكور ونحوه ، إمَّا دلالة الفعل أو دلالة الحرف ، ويبدو أنَّ أبا حيان الأندلسي عقَّب على كلام الزمخشري بكلام أحسن فقال بعد أن نقل كلامه : ((وقوله : كأنَّه قيل : ولتكبروا الله حامدين على ما هداكم ، هو تفسير معنى لا تفسير إعراب ؛ إذ لو كان تفسير إعراب لم تكن (على) متعلقًا بـ((وَلِتُكَبِّرُواْ) المضمنة معنى الحمد ، إنَّما كانت تكون متعلقة بـ(حامدين) التي قدَّرها ، والتقدير الإعرابي هو أن تقول : كأنَّه قيل : ولتحمدوا الله بالتكبير على ما هداكم ، كما قدَّر الناس في قولهم : قتل الله زيادًا عني ، أي : صرف الله زيادًا عني بالقتل ، وفي قول الشاعر (كعب بن زهير) :

ويركب يوم الرَّوع فينا فوارسٌ بصيرون في طعن الأباهر والكُلى

أي : يحكمون بالبصيرة في طعن الأباهر)) [(١)]

فتعدي التكبير إلى مفعوله بـ(على) لم يأت من تضمينه معنى الحمد ، وإنَّما هو متأتٍّ من حذف ما يمكن الاستغناء عنه ، أو من حذف ما لا يخلّ بالمعنى المراد ، فهناك إذن إيجاز في التعبير القرآني ، ولغة القرآن الكريم تميَّزت كثيرًا بهذا النوع من الإيجاز البليغ .

وكذلك جعلوا (على) بمعنى لام العلة في قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ){المائدة :٥٤ } وقد تناولتُ هذا الشاهد القرآني بالدراسة في كتابي : النصب على نزع الخافض ، وفيما يأتي نص ما قلته هناك : ((قال الزركشي في باب التضمين : ((فإنَّه يقال : ذلّ له ، لا عليه ؛ ولكنَّه هنا ضُمِّن معى التعطف والتحنن)) [(٢)] قال : ((فإنَّه يقال : ذل

---

(١) البحر المحيط ٧٤/٢.

(٢) البرهان : ص ٦٥٥ .

لـه ، لا عليـه)) يعنـي يقـال هذا بـين النـاس ، لكـن الله قـد قـال : (أَذِلَّـةٍ عَلَـى الْمُـؤْمِنِينَ) فلمـاذا يُعتـدّ بكـلام النـاس ، ولا يعتـد بكـلام ربّ النـاس ؟! والحقيقـة أنَّه ليس فـي الآيـة تضـمين ؛ ولـو أراده لجاء بلفظـه ، وقيل : عاطفين عليهم ، أو حانِّين عليهم ، وإنَّما أراد من قوله : (أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ) ما يدلّ عليه هذا اللفظ من غير تضمين ؛ وهذا ما أفصح عنه المفسرون أنفسهم القائلون بهذ التضمين . فقد قال الزجاج : ((أي : جانبهم ليِّن على المؤمنين ، ليس أنَّهم أذلاء مهانون)) [١] وقال ابن عطية : ((معناه : متذللين من قبل أنفسهم ، غيـر متكبـرين)) [٢]وقـال البيضـاوي : ((عـاطفين علـيهم متـذللين ... واستعماله مع (على) إمَّا لتضمنه معنى العطف والحنو ، أو للتنبيه على أنَّهم مـع علـوِّ طبقـتهم وفضـلهم علـى المـؤمنين خاضـعون لهـم)) [٣] وقـال أبـو حيان : ((وعدِّي بـ(على) ، وإن كان الأصل باللام ؛ لأنَّه ضمَّنه معنى الحنو والعطف كأنَّه قال : عاطفين على المؤمنين ، على وجه التذلل والتواضع))[٤]

تأمَّل قول أبي حيان ، أنَّه ما الحاجة إلى هذا التضمين الذي ادعاه ، بعد أن أبقى لقوله : (أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ) دلالته التي جعلها بمعنى : التذلل والتواضـع ، فمـا انتهـى إليـه كـلام أبـي حيـان ، هـو االتفسـير الصـحيح الـذي أبطـل بـه قولـه بالتضـمين مـن حيـث لـم يشـعر ، وجـاء فـي روح المعـاني للآلوسي: ((يعني أنَّ كونهم أذلة ، ليس لأجل كونهم أذلاء في أنفسهم ؛ بل لإرادة أن يضموا إلى علو منصبهم وشرفهم فضيلة التواضع)) [٥]

---

(١) معاني القرآن وإعرابه : ١٤٨/٢ .

(٢) المحرر : ٢/ ٢٠٨ .

(٣) أنوار التنزيل : ١٣٢/٢.

(٤) البحر المحيط : ٧٠٣/٣ ، وينظر : الدر المصون ٣٠٩/٤ .

(٥) ٣٣١/٣.

فهذا المعنى الذي ذكره المفسرون ، لو أُريد التعبير عنه بأبلغ عبارة وأوجزها وأفصحها وأدقها ، فهل يمكن أن يكون غير قوله تعالى : (أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ)

نستنتج مما مرَّ ذكره أنَّه كما يقال : ذلَّ له ، يقال أيضًا : ذلَّ عليه ، ، كما هو الحال في (رغب) يقال : رغب في كذا ، ويقال : رغب عن كذا ، وكلٌّ في موضعه وسياقه وحسب المعنى المقصود ، فالذلّ في القول الأول ، هو ذلّ خضوع واستكانة ، ولا يصدر من صاحبه إلّا كرهًا ، وبرغم أنفه ، والذلّ في القول الثاني ، يجيء طوعًا ؛ لأنَّه ذل يبتغي به صاحبه التواضع ، وخفض الجناح لإخوانه المؤمنين ابتغاء مرضاة الله ، فالفرق بين الذلّين واضح ، ومن الضروري جدًّا في هذا المقام أن أشير إلى قضية مهمة ، لم ينتبه عليها النحاة والمفسرون ، وهي أنَّ شيوع تركيب معيَّن، إنما يأتي من شيوع معناه الذي يتطلب التعبير عنه بهذا التركيب ، فإذا أُريد التعبير عن معنى آخر غير شائع ، وجب التعبير عنه بتركيب آخر يوافق هذا المعنى ، وإن ندر استعمال هذا التركيب ، وقد تكون ثمة معان استعملها القرآن الكريم ، لكنه لم يستعملها العرب في شعرهم ، ولا في نثرهم ؛ لذلك ورد هذا التركيب في كلام الله ، ولم يرد في كلامهم ، ومن المعاني التي لم يتطرق إليها إلّا القرآن الكريم ؛ مما اقتضى أن يكون التركيب المعبِّر عنه ، لم يرد إلّا في كتاب الله ، هو قول الله تعالى الذي تقدم دراسة مدلوله : (أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ)

وينبغي هنا استعمال طريق التفسير لا طريق التضمين ، فمن المعروف أن التفسير يذكر المعنى المراد من غير تضمين ، وهذا أمر مقبول ، لأن القصد منه فهم المعنى ، لا إلباس اللفظ دلالة تعدل دلالته الأصلية ، أو تحلّ محلّها ، فالمراد من قوله تعالى : (أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ) الذل نفسه بلفظه ومعناه المعجمي ، بأنَّه يدل على الخضوع والاستكانة واللِّين ، أي :

ما كان ضد (العز) [١] إلّا أنَّ القرآن الكريم ببلاغة تراكيبه وأساليبه رسم منه ومن قوله : (أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ) صورة جميلة مؤلفة من ضدين ؛ لكنهما ظهرا في التعبير القرآني متآلفين متعانقين ؛ على خلاف ما عُرِف عنهما في كلام البشر ؛ إذ جعلهما كقطبين ، وإن تنافرا من جانب ، تجاذبا من جانب آخر ، فقد استعمل القرآن لفظ الذلّ بدلالته ، ومن أجل أن يبيِّن بأنَّ هذا الذي اتصفت به الصفوة المختارة ، قد جاء منهم طوعًا لا كرهًا ، عدَّاه بـ(على) ، ثم وصف القوم أنفسهم بما يناقض معنى الذل فقال: (أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ) ليؤكِّد طواعية ذلهم تجاه إخوانهم المؤمنين

فهذه الصورة الجميلة التي رسمها القرآن الكريم ، يجب أن نعرضها للناس كما هي ، لا أن نشوهها بالتضمين)) [٢].

٣-جعلها بمعنى الباء : وجعلوها بمعنى الباء في قوله تعالى : (وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ){التكوير : ٢٤} قال الرمّاني : ((وقد وضعوها موضع الباء ، وعلى ذلك تأولوا قراءة من قرأ : (وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِظَنِينٍ) بالظاء ، أي : بالغيب ؛ لأنَّه لا يقال : ظننتُ عليه بكذا ، أي : اتهمته ، فأمَّا من قرأ : (وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ) بالضاد فـ(على) في موضعها ؛ لأنَّه يقال : ضننتُ عليه بكذا ، أي : بخلتُ))[٣]والصحيح أنَّ (عَلَى الْغَيْبِ) متعلق بـ(ظنين) أو (بضنين)))[٤] لأنَّه أريد منها معنى الاستعلاء في القراءتين ، قال ابن عاشور : ((وحرف (على) في هذا الوجه للاستعلاء

---

(١) ينظر : مقاييس اللغة ص ٣١٦ .

(٢) النصب على نزع الخافض والتضمين من بدع النحاة والمفسرين ، المبحث السادس ، المطلب الثاني : شواهد التضمين في القرآن الكريم ، الشاهد الرابع .

(٣) معاني الحروف ص ١٢٢.

(٤) الدرّ المصون ١٠/٧٠٧.

المجازي الذي بمعنى الظرفية نحو قوله تعالى : (أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى){طه : ١٠} أي : ما هو بمتهم في أمر الغيب ، وهو الوحي أن لا يكون كما بلغه ، أي : أنَّ ما بلَّغه هو الغيب لا ريب فيه ، وعكسه قولهم : ائتمنه على كذا)) [١]

وكذلك قالوا بمجيئها بمعنى الباء : في قوله تعالى : (حَقِيقٌ عَلَي أَن لاَّ أَقُولَ عَلَى اللّهِ إِلّا الْحَقَّ){الأعراف : ١٠٥} والتقدير حقيق بأن لا أقول ، وبسطت القول في هذا الشاهد في كتابي : النصب على نزع الخافض ، ودونك ما كتبته هناك : ((قرأ نافع (حقيق عليَّ) بتشديد الياء وفتحها ، وقرأ الباقون (حقيق على) بالألف على أنَّها حرف جر دخلت على (أن) [٢]

قال الفراء : ((وفي قراءة عبد الله : حقيق بأن لا أقول على الله ، حجة من قرأ (على) ولم يضف ، والعرب تجعل الباء في موضع (على) ، رميتُ على القوس وبالقوس ، وجئتُ على حال حسنة ، وبحال حسنة)) [٣]

ويعني بقوله ((ولم يضف)) : لم يضف (على) إلى ياء المتكلم ، وتبع الفرّاء في تأويله هذا : الأخفش [٤]، والطبري [٥]، وأبو جعفر النحاس [٦]، وأبو علي النحوي [٧]، والواحدي [١]، وابن عطية [٢]، وأبو البركات بن

---

(١) التحرير والتنوير ٣٠/١٤٤-١٤٥.

(٢) ينظر : معاني القراءات للأزهري ص ١٨٤ ، والكشف عن وجوه القراءات السبع ١/ ٤٧٠ ، وغيث النفع ص ٢٤٦ .

(٣) معاني القرآن ١/٢٥٩ .

(٤) ينظر : معاني القرأن ص ١٩٧ .

(٥) ينظر : جامع البيان ٩/١٩ .

(٦) ينظر : إعراب القرآن ص ٣١٦ .

(٧) ينظر : الحجة ٣/ ٣٧-٣٨ .

بن الأنباري [٣] وقال ابن عاشور ((أحسنها قول الفراء ... أنَّ (على) هنا بمعنى الباء)) [٤]

وما قاله الفراء ، ومن تبعه يدخل في باب تضمين حرف معنى حرف آخر ، وقال أبو عبيدة : ((ومن قرأ (حقيق على أن لا أقول) ولم يضف (على) إليه ، فإنَّه يجعل مجازه مجاز : حريص على أن لا أقول))[٥] وهذا من باب تضمين اسم معنى اسم آخر .

والحقيقة أنَّه ليس في الآية أيٌّ تضمين كان ، وأنَّه لا يصح أن تكون (على) بمعنى الباء ، ولا (حقيق) بمعنى (حريص) بل لكل منهما دلالتها المستقلة من دلالة غيرها ، وثمة حقيقة لغوية يمكن أن نستقرئها من كلام العرب ، وهي أنَّ حروف الجر التي تتعدى بها الأفعال ، غالبًا ما تصبح معانيها متقاربة ، في كثير من التراكيب ، وليست متطابقة ، كما ادعى ابن جنّي ، ومن المعلوم أنَّ العربي في كلامه ، كثيرًا ما يقصد معاني عامة ، يمكن أن يصل إليها باستعمال عدة حروف ، من ذلك ما استشهد به الفراء : ((والعرب تقول : جئتُ على حال حسنة ، وجئتُ بحال حسنة)) فاستعمال (على) هنا مرة ، والباء مرة أخرى ، لا يعني تطابقهما البتة ، وإنَّما جاز وضع أحدهما في موضع الآخر ؛ لأنَّ كليهما يوصل المتكلم العربي إلى المعنى العام الذي يروم التعبير عنه ، فكل ما يريده المتكلم هنا مثلًا هو التعبير عن حسن حاله عند مجيئه ، سواء توصَّل إليه بالباء التي تفيد معنى

---

(١) ينظر : الوسيط ٣٩٢/٢ .

(٢) ينظر : المحرر الوجيز ٢/ ٤٣٥ .

(٣) ينظر : البيان في غريب إعراب القرآن ٢٦٩/١ .

(٤) التحرير والتنوير ٨/ ٢٢٥

(٥) مجاز القرآن ص ٩١ ، وينظر : جامع البيان للطبري ١٩/٩ .

الإلصـاق ، وقـال : جئتُ بحـال حسـنة ، أو توصَّـل إليـه بـ(علـى) التـي تفيد معنى الاستعلاء ، وقال : جئتُ على حال حسنة ، أو توصَّل إليه باستعمال (في) التي تفيد معنى الدخول في الشيء ، وقال : جئتُ في حال حسنة

وهـذا جـائز وحاصـل فـي كـلام البشـر ، لكنـه غيـر جـائز ، وغيـر حاصـل فـي كـلام الله ، فـالقرآن الكـريم لـم يسـتعمل لفظًـا بمعنـى لفـظ آخـر ، مهما بدا أنَّه قد وضع في موضع اللفظ الآخر : ومهما بلغت درجة تقاربهما فـي نظـر البـاحثين والدارسـين ، ويبـدو أنَّ الـذي دفـع القـائلين بالتضـمين عجزهم ، أو تقاعسهم عن كدّ ذهنهم ، وعن إمعانهم النظر في التعرف إلى الدلالة المقصودة من استعمال الألفاظ في مواضع ألفاظ أُخَر ، من ذلك ما قيل من تضمين (حقيق) معنى (حريص)[1] فلو أنَّ القائلين بالتضمين أنعموا في البحث في قضية تعدي (حقيق) بـ(على) لتوصلوا إلى ما يغنيهم عن تبني هـذا القـول المختلـق ، فقـد صـرَّح أبـو علـي النحـوي بجـواز تعـدي (حقيـق) بـ(على) بكلتا القراءتين على حد سواء [2] واستبعد ابن عطية تضمين (حقيق) معنى (حريص) [3] وقد ذكر الزمخشري أربعة أوجه في تأويل تعدي (حقيق) بـ(على) ، وقال عن الوجه االرابع : ((وهو الأوجه الأدخل في نكت القرآن أن يغرق موسى في وصف نفسه بالصدق في ذلك المقام لا سيّما وقد روي أنَّ عدو الله فرعون قال لـه ، لما قال (إنـي رسول من رب العالمين) كذبتَ ، فيقول : أنا حقيق على قول الحق ، أي : أن أكون أنا قائله ، والقائم به)) [4]

---

(١) ينظر : مجاز القرآن ص ٩١ وجامع البيان للطبري ١٩/٩ ، والبرهان للزركشي ص ٦٥٣ .

(٢) ينظر : الحجة في علل القراءات السبع ٣/ ٣٧-٣٨

(٣) ينظر : المحرر ٤٣٥/٢ .

(٤) الكشاف ١٣٣/٢ .

وكيف يصحّ تضمين (حقيق) معنى (حريص) والدلالتان مختلفتان ، لأنَّ (حقيق) من (الحقّ) والحق : في اللغة : ((نقيض الباطل)) [١] و((خلاف الباطل)) [٢] وليس في لفظ (الحرص) شيء من هذه الدلالة ، وما دلّ عليه لفظ (الحقّ) في اللغة ، هو المعنى الذي أراد أن يعبر عنه موسى عليه السلام ، وأراد أن يعبّر أنَّ هذا الحق واقع على ما ادعاه ، ومتمكنٌ منه ، لا ملتصقٌ به ؛ لذلك عدّاه بـ(على) لا بالباء ، والجدير بالذكر أنَّه قد جاء في العين للفراهيدي : ((الحق : نقيض الباطل ، حقَّ الشيءُ يحقُّ حقًّا ، أي : وجب وجوبًا ، وتقول : يحق عليك أن تفعل كذا ، وأنت حقيق على أن تفعله)) [٣] فعيَّن تعدّي (حقيق) بـ(على) مع إضافة (على) إلى (أن) ، كما جاء تمامًا في قراءة (حقيق على أن لاأقول)

فليس إذن في الآية تضمين اسم معنى اسم آخر ، ولا تضمين حرف معنى حرف آخر)) [٤].

٤-جعل (على) بمعنى (في) : كقوله تعالى (وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ){البقرة : ١٠٢} والتقدير عندهم : في ملك سليمان ، جاء في الدر: ((قوله : (عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ) فيه قولان : أحدهما : أنَّه على معنى (في) أي : في زمن ملكه ، والملك هنا شرعه ، والثاني : أن يُضمَّن (تَتْلُواْ) معنى (تتقوَّل) أي : تتقوَّل على ملك سليمان ، و(تتقوَّل) يتعدَّى بـ(على) قال تعالى : (وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ){الحاقة : ٤٤}

---

(١) العين ص ٢٠١ .

(٢) الصحاح ص ٢٤٩

(٣) العين ص ٢٠١ .

(٤) النصب على نزع الخافض والتضمين من بدع النحاة والمفسرين ، المبحث السادس ، المطلب الثاني : شواهد التضمين في القرآن الكريم ، الشاهد الأول .

وهذا الثاني أولى ؛ فإنَّ التجوز في الأفعال أولى من التجوز في الحروف ، وهو مذهب البصريين)) [١]

إذا جاز في (على) معنى (في) و(على) فلِمَ لا نبقي الحرف على بابه ؟! كما أنَّه لو أراد معنى الظرفية لقال : في ملك سليمان ، بل (على) هنا على معناها ، ومن دون حاجة إلى التضمين المذكور ، لأنَّ (تلا) في اللغة يتعدى أيضًا إلى مفعوله بـ(على) جاء في اللسان : ((وتَلِيَتْ عليه تُلاوة وتَلى)) [٢] وفي التاج : ((وقوله تعالى : ((وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ) قال عطاء : أي : ما تُحدِّث به ، وقيل : ما تتكلم به ، ويقال : فلان يتلو على فلان ويقول عليه ، أي : يكذب)) [٣] والجدير بالذكر أنَّ الفعل (تلا) لم يرد في القرآن الكريم متعديًا إلى مفعوله بـ(في) إلّا في موضع واحد هو قوله تعالى : (وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا){الأحزاب : ٣٤} بينما جاء تعديه إلى مفعوله بـ(على) في مواضع كثيرة كقوله تعالى : (رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ){البقرة : ١٢٩} وقوله تعالى : (كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا أُمَمٌ لِّتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِيَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ){الرعد : ٣٠} وقوله تعالى : (قُل لَّوْ شَاء اللّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ){يونس : ١٦}

وقالوا أيضًا بجعل (على) بمعني (في) في قوله تعالى : (وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا){القصص : ١٥} والتقدير عندهم : في حين غفلة ، لماذا وقد جاء تعدي (دخل) بـ(على) في القرآن الكريم في مواضع كثيرة كقوله تعالى : (كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا

([١]) الدر المصون ٢٩/٢.

([٢]) لسان العرب ٢٣٦/٢

([٣]) تاج العروس ١٢٦/٣٧.

رِزْقاً){آل عمران : ٣٧} وقوله تعالى : (وَجَاء إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ){يوسف : ٥٨} وقوله تعالى : (وَالمَلاَئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ){الرعد : ٢٣} فالحرف يُؤتى به للحاجة إلى دلالته بغض النظر عن الفعل الذي تعلق به ، فالفعل (دخل) مثلّا وإن قيل : الأصل تعدّيه إلى مفعوله بـ(في) فهو لكثرة حاجته إلى معنى الظرفية ، لكن إذا أراد من دونه دلالة الاستعلاء عدَّى الفعل إليه بـ(على) كالشواهد القرآنية المذكورة ، وإذا أراد دلالة الإلصاق عدَّاه إليه بالباء كقوله تعالى : (وَإِذَا جَآؤُوكُمْ قَالُوَاْ آمَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِالْكُفْرِ){المائدة : ٦١} وقوله تعالى : (اللاَّتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ اللاَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ){النساء : ٢٣} وإذا احتاج إلى معنى الظرفية تعدَّى إليه بـ(في) كقوله تعالى : (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ){البقرة : ٢٠٨} وإذا أراد معنى المفعولية عدَّى الفعل إليه بنفسه كقوله تعالى : (وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُواْ هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً وَادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ){البقرة : ٥٨} بل إذا أراد دلالة حرف الجر ، ودلالة المفعولية في نفس السياق عدَّى الفعل إلى مفعوله بالجار الذي أراد معناه ، وعدَّاه إليه بنفسه وكلٌّ في موضعه كقوله تعالى : (قَالَ رَجُلاَنِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُواْ عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ){المائدة : ٢٣} قال : (ادْخُلُواْ عَلَيْهِمُ الْبَابَ) وقال : (فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ)

تأمَّل أنَّه عدَّى الفعل إلى الباب بـ(على) للإشارة إلى أنَّه يحتاج إلى قوة واستعلاء ليتمكنوا منه قبل دخوله ، وعدَّاه إليه بنفسه بعد أن يكونوا قد دخلوه واستوعبه الفعل واحتوى عليه ، فعندئذ يصح وصفهم بأنَّهم غالبون

٥-جعلها بمعنى (مِن) : كقوله تعالى : (مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الأَوْلَيَانِ){المائدة : ١٠٧} والتقدير : من الذين استحق منهم الأوليان ، جاء

في الدر المصون : ((وقوله : (عَلَيْهِمُ) في (على) ثلاثة أوجه : أحدها أنَّها على بابها ... واستُحسن ذلك ، والثاني : أنَّها بمعنى (في ... والثالث : أنَّها بمعنى (مِن))) [1] لِمَ لا نبقي الحرف على معناه ، ولا سيّما إذا كان هو المعنى الراجح والمستحسن على بقية المعاني التي قيلتْ فيه ، يا سبحان الله لِمَ هذا الولع في اختلاق المعاني ؟! وكذلك جعلوا (على) بمعنى (مِن) في قوله تعالى : (وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ {1} الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُواْ عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ {2} وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ){المطففين : ١-٣} والشاهد (إِذَا اكْتَالُواْ عَلَى النَّاسِ) التقدير عندهم : إذا اكتالوا من الناس ، قال الفراء : ((يريد : اكتالوا من الناس ، وهما تعتقبان (على) و(مِن) في هذا الموضع ؛ لأنَّه حقّ عليه ، فإذا قال : اكتلتُ عليك ، فكأنَّه قال : أخذتُ ما عليك ، وإذا قال : اكتلت منك ، فهو كقولك : اسوفيتُ منك)) [2] فقوله تعالى إذن : (اكْتَالُواْ عَلَى النَّاسِ) ليس بمعنى : اكتالوا من الناس ، كما ادعى في بدء كلامه ، وقال الزمخشري : ((لمَّا كان اكتيالهم من الناس اكتيالًا يضرّهم ، ويتحامل فيه عليهم أبدل (على) مكان (مِن) للدلالة على ذلك ، ويجوز أن يتعلق (على) بـ(يَسْتَوْفُونَ) ويقدم المفعول على الفعل لإفادة الخصوصية ، أي : يستوفون على الناس خاصة ، فأمَّا أنفسهم فيستوفون لها)) [3] وتعدي (اكتال) إلى مفعوله بـ(على) اقتضاه تعدي (كال) إلى مفعوله بنفسه ؛ لأنَّ المعنى : أنَّ هؤلاء المطففين ، إذا اكتالوا على الناس يستوفون ، أي : أخذوا ما لهم من حق على من اشتروا منهم ، من الكيل والوزن وافرًا حسبما يريدون ، لكنَّهم إذا كالوهم ، أو وزنوهم ، بمعنى : باعوا لهم أنقصوا لهم الكيل والوزن ، كقولك :

---

(١) الدر المصون ٤/٤٧٨-٤٧٩.

(٢) معاني القرآن ٣/١٣٤.

(٣) الكشاف ٤/٧٠٦ .

يأخذ حقَّه من الناس تامًّا ، ويعطيهم حقَّهم ناقصًا ، وهي عبارة شائعة في الذم [١]

فتأمَّل أنَّ في جعل (على) بمعنى (مِن) مأخذين : الأول : تحريف دلالة التركيب القرآني ، والثاني : إلغاء وطمس ما في هذا التركيب من بلاغة تتمثل في حسن التعبير عن المعنى المراد المطابق للواقع بدقة ، وهذا ما حصل ويحصل في كل حرف زعم النحاة أنَّه جاء بمعنى حرف كذا وكذا .

٦-جعلها بمعنى (عند) : جعل ابن قتيبة والهروي والزركشي (على) بمعنى (عند) في قوله تعالى : (وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ){الشعراء : ١٤}

لماذا ؟! ما المسوغ الدلالي واللغوي اللذان سوغا هذا الاستبدال ؟! بل (على) هنا وفي كل موضع لم ترد إلّا بمعناها ؛ لأنَّه أراد معنى ما استحق عليه أن يقضية ، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإنَّه لما قال : (وَلَهُمْ) ناسب أن يقول : (عليَّ) أي : أنَّ الذنب الذي ارتكبه هو حق لهم وحق عليه ، ولو كان هذا الذنب صدر منهم لناسب أن يقال : ولي عليهم ، فـ(على) في الآية على بابها ؛ لذلك جعلها ابن هشام بمعنى الاستعلاء المعنوي[٢]

(على) المضافة إلى الله تعالى : كقوله تعالى : (وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ){الفرقان : ٥٨} وقوله تعالى : (فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ){الرعد : ٤٠} وقوله تعالى : (ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ){الغاشية : ٢٦} فمنهم من جعل (على) في الشاهد الأول بمعنى الباء ، والصحيح أن (على)

---

(١) ينظر : روح المعاني للآلوسي ٢٧٥/١٥ .

(٢) ينظر : مغني اللبيب ١٤٣/١.

في هذه الشواهد ونحوها تفيد معنى الاستعلاء المجازي او المعنوي[1]وإنَّها ليست للإيجاب والاستحقاق ، وإنَّما لتأكيد تفضله على عباده ، أو لتأكيد المجازاة وتأكيد وقوعه ، فليس من أحد له حق على الله سبحانه ، وإنَّما هذا من باب ما كتبه الله على نفسه ، من غير أن يلزمه بذلك أحد ، جل جلاله ، كما قال تعالى : (قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُل لِلّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ){الأنعام : ١٢}

أوجه (على) في كتب الوجوه : قال الدامغاني : ((تفسير (على) على خمسة أوجه : له–يلزمه–مِن–به–شرط)) [2]

الوجه الأول : له : كقوله تعالى : (أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلأسْلامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ){الزمر : ٢٢} والتقدير عنده : فهو له نور من ربه ، ولا أدري كيف استساغ أن يجعل الآية بهذا التقدير وإرادة معنى الاستعلاء فيها جليٌّ ، وإبقاء الحرف على معناه ثم دراسته ضمن التركيب الذي ورد فيه أفضل ألف مرة من جعله بمعنى حرف آخر ؛ لأنَّ في دراسته في الحالة الأولى يتبين لنا سرّ استعماله في القرآن الكريم ، وينطمس هذا كلّه عند جعله بمعنى حرف آخر ، فضلًا عن أنَّ فيه تحريفًا لدلالة النص القرآني ، قال الكفوي في (على) في قوله تعالى : (أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ){البقرة : ٥} ((تمثيل تمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه كحال من اعتلى الشيء وركبه ، وتشبيه الهدى بالمركوب غير مقصود من الكلام ، بل هو أمر يتبع تشبيه التمسك بالهدى بالاستعلاء ، وقال السيد الشريف عليه الرحمة : كلمة (على) هذه استعارة تبعية شبّه تمسك المتقين بالهدى باستعلاء الراكب على مركوبه في التمكن والاستقرار ، فاستعير له الحرف

---

(١) ينظر : البرهان ص ٨٤٦.

(٢) الوجوه والنظائر ص ٣٤٦ .

الموضوع للاستعلاء ، كما شُبِّه المصلوب على الجذع باستقرار المظروف من الظرف بجامع الثبات ، فاستعير له الحرف الموضوع للظرفية))[1] وقال ابن عاشور : ((واستعيرت (على) استعارة تبعية أو تمثيلية للتمكن من النور ، كما استعيرت في قوله تعالى : (أُوْلَـئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ){البقرة : ٥}))[2]

وكذلك جعلها بمعنى اللام في قوله تعالى : (وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ){القلم : ٤} والتقدير عنده : وإنَّك لك الخلق العظيم ، ومن الواضح جدًّا أنَّه استعمل (على) لأنَّه أراد معنى الاستعلاء المجازي ، قال ابن عاشور : (((على) للاستعلاء المجازي المراد به التمكن كقوله تعالى : (فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ){النمل : ٧٩} ... وفي حديث عائشة : أنَّها سُئلت عن خلق رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فقالت : كان خلقه القرآن الكريم ... وبهذا يزداد وضوحًا معنى التمكن الذي أفاده حرف الاستعلاء في قوله تعالى : (وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ) فهو متمكن منه الخلق العظيم في نفسه ، ومتمكن منه في دعوته)) [3]

الوجه الثاني : جعلَ (على) بمعنى الإلزام في قوله تعالى : (مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ){التوبة :٩١} والتقدير عنده : لا يلزمهم الإثم ولا يلحق بهم ، والإلزام لا يصح عدّه وجهًا ؛ لأنَّه يعدُّ من معنى الإيجاب والاستحقاق التي تفيده (على)

الوجه الثالث : جعل (على) بمعنى (مِن) في قوله تعالى : (وَعَلَى اللّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ)رالنحل : ٩} والتقدير عنده : ومنه قصد السبيل ، والصحيح

---

(1) الكليات ص ٥٢٩-٥٣٠.

(2) التحرير والتنوير ٦٣/٢٤.

(3) التحرير والتنوير ٦٠/٢٩-٦١ .

أنَّ (على) على بابها ، وقد تقدم أنَّ إضافة (على) إلى الله ليست للإيجاب والاستحقاق ، وإنَّما لتأكيد تفضله على عباده ، أو لتأكيد المجازاة وتأكيد وقوعه

الوجه الرابع : جعلها بمعنى الباء في قوله تعالى : (وَعَلَى اللّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ){المائدة : ٢٣} وقد تقدم نحوه ، فهي بمعنى الإضافة والإسناد ، أي : أضيفوا توكلكم وأسندوه إليه[١] ف(على) هنا على بابها إلّا أنَّها كما تقدم لم تفد معنى الاستعلاء والاستحقاق ، وإنَّما لتأكيد تفضله على عباده ، أو لتأكيد المجازاة وتأكيد وقوعه .

الوجه الخامس : جعل (على) تفيد معنى الشرط في قوله تعالى : (قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ){القصص : ٢٧} والتقدير عنده : بشرط أن تأجرني ، والشرط لا يصح أيضًا عدّه وجهًا ؛ لأنَّه من معنى الإيجاب والاستحقاق الذي تفيده (على) .

وقال ابن الجوزي : ((و(على) في القرآن على خمسة أوجه : أحدها بمعنى (فوق) والثاني : بمعنى الشرط ، والثالث : بمعنى الضمان والالتزام ، والرابع : بمعنى (مِن) ، والخامس : بمعنى (في))) [٢]

وقد استشهد للأوجه الأربعة الأخيرة بنفس ما استشهد به الدامغاني والنحاة من قبله ، فقد مرت هذه الأوجه جميعها بشواهدها إلّا الوجه الأول الذي جعل فيه (على) بمعنى (فوق) في قوله تعالى : (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى){طه : ٥} وقد جاء استواء الله تعالى على العرش في القرآن الكريم في سبعة مواضع ، منها الشاهد المذكور ، وقوله تعالى : (إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ){الأعراف :

---

(١) ينظر : البرهان ص ٨٤٦.

(٢) نزهة الأعين النواظر ص ٢٠٤-٢٠٥ ومنتخب قرة العيون ص ١٧٧-١٧٨.

٥٤} وقوله تعالى : (إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ){يونس : ٣} وقوله تعالى : (اللّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ){الرعد : ٣} وقوله تعالى : (الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا){الفرقان : ٥٩} وقوله تعالى : (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ){السجدة : ٤} وقوله تعالى : (هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ){الحديد : ٤}

وقد جعل المالقي (على) للاستعلاء المجازي في قوله تعالى : (علَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) ((أي : قهرَ العرشَ فما دونه باستيلاء حكمه عليه ومنه قول الشاعر :

قد استوى بِشْرٌ على العراق   من غير سيف أو دم مهراق

أي : استولى وقهر)) [1]وقال الآلوسي : ((وذكر الراغب أنَّ العرش مما لا يعلمه البشر إلّا بالاسم ... والناس في الكلام على هذه الآية مختلفون ، فمنهم من فسَّر الاستواء بالاستقرار ، وروي ذلك عن الكلبي ومقاتل ... وما روي عن مالك رضي الله عنه أنَّه سئل : كيف استوى ؟ فأطرق رأسه مليًّا حتى علته الرحضاء ثم رفع رأسه فقال : الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة ، ثم قال للسائل : وما أظنك إلَّا ضالًّا ثم أُمِر به فأُخرِج ... ويدل على ذلك في رواية أخرى عن عبد الله بن وهب أنَّ مالكًا سئل عن الاستواء فأطرق وأخذه الرحضاء ثم قال : (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) كما وصف نفسه ، ولا يقال له : كيف وكيف ... وأنت تعلم أنَّ المشهور من مذهب السلف في مثل ذلك تفويض

([1]) رصف المباني ص ٤٣٣-٤٣٤.

المراد منه إلى الله تعالى فهم يقولون : استوى على العرش ، على الوجه الذي عناه سبحانه منزهًا عن الاستقرار والتمكن ، وأنَّ تفسير الاستواء بالاستيلاء مرذول ؛ إذ القائل به لا يسعه أن يقول كاستيلائنا ، بل لا بد أن يقول : هو استيلاء لائق به جل وعلا))[١]

وقال ابن الجوزي نفسه : ((وبعضهم يقول : استوى بمعنى (استولى) ويحتج بقول الشاعر :

قد استوى بِشْرٌ على العراق ... من غير سيف أو دم مهراق

ويقول الشاعر أيضًا

هما استويا بفضلهما جميعًا ... على عرش الملوك بغير زُور

وهذا منكر عند اللغويين ، قال ابن الأعرابي : العرب لا تعرف (استوى) بمعنى (استولى) ومن قال ذلك فقد أعظم ، وإنَّما يقال : استولى فلان على كذا : إذا كان بعيدًا عنه غير متمكن منه ، ثم تمكن منه ، والله عز وجل لم يزل مستوليًا على الأشياء ، والبيتان لا يُعرف قائلهما ، كذا قال ابن فارس اللغوي ، ولو صحّا فلا حجة فيهما لما بيَّنَّا من استيلاء من لم يكن مستوليًا ، نعوذ بالله من تعطيل الملحدة وتشبيه المجسمة)) [٢]

لذلك أقول : هل عرفنا كيف استوى الله عز وجل على العرش حتى يصحّ ويتسنّى لنا أن ندعي أنَّ (على) بمعنى (فوق) في قوله تعالى : (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) وقد سبق أن قلت إنَّه لا يجوز إقحام صفات الله في وجوه أيِّ لفظ كان ، ولا في معاني أيِّ حرف كان

ولأنَّ (على) تفيد معنى الاستعلاء والاستحقاق والإيجاب أضيفت إلى الضمير لتفيد بأنَّ عليه أن يفعل ما ينبغي فعله أو يجب كما جاء في قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ){المائدة : ١٠٥}

---

(١) روح المعاني ٤/٣٧٤-٣٧٥.

(٢) زاد المسير ٣/١٦٣.

فـ(على) ليست من الألفاظ المشتركة ((وهي وإن انشعبت راجعة إلى أصل واحد)) [1]وقد قال المرادي ((وأكثر هذه المعاني إنَّما قال به الكوفيون ومن وافقهم كالقتبي ، والبصريون يؤولون ذلك والله أعلم)) [2]

١٧-**عن** : ذكر النحاة أنَّ (عن) ترد في اللغة والقرآن الكريم للمعاني الآتية : المجاوزة ، والبدل ، والتعليل ، وبمعنى (على) ، وبمعنى (مِن) ، وبمعنى (بعد) ، وبمعنى الباء [3] وفيما يأتي دراسة للشواهد القرآنية التي جعلوها شواهد للمعاني المذكورة :

١-معنى المجاوزة : وهو المعنى الموضوع في اللغة لهذا الحرف ، قال المرادي : ((وهو أشهر معانيها ، ولم يثبت البصريون غير هذا المعنى ، فمن ذلك : رميتُ عن الفرس ؛ لأنَّه يقذف عنها بالسهم ويبعده ؛ ولكونها للمجاوزة عُدِّي بها : صدَّ ، وأعرض ، ونحوهما ، ورغب ، ومال : إذا قُصِد بهما ترك المتعلق نحو : رغبتُ عن اللهو ، وملْتُ عنه)) [4] وقد جعلوا من شواهدها في القرآن الكريم قوله تعالى : (إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ){النساء : ٣١}

٢-جعلها بمعنى البدل : كقوله تعالى : (وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً){البقرة : ٤٨} والبدلية مستوحاة من معنى المجاوزة التي تفيده

([1]) الصاحبي في فقه اللغة لابن فارس ص ١١٣.

([2]) الجنى الداني ص ٤٨٠ .

([3]) ينظر : تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ٢٩٩ ، ٣٠٢ والأزهية ص ٢٨٩ ونزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظاءر لابن الجوزي ص ٢٠٣ ومنتخب قرة العيون النواظر لابن الجوزي أيضًا ص ١٧٦ ورصف المباني ص ٤٢٩-٤٣٢ والجنى الداني ص ٢٤٥-٢٤٧ ومغني اللبيب ١/١٤٧-١٤٨ والبرهان ص ٨٤٧-٨٤٨ والإتقان ص٢٥٠- ٢٥١ والكليات للكفوي ص ٥٣٤-٥٣٥ والزيادة والإحسان ١٠٧/٨-١٠٨.

([4]) الجنى الداني ص ٢٤٥ وينظر : مغني اللبيب ١/١٤٧ .

(عن) لأنَّ معنى الآية ((لا يقضي ولا يغني أحد عن أحد في ذلك اليوم ، يقال : جزى عنه كذا : إذا قضى عنه)) [١]

٣-جعلها للتعليل : كقوله تعالى : (وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لابِيهِ إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ){التوبة : ١١٤} والتقدير إلّا من أجل موعدة وعدها ، والصحيح أنَّها على بابها وعلى ذلك جاء تفسيرها ، قال الأخفش : ((يريد إلّا من بعد موعدة ، كما تقول : ((ما كان هذا الشر إلّا عن قول كان بينكما ، أي : عن ذلك صار))[٢] وقال القرطبي : ((والمعنى : لا حجة لكم أيها المؤمنون في استغفار إبراهيم الخليل عليه السلام لأبيه ، فإنَّ ذلك لم يكن إلّا عن موعدة))[٣] وقوله تعالى : (وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ){هود : ٥٣} فسر الزمخشري الآية بقوله : ((وما نترك آلهتنا صادرين عن قولك)) [٤] وهذا يعني أنَّه جعل (عن) هنا على بابها ، وتبنى الحلبي الوجه الذي قال به الزمخشري ، وأضاف أنَّه ((يجوز أن تكون (عن) للتعليل ... أي : لأجل موعدة ... ولكن المختار الأول ، ولم يذكر الزمخشري غيره)) [٥]

وما يجب التنبيه عليه في هذا المقام أنَّ مما يدلّ على اختلاق الوجوه وجود من ينكرها من أهل اللغة أو التفسير ويؤكد أنَّها على بابها

٤-جعلها بمعنى (على) : كقوله تعالى : (فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ

([١]) التفسير الوسيط للواحدي ١٣٣/١.

([٢]) معاني القرآن ص ٢١٤ .

([٣]) الجامع لأحكام القرآن ١٩١/٨.

([٤]) الكشاف ٣٨٧/٢ وينظر : مدارك التنزيل ص ٥٠٢ .

([٥]) الدر المصون ٣٤٢/٣.

وَالأَعْنَاقِ){ص : ٣٢-٣٣} والخير هو المال وكان من أموال سليمان عليه السلام خيله ، قال الزمخشري : ((فإن قلتُ ما معنى : (أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي) قلتُ : أحببتُ : مضمن معنى فعل يتعدى بـ(عن) كأنَّه قيل : أَنَبْتُ حب الخير عن ذكر ربي ، أو جعلتُ حب الخير مجزيًا أو مغنيًا عن ذكر ربي ، وذكر أبو الفتح الهمداني في كتاب التبيان أنَّ (أَحْبَبْتُ) بمعنى : لزمتُ من قوله : مِثْلُ بعير السُّوء إذ أَحَبَّا ، وليس بذاك ، والخير : المال ، كقوله تعالى : (إِن تَرَكَ خَيْرًا){البقرة : ١٨٠} وقوله تعالى : (وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ){العاديات : ٨} والمال : الخيل التي شغلته))[١] وابن هشام نفسه الذي قال بهذا الوجه قال فيه : ((وقيل : هي على بابها وتعلقها بحال محذوفة ، أي : منصرفًا عن ذكر ربي ، وحكى الرماني عن أبي عبيدة أنَّ (أَحْبَبْتُ) من أحبَّ البعير إحبابًا : إذا برك فلم يَثُر ... أي : تثبطتُ عن ذكر ربي))[٢] أو : تقاعدت عن ذكر ربي [٣]

((فال المفسرون : ولم تزل (يعني الخيل) تُعرض عليه إلى أن غابت الشمس ففاتته صلاة العصر ، قاله علي وابن مسعود وقتادة ، وقال الزجاج : لا أدري هل كانت صلاة العصر مفروضة أم لا ؟ إلّا أنَّ اعتراضه الخيل شغله عن وقت كان يذكر الله فيه ... قوله تعالى : (رُدُّوهَا عَلَيَّ) قال المفسرون : لمَّا شغله عرض الخيل عليه عن الصلاة فصلاها بعد خروج وقتها اغتم وغضب)) [٤] فالمعنى إذن أنَّ حبه الشديد للمال الذي قصد به الخيل شغله عن ذكر ربه ، أو صرفه عنه ، وهذا المعنى وهذا التفسير يقتضي استعمال (عن) لا (على)

---

(١) الكشاف : ٨٩/٤ وينظر : أنوار التنزيل للبيضاوي ٢٩/٤ .

(٢) مغني اللبيب ١٤٧/١.

(٣) ينظر : أنوار التنزيل ٢٩/٤.

(٤) مغني اللبيب ١٤٧/١.

وكذلك قالوا إنَها بمعنى (على) في قوله تعالى : (وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ){محمد : ٣٨} والتقدير : يبخل على نفسه ، ولا معنى لهذا الوجه لجواز تعدي (بخل) بهذين الحرفين ، قال الزمخشري : (((يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ) يقال : بخلتُ عليه وعنه ، وكذلك : ضننتُ عليه وعنه))[1]وقال الحلبي : ((قوله : (يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ) بخل وضنَّ يتعديان بـ(على) تارة وبـ(عن) أخرى)) [2]

وقال الدكتور فاضل السامرائي : ((وذلك أنَّ ثمة فرقًا بين قولك : يبخل على نفسه ، ويبخل عن نفسه ، فقولك : يبخل على نفسه ، معناه أنَّ عاقبة بخله تعود عليه ... ويحتمل معنى آخر ، هو أنَّه لا ينفق على نفسه ، أي : يثقلها بالبخل ، فكأنَّ البخل حمل يعلوه ، وأمَّا بخله عن نفسه ، فمعناه : أنَّه يبخل منصرفًا عن نفسه ، أي : منصرفًا عن مصلحة نفسه مبتعدًا عنها ؛ فإنَّ البخل في الحقيقة ابتعاد عن مصلحة النفس ، فكأنَّه يبتعد عن نفسه بالبخل ، بخلاف الإنفاق فإنَّه لها)) [3]

٥-جعلها بمعنى (مِن) : وجعلوا من شواهد ذلك قوله تعالى : (وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ){الشورى : ٢٥} وذكر ابن هشام والزركشي والسيوطي وابن عقيلة المكي أنَّ (عن) بمعنى (مِن) في قوله تعالى : (أُوْلَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ)الأحقاف : ١٦} بدلالة قوله تعالى : (فَتُقُبِّلَ مِن أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ){المائدة : ٢٧}[4] ما كان ينبغي لابن هشام ومن تبعه

([1]) الكشاف ٣٢٢/٤ .

([2]) الدر المصون ٧٠٨/٩.

([3]) معاني النحو ٤٨/٣ .

([4]) ينظر : مغني اللبيب ١٤٨/١ والبرهان ص ٨٤٨ والإتقان ص ٣٥١ والزيادة والإحسان ١٠٧/٨-١٠٨.

أن يدَّعوا بأنَّ (عن) بمعنى (من) بدلالة ما ذكروه ، وكان الإجدر بهم أن يذكروا الفرق في الدلالة بين هذين الحرفين ثم يبينوا سرّ استعمال (عن) من دون (مِن) في سورة الأحقاف ، وسر استعمال (مِن) من دون (عن) في سورة المائدة ، قال أبو عبيدة : في قوله تعالى : (أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ){التوبة : ١٠٤}((أي : من عبيده ، كقولك : أخذته منك وأخذته عنك))[١] وقال الزمخشري في تفسير الشاهد الذي في سورة الشورى : ((يقال : قبلتُ منه الشيء ، وقبلته عنه ، فمعنى : قبلتُه منه : أخذتُه منه وجعلتُه مبدأ قبولي ومنشأه ، ومعنى : قبلتُه عنه : عزلتُه عنه وأبنتُه عنه))[٢] وقال ابن عاشور : ((وفعل (قبل) يتعدى بـ(مِن) الابتدائية تارة كما في قوله تعالى : (وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلاَ يَأْتُونَ الصَّلاَةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَى وَلاَ يُنفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُونَ){التوبة : ٥٤} وقوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الأرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَى بِهِ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ){آل عمران : ٩١} فيفيد معنى الأخذ للشيء المقبول صادرًا من المأخوذ منه ، ويعدّى بـ(عن) فيفيد معنى مجاوزة المقبول ، أو انفصاله عن معطيه وباذله ، وهو أشد مبالغة في معنى الفعل من تعديته بحرف (مِن) لأنَّ فيه كناية عن احتباس الشيء المبذول عند المبذول إليه بحيث لا يُرَدُّ على باذله)) [٣] فالله سبحانه لن يقبل من الكفار نفقاتهم في الدنيا ولا افتداؤهم يوم القيامة وإن صدرت منهم مباشرة ، فلإرادة هذا المعنى عدَّى الفعل (قبل) بـ(مِن)

وتعدي (نَتَقَبَّلُ) بـ(عن) في سورة الأحقاف كان ضمن قوله تعالى : (وَوَصَّيْنَا الأنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ

([١]) مجاز القرآن ص ١٠٥.

([٢]) الكشاف ٢١٦/٤.

([٣]) التحرير والتنوير ١٥٢/٢٥.

وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ {١٥} أُوْلَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ){الأحقاف : ١٥-١٦} قال ابن عاشور ((وعدِّي (نَتَقَبَّلُ) بحرف (عن) وحقه أن يُعدَّى بحرف (مِن) تغليبًا لجانب المدعو لهم ، وهم الوالدان والذرية ؛ لأنَّ دعاء الولد لأولئك بمنزلة النيابة عنهم في عبادة الدعاء ، وإذا كان العمل بالنيابة متَقَبَّلًا عُلِم أنَّ عمل المرء لنفسه متقَبَّل أيضًا ؛ ففي الكلام اختصار ، كأنَّه قيل : أولئك يتقبَّل منهم ويتقبَّل عن والديهم وذريتهم أحسن ما عملوا)) [١] يعني أنَّ الولد شكر نعمة الله نيابة عن نفسه وعن والديه ودعا لذريته بالإصلاح ، فيكون المعنى بالتعدي بـ(عن) كأنَّ الوالدين شكرا نعمة الله ، وقبل الله جل وعلا شكرهما ، وكأنَّ الذرية دعت لنفسها بالإصلاح وقبل الله سبحانه دعاءها ، فإذا كان قد قبل الله عمل هؤلاء بالنيابة كان قبول عمل من ناب عنهما من باب أولى وأقرب ، فتأمَّل الفرق في المعنى بين التعدي بـ(عن) والتعدي بـ(مِن) ، فلو أريد مثلًا قبول صيام الولد وصلاته لكان من الأنسب تعديه بـ(مِن) والله أعلم .

٦-جعلها بمعنى (بعد) : كقوله تعالى : (لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ){الانشقاق : ١٩} والتقدير : طبقًا بعد طبق ، جاء في الدر المصون : ((قوله (عَن طَبَقٍ) في (عن) وجهان ، أولهما : أنَّها على بابها ، والثاني : أنَّها بمعنى (بعد)))[٢] إذا جاز في الحرف وجهان ، فالأَولى أن يُؤخَذ بالوجه الذي يتفق مع الأصل ، ولا سيما إذا كان هو المقدَّم على الوجه الآخر .

---

(١) التحرير والتنوير ٣٠/٢٦.

(٢) ١٠/٧٤٠.

وكذلك جعلوها بمعنى (بعد) في قوله تعالى : (قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ){المؤمنون : ٤٠} و(ما) زائدة والتقدير : بعد قليل ، هذا ما ادعوه ، ولم تشر كتب التفسير والمعاني إلى هذا الوجه ، قال الزجاج : ((وقوله تعالى : (عَمَّا قَلِيلٍ) معناه : عن قليل))[١] وقال الزمخشري : ((وفي معناه : عن قريب)) [٢] وقد جاء في الدر المصون أيضًا (((عَمَّا قَلِيلٍ) في (ما) هذه وجهان ، أحدهما : أنَّها مزيدة ... و(قَلِيلٍ) صفة لزمن محذوف ، أي : عن زمن قليل ، والثاني : أنَّها غير مزيدة ، بل هي نكرة بمعنى شيء أو زمن ، و(قَلِيلٍ) صفتها أو بدل منه)) [٣]

ونقول هنا ما قلناه في الحرف السابق وفي غير موضع بأنّه إذا جاز في الحرف وجهان ، فالأَولى أن يُؤخَذ بالوجه الذي يتفق مع الأصل ، ولا سيما إذا كان هو المرجَّح أو المقدَّم على الوجه الآخر

وكذلك جعلوها بمعنى (بعد) في قوله تعالى : (يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ){المائدة : ١٣} وقالوا : الدليل على ذلك استعمال (مِن) في قوله تعالى : (يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ){المائدة : ٤١} ، وكان الأجدر بأصحاب كتب حروف المعاني أن يذكروا الفرق في المعنى بين الحرفين (عن) و(مِن) ثم يبينوا بعد ذلك سر استعمال الحرف الأول من دون الثاني في الموضع الأول ، وسر استعمال الحرف الثاني من دون الأول في الموضع الثاني كما فعل أصحاب كتب متشابه القرآن ، قال الإسكافي : ((قوله تعالى : (فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ){المائدة : ١٣} وقال تعالى بعده في هذه السورة : (سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ

---

[١]) معاني القرآن وإعرابه ١٢/٤.

[٢]) الكشاف ١٨٣/٣ ومدارك التنزيل ص ٧٥٧.

[٣]) الدر المصون ٣٤٢/٨ .

الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ){المائدة : ٤١} للسائل أن يسأل فيقول : لِمَ قال في الأول : (يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ) وفي الثانية : (مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ) وما الفرق بين اللفظين وبين الموضعين حتى اختص كل واحد منهما باللفظ الذي خصه ؟ الجواب أن يقال : أنَّ الآية الأولى في اليهود الذين حرفوا ما أنزل الله من كلامه عما علموه تأويلًا له ؛ فيكون هذا تحريفًا من جهة التأويل ، وحرفوا أيضًا من جهة التنزيل ... فقولك (عن) في كلام العرب موضوع لِما عدا الشيء يقول : أطعمه عن جوع وكساه عن عري ... و(عن) في هذا الموضع تقرب من معنى (بعد) لأنَّك تقول : أطعمه بعد جوع وكساه بعد عري ، إلّا أنَّ الأصل في هذا المكان أن يستعمل (عن) لأنَّ (بعد) قد تكون لما تأخر زمانه عن زمانه بأزمنة كثيرة ، و(عن) لما جاوز الشيء إلى غيره ملاصقًا زمنه لزمنه ، والمراد إذا قال : أطعمه عن جوع وسقاه عن عطش ، ليس يراد به إلّا أنَّه لمَّا عطش سقاه ، ولمَّا جاع أطعمه ، وأمَّا الآية الثانية فهي في قوم من اليهود ... من بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم بأزمنة كثيرة))[1]((وهذا موضع (بعد) لا موضع (عن)))[2]

وقال الكرماني : ((قوله ((يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ) وبعده : (يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ) لأنَّ الأولى في أوائل اليهود ، والثانية فيمن كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ، أي : حرفوها بعد أن وضعها الله مواضعها وعرفوها وعملوا بها زمانًا))[3]

وقال ابن جماعة الكناني : ((مسألة قوله تعالى : (يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ){النساء : ٤٦} وقال بعد ذلك : (يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ) جوابه أنَّ الأولى أريد بها التحريف الأول عند نزول التوراة ... فجاءت (عن)

([1]) درة التنزيل ص ٩١-٩٢.

([2]) درة التنزيل ص٩٢.

([3]) البرهان في متشابه القرآن ص ٥٦.

لذلك ، والآية الثانية تحريفهم في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ... كأنَّه قال : من بعد ما عملوا به واعتقدوا وتدينوا ... فـ(عن) لما قرب من الأمرو(بعد) لما بعد)) [1]

هكذا كان يجب على النحاة في كتب حروف المعاني أن يسلكوا هذا الطريق ، وهو أن يبينوا سر استعمال الحروف في القرآن الكريم التي يُظنُّ أول وهلة أنَّ بعضها جاء بمعنى بعض ، ولو فعلوا ذلك لتوصلوا إلى الكشف عن بلاغة التعبير القرآني ، فجعل حرف بمعنى حرف آخر يُعدُّ هدمًا لهذه البلاغة ، وتُبنى ببيان الفرق بينهما في الدلالة والاستعمال ، وقد سبق أن ذكرت في كتابي السابق ، أنَّ كتب الوجوه والنظائر كتب هدّامة ؛ لأنَّها تهدم ما بنته كتب متشابه القرآن ، وها هم أصحاب كتب حروف المعاني يسلكون السبيل نفسه الذي سلكه أصحاب كتب الوجوه والنظائر .

٧-جعلها بمعنى الباء : كقوله تعالى : (وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى){النجم : ٣} والتقدير : وما ينطق بالهوى ، قال الزركشي نفسه الذي قال بهذا الوجه : ((وقيل : على حقيقتها ، أي : وما يصدر قوله عن هوى ، وقيل للمجاوزة ؛ لأنَّ نطقه متباعد عن الهوى ومتجاوز عنه))[2] وجاء في الدر المصون : ((و(عَنِ الْهَوَى) أي : ما يصدر عن الهوى نطقه ، فـ(عن) على بابها ، وقيل هي بمعنى الباء)) [3] فـ(عن) هنا بمعنى (عن) أمَّا جعلها بمعنى الباء فقد أشير إليه بصيغة التضعيف (قيل) .

٨-جعل (عن) صلة ، أي : زائدة ، وهذا ما ادعاه ابن الجوزي بأنَّ (عن) في القرآن الكريم على خمسة أوجه : أحدها : صلة في الكلام من ذلك قوله تعالى : (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُواْ اللّهَ

---

(1) كشف المعاني في متشابه المثاني ص ٤٤.

(2) البرهان ص ٨٤٨.

(3) ٨٣/١٠ .

وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بِيْنِكُمْ وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ){الأنفال : ١}
والتقدير يسألونك الأنفال[١] والمراد بالأنفال غنائم الحرب .

و(عن) ليست صلة ؛ لاختلاف دلالة ذكرها عن دلالة حذفها ، وهذا ما بيّنه ابن الجوزي نفسه في تفسيره ، فقد ذكر أنَّ في سبب نزول قوله تعالى : (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ) ثلاثة أقوال : ((أحدها : أنَّ رسول الله قال يوم بدر : من قتل قتيلًا فله كذا وكذا ، ومن أسر أسيرًا فله كذا وكذا ، فأمَّا المشيخة فثبتوا تحت الرايات ، وأمَّا الشبان فسارعوا إلى القتل والغنائم ، فقال المشيخة للشبان : أشركونا معكم ؛ فإنَّا كنا لكم ردءًا ، فأبوا ، فاختصموا إلى رسول الله ، فنزلت سورة الأنفال ، رواه عكرمة عن ابن عباس ،

والثاني : أنَّ سعد بن أبي وقاص أصاب سيفًا يوم بدر ... قال السُّدِّي : اختصم سعد وآخرون في ذلك السيف ، فسألوا النبي صلى الله عليه وسلم ، فأخذه النبي صلى الله عليه وسلم منهم فنزلت هذه الآية .

والثالث : أنَّ الأنفال كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليس لأحد منها شيء ، فسألوه أن يعطيهم منها شيئًا ، فنزلت هذه الآية)) [٢]

فأسباب النزول تضمنت أنَّ هناك من سأل أن يُعطى من الغنائم ، والتعبير عن هذا المعنى يقتضي حذف (عن) وأن يقال : يسألونك الأنفال ، كما جاء في القراءة الشاذة ، وهناك من سأل عن أحكام الغنائم ، وهذا المعنى يقتضي ذكر (عن) كما جاء في الآية ، وهذا هو الغرض الراجح من سؤالهم أو هو الذي غُلِّب على سؤال العطية . فبعد أن ذكر ابن الجوزي ما قيل في سبب نزول آية الأنفال ، بيَّن الغرض من ذكر (عن) ومن حذفها فقال : ((وفي (عن) قولان : أحدهما : أنَّها زائدة ، والمعنى : يسألونك

---

(١) ينظر : نزهة الأعين ص ٢٠٣ ومنتخب قرة العيون ص ١٧٦ .

(٢) زاد المسير ٣/٢٤١-٢٤٢.

الأنفال ، وكذلك قرأ سعد بن أبي وقاص ، وابن مسعود وأبي بن كعب ، وأبو العالية : يسألونك الأنفال ، بحذف (عن) .

والثاني : أنَّها أصل ، والمعنى : يسألونك عن الأنفال لمَن هي ؟ أو عن حكم الأنفال ، وقد ذكرنا في سبب نزولها ما يتعلق بالقولين ، وذُكِر أنَّهم إنَّما سألوا عن حكمها ؛ لأنَّها كانت حرامًا على الأمم قبلهم)) [١]

فأنت ترى أن ابن الجوزي اختار أو رجح جعل (عن) غير زائدة ، لأنَّ السؤال كان عن حكم الأنفال لا عن العطية ، أمَّا قراءة من ذكرهم فهي قراءة شاذة ، وقد جاء في الدر : ((وسأل : تارة تكون لاقتضاء معنى في نفس المسؤول فتتعدى بـ(عن) كهذه الآية ، وكقول الشاعر :

سلي إن جهلتِ الناس عنَّا وعنهمُ فليس سواء عالم وجهول

وقد تكون لاقتضاء مال ونحوه فتتعدى لاثنين ، نحو : سألتُ زيدًا مالًا ، وقد ادَّعى بعضهم أنَّ السؤال هنا بهذا المعنى ، وزعم أنَّ (عن) زائدة ، والتقدير : يسألونك الأنفال ، وأيَّد قوله بقراءة سعد بن أبي وقاص وابن مسعود ... يسألونك الأنفال ، دون (عن) والصحيح أنَّ هذه القراءة على إرادة حرف الجر)) [٢]

وهذه القراءة شاذة كما قلتُ كما أنَّه حتى لو كانت صحيحة متواترة فإنَّها لا تكون حجة على زيادة (عن) لأنَّه سيكون ذكرها تعبيرًا عن المعنى الآخر وهو معنى العطية ، لأنَّ قراءة الآية بقراءة أخرى لا تكون إلّا لإرادة معنى آخر ، وقد بيَّنتُ الحكمة من تعدد القراءات التي من بينها الجمع بين معانيها [٣]

---

(١) زاد المسير ٣/٢٤٢.

(٢) الدر المصون ٥/٥٥٥.

(٣) ينظر : كتابي : دروس إسلامية ، الدرس الثاني : نزول القرآن على سبعة أحرف .

وقال ابن عاشور : ((والسؤال حقيقته الطلب ، فإذا عُدِّي بـ(عن) فهو طلب معرفة المجرور بـ(عن) وإذا عُدِّي بنفسه فهو طلب إعطاء الشيء ، فالمعنى هنا يسألونك معرفة الأنفال٠٠٠وإنَّما سألوا عن حكمها صراحة وضمنًا في ضمن سؤالهم الأثرة ببعضها)) [١]

وما تقدم مَثَلٌ على أنَّ معنى المجرور غير معنى المنصوب في كل موضع جاز فيه النصب والجر ، وهو ردٌّ على من زعم القول بزيادة الحروف ، وردٌّ كذلك على القول بالنصب على نزع الخافض ؛ لأنَّ كلا هذين القولين مبني على أساس أنَّ المنصوب والمجرور بمعنى واحد .

فـ(عن) ليست من الحروف المشتركة وجميع المعاني التي قيلت فيها مختلقة كجعلها بمعنى (على) أو (بعد) أو الباء ... الخ حتى نُسب إلى البصريين أنَّهم قالوا : إنَّ (عن) ((هي للمجاوزة في الجميع ، ولو كانت لها معاني هذه الحروف لجاز أن تقع موقعها : زيد عن الفرس ، أي : عليه ، وجئتُ عن العصر ، أي : بعد العصر ، وتكلَّم عن خير ، أي : به)) [٢]

١٨-**الفاء** : الفاء عاطفة تفيد الترتيب والتعقيب ، والأخير كل شيء بحسبه ، وهي من الحروف المشتركة ، ومعانيها الأساسية :

التعقيب : كقوله تعالى : (ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ){المؤمنون : ١٤}

والسببية : كقوله تعالى : (فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ){القصص : ١٥} وتجيء الفاء السببية ناصبة للفعل المضارع بهذا المعنى ، لا بـ(أن) مضمرة بعدها كما يزعم جمهور النحاة كقوله تعالى : (يَا لَيتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا){النساء : ٧٣}

---

(١) التحرير والتنوير ٨/٩.

(٢) همع الهوامع ٤٤٣/٢.

وربط الجزاء بشرطه أو بما تضمن معناه : كقوله تعالى : (قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي){آل عمران : ٣١} وقوله تعالى : (فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ){الضحى : ٩}

هذه هي معاني الفاء الأساسية إلّا أنَّ النحاة اختلقوا لها معاني غيرها فزعموا أنَّها تجيء زائدة ، وبمعنى (ثُمَّ) ، وبمعنى الواو ، والاستئنافية ، وبمعنى (حتى) ، وقالوا بالفاء الفصيحة [1]

١-الزيادة : فقد قالوا بزيادة الفاء في قوله تعالى : (قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ){الجمعة : ٨} قال الحلبي : ((قوله : (فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ) في الفاء وجهان ، أحدهما : أنَّها داخلة لِما تضمنه الاسم من معنى الشرط ، وحكم الموصوف بالموصول حكم الموصول في ذلك . والثاني : أنَّها مزيدة محضة لا للتضمين المذكور ، وأفسد هؤلاء القول الأول بوجهين ، أحدهما : أنَّ ذلك إنَّما يجوز إذا كان المبتدأ أو اسم (إنَّ) موصولًا ، واسم (إنَّ) هنا ليس بموصول ، بل موصوف بالموصول ، والثاني : أنَّ الفرار من الموت لا يُنجى منه ، فلم يشبه الشرط يعني أنَّه متحقق فلم يشبه الشرط الذي هو من شأنه الاحتمال

وأجيب عن الأول : بأنَّ الموصوف مع صفته كالشيء الواحد ، ولأنَّ (الذي) لا يكون إلّا صفة ، فإذا لم يذكر الموصوف دخلت الفاء والموصوف

---

(١) ينظر : معاني الحروف للرماني ص ١٧-١٨ والأزهية ص ٢٥٠-٢٥٧ ورصف المباني ص٤٤٠-٤٥٠ والجنى الداني ص ٦١-٧٨ ومغني اللبيب ١/١٦١-١٦٨ والبرهان ص ٨٥٠-٨٥٤ وبصائر ذوي التمييز ٤/١٥٨-١٦٠ والإتقان ص٢٥٣-٢٥٤ وهمع الهوامع ٣/١٩٢-١٩٤ والكليات للكفوي ص ٥٧٠-٥٧٢ والزيادة والإحسان ٨/١١٥-١١٧.

مراد ، فكذلك إذا صُرِّح بها ، وعن الثاني : بأنَّ خلقًا كثيرًا يظنون أنَّ الفرار من أسباب الموت ينجيهم إلى وقت آخر)) [١]

وأنا أجيب عن هؤلاء الذين زعموا أنَّ الموصوف بالموصول ليس كحكم الموصول ، لذلك لم يشبه الشرط ، إلّا أنَّ البارئ عز وجل هنا أشبهه بالشرط فرَبَطَ ، أم أنَّكم لا تحتجون بلغة القرآن الكريم وقد زعمتم يا هؤلاء أنَّ مصدركم الأول في اللغة هو القرآن الكريم .

وكذلك قالوا بزيادتها في قوله تعالى : (وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللّهِ){النحل : ٥٣} وقد جاز عند النحاة أن تكون (ما) هنا موصولة وشرطية فتكون الفاء واقعة في جواب شرط ولا زيادة ، والتقدير : وما يكن منكم من نعمة فمن الله [٢] وكيف استساغوا زيادتها لأنَّه كيف يستساغ أن تكون الآية بتقدير : وما بكم من نعمة من الله؟!

وقالوا بزيادتها في قوله تعالى : (الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ){البقرة : ٢٧٤} والصحيح أنَّ الفاء واقعة في جواب الاسم الموصول لتضمنه معنى الشرط ، جاء في الأزهية للهروي : ((وقال بعضهم : إنَّما دخلت الفاء في خبر (الذي) لشبه الجزاء ألا ترى أنَّك تقول : الذي يقوم فله درهم ، فمعناه : أنَّ له درهمًا من أجل قيامه ، ولو لم يأت بالفاء لجاز أن يكون له درهم لا من أجل قيامه)) [٣] فتأمّل أنّ هناك فرقًا في الدلالة بين إثبات الفء وبين حذفها .

وقالوا بزيادتها في قوله تعالى : (وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ){البقرة : ٤٠} والصحيح أنَّها غير زائدة وقد جاء في الدر المصون ((أنَّها جواب أمر مقدَّر

---

(١) الدر المصون ٣٢٩/١٠ .

(٢) الدر المصون ٢٣٨/٧ .

(٣) ص ٢٥٦.

تقديره : تنبَّهوا فارهبون))[١] وجاز أن تكون واقعة في جواب (أمَّا) مضمرة والتقدير : وأمَّا إياي فارهبون .

وقالوا بزيادتها في قوله تعالى : (هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ){ص : ٥٧} وقد ذكر المرادي أنَّ من مواضع زيادة الفاء دخولها على خبر المبتدأ وذكر أنَّ الزجاج : ((أجاز في قوله تعالى : (هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ) أن يكون (هَذَا) مبتدأ و(فَلْيَذُوقُوهُ) خبره))[٢] بيد أنَّ الزجاج أجاز مع هذا الوجه جعل (هَذَا) في موضع نصب على الاشتغال ، والتقدير : فليذوقوا هذا فليذوقوه ، والمعنى : هذا حميم وغساق فليذوقوه[٣] وقال الحلبي : ((في (هَذَا) أوجه ، أحدها : أن يكون مبتدأ وخبره (حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ) ... والثاني : أن يكون (هَذَا) منصوبًا على الاشتغال ... والثالث : أن يكون (هّذَا) مبتدأ والخبر محذوف ، أي : هذا كما ذُكِر ، أو هذا للطاغين ... والرابع : أنَّه خبر مبتدأ مضمر ، أي : الأمر هذا ... والخامس : أن يكون مبتدأ وخبره (فَلْيَذُوقُوهُ) وهو رأي الأخفش)) [٤]ولم أجد هذا المذهب للأخفش في معانيه

فَلِمَ القول إذن بالوجه الذي يجعل الفاء زائدة وثمَّة أربعة أوجه جاز أن تخرجها من الزيادة ؟!

وقالوا بزيادتها في قوله تعالى : (أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ {١} فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ){الماعون : ١–٢} قال الحلبي : ((قوله (فَذَلِكَ) فيه وجهان ، أحدهما أنَّ الفاء جواب شرط مقدر ، أي : إن تأمَّلته ، أو إن طلبت علمه فذلك . والثاني : أنَّها عاطفة (فَذَلِكَ) على (الَّذِي يُكَذِّبُ)))[٥]

---

(١) ٣١٤/١ .

(٢) الجنى الداني ص ٧٢.

(٣) ينظر : معاني القرآن وإعرابه ٢٥٤/٤ .

(٤) الدر المصون ٣٨٨/٩.

(٥) الدر المصون ١٢٠/١١.

وقالوا بزيادتها في قوله تعالى : (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ {١} فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ){الكوثر : ١-٢} والصحيح أنَّ الفاء هنا ((للتعقيب والتسبيب))[١]

وقالوا بزيادة الفاء عند اقترانها بـ(إذا) الفجائية ، وقد تطرقتُ إلى هذه القضية في كتابي : دراسات في النحو القرآني في المبحث الثالث التابع لموضوع : (إذا) في القرآن الكريم/دراسة نحوية تحت عنوان : ارتباط (إذا) الفجائية بـ (الفاء) وفيما يأتي نص ما قلته هناك : ((ذهب النحاة إلى أنَّ الأصل في (إذا) الفجائية أنْ لا ترتبط بالفاء ، وقد جاءت مرتبطة بالفاء ، نحو: خرجت فإذا الأسد، وقد اختلف فيها، فمنهم من قال بأنَّها زائدة، ومنهم من قال بأنَّها عاطفة، ومنهم من ذهب إلى أنَّها فاء الجزاء[٢].

وقد جاءت في القرآن الكريم مرتبطة بالفاء في مواضع كثيرة ، وغير مرتبطة في مواضع أقلّ ، ويبدو أنَّ (إذا) الفجائية لا ترتبط بالفاء عندما يراد عدم التأكيد على أنَّ حصول ما بعدها باشر حصول ما قبلها، كقول الله تعالى: (فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ) [يونس: ٢٣]، فيظهر من عدم استعمال الفاء أنَّ بغيهم في الأرض حصل بعد نجاتهم ، ومثل ذلك قوله تعالى: (فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ) [الزخرف: ٥٠] .

أمَّا عندما يُراد التأكيد على أنَّ حصول ما بعدها باشر حصول ما قبلها استعملت الفاء كقوله تعالى: (فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنصَرَهُ بِالأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ) [القصص: ١٨].

فحالة خوف موسى (عليه السلام) وحالة الاستنجاد به حصلتا في وقت واحد ، ومن ذلك قوله تعالى: (حَتَّى إِذَا فَرِحُواْ بِمَا أُوتُواْ أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم

([١]) الدر المصون ١٢٨/١١.

([٢]) ينظر: الجنى الداني، ص٧٣ ومغني اللبيب، ١/ ٢٦٧.

مُّبْلِسُونَ) [الأنعام:٤٤] والذي يؤيد هذه الإرادة في هذه الآية لفظ (بغتة) ، وقوله تعالى: (فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ * وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاء لِلنَّاظِرِينَ) [الأعراف: ١٠٧-١٠٨] ، والمعروف في كتب التفاسير أنَّ العصا تحوَّلتْ إلى ثعبان حال إلقائها ، والثعبان المبين : الحيّة الذكر، فتحولت حيّة عظيمة فاغرة فاها مسرعة إلى فرعون، فلما رآها أنها قاصدة إليه ، تحول عن سريره واستغاث بموسى أنْ يكفَّها عنه[١] ، وقد تم حصول إلقاء العصا وتحولها إلى أفعى ، ونزع يده وبياضها ، في وقت واحد ومقام واحد ، ومثل ذلك قوله تعالى: (وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ) [الأعراف :١١٧] ، وقوله تعالى: (قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى) [طه: ٦٦] وقوله تعالى: (وَآيَةٌ لَّهُمْ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ) [يس:٣٧] ، فالليل يعقب النهار ومتصل به .

لذلك كثر اقتران (إذا) الفجائية بالفاء في مشاهد يوم القيامة لشدة أهوالها واتصال كرباتها ، كقوله تعالى: (وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا) [الأنبياء: ٩٧] وقوله تعالى: (إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ) [يس: ٢٩] وقوله تعالى: (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ) [يس: ٥١] وقوله تعالى: (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلَّا مَن شَاء اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ) [الزمر: ٦٨] ، وقوله تعالى: (فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ * فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ) [النازعات: ١٣-١٤]))

٢-جعل الفاء بمعنى (ثُمَّ) : قالوا بمجيء الفاء بمعنى (ثُمَّ) في قوله تعالى : (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَتُصْبِحُ الأَرْضُ

([١]) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/ ٢٣٦.

مُخْضَرَّةً}{الحج : ٦٣} قال ابن عطية : ((والفاء عاطفة ... روي عن عكرمة أنَّه قال : هذا لا يكون إلّا بمكة وتهامة ، ومعنى هذا أنَّه أخذ قوله (فَتُصْبِحُ) مقصودًا به صبح ليلة المطر ، وذهب إلى أنَّ ذلك الاخضرار في سائر البلاد يتأخَّر، وقد شاهدتُ هذا في السوس الأقصى ، نزل المطر بعد قحط ، وأصبحت تلك الأرض التي تسفيها الرياح قد اخضرت بنبات ضعيف دقيق)) [1] وقال الحلبي : ((قوله : (فَتُصْبِحُ) استدل به بعضهم على أنَّ الفاء لا تقتضي التعقيب قال : لأنَّ اخضرارها متراخ عن إنزال الماء ، هذا بالمشاهدة ، وقد أجيب على ذلك بما نقله عكرمة من أنَّ أرض مكة وتهامة على ما ذُكر ، وأنَّها تمطر الليلة فتصبح الأرض غدوة خضرة ، قال ابن عطية ... وقيل : تراخي كل شيء بحسبه ، وقيل : ثَمَّ جُمَلٌ محذوفة قبل الفاء تقديره : فتهتزُّ وتربو وتنبت فتصبح ، يبين ذلك قوله تعالى : (وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ){الحج : ٥} وهذا من الحذف الذي يدلّ عليه فحوى الكلام ، كقوله تعالى : (فَأَرْسِلُونِ {٤٥} يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ){يوسف : ٤٥-٤٦}))[2] وقال الكفوي : ((والتعقيب في الفاء حسب ما بعد في العادة عقيب الأول ، وإن كان بينهما أزمان كثيرة ، كقوله تعالى : (ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ){المؤمنون : ١٤}))[3]

٣-جعلها بمعنى الواو : قالوا بمجيئها بمعنى الواو في قوله تعالى : (وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ){الأعراف : ٤} وهذا

([1]) المحرر الوجيز ١٣١/٤.

([2]) الدر المصون ٣٠١/٨.

([3]) الكليات ص ٥٧١ .

ما قال به الفراء[١] والصحيح أنَّ الفاء على بابها وهي هنا من باب عطف المفصل على المجمل[٢] ومن ذلك أيضًا قوله تعالى : (فَقَدْ سَأَلُواْ مُوسَى أَكْبَرَ مِن ذَلِكَ فَقَالُواْ أَرِنَا اللّهِ جَهْرَةً){النساء : ١٥٣} لأنَّ ((الترتيب بالفاء على ضربين : ترتيب في المعنى ، وترتيب في الذكر ، والمراد بالترتيب في المعنى أن يكون المعطوف بها لاحقًا متصلًا بلا مهلة كقوله تعالى : (الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ){الانفطار : ٧} وأمَّا الترتيب في الذكر فنوعان : أحدهما عطف مفصل على مجمل ، هو هو في المعنى ، كقولك : توضأ فغسل وجهه ويديه ومسح برأسه ورجليه ، ومنه قوله تعالى : (وَنَادَى نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابُنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ){هود : ٤٥} والثاني : عطف لمجرد المشاركة في الحكم بحيث يحسن الواو كقول امرئ القيس :

بِسِقْطِ اللِّوى بين الدخول فحومل ، وسمى غيره هذا ترتيبًا في اللفظ ، قال : ومراد الشاعر وقوع الفعل بتلك المواضع ، وترتيب اللفظ واحدًا بعد آخر بالفاء ترتيبًا لفظيًّا)) [٣]

٤–الفاء الاستئنافية : جعلوا من ذلك الفاء في قوله تعالى : (وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيْاطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ){البقرة : ١٠٢} قال الحلبي : ((قوله : (فَيَتَعَلَّمُونَ) في هذه الجملة سبعة أقوال ، أظهرها : أنَّها معطوفة على قوله : (وَمَا يُعَلِّمَانِ)

---

(١) ينظر : معاني القرآن ٢٥٠/١.

(٢) ينظر : شرح كافية ابن الحاجب ٤٠٨/٤ والجنى الداني ٦٢ وهمع الهوامع ١٩٢/٣ .

(٣) الجنى الداني ٦٣–٦٤ .

والضمير في (فَيَتَعَلَّمُونَ) عائد على (أَحَدٍ) وجمع حملًا على المعنى نحو قوله تعالى : (فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ){الحاقة : ٤٧} ... والثاني : أنَّه معطوف على (يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ) ... والثالث : أنَّه عطف على (كَفَرُواْ) ... والرابع : أنَّه خبر مبتدأ محذوف ، والتقدير فهم يتعلمون ، فعطفَ جملة اسمية على جملة فعلية ... والخامس : أن يكون معطوفًا على (يُعَلِّمَانِ فَيَتَعَلَّمُونَ) فاستغنى عن ذكر (يُعَلِّمَانِ) على ما في الكلام من الدليل عليه ... والسادس : أنَّه عطف على معنى ما دل عليه أول الكلام ، والتقدير : فيأتون فيتعلمون ... والسابع : قيل هو مستأنف)) [1]

فقد ذُكِرت سبعة أوجه وُجِّهت الفاء في جميعها أنَّها عاطفة ، إلّا الوجه السابع جُعِلت الفاء فيه استئنافية ، وأشير إليه بصيغة التضعيف : قيل ، والحقيقة أنَّ كل فاء وواو قيل بأنَّها استئنافية ، إنَّما هي في الحقيقة عاطفة إلّا أنَّها تعطف الجمل التي لا محل لها من الإعراب ، وسميت استئنافية لِئلّا يُتوهم أنَّ ما بعدها من المفردات معطوف على ما قبلها[2]

٥-جعلها بمعنى (حتى) : كقوله تعالى : (فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاء){الأنعام : ١٣٩} وقد نقل المرادي هذا الوجه مع شاهده ليرده ، فقال : ((بل هذه الفاء فاء العطف)) [3]

٦-الفاء الفصيحة : وهي التي ((تفصح عن المحذوف وتفيد بيان سببيته ... كقوله تعالى : (وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً){البقرة : ٦٠}))[4] والشاهد الفاء في

([1]) الدر المصون ٢/٣٧-٣٩ .

([2]) ينظر : الجنى الداني ص ٧٦ وص ١٦٣و ومغني اللبيب ١/١٦٧-١٦٨وهمع الهوامع ٣/١٩٤

([3]) الجنى الداني ص ٧٧ .

([4]) الكليات للكفوي ص ٥٧٠.

قوله تعالى : (فَانفَجَرَتْ) وهذه الفاء هي في الحقيقة ((عاطفة على محذوف لا بد منه ، تقديره : فضرب فانفجرت ... وهي على هذا فاء فصيحة لا تقع إلّا في كلام بليغ فصيح)) [١]

فالفاء حرف مشترك له ثلاثة أوجه : عاطفة ، وسببية ، ورابطة لجواب الشرط : أمّا الأوجه الستة الباقية : جعلها زائدة ، وبمعنى (ثُمَّ) ، وبمعنى الواو ، والاستئنافية ، وبمعنى (حتى) ، والفاء الفصيحة ، فهي مختلقة .

١٩-**في** : تقدمت دراسة المعاني المنسوبة إلى هذا الحرف في كتابي : لا وجوه ولا نظائر برقم ٧٢ وكانت دراسة عامة غير شاملة ، وفيما يأتي التطرق إلى كل معانيها الواردة في القرآن الكريم .

قال ابن الجوزي : ((في : حرف موضوع في الأصل للظرفية ، تقول : زيد في الدار ، وقد يستعار في مواضع تدلّ عليها القرينة ، قال أبو زكريا : وقولهم : زيد في العلم ، وعمرو في الشغل ، مستعار غير حقيقة ، وقد يتسع فيها حتى يقال : في يد فلان ضيعة نفيسة ، ومن المحال أن تكون يده وعاء لما هو أكثر منها ، ولكن هذا اتساع كأنَّه بشدة تمكنه من الضيعة ، وقوة تصرفه فيها بمنزلة الشيء الذي في يده ، وهذا كلّه اتساع في الكلام ، وقد كثر فيه وأنس به)) [٢]

وقد اتفق أصحاب كتب حروف المعاني ، وأصحاب كتب الوجوه على أنَّ (في) وردت في القرآن الكريم على وجوه كثيرة غير وجه الظرفية أشهرها : بمعنى الباء ، وبمعنى نحو ، وبمعنى (إلى) ، وبمعنى (عن) ، وبمعنى (مِن) ، وبمعنى (عند) ، وبمعنى (مع) ، وبمعنى (على) ، وبمعنى

---

(١) الدر المصون ٣٨٥/١.

(٢) نزهة الأعين ص ٢٢٢.

لام التعليل ، وبمعنى المقايسة ، وزائدة[١] وفيما يأتي دراسة لشواهد هذه المعاني في القرآن الكريم :

١-جعلها بمعنى الباء : كقوله تعالى : (هَلْ يَنظُرُونَ إِلّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ){البقرة : ٢١٠} قال ابن عاشور : ((وقوله تعالى : (فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ) أشد إشكالًا من إسناد الإتيان إلى الله ؛ لاقتضاء الظرفية ، وهي مستحيلة على الله تعالى ، وتأويله إمَّا بأنَّ (في) بمعنى الباء ، أي : يأتيهم بظلل من الغمام ، وهي ظلل تحمل العذاب من الصواعق ، أو الريح العاصفة ، أو نحو ذلك إن كان العذاب دنيويًا ، أو في ظلل من الغمام تشتمل على ما يدل على أمر الله تعالى أو عذابه ... وقيل إنَّ في الآية تقديمًا وتأخيرًا ، وأصل الكلام أن يأتيهم الله والملائكة في ظلل من الغمام ، فالغمام ظرف لإتيان الملائكة)) [٢] فقد أنكر ابن عاشور جعل (في) على بابها ؛ لاقتضاء الظرفية ، وجعل ذلك مستحيلًا على الله ، وهو بهذا القول يعطل صفات الله ؛ لأنَّ أغلب صفات الله سبحانه وتعالى على هذا النحو ، ولهذا أقول ما سبق أن ذكرته غير مرة ، أنَّه لا يجوز إقحام صفات الله في

---

(١) ينظر : الأشباه والنظائر لمقاتل ص ١٨٩-١٩١وباسم الوجوه والنظائر ص ٧٢-٧٣ والوجوه والنظائر لهرون ص ١٢٤-١٢٥والوجوه والنظائر للعسكري ص ٢٦٠-٢٦٢والأزهية للهروي ص ٢٧٧-٢٨٢ والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٣٦٢-٣٦٣، ونزهة الأعين ص ٢٢٢-٢٢٣ ومنتخب قرة العيون لابن الجوزي ص ١٩٠-١٩٢ ورصف المباني للمالقي ص ٤٥٠-٤٥٤ والجنى الداني للمرادي ص ٢٥٠-٢٥٢ ومغني اللبيب لابن هشام ص ١٦٨-١٧٠ والبرهان في علوم القررآن للزركشي ص ٨٥٤-٨٥٥ والإتقان في علوم القرآن ص ٢٥٤-٢٥٥ وهمع الهوامع ٤٤٥/٢-٤٤٦ والكليات للكفوي ص ٥٧٢-٥٧٣ والحديث : دخلت امرأة النار في هرة رواه البخاري ينظر صحيح البخاري ص ٨٤٥ رقم الحديث ٣٣١٨ .

(٢) التحرير والتنوير ٢٦٩/٢ .

وجوه أي حرف كان ، وأن نبقيها كما عبَّر عنها البارئ جلّ وعلا ، من دون تأويل .

وكذلك جعلوها بمعنى الباء في قوله تعالى : (وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلاَ تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ){هود : ٤٢} ولا داعي لجعل (في) بمعنى الباء هنا لجواز استعمال هذين الحرفين في هذا الشاهد ونحوه ، وقد تقدم التفريق بين ظرفية الباء وظرفية (في)

وكذلك جعلوها بمعنى الباء في قوله تعالى : (جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ){الشورى : ١١} قال الزمخشري : (((يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ) يكثركم ، يقال : ذرأ الله الخلق : بثهم وكثرهم ... (فِيهِ) في هذا التدبير ، وهو أن جعل للناس والأنعام أزواجًا ، حتى كان بين ذكورهم وإناثهم التوالد والتناسل ... فإن قلتَ : ما معنى : يذرؤكم في هذا التدبير ؟ وهلا قيل : يذرؤكم به ؟ قلتُ : جعل هذا التدبير كالمنبع والمعدن للبث والتكثير ، ألا تراك تقول : للحيوان في خلق الأزواج تكثير ، كما قال تعالى : (وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ){البقرة : ١٧٩}))(١)

وابن هشام نفسه بعد أن جعل (في) من معانيها الباء نفى أن تكون بهذا المعنى في هذه الآية فقال : ((وليس منه قوله تعالى : (يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ) ... والأظهر قول الزمخشري إنَّها للظرفية المجازية)) (٢)

٢- جعل (في) بمعنى نحو : كقوله تعالى : (قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاء){البقرة : ١٤٤} ولا داعي لهذا الوجه ؛ لأنَّه من المعاني المرادفة لـ(في) و(إلى) والألفاظ المترادفة يجوز أن يقع بعضها مكان بعض لتقارب معانيها ، وقد قال الحلبي : ((وفي (في) وجهان ، أحدهما : أنَّها على بابها

---

(١) الكشاف : ٢٠٦/٤ وينظر : الدر المصون ٥٤٣/٩.

(٢) مغني اللبيب ١٦٩/١ .

من الظرفية ، وهو الواضح ، والثاني : أنَّها بمعنى (إلى) أي : إلى السماء ، ولا حاجة لذلك ؛ فإنَّ هذا المصدر قد ثبت تعدّيه بـ(في) قال تعالى : (لاَ يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُواْ فِي الْبِلاَدِ){آل عمران : ١٩٦}))[١]

٣- جعلها بمعنى إلى : كقوله تعالى : (قَالْوَاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا){النساء : ٩٧}

لم أجد في كتب التفسير واللغة من ردَّ هذا الوجه في هذه الآية بالنفي بل هناك من صرّح بأنَّ التقدير : فتهاجروا إليها[٢] وجاز استعمال (إلى) لو قيل مثلًا في الكلام : ألم تكن أرض الشام واسعة فتهاجروا إليها ، لكن لمَّا قال : أرض الله ، فالأرض كلّها أرض الله ، والصحيح أنَّها في الآية على بابها ، وجعلها بمعنى (إلى) خلاف المعنى المراد بل لا يصحّ ؛ لأنَّه يقتضي أن يكون المخاطبون يسكنون كوكبًا غير الأرض ، بيد أنَّ الخطاب موجّه إلى من هم في الأرض ، والمراد أن تكون هجرتهم داخلها ، أي : فيها لا إليها ، فلو خاطبت أناسًا مثلًا بقولك : ألم تكن أرض العراق واسعة فتهاجروا إليها ، لاقتضى أن يكون المخاطبون خارج العراق ، وأنت تأمرهم بالهجرة إليه ، ولو خاطبتهم بقولك : ألم تكن أرض العراق واسعة فتهاجروا فيها ، لاقتضى أن يكون المخاطبون داخل العراق ، وأنت تأمرهم أن تكون هجرتهم فيه ، ذلك بالانتقال من بلد عراقي غير آمن إلى بلد عراقي آخر آمن .

وكذلك جعلوها بمعنى (إلى) في قوله تعالى : (فَرَدُّواْ أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ){إبراهيم : ٩} قال أبو عبيدة : ((يقال : ردَّ يده في فمه ، أي :

---

(١) الدر المصون ٢/١٦٠ .

(٢) ينظر : الوسيط في تفسير القرآن المجيد ٢/١٠٥ ، وزاد المسير ٢/١٠٦ وأنوار التنزيل ٢/٩٢.

أمسك إذا لم يجب)) [١] وقال ابن قتيبة : ((والمعنى : ردوا أيديهم في أفواههم ، أي : عضوا عليها حنقًا وغيظًا ، يعني أنَّهم يغيضون الحسود حتى يعضّ على أصابعه العشر))[٢] وقال المالقي : ((فمن ذلك مجيئها بمعنى (إلى) كقولك : رددتُ يدي في فيَّ قال الله تعالى : (فَرَدُّواْ أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ){إبراهيم : ٩} أي : إلى أفواههم ؛ لأنَّ ردَّ يتعدَّى بـ(إلى) ... لكن إذا تحققتَ هذا فالمعنى : أنَّهم إذا ردوا أيديهم إلى أفواههم ، فقد أدخلوها فيها))[٣]

وكذلك جعلوها بمعنى (إلى) في قوله تعالى : (وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الأَرْضِ نَبَاتًا {١٧} ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا){نوح : ١٧-١٨} والصحيح أنَّ (في) على بابها ، لأنَّ المعنى : تكونون في الأرض حين تموتون فتقبرون ثم تصيرون ترابًا .

٤-جعلها بمعنى عن : كقوله تعالى : (فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى){الإسراء : ٧٢} هذا المعنى الذي قيل يجب أن يُتحقق منه ؛ لأنَّه لو أراده لاستعمل (عن) لتعبّر عنه لا (في) هذا هو المنهج الصحيح والسليم في دراسة كتاب الله وتفسيره ، وهو أن نبقي الحرف على بابه ، ثم نفسّر الشاهد استنادًا إلى معناه من دون تأويله بمعنى حرف آخر ، قال الطبري في تفسير هذه الآية : ((اختلف أهل التأويل في المعنى الذي أشير إليه بقوله (هذه) فقال بعضهم : أشير بذلك إلى النعم التي عددها تعالى ذكره ... : من عمي

---

(١) مجاز القرآن ص ١٢٩ .

(٢) تفسير غريب القرآن ص ٢٣٠.

(٣) رصف المباني ص ٤٥١.

عن شكر هذه النعم ... وقال آخرون : بل معنى ذلك : ومن كان في هذه الدنيا أعمى عن قدرة الله فيها وحججه فهو في الآخرة أعمى))[١]

ونقل التأويل الأول عن محمد بن أبي موسى فحسب ، بينما نقل التأويل الثاني عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن زيد ، ثم قال : ((وأَولى الأقوال في ذلك عندى بالصواب قول من قال : معنى ذلك : ومن كان في هذه الدنيا أعمى عن حجج الله على أنَّه المنفرد بخلقها وتدبيرها وتصريف ما فيها فهو في أمر الآخرة التي لم يرها ولم يعاينها ... أعمى وأضلّ سبيلاً))[٢] فيكون المنهج الصحيح الذي يجب اتباعه هنا وفي كل موضع أن يقال : إنَّه لو أراد التأويل الأول لاستعمل (عن) لكن لمَّا استعمل (في) دلَّ على أنَّه أراد التأويل الثاني .

وكذلك جعلوها بمعنى (عن) في قوله تعالى : (اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلا تَنِيَا فِي ذِكْرِي){طه : ٤٢} ولا معنى لهذا الوجه ؛ لأنَّ (تَنِيَا) من ونى و((هذا الفعل يتعدى تارة بـ(عن) وتارة بـ(في) يقال : ما ونيتُ عن حاجتك أو في حاجتك ... وقد عُدِّي في الآية الكريمة بـ(في)))[٣] لذلك ردَّ السيوطي هذا الوجه وقال في باب (عن) : ((ورُدَّ بأنَّ تعدية (ونى) بـ(عن) معروف ، وفُرِّق بين : ونى عنه ، وونى فيه ، بأنَّ معنى الأول جاوزه ولم يدخل فيه ، والثاني دخل فيه وفتر))[٤]

وكذلك جعلوها بمعنى (عن) في قوله تعالى : (أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْماء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَآؤكُم مَّا نَزَّلَ اللّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ){الأعراف : ٧١}

---

(١) جامع البيان ١٤٧/١٥-١٤٨.

(٢) جامع البيان ١٤٨/١٥-١٤٩ .

(٣) الدر المصون ٤١/٨.

(٤) همع الهوامع ٤٤٤/٢ .

والتقدير : عن أسماء ، والصحيح أنَّ (في) هنا على بابها ، بل (عن) ليس هذا مكانها ؛ فـ(عن) تفيد معنى المجاوزة فإذا قلتَ : جادلتُ عن زيد ، فقد جعلت المجادلة تتجاوزه ؛ فلم يجادل هو عن نفسه ، بل أنت جادلتَ عنه فيكون بمعنى : دافعتُ عنه ، وإذا قلتَ : جادلت فيه ، كان المعنى أنَّك جادلت في أمره ، ما له وما عليه ، وهذا هو المعنى المراد في قوله تعالى : (أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا) أي : في حقيقة هذه الأسماء التي هي أسماء باطلة لا واقع لها ولا سند على صحتها ، وقد ورد فعل المجادلة في القرآن الكريم متعديًا بهذين الحرفين فجاء متعديًا بـ(في) في مواضع ؛ لإرادة المعنى الأول ، ومتعديًا بـ(عن) في مواضع ؛ لإرادة المعنى الثاني ، فمن شواهد الأول قوله تعالى : (وَلاَ تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا){النساء : ١٠٧} بمعنى : لا تدافع عن الخائنين ، وقوله تعالى : (هَاأَنتُمْ هَؤُلاء جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَن يُجَادِلُ اللّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً){النساء : ١٠٩} ولا شك في أنَّ المراد من المجادلة عنهم الدفاع عنهم ، وقوله تعالى : (يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا){النحل : ١١١} والمعنى تدافع عن نفسها لتنجو ، واستعمل (في) لإرادة المعنى الثاني حتى إنَّه لا يصح جعلها بمعنى (عن) كقوله تعالى : (كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ {٥} يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ){الأنفال : ٥-٦} والسياق كما ترى سياق لوم ؛ لأنَّه ليس المراد الدفاع عن الحق ، بل المجادلة فيه ، وقوله تعالى : (فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ){هود : ٧٤} فلم يستعمل (عن) لأنَّ ابراهيم عليه السلام لم يدافع عن قوم لوط ، وإنّما جادل الرسل في شأنهم وأمرهم لعلّه أن يجد وجهًا لتأخير العذاب عنهم (وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ){الرعد : ١٣} فلم يستعمل (عن) لأنَّه ليس المعنى الدفاع عن

الله سبحانه وتعالى ، بل المعنى المجادلة في ذات الله وصفاته وأفعاله ، ومن ذلك قوله تعالى : (وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ){الحج : ٣} والذي يتبع كل شيطان مريد لا يجادل عن الله بل يجادل فيه ، وقوله تعالى : (مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلادِ){غافر : ٤} وكذلك الذين كفروا لا يجادلون عن آيات الله بل يجادلون فيها الجدال الباطل

٥-جعلها بمعنى مِن : كقوله تعالى : (أَلا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ){النمل : ٢٥} قال الفراء : ((صلحت (في) مكان (مِن) لأنَّك تقول : لأستخرجن العلم فيكم منكم ، ثم تحذف أيّهما شئت ، أعني (مِن) و(في) فيكون المعنى قائمًا على حاله))[١] وقال الحلبي : ((قوله (فِي السَّمَاوَاتِ) فيه وجهان : أحدهما أنَّه متعلق بـ(الْخَبْءَ) أي : المخبوء في السماوات ، والثاني : أنَّه متعلق بـ(يُخْرِجُ) على أنَّ معنى (في) معنى (مِن) أي : يخرجه من السماوات ، وهو قول الفرّاء)) [٢] وقد تقدم قول الفراء الذي أجاز استعمال أيٍّ من الحرفين ، وكيف يصحّ أن ندعي أنَّ (في) بمعنى (مِن) مع إقرارنا وتأكيدنا أنَّ معنى أحدهما يختلف عن معنى الثاني حتى أدَّى هذا الاختلاف المعنوي إلى اختلاف ما تعلقا به ؟! فقد صرَّح الحلبي بأنَّ استعمال (في) اقتضى إرادة الوجه الأول فيا ليت شعري لِمَ أجزنا معه إرادة الوجه الثاني ؟! فإذا صح ما قاله الحلبي كان الوجه الأول هو الوجه المراد من دون الثاني ، والدليل على ذلك أنَّه استعمل (في) ولم يستعمل (مِن) .

---

(١) معاني القرآن ١٨٥/٢ .

(٢) الدر المصون ٦٠٥/٨.

وأريد في هذا المقام أنَّ أخاطب العقلاء من الباحثين والدارسين وأسألهم : أيهما الطريق الأَولى والأحق والواجب اتباعه هنا أن نبقي الحرف على معناه ثم نقول بالوجه الذي اقتضاه أم نجعله بمعنى حرف آخر ثم نقول بالوجه الذي اقتضاه معنى الحرف الآخر ؟! لِمَ نقول بالتأويل القائم على معنى حرف غير مذكور ونترك التأويل القائم على معنى حرف مذكور ؟! يا سبحان الله لِمَ نسلك الطريق الأعوج والأبعد ، ونترك سلوك الطريق المستقيم والأقرب ؟!

وكذلك جعلوها بمعنى (مِن) في قوله تعالى : (وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ){النحل : ٨٩} والصحيح أنَّها على بابها ؛ لأنَّه أريد معنى الظرفية الزمانية والمكانية المجازية ؛ والمعنى : ((نبيًّا يشهد لهم وعليهم بالتصديق والتكذيب والإيمان والكفر)) (١) كما قال تعالى : (وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا){القصص : ٥٩} فكما بَعَثَ فيهم في الدنيا رسولًا لينذرهم ويبشرهم بَعَثَهُ فيهم في الآخرة ليشهد لهم أوعليهم

٦- جعلها بمعنى (عند) : كقوله تعالى : (وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ){الشعراء : ١٨} واستعمال (في) من دون (عند) هو المناسب للمقام في هذه الآية ؛ لأنَّ فرعون أراد أن يقول لموسى عليه السلام : إنَّك نشأت وترعرعت في بيتنا وملكنا ، وتمكنتَ من العيش فيه .

وكذلك جعلوها بمعنى (عند) في قوله تعالى : (حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ){الكهف : ٨٦} والمراد بالعين المحيط الأطلسي فـ(في) هنا أيضًا على بابها ، فمعناها هو المعنى المراد ؛ لأنَّ هذا ما رآه في نظره أنَّ الشمس دخلت عند غروبها في مياه هذا المحيط .

---

(١) مدارك التنزيل ص ٦٠٥.

٧-جعلها بمعنى (بعد) : كقوله تعالى : (وَوَصَّيْنَا الأنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ){لقمان : ١٤} والصحيح أنَّها على بابها ؛ لأنَّ المراد أنَّها لم تزل معه ترعاه وتسهر على تربيته خلال عامين حتى فصلته ، ولو قال : بعد عامين لما تعيَّن هذا المعنى ، بل لاحتمل تركه من دون رعاية ثم جاءت إليه بعد عامين لتفصله ، كما أنَّ في استعمال (بعد) تحديدًا للمدة التي يتمّ في نهايتها فصل الرضيع ، والآية ليست في سياق تحديد هذه المدة ، أي : هي ليست لبيان قضية شرعية ، فجعل (في) إذن بمعنى (بعد) تحريف لمعنى السياق ، كما أنَّ فيه تعارضًا لما شرعه الله في قوله تعالى : (وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ){البقرة : ٢٣٣} جاء في الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ((وقوله تعالى : (لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ) دليل على أنَّ إرضاع الحولين ليس حتمًا فإنَّه يجوز الفطام قبل الحولين))[١] فاستعمل (في) إذن من دون (بعد) لأنَّه أراد فصاله في أثناء عامين لا بعد عامين قال ابن عاشور : ((وذكر لمدة فطامه أقصاها وهو عامان ؛ لأنَّ ذلك أنسب بالترفيق على الأم ، وأشير إلى أنَّه قد يكون الفطام فبل العامين بحرف الظرفية ؛ لأنَّ الظرفية تصدق مع استيعاب المظروف جميع الظرف)) [٢]

٨- جعلها بمعنى (مع) : كقوله تعالى : (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ){العنكبوت : ٩} يعني مع الصالحين في الجنة ، والصحيح أنَّها على بابها في هذا الموضع ، ولو أراد معنى المعية لاستعمل (مع) وقال : لندخلنهم مع الصالحين ، كما استعملها في قوله

---

(١) ١١٧/٣.

(٢) التحرير والتنوير ١٠٤/٢١ .

تعالى : (وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ){يوسف : ٣٦} ولأنَّ القرآن ما عبَّر عن المعانى إلّا بألفاظها ، فقد يجمع بينها في التركيب نفسه كقوله تعالى : (وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ){النمل : ١٩} فـ(في) تفيد معنى الدخول في الشيء ، والباء تفيد الإلصاق الذي من لوازمه معنى الواسطة والسببية ، فيكون المعنى أدخلني بوساطة رحمتك في عباد الله الصالحين ، وهذا يدل على أنَّ مرتبة الصالحين أعلى من مرتبة المرحومين .

والجدير بالذكر أنَّ المعاني المذكورة : (عند) و(مع) و(بعد) تشترك جميعها مع (في) في معنى الظرفية ، وهذا يعني أنَّ هذه المواضع جاز في جميعها معنى (في) فإذا جاز فيها معنى (في) فلِمَ نجعلها بمعاني غيرها ، لو لم تكن هناك نية اختلاق الأوجه والمعاني ؟ و(في) أشد إيغالًا وتمكُّنًا من الظرفية من تلك التي جعلت بمعانيها ، ولمَّا كان المراد هذا المعنى استعملت من دونها .

٩-جعلها بمعنى (على) : كقوله تعالى : (وَلاصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ){طه : ٧١} أي : على جذوع النخل .

كان جَعْلُ (في) بمعنى (على) في قوله تعالى : (وَلاصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ){طه : ٧١} أحد شواهد التضمين التي درستها في كتابي : النصب على نزع الخافض : وإليك نص ما قلته هناك : ((قال مقاتل ، وأبو عبيدة ، وابن قتيبة ، والمبرد : ((أي : على جذوع النخل))[١]وقال الهروي : (باب دخول حروف الخفض بعضها مكان بعض ، اعلم أنَّ حروف الخفض قد يدخل بعضها مكان بعض ، قد جاء ذلك في القرآن

---

(١) تفسير مقاتل ، تفسير الآية ٣٨ من سورة الطور ٢٨٦/٣ ، والوجوه والنظائر له ص ٧٢ ومجاز القرآن ص١٨١ وتفسير غريب القرآن ص ٢٩٨ وتأويل مشكل القرآن ص ٢٩٨ والمقتضب تحقيق هرون ٣١٩/٢-٣٢٠ وتحقيق بديع ٥٨٥/١-٥٨٧ .

الكريم والشعر ، فمنها (في) ، ولها ستة مواضع ، تكون مكان (على) ، كما قال الله عز وجل : (وَلاصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ)))[1] وقال المرادي : ((في : حرف جر ، وله تسعة معان ... الخامس : أن تكون بمعنى (على) نحو قوله تعالى : ((وَلاصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ)))[2] وقال ابن هشام : ((في : حرف جر ، له عشرة معان ... الرابع : الاستعلاء ، نحو قوله تعالى : (وَلاصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ)))[3]

هذا الذي قيل من لدن أساطين اللغة والنحو عن تضمين(في) ، معنى (على) ، لم يثبت عند التحقيق لدى آخرين ، قال الزجاج : ((معناه : على جذوع النخل ، ولكنَّه جاز أن تقع (في) ههنا ؛ لأنَّه في الجذع على جهة الطول ، والجذع مشتمل عليه، فقد صار فيه))[4]ومثل هذا قال التبريزي[5] وقال ابن فارس : ((وكان بعضهم يقول : إنَّما قال : (وَلاصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ) لأنَّ الجذع للمصلوب بمنزلة القبر للمقبور ؛ فلذلك جاز أن يقال فيه هذا ، وأنشدوا :

هُمُ صلبوا العبْدِيَّ في جذع نخلة فلا عطستْ شيبان إلّا بأجْدَعا))[6]

والأجدع : السجين أو الأقطع أو الشيطان ، وقال الزمخشري : ((شبَّه تمكُّن المصلوب في الجذع تمكُّن الشيء الموعى في وعائه ؛ فلذلك قيل : في

---

(١) الأزهية في علم الحروف ص ٢٧٧ .

(٢) الجنى الداني ص ٢٥١ .

(٣) مغني اللبيب ١٦٨/١ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٢٩٩/٣ .

(٥) ينظر : ملخص إعراب القرآن ص ٢٧١ .

(٦) الصاحبي في فقه اللغة ص ١١٤.

جذوع النخل)) [١]وقال ابن عطية : ((اتساع من حيث هو مربوط في الجذع ، وليست على حد قولك : ركبتُ على الفرس)) [٢] وقال العكبري : ((في : هنا على بابها ؛ لأنَّ الجذع مكان للمصلوب ، ومحتوٍ عليه))[٣] وقال المالقي : ((ومن ذلك مجيئها بمعنى(على) ... ومنه قوله تعالى : (وَلاصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ) وكل هذه المواضع لو تأولتها وجدتَ فيها معنى : (في) الذي هو الوعاء ، ألا ترى أنَّ معنى : (فِي جُذُوعِ النَّخْل) الوعاء ، وإن كان فيها العلو ، فالجذع وعاء للمصلوب ؛ لأنَّه لا بد من الحلول في جزء منه ، ولا يلزم في الوعاء أن يكون خاويًا من كل جهة ، ألا ترى أنَّ قوله تعالى : (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا){الملك : ١٥} يعني الأرض ، إنَّها لا تحوي الماشي ، وإنَّما يحلّون في جزء منها)) [٤] وقال أبو حيان : ((وأراد بالتقطيع والتصليب في الجذوع التمثيل بهم ، ولمَّا كان الجذع مقرًّا للمصلوب ، واشتمل عليه اشتمال الظرف على المظروف عُدِّي الفعل بـ(في) التي للوعاء ، وقيل (في) ، بمعنى (على) ، وقيل : نقر فرعون الخشب وصلبهم في داخله ، فصار ظرفًا لهم ، حتى يموتوا فيه جوعًا وعطشًا)) [٥]

فـ(في) إذن في قوله تعالى : (وَلاصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ) جاءت على بابها ؛ تعبيرًا عن شدة الغضب التي اعترتْ فرعون ، وشدة وعيده بسحرته الذين آمنوا بموسى ، عليه السلام ، بأنَّه سيصلبهم في جذوع النخل

---

(١) الكشاف ٧٤/٣ .

(٢) المحرر الوجيز ٥٣/٤ .

(٣) التبيان في إعراب الفرآن ١٨٨/٢ .

(٤) رصف المباني ص ٤٥١-٤٥٢ .

(٥) البحر المحيط ٢٢٣/٦ .

، لا على جذوع النخل ، فهو أشد تنكيلًا ، وأشفى لغليله))[1] فقد ((آثر كلمة (في) للدلالة على استقرارهم كاستقرار المظروف في الظرف)) [2]))[3]

١٠-جعل (في) للتعليل بمعنى اللام : كقوله تعالى : (وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ){الحج : ٧٨} يعني : وجاهدوا لله ، والصحيح أنَّها على بابها ، فلو أراد معنى اللام لاستعمل اللام وقال : وجاهدوا لله ، كما استعملها في قوله تعالى : (وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ){العنكبوت : ٦}

وكذلك جعلوها للتعليل بمعنى اللام في قوله تعالى : (لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ){النور : ١٤} وفي الحديث : أنَّ امرأة دخلت النار في هرَّة حبستها ، والادعاء بمجيء (في) للتعليل ، جاء من إسقاط دلالة السياق عليها ، قال الزمخشري : ((والمعنى : لولا أني قضيتُ أن أتفضل عليكم في الدنيا ... لعاجلتكم بالعقاب على ما خضتم فيه))[4] فـ(في) في الآية لم تستعمل للتعليل ، وإنَّما هي على بابها للوعاء والظرفية ، ولكن لوقوعها في هذا السياق التعليلي أوهم أهل اللغة والتفسير أنَّها جاءت لمعنى التعليل ، والدليل على ذلك أنَّه لو استُعملتْ أحرف غيرها لحصل الوهم نفسه ، ولاختلقوا هذا المعنى لـ(مِن) لو قيل : مِمَّا أفضتم ، وللباء لو قيل : بما أفضتم ، وللام لو قيل : لِما أفضتم ، ولـ(على) لو قيل : على ما أفضتم ، وقد فسَّرها الزمخشري بهذا

---

(١) النصب على نزع الخافض والتضمين / المبحث السادس / المطلب الثاني : شواهد التضمين في القرآن الكريم / الشاهد الخامس .

(٢) فتح القدير للشوكاني ٣/٤٦٥.

(٣) النصب على نزع الخافض والتضمين من بد ع النحاة والمفسرين/المبحث السادس/المطلب الثاني/شواهد التضمين في القرآن الكريم/الشاهد الخامس

(٤) الكشاف ٣/٢١٣ .

المعنى ، وكذلك حال (في) في قوله صلى الله عليه وسلم : دخلت امرأة النار في هِرَّة حبستها ، فلو استعمل اللام لكان المعنى : من أجل هرة ، ولو استعمل الباء لأفاد إلصاق العلة بالهرة ، ولو استعمل (على) لأفاد تسليط العلة عليها ، ولو استعمل (مِن) لأفاد أنَّ علة دخولها النار ابتدأت منها ، ولكن لمَّا أراد الإخبار بأنَّ علة دخولها النار كانت كامنة في الهرّة ، ومتمكنة فيها استعمل (في) لأنَّها أقوى الحروف وأقربها للتعبير عن هذا المعنى المراد ؛ لكونها تفيد معنى الدخول في الشيء ، فلكل حرف في اللغة معناه المستقل عن غيره ، والقرآن الكريم ما عبَّر عن المعاني إلّا بألفاظها الخاصة بها .

١١-المقايسة : وهي الداخلة بين مفضول سابق وفاضل لاحق كقوله تعالى : (فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ){التوبة : ٣٨} والمقايسة هي دلالة السياق وليست دلالة (في) لأنَّ ((المعنى : فما متاع الحياة محسوبًا في الآخرة)) (١)

١٢- زائدة للتوكيد : كقوله تعالى : (وَقَالَ ارْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ اللّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ){هود : ٤١}

المنهج الصحيح والسليم أن يُفسَّر الحرف بجعله على بابه ؛ لأنَّه لو لم يكن قد أريد منه معناه الموضوع له في اللغة لما استعمل لفظه المعبّر عنه ؛ لذلك قلّما تجد حرفًا جُعل زائدًا للتوكيد ، أو بمعنى حرف آخر ، إلّا وهناك من وجد بعد التحقيق والدراسة لمعناه الأصلي وجهًا ، ورجّحه على الوجه الدخيل وعلى القول بالزيادة ، من ذلك ما قاله الحلبي في هذه الآية : ((و(فيها) متعلق بـ(ارْكَبُوا) وعدِّي بـ(في) لتضمنه معنى : ادخلوا فيها راكبين ، أو سيروا فيها ، وقيل تقديره : اركبوا الماء فيها ، وقيل : (في) زائدة

---

(١) الدر المصون ٥١/٦.

للتوكيد)) [١] فقد بيَّن أنَّ (في) على بابها وأشار إلى وجه الزيادة بصيغة التضعيف : قيل ، ولا حاجة إلى التضمين وإلى كل هذه التقديرات ؛ فقد استعملت (في) في موضعها ، ولا يشك في ذلك ويقول بزيادتها إلّا جاهل ومقلِّد ، لأنك تقول : ركبتُ الدابة ، ولا تقول : ركبتُ في الدابة ، لأنَّ الدابة إذ ركبتها لا تكون ظرفًا لك ، بل تعتليها وتحتويها ولا تحتويك ؛ لذلك لم يتعدَّ ركوبها بـ(في) في قوله تعالى : (وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ){النحل : ٨} إلّا أنَّك جاز أن تقول : ركبتُ في السيارة ؛ لأنَّ السيارة إذا ركبتها تحتويك وتكون ظرفًا لك ، وكذلك جاز أن تقول : ركبتُ في السفينة ، فاستعمل (في) في قوله تعالى : (ارْكَبُواْ فِيهَا) لأنَّ المعنى : اركبوا السفينة لتحتويكم ؛ لتكونوا آمنين باحتوائها لكم من الطوفان ، وليس من المناسب أن يقال : اركبوها ، لأنَّ المركوب في هذا المقام كان أكبر وأوسع من أن يشتمل عليه الراكبون ، فالفلك تكون عادة ظرفًا لمن يركبها وتحتويه ولا يحتويها ؛ لذلك كان من الأنسب تعدي ركوبها بـ(في) كالشاهد المذكور وكقوله تعالى : (فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا){الكهف : ٧١} وقوله تعالى : (فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ){العنكبوت : ٦٥}

٢٠–قد الحرفية : (قد) لا تفيد إلّا التحقيق إلّا أنَّ النحاة اختلقوا لها أربعة معان ، فقد زعموا بمجيئها في القرآن الكريم بمعنى التقريب ، والتوقع ، والتقليل ، والتكثير [٢] وفيما يأتي دراسة لشواهد هذه المعاني المختلقة :

---

(١) الدر المصون ٣٤٢/٦.

(٢) ينظر : معاني الحروف للرماني ص ٩٥ ورصف المباني ورصف المباني ص ٤٥٥–٤٥٦ والجنى الداني ٢٥٣–٢٦٠ ومغني اللبيب ١/١٧٠–١٧٥والبرهان ص ٨٥٥–٨٥٧ والإتقان ص ٢٥٥–٢٥٦ والزيادة والإحسان ٨/١١٩–١٢١ .

١–جعل (قد) لتقريب الماضي من الحاضر : وقد حصروا ذلك في الفعل الماضي عند وقوعه حالًا ، وجعلوه على قسمين : حال مسبوق بـ(قد) ظاهرة كقوله تعالى : (وَمَا لَنَا أَلّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا){البقرة : ٢٤٦} وقوله تعالى : (وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ){الأنعام : ١١٩} : وحال مسبوق بـ(قد) مقدرة كقوله تعالى : (أَوْ جَآؤُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَاتِلُونَكُمْ){النساء : ٩٠} وقوله تعالى : (هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا){يوسف : ٦٥}

وهذا الوجه اختلقه النحاة لسدّ ثغرة في قاعدة نحوية قالوا بها ، وهي أنَّهم اشترطوا في وقوع الفعل حالًا أن يكون فعلًا مضارعًا ؛ لأنَّ من شروط الحال عندهم دلالته على الزمن الحالي ، والجدير بالذكر أنَّ الأمثلة التي استشهدوا بها على اقتران الحال بـ(قد) هي المرتبطة بالواو كالشاهدين الأولين ، والمرتبطة بالواو هي في الحقيقة مفعول معه وليست حالًا ، وهذه حقيقة بيَّنتها في كتابي : المشاكلة ، فكل واو اصطلح على تسميتها بواو الحال إنَّما هي في الحقيقة واو معية داخلة على الجملة ، فلا يكون هناك شاهد لدلالة (قد) على التقريب ؛ لأنَّ المفعول معه لا يشترط فيه دلالته على الزمن الحاضر ؛ لذلك تجد مثل قوله تعالى : (قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا){طه : ١٢٥} فأيُّ تقريب أفادته (قد) هنا مع أنَّ النحاة يعربون الفعل الماضي المقترن بها جملة حالية ؟![1] ففعل البصر زمانه الدنيا وفعل العمى زمانه يوم القيامة ، وهذا يقع مع الفعل الماضي الواقع مفعولًا معه ، ولا يقع مع الفعل الماضي الواقع حالًا ، ولهذا اقترن الفعل بـ(قد) في المرتبطة بالواو من دون غير المرتبطة ، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإنَّ المحققين من النحاة أكدوا صحة وقوع الحال فعلًا ماضيًا من دون اقترانه بـ(قد) ومن دون

---

(١) ينظر : الدر المصون ١١٧/٨ .

حاجة إلى تقديرها[١] وقد تطرقتُ إلى هذه القضية في كتابي : المشاكلة وبيَّنتُ فيه أنَّه ((كثر وقوع الماضي حالًا بغير (قد) والواو في القرآن الكريم ، وفي كلام العرب ، وهذا ما صرح به أبو حيان الأندلسي لذلك لم يشترط الأخفش والكوفيون باستثناء الفرّاء اقتران الماضي بـ(قد) عند وقوعه حالًا ، وقد مر أن التفتازاني أجاز وقوع الحال ماضيًا ومضارعًا ومستقبلًا مطلقًا ، وقد نسب السيوطي هذا الجواز أيضا إلى شيخه الكافيجي كما أنَّه كان أحد النتائج التي توصل إليها بعض الدارسين المحدثين))[٢]

٢-جعل (قد) بمعنى التوقع : كقوله تعالى : {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ}[المجادلة : ١] وأفادت التوقع عندهم ؛ لأنَّها كانت تتوقع إجابة الله تعالى لدعائها[٣] وهذا التوقع كان قبل نزول الآية ، وقد تحقق عند نزولها ، فـ(قد) إذن في الآية للتحقيق ، وابن هشام بعد أن نقل هذا الوجه استبعده وأنكره فقال : ((التوقع ، وذلك مع المضارع واضح كقولك : قد يقدم الغائب اليوم ، إذا كنتَ تتوقع قدومه ، وأمَّا مع الماضي فأثبته الأكثرون ... وفي التنزيل : (قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ) لأنَّها كانت تتوقع إجابة الله سبحانه وتعالى لدعائها ، وأنكر بعضهم كونها للتوقع مع الماضي ، وقال : التوقع انتظار الوقوع ، والماضي قد وقع ، وقد تبين مما ذكرنا أنَّ مراد المثبتين لذلك أنَّها تدل على أنَّ الفعل الماضي كان قبل الإخبار به مُتَوَقَّعًا ، لا أنَّه الآن متوقَّع ، والذي

---

(١) ينظر : الجنى الداني ص ٢٥٦ ومغني اللبيب ١/١٧٢-١٧٣ .

(٢) كتابي : المشاكلة بين واو الحال وواو المصاحبة في النحو العربي ، ينظر موضوع ربط الجمل الحالية بالواو

(٣) ينظر : مغني اللبيب ١/١٧٢ والبرهان ص ٨٥٥ والإتقان ص ٢٥٦ والزيادة والإحسان ٨/١٢١ .

يظهر لي قول ثالث ، وهو أنَّها لا تفيد التوقع أصلًا ، أمَّا في المضارع فلأنَّ قولك : يقدم الغائب ، يفيد التوقع بدون (قد) إذ الظاهر من حال المخبر عن مستقبل أنَّه متوقَّع له ، وأمَّا في الماضي فلأنَّه لو صح إثبات التوقع لها بمعنى أنَّها تدخل على ما هو متوقع لصح أن يقال في : لا رجلَ ، بالفتح : إنَّ (لا) للاستفهام ؛ لأنَّها لا تدخل (إلّا) جوابًا لمن قال : هل من رجل ؟ ونحوه ، فالذي بعد (لا) مستفهم عنه من جهة شخص آخر ، كما أنَّ الماضي بعد (قد) متوقَّع كذلك ، وعبارة ابن مالك في ذلك حسنة فإنَّه قال : إنَّها لا تدخل على ماض متوقّع ، ولم يقل : لإنَّها تفيد التوقع ، ولم يتعرض للتوقع في الداخلة على المضارع البتة ، وها هو الحق)) [١]

وقال الزمخشري : ((فإن قلتَ : ما معنى (قد) في قوله تعالى : (قَدْ سَمِعَ) ؟ قلتُ معناها التوقع ؛ لأنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم والمجادِلة كانا يتوقعان أن يسمع اللهُ مجادلتها وشكواها ، وينزل في ذلك ما يُفرِّج عنها))[٢]ونقل الحلبي قول الزمخشري وتبناه [٣]وقال ابن عاشور مستندًا إلى كلام الزمخشري : ((قد : أصله حرف تحقيق للخبر ، فهو من حروف توكيد الخبر ، ولكنَّ الخطاب هنا للنبي صلى الله عليه وسلم ، وهو لا يخامره تردد في أنَّ الله يعلم ما قالته المرأة التي جادلت في زوجها فتعيَّن أنَّ حرف (قد) هنا مستعمل للتوقع)) [٤]

ولا أريد أن أخفي على القارئ أنّي لم أفهم ولم أدرك أنَّه كيف أمكن الربط بين ما توقعه الرسول صلى الله عليه وسلم أو المجادِلة ، وبين جعل

---

(١) مغني اللبيب ١/١٧١-١٧٢.

(٢) الكشاف ٤/٤٧٣ .

(٣) ينظر : الدر المصون ١٠/٢٦١ .

(٤) التحرير والتنوير ٢٨/٧-٨.

(قد) للتوقع استنادًا إلى توقعهما ؟! ف(قد) هنا للتحقيق وليس للتوقع ؛ لأنَّ الذي توقع حسب التفسير هو الرسول صلى الله عليه والمجادلة وليس البارئ عز وجل ، والله سبحانه أسند السمع إلى نفسه جلّ وعلا ، وليس إليهما أو أحدهما فقال : (قَدْ سَمِعَ اللَّهُ) ولم يقل : قد سمع النبيُّ ، أو قد سمعتْ ، كما أنَّه كيف يصح أن نصف فعل الله بالتوقع؟! والحلبي نفسه الذي جعل (قد) تفيد التوقع في الدر المصون قال في العمدة : ((وتكون (قد) حرف توقع وتقليل بحسب القرائن ، وإذا دخل على المضارع أفاد التقليل غالبًا إلّا في أفعال البارئ تعالى ، فتكون للتحقيق)) (١)

٣-جعل (قد) بمعنى التقليل : شاع بين الدارسين وفي كتب النحو أنَّ (قد) إذا دخلت على الفعل الماضي أفادت التحقيق ، وإذا دخلت على الفعل المضارع أفادت التقليل ، حتى نُسِب إلى أبي حيان الأندلسي قوله : ((والذي تلقَّنَّاه من أفواه الشيوخ بالأندلس أنَّها حرف تحقيق إذا دخلت على الماضي ، وحرف توقع إذا دخلت على المستقبل)) (٢)

والذي يظهر لي أنَّ (قد) للتحقيق سواء دخلت على المضارع أو على الماضي ، قال المرادي : ((التقليل وترد للدلالة عليه مع المضارع نحو : إنَّ البخيل قد يجود ، وقال ابن إياز يفيد مع المستقبل التقليل في وقوعه أو في متعلقه كقولك : قد يفعل زيد كذا ، أي : ليس ذلك منه الكثير ، والثاني كقوله تعالى : (قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ){النور : ٦٤} والمعنى ، والله عز اسمه أعلم : أقل معلوماته ما أنتم عليه ، قلتُ : والظاهر أنَّ (قد) في هذه الآية للتحقيق ، كما ذكر غيره ، ونازع بعضهم في إفادة (قد) للتقليل فقال : قد تدلُّ على توقع الفعل ممن أُسند إليه ، وتقليل المعنى لم يُستفَد من

---

(١) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ ٢٧٥/٣.

(٢) الجنى الداني ص ٢٥٥.

(قد) بل لو قيل : البخيل يجود ، فُهِم منه التقليل ؛ لأنَّ الحكم على من شأنه البخل بالجود ، إن لم يحمل على صدور ذلك قليلًا كان الكلام كذبًا ؛ لأنَّ آخره يدفع أوله)) [١] وقال ابن هشام : ((التقليل : وهو ضربان : تقليل وقوع الفعل نحو : قد يصدق الكذوب ، وقد يجود البخيل ، وتقليل متعلقه نحو : قوله تعالى : (قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ){النور : ٦٤} أي : ما هم عليه هو أقل معلوماته سبحانه ، وزعم بعضهم أنَّها في هذه الأمثلة ونحوها للتحقيق ، وأنَّ التقليل في المثالين الأولين لم يُستفَد من (قد) بل من قولك : البخيل يجود ، والكذوب يصدق ؛ فإنَّه إن لم يُحمَل على أنَّ صدور ذلك منهما قليل كان فاسدًا ؛ إذ آخر الكلام ينقض أوله)) [٢]

وهذه هي الحقيقة ؛ لأنّه إذا قيل مثلًا : الكذوب لم ولن يصدق أبدًا ، والبخيل لم ولن يجود أبدًا ، فيجيبه أهل العلم ممن عاشروا الصنفين وتعاملوا معهما ، كلا بل قد يصدق الكذوب ، وقد يجود البخيل ، فـ(قد) في المثالين هي للتحقيق بمعنى أنَّ وقوع الصدق من الكذوب محقق حصوله ، وأنَّ وقوع الجود من البخيل محقق حصوله أيضًا ، أي : لا بدَّ من أن تكون في صحف الكذوب صحيفة أو صحيفتان أو بضعة منها هي صحف صدق ، وكذلك البخيل ، فأنت تستعمل (قد) لتأكيد وجود هذه الصحف بين صحفه ، وأنَّ معنى التقليل كما ذكر جاء من مفهوم السياق لا من دلالة (قد) .

٤–جعل (قد) بمعنى التكثير : جعلوا من ذلك (قد) في قوله تعالى : (قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاء){البقرة : ١٤٤} قال الزمخشري : (((قَدْ نَرَى) ربَّما نرى ، ومعناه كثرة الرؤية)) [٣] و(قد) في الآية للتحقيق وليست

---

(١) الجنى الداني ص ٢٥٧–٢٥٨.

(٢) مغني اللبيب ١/١٧٤ .

(٣) الكشاف ١/٢٠٠.

للكثرة ، لأنَّ معنى الكثرة متأتّ من مفهوم السياق وليس من (قد) عقَّب أبو حيان على قول الزمخشري فقال : ((وشرحه هذا على معنى التحقيق متضادٌّ ؛ لأنَّه شرح (قَدْ نَرَى) بـ(ربَّما نرى) و(ربَّ) على مذهب المحققين من النحويين إنَّما تكون لقليل الشيء في نفسه أو لتقليل نظيره ، ثم قال : ومعناه كثرة الرؤية ، فهو مضادٌّ لمدلول (رُبَّ) على مذهب الجمهور ، ثم هذا المعنى الذي ادعاه ، وهو كثير الرؤية لا يدل عليه اللفظ ؛ لأنَّه لم يوضع لمعنى الكثرة ، هذا التركيب ، أعني تركيب (قد) مع المضارع المراد منه المضي أو غير المضي ، وإنَّما فُهِمت الكثرة من متعلق الرؤية ، وهو التقلب ؛ لأنَّ من رفع بصره إلى السماء مرة واحدة لا يقال فيه : قلَّب بصره إلى السماء ، وإنَّما يقال : قلَّب إذا ردَّد ، فالتكثير إنَّما فُهم من التقلب)) [١]

وقد جعل (قد) أيضًا بمعنى التكثير في قوله : (قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ){النور : ٦٤} فقال : ((أدخل (قد) ليؤكد علمه بما هم عليه من المخالفة عن الدين والنفاق ... وذلك أنَّ (قد) إذا دخلت على المضارع كانت بمعنى (ربَّما) فوافقت (رُبَّما) في خروجها إلى معنى التكثير))[٢] ونقل أبو حيان الأندلسي قوله ، وقال : ((وكون (قد) إذا دخلت على المضارع أفادت التكثير قول بعض النحاة ، وليس بصحيح ، وإنَّما التكثير مفهوم من سياقة الكلام في المدح ، والصحيح في (رُبَّ) أنَّها لتقليل الشيء أو تقليل نظيره ، فإن فُهِم تكثير فليس ذلك من (رُبَّ) ولا (قد) وإنَّما هو من سياقة الكلام)) [٣]

---

(١) البحر المحيط ٦١٢/١ وينظر الدر المصون ١٥٩/٢-١٦٠ .

(٢) الكشاف ٢٥٥/٣.

(٣) البحر المحيط ٥٧٨/٦ وينظر : الدر المصون ٤٥٠/٨-٤٥١.

فتأمَّل أنَّ المحققين في المعاني المنسوبة إلى (قد) أكدوا أنَّها اختلقت من تسليط معاني السياق عليها ، أي : إن فُهِم توقع أو تقليل أو تكثير أو تقريب فهو من السياق لا من (قد)

٢١-الكاف الجارة : لا تكون الكاف الجارة إلّا للتشبيه ، إلّا أنَّ النحاة اختلقوا لها معنيين : الزيادة ، والتعليل[(١)]

١-جعل كاف التشبيه زائدة ، فقد زعموا بمجيء الكاف الجارة زائدة في قوله تعالى : (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ){الشورى : ١١} وفي قوله تعالى : (وَحُورٌ عِينٌ {٢٢} كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ){الواقعة : ٢٣}

وقالوا بزيادة الكاف في سورة الشورى ؛ لأنَّ الكاف بمعنى (مثل) والحقيقة خلاف الحجة التي استندوا للقول بهذه الزيادة فقد ذكر العسكري وغيره أنَّ الشبه يُستعمل فيما يشاهد ، ويكون في الكيفية والتساوي في الكمية ، والمثل عام [(٢)] ((وأنَّ الشيء يُشبَّه بالشيء من وجه واحد ، لا يكون مثله في الحقيقة إلّا إذا أشبهه من جميع الوجوه لذاته ، فكأنَّ الله تعالى لمَّا قال : (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ){الشورى : ١١} أفاد أنَّه لا شبه له ولا مثل ... وقولنا : ليس كمثل زيد رجل ، مناقضة ؛ لأنَّ زيدًا مثل مَن هو مثله ، والتشبيه بالكاف يفيد تشبيه الصفات ، بعضها ببعض ، والمثل يفيد تشبيه الذوات بعضها ببعض ، تقول : ليس كزيد رجل ، أي : في بعض صفاته ؛ لأنَّ كل أحد مثله في الذات ، وفلان كالأسد ، أي : في الشجاعة دون الهيئة وغيرها

---

(١) ينظر : الجنى الداني ص ٧٩-٩٥ ومغني اللبيب ١/١٧٦-١٨٢ والبرهان ص ٨٥٧ والإتقان ص ٢٥٦ والزيادة والإحسان ٨/١٢٢-١٢٣ .

(٢) ينظر : الفروق اللغوية ص ١٧٥، وفروق اللغات ، للحسيني الجزائري ص ١٥٣

من صفاته ، وتقول : السواد عرض كالبياض ، ولا تقول مثل البياض)) [١]
فالبارئ عز وجل أدخل الكاف على (مثل) لينفي عن نفسه التشبيه والتمثيل وقال ابن قتيبة : ((أي : ليس كهو شيء ، والعرب تقيم المِثْل مقام النفس ، فتقول : مثلي لا يقال له كذا ، أي : أنا لا يقال لي))[٢] ((فهو من باب قول العرب : مثلك لا يفعل كذا ، فنفوا الفعل عن مثله ، وهم يريدون نفيه عن ذاته))[٣]وقال ابن عطية : ((الكاف مؤكدة للتشبيه فنفي التشبيه أوكد ما يكون ، وذلك أنَّك تقول : زيد كعمرو ، وزيد مثل عمرو ، فإذا أردت المبالغة قلتَ : زيد كمثل عمرو ، ومثل هذا قول أوس بن حجر (المتقارب) :

وقتلى كمثل جذوع النخيل يغشاهمُ سيلٌ منهمرُ

ومنه قول الآخر (البسيط) :

سعدُ بن زيدٍ إذا أبصرتَ فضلهمُ ما إن كمثلهمُ في الناس من أحد

فجرت الآية في هذا الموضع على عرف كلام العرب))[٤] وقال المرادي : ((وذهب قوم إلى أنَّ الكاف في الآية ليست بزائدة ، ولهم في ذلك أقوال : أنَّ (مثلًا) بمعنى الذات ، أي : ليس كذاته شيء – أنَّ مثلًا بمعنى الصفة ، أي : ليس كصفته شيء))[٥] وجاء في الدر المصون : ((إنَّ العرب تقول : مثلك لا يفعل كذا ، فينفونها في اللفظ عن مثله ، فيثبت انتفاؤها عنه بدليلها ومنه قول الشاعر (مجنون ليلى) :

على مثل ليلى يقتل المرء نفسه وإن بات من ليلى على اليأس طاويًا

---

(١) الفروق اللغوية للعسكري ص ١٧٥ .

(٢) تأويل مشكل القرآن ص ٣٩١ وينظر : الجنى الداني ص ٨٨ .

(٣) الجنى الداني ص ٨٨ .

(٤) المحرر الوجيز ٢٨/٥.

(٥) الجنى الداني ص ٨٩ .

وقول أوس بن حجر :

ليس كمثل الفتى زهيرٍ   خَلْقٌ يوازيه في الفضائل

أن يراد بالمِثْل الصفة ، وذلك أنَّ المِثْل بمعنى المَثَل ، والمَثَل : الصفة ، كقوله تعالى : (مَّثَلُ الْجَنَّةِ){الرعد : ٣٥} فيكون المعنى : ليس مثل صفته تعالى شيء من الصفات التي لغيره ، مَحمَل سهل)) [١]

فصفوة ما تقدم ذكره أنَّه لو قيل : ليس كالله شيء ، لكان المراد أنَّه لا شيء يشبه الله في صفاته ، ولو قيل : ليس مثل الله شيء ، لكان المراد : ليس شيء مثل ذاته ، لكن لمَّا أراد نفي التشبيه في الصفات ، ونفي التمثيل في الذات قال سبحانه : (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) وكذلك قوله تعالى : (وَحُورٌ عِينٌ {٢٢} كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ) أراد التشبيه والتمثيل ، والله أعلم .

٢-جعل كاف التشبيه بمعنى التعليل : اتفق النحاة على أنَّ كاف (كما) للتشبيه في كقوله تعالى : (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُواْ كَمَا آمَنَ النَّاسُ){البقرة : ١٣} إلّا أنَّهم يجعلون التشبيه بين مفردين ، ((والتقدير : آمنوا إيمانًا كإيمان الناس)) [٢] وكذلك قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ){البقرة : ١٨٣) والتقدير : كُتِب كَتْبًا مثل ما كَتِب ، أو بتقدير : كُتِب عليكم الصيام الكَتْب مُشْبِهًا ما كُتِب ، أو صومًا مثلَ ما كُتِب ، فـ(ما) على هذا الوجه بمعنى الذي ، أي : صومًا مماثلًا للصوم المكتوب على من قبلكم أو مُشْبِهًا الذي كُتِب[٣]وكذلك قوله تعالى : (وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ){القصص : ٧٧} والتقدير : وأحسن

---

(١) ٥٤٥/٩-٥٤٦ .

(٢) الدر المصون ١٤١/١.

(٣) ينظر : الدر المصون ٢٦٧/٢-٢٦٨.

((إحسانًا كإحسانه إليك))[١] فالأصل في كاف (كما) أينما وردت هي للتشبيه ، إلّا أنَّهم قالوا بمجيئها للتعليل قي قوله تعالى : (كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا){البقرة : ١٥١} قال الحلبي : (((كَمَا أَرْسَلْنَا) في الكاف قولان : أظهرهما : أنَّها للتشبيه ، والثاني : أنَّها للتعليل))[٢] والأَولى أن نأخذ بالمعنى الأول ؛ لأنَّه الأظهر من جهة ، ولأنَّه يمثل معناها الأصلي من جهة أخرى ، وقالوا : والظاهر أنَّها للتعليل في قوله : (وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ){البقرة : ١٩٨} وقد ذكر الحلبي أنَّ لقوله تعالى : (كَمَا هَدَاكُمْ) خمسة أقوال جعلها للتشبيه ، وبمعنى (على) والتقدير : واذكروه على ما هداكم و((أن تكون للتعليل بمعنى اللام ، أي : اذكروه لأجل هدايته لكم)) [٣] فالتعليل إذن ليس هو الظاهر كما قيل ، ولو أراد معنى (على) لجاء بها وقيل : على ما هداكم ، ولو أراد التعليل بمعنى اللام لجاء باللام وقيل : لِما هداكم ، لكنَّه لمَّا أراد التشبيه استعمل كاف التشبيه وقال : (كَمَا هَدَاكُمْ) هذا هو الحق وما بعد الحق إلّا الضلال .

وقالوا أيضًا أنَّها بمعنى التعليل في قوله تعالى : (وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ){القصص : ٨٢}

جعل مقاتل قوله تعالى : (وَيْكَأَنَّ اللَّهَ) بمعنى : ولكنَّ الله ، وكذلك قوله تعالى : (وَيْكَأَنَّهُ) بمعنى : ولكنَّه [٤]، وقال سيبويه : ((وسألتُ الخليل ، رحمه الله ، عن قوله تعالى : (وَيْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ) وعن قوله تعالى :

---

(١) الدر المصون ٦٩٥/٨ .

(٢) الدر المصون ١٨١/٢ .

(٣) الدر المصون ٣٣٢/٢-٣٣٤.

(٤) تفسير مقاتل ٥٠٧/٢ .

(وَيْكَأَنَّ اللَّهَ) فزعم أنَّها مفصولة من (كأنَّ) والمعنى : على أنَّ القوم انتبهوا فتكلموا على قدر علمهم ، أو نُبِّهوا ، فقيل لهم ، أما يشبه أن يكون ذا عنكم هكذا ، والله تعالى أعلم ، وأمَّا المفسرون فقالوا : ألم تر أنَّ الله ، وقال القُرَشِيُّ ، وهو زيد بن عمرو بن نُفَيْلٍ {من الخفيف} :

سَأَلَتاني الطلاقَ أن رَأَتاني قلَّ مالي ، قد جِئْتُماني بِنُكْرِ

ويكأن من يكن له نَشَبٌ يُحبَبُ ومن يفتقر يعش عيش ضُرّ))[1]

فالخليل جعل الكاف للتشبيه ؛ لأنَّه جعلها بتقدير : أما يُشبه ، وقد جعل الفراء هذا التشبيه بمعنى التقرير فقال : ((وقوله : (وَيْكَأَنَّ الله) في كلام العرب تقرير ، كقول الرجل أما ترى إلى صُنْعِ الله ، وأنشدني :

ويكأن من يكن له نَشَبٌ يُحبَبُ ومن يفتقر يعش عيش ضُرِّ

قال الفرّاء : وأخبرني شيخ من أهل البصرة ، قال : سمعتُ أعرابية تقول لزوجها : أين ابنك ويْلك ؟ فقال : ويْكأنَّه وراء البيت ، معناه : أما ترينه وراء البيت ، وقد يذهب بعض النحويين إلى أنَّهما كلمتان ، يريد ويْكَ أنَّه ، أراد ويلك فحذف اللام وجعل (أنَّ) مفتوحة بفعل مضمر ، كأنَّه قال : ويلك اعلم أنَّه وراء البيت ... وأمَّا حذف اللام من (ويْلكَ) حتى تصير (ويْكَ) فقد تقوله العرب لكثرتها في الكلام ، قال عنترة :

شفى نفسي وأبرأ سُقْمَها قولُ الفوارسِ وَيْكَ عنتَرَ أَقْدِمِ

وقال آخرون : إنَّ معنى : (وَيْ كأنَّ) أنَّ (وَيْ) منفصلة من (كأنَّ) كقولك للرجل : وَيْ أما ترى ما بين يديك ، فقال : وَيْ ، ثم استأنف (كأنَّ) يعني : (وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ) وهي تعجب))[2] وقال أبو عبيدة : ((ومجازه : ألم

---

(١) كتاب سيبويه ١٥٦/٢ .

(٢) معاني القرآن ٢٠٣/٢-٢٠٤.

تر أنَّ الله يبسط الرزق)) [١] وقال الأخفش : ((المفسرون يفسرونها : ألم تر أنَّ الله)) [٢] وقال ابن قتيبة : ((ويْكأنَّ : قد اختُلِف فيها ، فقال الكسائي : معناها : ألم ترَ ، قال الله تعالى : (وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاء) وقال : (وَيْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ) يريد : ألم ترَ ، وروى عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قال : وَيْكَأَنَّ : أوَلا يعلم أنَّ الله يبسط الرزق لمن يشاء ، وهذا شاهد لقول الكسائي ، وذكر الخليل أنَّها مفصولة : وَيْ ، ثم تبتدئ فتقول : كأنَّ الله ، وقال ابن عباس في رواية أبي صالح هي : كأنَّ الله يبسط الرزق لمن يشاء كأنَّه لا يفلح الكافرون ، وقال : وَيْ صلة في الكلام ، وهذا شاهد لقول الخليل ، ومما يدل على أنَّها (كأنَّ) أنَّها قد تُخفَّف كما تُخفَّف كأن قال الشاعر :

وَيكأن من يكن له نشَبٌ يُحْبَبُ ومَن يفتقر يعش عيش ضرِّ

وقال بعضهم : ويكأن ، أي : رحمة بلغة حِمْيَر)) [٣]وذكر الطبري أنَّ قوله تعالى : (وَيْكَأَنَّ اللَّهَ) عند المفسرين هو بمعنى : ألم تر أنَّه ، أو لا ترى أنَّه ، أو لم يعلم أنَّ الله ، أوَ لا يعلم أنَّه [٤] ((فتأويل الكلام : وأصبح الذين تمنَّوا مكان قارون وموضعه من الدنيا يقولون لمَّا عاينوا ما أحلّ الله به من نقمته : ألم تر يا هذا أنَّ الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده فيوسِّع عليه لا لفضل منزلته عنده ، ولا لكرامته عليه كما كان بسط من ذلك لقارون لا لفضله ولا لكرامته عليه (وَيَقْدِرُ) يقول : ويضيق على من يشاء لا لهوانه ولا لسخطه

---

(١) مجاز القرآن ص ٢٠٩.

(٢) معاني القرآن ص ٢٦٥

(٣) تأويل مشكل القرآن ص ٢٨١ .

(٤) جامع البيان ١٣٩/٢٠-١٤٠ .

عمله))[١] ((وقال أبو سعيد السيرافي : في (وَيْكَأَنَّ اللَّهَ) ثلاثة أقوال : أحدها قول الخليل الذي ذكرناه تكون (وَيْ) كلمة تَنَدُّم يقولها المتندم عند إظهار ندمه ، ويقولها المندم لغيره والمنبِّه له ، ومعنى (وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِر) وإن كان لفظه لفظ التشبيه فمعناه التحقيق قال الشاعر :

وأصبح بطن مكة مقشعرًّا   كأنَّ الأرض ليس بها هشام

ومعناه : الأرض ليس بها هشام ؛ لأنَّه مات ، وهذا من مراثيه ، والقول الثاني قول الفراء ... واحتجّ الفرّاء على من قال هي (وَيْ) ثم بعدها (كأَنَّ) بأنَّها كُتبت موصولة غير مفصولة ، والحجة للخليل في فصل (كأَنَّ) من (وَيْ) وإن كانت موصولة في الخط أنَّه كُتب في المصحف موصولًا وحقه أن يُكتب مفصولًا كقوله تعالى : (وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ){الأنفال : ٤١} ما : بمعنى الذي وحقه أن يُكتب مفصولًا (أنَّ ما غَنِمْتُمْ) وكُتبت في المصحف موصولة))[٢]

فالقدامى من أهل اللغة والتفسير كما رأيت لم يشر أحدهم إلى معنى التعليل ، بل ذكروا أنَّ الكاف للتشبيه والمراد من هذا التشبيه التحقيق

وقال المالقي : ((اعلم أنَّ (وَيْ) : حرف تنبيه معناها التنبيه على الزجر ، كما أنَّ معناها التنبيه على الحض ، وهي تقال للرجوع عن المكروه والمحذور ، وذلك إذا وُجِد رجل يسبُّ أحدًا يوقعه في مكروه أو يتلفه أو يأخذ ماله أو يُعرِّض به لشيء من ذلك فيقال لذلك الرجل : وَيْ ، ومعناها تنبَّهْ وازدجرْ عن فعلك ، ويجوز أن توصل بها كاف الخطاب ويك ، وقيل في قوله تعالى : (وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاء) (وَيْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ)

---

(١) جامع البيان ١٤٢/٢٠ .

(٢) شرح كتاب سيبويه ٤٨١/٢.

إنَّها (وَيْ) لمعنى التنبيه كما ذكرنا ، و(كأنَّ) حرف تشبيه عاملة))[١] وقال المرادي : ((وعند الخليل وسيبويه أنَّ (وَيْ) وحدها ، والكاف للتشبيه ، واختلاف القُرّاء في الوقف مشهور)) [٢]وقال ابن هشام : ((و(كأنَّ) للتحقيق كما قال :

كأنَّني حين أُمّي لا تكلمني مُتَيَّمٌ يشتهي ما ليس موجودا

أي : إنَّني حين أُمسي على هذه الحالة)) [٣]

كيف يصحّ تعيين معنى التعليل لكاف (ويْكأنَّ) وقد جاز فيها معان كثيرة ؟! وكيف يصحّ أن نعيِّن للكاف معنى التعليل ونجعله معنى ثانيًا لها ، وقد جاز لها بالقدر نفسه أن تكون بمعنى التشبيه؟ فالأَولى في كل موضع أن يُؤخذ بالمعنى الأصلي للحرف ما دام قد جاز معناه ، والزيادة والتعليل معنيان مختلفان حتى تلحظ في كلام النحاة ما يؤكد هذه الحقيقة ، فقد ذكر المالقي أنَّ الكاف الجارة إن لم ترد زائدة فإنَّها ((لا تكون إلّا للتشبيه))[٤] وصرَّح المرادي أنَّ المعنى الأول للكاف الجارة هو((التشبيه ... ولم يثبت أكثرهم لها غير هذا المعنى)) [٥] وقال ابن هشام في معنى التعليل : ((وأثبت ذلك قوم ونفاه الأكثرون)) [٦]

فالكاف الجارة ليست من الحروف المشتركة ، ولم ترد إلّا للتشبيه .

---

(١) رصف المباني ص ٥٠٤.

(٢) الجنى الداني ص ٣٥٣ .

(٣) مغني اللبيب ٣٦٩/٢ .

(٤) رصف المباني ص ٢٧٢ .

(٥) الجنى الداني ص ص ٨٤.

(٦) مغني اللبيب ١٧٦/١ .

٢٢-كأنّ : ذكر النحاة أنَّ لـ(كأنَّ) أربعة معان هي : التشبيه ، والتحقيق ، والشك ، والتقريب[١] ولم يستشهدوا لهذه المعاني بشواهد قرآنية ، ومع ذلك فقد أرجعها المرادي جميعها إلى التشبيه فقال : ((وجملة معاني (كأنَّ) أربعة :

الأول : التشبيه ، ولم يثبت أكثر البصريين غيره ، وقل ابن مالك : هي للتشبيه المؤكدة ، فإنَّ الأصل : إنَّ زيدًا كالاسد فقدمت الكاف وفتحت (أنَّ) وصار الحرفان حرفًا واحدًا مدلولًا به على التشبيه والتوكيد .

الثاني : التحقيق ، ذهب الكوفيون والزجاجي إلى أنَّها قد تكون للتحقيق دون تشبيه ، وجعلوا منه عمر بن أبي ربيعة :

كأنَّني حين أُمسي لا تكلمني ذو بِغْيَة يشتهي ما ليس موجودًا

ورُدَّ بأنَّ التشبيه فيه بيِّن بأدنى تأمُّل ، واستدلوا أيضًا بقول الشاعر :

فأصبح بطنُ مكة مُقشعِرًّا كأنَّ الأرض ليس بها هشامُ

وأُجيب بأنَّ المعنى : أنَّ بطن مكة كان حقه ألّا يقشعر ؛ لأنَّ هشامًا في أرضه ، وهو قائم مقام الغيث ، فلما اقشعرَّ صارت أرضه كأنَّها ليس بها هشام ، فهي للتشبيه

الثالث : أن تكون للشك ، بمنزلة (ظننتُ) ذهب إلى ذلك الكوفيون والزجاجي ، قالوا إن كان خبرها اسمًا جامدًا كانت للتشبيه ، وإن كان مشتقًّا كانت للشك بمنزلة (ظننتُ) وإلى هذا ذهب ابن الطراوة وابن السيد ، قال ابن السيد : إذا كان خبرها فعلًا أو جملة أو صفة فهي للظنّ والحسبان نحو : كأنَّ زيدًا قام ، وكأنَّ زيدًا أبوه قائم ، وكأنَّ زيدًا قائم ، والصحيح أنَّها للتشبيه ، فإذا قلت : كأنَّ زيدًا قائم ، كنت قد شبهتَ زيدًا ، وهو غير قائم ، به قائمًا ، والشيء يُشَبَّه في حالة ما ، به في حالة أُخرى ، وقيل :

---

(١) ينظر : الجنى الداني ص ٥٧٠-٥٧٤ ومغني اللبيب ١/١٩١-١٩٢والبرهان ص ٨٥٨ والإتقان ص ٢٥٨ والكليات ص ٦٤٣ والزيادة والإحسان ١٢٧/٨ .

كأنَّ هيئةَ زيد هيئةُ قائم ، فحذف قاله أبو علي ، قال بعضهم : والتوجيه الأول أظهر .

الرابع : التقريب ، هذا مذهب الكوفيين ، ذهبوا إلى أنَّ (كأنَّ) تكون للتقريب ، وذلك في نحو : كأنَّك بالشتاء مقبل ، وكأنّك بالفرح آت ، وقول الحسن البصري : كأنَّك بالدنيا لم تكن ، وكأنَّك بالآخرة لم تزل ، والمعنى على تقريب إقبال الشتاء ، وإتيان الفرج ، وزوال الدنيا ، ووجود الآخرة ، والصحيح أنَّ (كأنَّ) في هذا كلّه للتشبيه ، وخرَّج الفارسي هذه المُثُل على أنَّ الكاف في (كأنَّك) للخطاب ، والباء زائدة ، والشتاء والفرج والدنيا والآخرة اسم (كأنَّ) والتقدير : كأنَّ الشتاء مقبل ، وكذا في البواقي ، وخرَّجه بعضهم على حذف مضاف ، والتقدير : كأنَّ زمانك بالشتاء مقبل ، وكأنَّ زمانك بالفرج آت ، ويُتأوّل قول الحسن على أنَّ الكاف اسم (كأنَّ) و(لم تكن) خبرها ، و(بالدنيا) متعلق بالخبر ، والتقدير : كأنَّك لم تكن بالدنيا ، والضمير في (تكن) للمخاطب و(تكن) تامة ، ويحتمل أن تكون ناقصة ، والتشبيه في الحقيقة للحالين ... وخرَّج بعضهم قول الحسن على أنَّ الكاف اسم (كأنَّ) والمجرور هو الخبر ، والجملة بعده حال ، وإن لم يستغن الكلام عنها ؛ لأنَّ من الفضلات ما لايتم الكلام إلّا به ، كقوله تعالى : (فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ){المدثر : ٤٩})) [1]

فقد أثبت المرادي أنّ (كأنّ) للتشبيه في جميع صيغها ، حتى قال : ((ولم يثبت أكثر البصريين غيره)) .

أصل (كأنَّ) : قال المالقي : ((اعلم أنَّه قد اختلف أئمة النحاة في (كأنَّ) هل هي حرف مركبة أو بسيطة ، فذهب الخليل وبعض البصريين

---

(١) الجنى الداني ص ٥٧٠-٥٧٤

المتأخرين إلى أنَّه مركب ، وذهب أكثرهم إلى أنَّه بسيط)) [١]، وقال : ((فإذا ثبتت البساطة فإنَّ (كأنَّ) تكون مشددة وتخفف)) [٢].

أمَّا المرادي فذكر أنَّ كونها مركبة هو مذهب الخليل وسيبويه والأخفش وجمهور البصريين والفراء ، ثم قال : ((فأصل الكلام عندهم : إنَّ زيدًا كالأسد ، ثم قدمت الكاف اهتمامًا بالتشبيه ، ففتحت (أنّ) لأنَّ المكسورة لا يدخل عليها حرف جر))[٣] وقال : ((وذهب بعضهم إلى أنَّ (كأنَّ) بسيطة غير مركبة)) [٤].

وذكر أنَّ من أحكام (كأنَّ) أنَّها قد تخفف ، وإذا خففتْ لم يبطل عملها ، وهي تعمل النصب في اسم ظاهر ، فإذا جاء الاسم بعدها مرفوعًا كانت عاملة في اسم مضمر[٥] وما جاء في الجنى الداني جاء في مغني اللبيب [٦].

والنحاة يجعلون ناصب (زيدًا) هو (كأنَّ) في نحو قولنا : كأنّ زيدًا أسدٌ ، والحقيقة أنّ (كأنّ) مركبة من حرفين : كاف التشبيه ، و(أنّ) أداة تُوصّل بها لإضافة كاف التشبيه إلى الجملة الاسمية : زيدٌ أسدٌ ، والذي أريد أنْ أذكره في هذه القضية أنَّنا لو أدركنا الغرض الأساسي لـ(أن) المفتوحة الهمزة ، مثقلة كانت أم مخففة ، وهو أنَّها ما استعملت إلّا لغرض الوصل ، لما كان ثمة داع إلى هذا التأويل البعيد والاختلاف الكبير بين أئمة النحاة ، فكاف (كأنَّ) هي نفسها كاف التشبيه التي تدخل على المفرد فتجرّه ، إلّا أنَّ

---

(١) رصف المباني : ص ٢٨٤ .

(٢) رصف المباني : ٢٨٥ .

(٣) الجنى الداني : ص ٥٦٨ .

(٤) الجنى الداني : ص ٥٦٩ .

(٥) الجنى الداني : ٥٧٤ –٥٧٥ .

(٦) ينظر : ١٩١/١ .

العرب كانوا يستعينون بأداة الوصل (أن) و(أنَّ) عند إضافة هذه الكاف إلى الجملة ، فـ(كأنَّ) ليست بسيطة ، كما أنَّها ليست مركبة بالتأويل الذي ذكروه ، ونصب الاسم بعدها جاء من تشديد نون (أنّ) فتكون (أن) مخففة أداة وصل ، وتكون مشددة أداة وصل وتوكيد ، فـ(كأنَّ) عند النحاة كلمة واحدة فيكون إعراب : كأنّ زيدًا أسدٌ ، عندهم : (كأنَّ) حرف تشبيه وتوكيد ، و(زيدًا) اسمها منصوب ، و(أسدٌ) خبرها ، والحقيقة أنّ (كأنّ) مركبة من حرفين ، ويكون الإعراب : الكاف : حرف جرٍّ وتشبيه ، و: أنَّ : حرف وصل وتوكيد ، و : زيدًا : اسم (أنَّ) منصوب ، و : (أسدٌ) خبر (أنَّ) مرفوع ، وجملة أنَّ ومعموليها : أنَّ زيدًا أسدٌ ، في محلّ جرٍّ ، بكاف الجرّ

٢٣-**اللام المكسورة** : ذكر النحاة لِلَّام المكسورة معاني كثيرة في اللغة والقرآن الكريم والمعاني التي استشهدوا لها بشواهد قرآنية : الاختصاص ، والتخصيص ، والاستحقاق ، والولاية ، والملك ، والتمليك ، وشبه التمليك ، وبمعنى (إلى) والتعليل ، والتبيين ، والصيرورة ، والتبليغ ، وبمعنى (في) وبمعنى (عن) وبمعنى (عند) وبمعنى (بعد) وبمعنى (مِن) وبمعنى (على) وبمعنى الجحود ، وبمعنى (أن) ، والتعدية ، وزائدة ، ولام الطلب[1] وفيما يأتي دراسة لشواهد هذا المعاني الواردة في كتاب الله :

١-الاختصاص أو النسب : ومعناها أنَّها تدلّ على أنَّ بين الأول والثاني نسبة باعتبار متعلقه كقوله تعالى : (إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا){يوسف : ٧٨} وقوله تعالى : (فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ){النساء : ١١}

---

(١) ينظر : الأزهية ص ٢٩٨-٣٠٠ ورصف المباني ٢٩٣-٣٢٨ والجنى الداني : ص ٩٥-١٢٣ ومغني اللبيب ١/٢٠٧-٢٣٦ والبرهان ص ٨٦٨-٨٧٣ وبصائر ذوي التمييز ٤/٤٠٨-٤١٢ والإتقان ص ٢٦١-٢٦٢ وهمع الهوامع ٢/٤٥١-٤٥٦ والزيادة والإحسان ٨/١٣٤-١٣٨

٢–التخصيص : كقوله تعالى : (وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ){الأحزاب : ٥٠} قال ابن فارس : ((وتكون للتخصيص ، نحو : الحمدُ لله ، وفي الكلام : الفصاحة لقريش ، والصباحة لبني هاشم))[١] يعني الجمال :

٣–الاستحقاق : كقوله تعالى : (الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ){الفاتحة : ٢} وقوله تعالى (وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ){المطففين : ١} وقوله تعالى : (لهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ){البقرة : ١١٤} فمعنى الاستحقاق لم يجئ من مدلول اللام ، بل جاء مما يستحقه المجرور بها من المدح أو الذم والعذاب

٤–الولاية : كقوله تعالى : (لِلَّهِ الأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ){الروم : ٤} والولاية من لوازم معنى الملك والاختصاص

٥–الملك : كقوله تعالى : (لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ){البقرة : ٢٥٥} والملك هو المعنى العام لِلَّام ، وقال المبرد : واللام التي تسمى لام الملك نحو : هذا لعبد الله ولك ، تكون مكسورة مع الظاهر ، ومفتوحة مع المضمر))[٢]

٦–التمليك : كقوله تعالى : (وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا){مريم : ٥٠} ومعنى التمليك متأتٍّ أيضًا من فعل الهبة والجعل .

٧–شبه التمليك : كقوله تعالى : (وَاللّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا){النحل : ٧٢} وهذا المعنى جاء أيضًا من فعل الجعل ، وعُدَّ شبيهًا بالتمليك ، لأنَّ الأزواج لا يُملكون كما تُملك الأموال والأنعام

فاللام في شواهد هذه المعاني السبعة لا بدّ من أن تكون موضوعة لمعنى ، وهو معنى لا يمكن التعبير عنه بلفظ يكون معنى هذا اللفظ يمثل

---

(١) الصاحبي في فقه اللغة ص ٧٥.

(٢) المقتضب المجلد الأول ص ٨٠ .

المعنى الحقيقي لِلّام بعينه ، لأنَّ اللفظ أو الحرف لا يطابق معناه إلّا اللفظ نفسه أو الحرف نفسه ، فتكون جميع المعاني التي تقال فيه ، هي معاني مرادفة له لا مطابقة ، كالمعاني السبعة المذكورة ، ولهذا جاءت هذه المعاني مترادفة ، أي : غير متباينة يجمعها معنى عام واحد ومرادفة لِلّام ، فليس واحد منها يمثل معنى اللام نفسه بل المعنى القريب منها ، فهي واحدة من هذه الجهة ؛ ويكفي اختيار أقربها لمعناها والاستغناء به عن البقية ؛ لذلك قالوا : إنَّ الاختصاص أصل معانيها[١] وقالوا : إنَّ الاستحقاق ((هو معناها العام ؛ لأنَّه لا يفارقها)) [٢] وقال المرادي في المعنى الخامس معنى الملك : ((وقد جعله بعضهم أصل معانيها ، والظاهر أنَّ أصل معانيها الاختصاص ، وأمَّا الملك فهو نوع من أنواع الاختصاص ، وهو أقوى أنواعه ، وكذلك الاستحقاق ؛ لأنَّ من استحق شيئًا فقد حصل له به نوع اختصاص))[٣]وقال ابن هشام : ((وبعضهم يستغني بذكر الاختصاص عن ذكر المعنيين الآخرين (يعني الاستحقاق والملك) ويمثل له بالأمثلة المذكورة ونحوها ، ويرجحه أنَّ فيه تقليلًا للاشتراك ، وأنَّه إذا قيل : المال لزيد ، لزم القول بأنَّها للاختصاص مع كون زيد قابلًا للملك ؛ لِئلّا يلزم استعمال المشترك في معنييه دفعة ، وأكثرهم يمنعه)) [٤] وأرى أنَّ أقرب المعاني وأعمّها إلى اللام هو الاختصاص والملك ، وهذا هو الوجه الأول من أوجه اللام .

٨-أن تكون بمعنى (إلى) : كقوله تعالى تعالى : (وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ){الأنعام : ٨٧} قال المالقي : ((أن تكون بمعنى (إلى) وذلك قياس لأنَّ (إلى) يقرب معناها من معنى اللام ، وكذلك لفظها ، ألا ترى

---

(١) ينظر : الجنى الداني ص ٩٦ .

(٢) الجنى الداني ص ٩٦ .

(٣) الجنى الداني ص ٩٦ .

(٤) مغني اللبيب ١/٢٠٨-٢٠٩.

قوله : (وَقَالُواْ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا){الأعراف : ٤٣} و(هدى) يتعدى بـ(إلى) كما قال تعالى : (وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ){الأنعام : ٨٧} فالهداية في المعنى أوصلت المهدي إلى الصراط المستقيم ، والوصلة موجودة في معنى (إلى) واللام ، وهي موجودة فيهما حيثما كانا ، وإن كان بينهما فرق من حيث إنَّ (إلى) لانتهاء الغاية واللام عارية عنها ، فاللام أقرب الحروف لفظًا ومعنًى إلى (إلى) من غيرها ، فلذلك قلنا : إنَّ دخول كل واحدة منهما في موضع الأخرى ، ألا ترى أنَّ قوله تعالى : (فَادْفَعُواْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ){النساء : ٦} و : ادفعوا لهم ، يتقاربان ، فاستعمل إحداهما في موضع الأخرى ، كما ذُكر ، ومنه أيضًا قوله تعالى : (وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ){النحل : ٦٨} وقال في موضع آخر : (بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا){الزلزلة : ٥}))[١] وقال الزركشي : ((بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا){الزلزلة : ٥} بدليل : (وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ){النحل : ٦٨} وقال : ((وبمعنى (إلى) كقوله تعالى : (وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُّسَمًّى){الرعد : ٢} بدليل قوله تعالى : (وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى){إبراهيم : ١٠} [٢]

وهذه قضية مهمة جدًّا بيَّنها المالقي أنَّ تناوب الحروف لم يكن لأنَّ بعضها قد يجيء بمعنى بعض ، وإنَّما جاز أن تقع بعضها مكان بعض في مواضع لتقارب معانيها ، فيظن الضعيف العلم باللغة أنَّها بمعناها ، كما قال الزجاج ، كما بيَّن حقيقة أخرى أنَّها وإن تقاربت معانيها فبينها فروق ، وأنَّ القرآن الكريم راعى هذه الفروق وقصدها قصدًا ؛ لذلك لا يجوز أن نجعل بعضها بمعنى بعض ، وإلّا فقد حرّفنا المعنى المراد ، قال الخطيب الإسكافي : ((قوله تعالى : (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ

---

(١) رصف المباني ص ٢٩٧–٢٩٨.

(٢) ينظر : البرهان ص ٨٦٩ .

بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ){لقمان : ٢٩} وقال في سورة الزمر : (خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لاجَلٍ مُسَمًّى أَلا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ){الزمر : ٥} للسائل أن يسأل عن اختصاص ما في سورة لقمان بقوله (كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى) وما سواه إنَّما يجري لأجل مسمى ، والجواب أن يقال : إنَّ معنى قوله (يَجْرِي لاجَلٍ مُسَمًّى) يجري لبلوغ أجل مسمى ، وقوله (يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ) معناه : لا يزال جاريًا حتى ينتهي إلى آخر وقت جريه المسمى له ، وإنَّما خَصَّ ما في سورة لقمان بـ(إلى) التي للانتهاء ، واللام تؤدي نحو معناها ؛ لأنَّها تدلّ على أنَّ جريها لبلوغ الأجل المسمى ؛ لأنَّ الآيات التي تكتنفها آيات منبهة على النهاية والحشر والإعادة فقبلها : (مَّا خَلْقُكُمْ وَلا بَعْثُكُمْ إِلا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ){لقمان : ٢٨} وبعدها : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا){لقمان : ٣٣} فكان المعنى : كل يجري إلى ذلك الوقت ، وهو الوقت الذي تُكَوَّر فيه الشمس وتنكدر فيه النجوم ، كما أخبر الله تعالى ، وسائر المواضع التي ذكرت فيها اللام إنَّما هي في الإخبار عن ابتداء الخلق وهو قوله تعالى : (خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لاجَلٍ مُسَمًّى أَلا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَ){الزمر : ٥-٦} فالآيات التي تكتنفها في ذكر ابتداء خلق السماوات والأرض ، وابتداء جري الكواكب ، وهي إذ ذاك تجري لبلوغ الغاية ، وكذلك قوله في سورة الملائكة إنَّما هو في ذكر النعم التي بدأ بها في البر والبحر إذ يقول : (وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ {١٢} يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ

الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لاجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ){فاطر : ١٢-١٣} فاختص ما عند ذكر النهاية بحرفها ، واختص ما عند الابتداء بالحرف الدال على العلة التي يقع الفعل من أجلها)) [١]

فاللام لا تجيء بمعنى (إلى) وإنما تجيء مثلها لانتهاء الغاية ، إلّا أنَّ الغاية التي تفيدها اللام غير التي تفيدها (إلى) لذلك استُعملا معًا مع الفعل نفسه ، وهذا ما بيّنته في حرف اللام ، الحرف الرابع ،

وهذا هو الوجه الثاني لِلّام مع الفرق المذكور بينها وبين (إلى) فاللام تجيء لانتهاء الغاية القريبة التي قد تصل إلى درجة اتصال زمن المجرور بزمن عامله أو مكانه ، لذلك ظُنَّ أنَّها تجيء بمعنى (في) أو (عند) أو (بعد) كما سيأتي ، وقد يُعبَّر بها عن البعيد ، إذا كان قريبًا في نظر القائل ، أو لإشعار المخاطب بقرب ما يظنه بعيدًا .

٩-التعليل : كقوله تعالى : (لإِيلافِ قُرَيْشٍ {١} إِيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاء وَالصَّيْفِ {٢} فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ){قريش : ١-٣} وقوله تعالى : (وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ){العاديات : ٨} والمعنى : من أجل حب المال لبخيل ، وقوله تعالى : (سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاء){الأعراف : ٥٧) قال الزركشي : ((أي : لأجل بلد ميّت ، بدليل : (فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاء) هذا قول الزمخشري وهو أولى من قول غيره إنَّها بمعنى (إلى)))[٢] وقوله تعالى : (وَلاَ تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا){النساء : ١٠٥} أي لا تخاصم الناس لأجل الخائنين ، ومنها اللام التي تدخل على الفعل المضارع فتنصبه ، كقوله تعالى : (وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ){النحل : ٤٤} وقوله تعالى : (لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِمْ){الجن : ٢٨} وهذا هو الوجه الثاني لِلَام .

---

(١) درة التنزيل ٣٧٤-٣٧٥.

(٢) البرهان ص ٨٦٩.

١٠-التبيين للفاعل أو المفعول : كقوله تعالى : (وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ){محمد : ٨} ولام التبيين هي اللام الوقعة بعد أسماء الأفعال والمصادر التي تشبهها ، مبينة لصاحب معناها نحو قوله تعالى : (وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ){يوسف : ٢٣} أي : أقبل وتعال أقول لك ، وكذلك المعلقة بحُبٍّ في تعجب أو تفضيل نحو : ما أحبَّ زيدًا لعمر وقوله تعالى : (وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلّهِ){البقرة : ٦٥}

واللام في الشواهد المذكورة هي اللام نفسها التي جُعلت بمعنى الاختصاص ، والتبيين تحصيل حاصل ؛ لأنَّ اللام إذا أفادت الاختصاص فقد بيَّنت ، فيكون التبيين من لوازمه ، قال السيوطي : ((والتبيين : وهي أقسام ما يبيِّن المفعول من الفاعل بأن يقع بعد فعل تعجب أو اسم تفضيل من حُبٍّ أو بُغضٍ ، تقول : ما أحبَّني وما أبغضني ، فإن قلتَ لفلان ، فأنت فاعل الحب والبغض وهو مفعول لهما ، فإن قلتَ : إلى فلان ، فالأمر بالعكس ، ذكره ابن مالك ، وليكن ذلك أيضًا في معنى (إليَّ))) [١] فكما بينت اللام المفعول من الفاعل ، بينت (إلى) الفاعل من المفعول ، فاستعملت اللام في قوله : ((وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلّهِ) ليكون المعنى أنَّ المؤمنين يحبون الله أشد من حبِّ أهل الأوثان لأوثانهم[٢] ولو قيل : إلى الله ، لانعكس المعنى كما جاء في همع الهوامع

وكذلك قوله تعالى (وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ) ((أي : فأقبل وتعال)) [٣] وقال ابن قتيبة : ((أي : هلمَّ لك يقال : هَيَّتَ فلان لفلان ، إذا دعاه وصاح به))[٤] واللام هنا لم تستعمل لتبيَّنَ فاعلًا من مفعول ، لأنَّ (هَيْتَ) اسم فعل

---

(١) همع الهوامع ٤٥٢/٢ .

(٢) ينظر : زاد المسير ١٤٧/١.

(٣) زاد المسير ١٥٥/٤ .

(٤) تفسير غريب القرآن ص ٢١٥.

أمر وهو فعل لازم ، واستعملت لتفيد الاختصاص أنَّ الخطاب موجه إليك لا إلى غيرك ، فبينتْ أنَّ المراد يوسف عليه السلام من كاف الخطاب لا من اللام .

وكذلك قوله تعالى : (وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ) ((والتعس في اللغة : الانحطاط والعثور))[1] ((وقيل : التعس الهلاك ، وقيل : التعس الجرّ على الوجه)) [2] فاللام هنا أفادت الاختصاص أو الاستحقاق ، وإذا أفادت التبيين فقد كان من المجرور بها لا منها ، فلو قيل : فتعسًا لك ، لكان المراد المخاطَب ، ولو قيل : فتعسًا لكم ، لكان المراد المخاطبين ، لكن لمَّا قال سبحانه : (فَتَعْسًا لَّهُمْ) عنى الذين كفروا

فمعنى التبيين لا يصح أن يكون وجهًا لِلّام ؛ لأنَّه غير مقتصر عليها ، بل العرب لم يستعملوا الحروف إلّا ليُبَيَّنَ بها المقصود من غير المقصود ، حتى علامات الإعراب الحروف والحركات ، كقوله تعالى : (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ){فاطر : ٢٨} فجعلت الفتحة على آخر لفظ الجلالة ، والضمة على آخر لفظ العلماء ؛ ليُبيَّن بالفتحة المفعول من الفاعل ، وبالضمة الفاعل من المفعول ،

١١-الصيرورة : ((وتسمى أيضًا لام العاقبة ولام المآل)) [3] كقوله تعالى : (وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولواْ أَهَؤُلاء مَنَّ اللّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا){الأنعام : ٥٣} قال الحلبي : ((قوله : في هذه اللام وجهان ، أظهرهما ، وعليه أكثر المعربين والمفسرين : أنَّها لام (كي) والتقدير : ومثل ذلك الفتون فتنا ليقولوا هذه المقالة (لِّيَقُولواْ) ابتلاءً منا وامتحانًا ، والثاني : أنَّها لام الصيرورة ، أي : العاقبة كقوله :

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٧/٥.

(٢) الدر المصون ٦٨٨/٩.

(٣) الجنى الداني ص ٩٨ ومغني اللبيب ٢١٤/١ .

لدوا للموت وابنوا للخراب (فكلكم يصير إلى ذهاب) [١]

والصحيح أنَّها لام العلة ، وهو الذي ذهب إليه أكثر المعربين والمفسرين كما جاء في الدر المصون ، وهذه العلة ظاهرة أيضًا في البيت

وقالوا أيضًا بمجيئها للصيرورة في قوله تعالى : (وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ){يونس : ٨٨} قال الحلبي : ((قوله تعالى : (لِيُضِلُّواْ) في هذه اللام ثلاثة أوجه ، أحدها : أنَّها لام العلة ، والمعنى : أنَّك آتيتهم ما آتيتهم على سبيل الاستدراج ، فكان الإيتاء لهذه العلة ، والثاني : أنَّها لام الصيرورة والعاقبة كقوله تعالى : (فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا){القصص : ٨} وقوله : لدوا للموت وابنوا للخراب ، والثالث : أنَّها للدعاء عليهم بذلك)) [٢] والصحيح والظاهر أنَّها للتعليل في الآيتين والبيت .

وكذلك قالوا بمجيئها للعاقبة أو الصيرورة كما تقدم في قوله تعالى : (فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا) قال الزمخشري : ((اللام في (لِيَكُونَ) هي لام (كي) التي معناها التعليل كقولك : جئتكَ لتكرمني سواء بسواء ، ولكن معنى التعليل فيها وارد على طريق المجاز دون الحقيقة ؛ لأنَّه لم يكن داعيهم إلى الالتقاط أن يكون لهم عدوًّا وحزنًا ، ولكن المحبة والتبني ، غير أنَّ ذلك لمَّا كان نتيجة التقاطهم له وثمرته ، شُبِّه بالداعي الذي يفعل الفاعلُ الفعلَ لأجله ، وهو الإكرام الذي نتيجة المجيء ، والتأدب الذي هو ثمرة الضرب في قولك : ضربته ليتأدب ، وتحريره أنَّ هذه اللام حكمها حكم الأسد ، حيث استعيرت لِما يُشبه التعليل ، كما يستعار الأسد لِمن يشبه

---

(١) والبيت لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وعجزه : فكلكم يصير إلى تراب ، ينظر الهامش السادس للمحقق ٦٤٧/٤ .

(٢) الدر المصون ٢٥٩/٦-٢٦٠ .

الأسد)) [(١)] وقال الزركشي : ((وهو يقتضي أنَّها لام التعليل ... ونقل ابن فُورَك عن الأشعري أنَّ كل لام نسبه الله إلى نفسه فهي للعاقبة والصيرورة دون التعليل ؛ لاستحالة الغرض ، وأقول : ما جعلوه للعاقبة هو راجع للتعليل فإنَّ التقاطهم أفضى إلى عداوته ، وذلك يوجب صدق الإخبار بكون الالتقاط للعداوة ؛ لأنَّ ما أفضى إلى الشيء يكون علّة ، وليس من شرطه أن يكون نصب العلة صادرًا عمن نُسِب الفعل إليه لفظًا ، بل جاز أن يكون ذلك راجعًا إلى من يُنسَب الفعل إليه خَلْقًا كما تقول : جاء الغيث لإخراج الأزهار ، وطلعت الشمس لإنضاج الثمار ، فإنَّ الفعل يضاف إلى الشمس والغيث ، وكذلك التقاط آل فرعون موسى فإنَّ الله قدّره لحكمته وجعله علة لعداوته لإفضائه إليه بواسطة حفظه وصيانته ، وإليه يشير الزمخشري ، التحقيق أنَّها لام العلة وأنَّ التعليل بها وارد عن طريق المجاز دون الحقيقة ؛ لأنَّه لم يكن داعيهم إلى الالتقاط كونه لهم عدوًّا ، بل المحبة والتبني ، غير أنَّ ذلك لمَّا كان نتيجة التقاطهم له وثمرته شُبِّه بالداعي الذي يفعل الفاعل لأجله فاللام مستعارة لما يشبه التعليل)) [(٢)] وجاء في الإتقان : ((وقال أبو حيان : الذي عندي أنَّها للتعليل حقيقة ، وأنَّهم التقطوه ليكون لهم عدوًّا ، وذلك على حذف مضاف تقديره : لمخافة أن يكون ، كقوله تعالى : (يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ){النساء : ١٧٦}

فقد تبيَّن أنَّ اللام التي سُمِّيتْ لام الصيرورة ، أو ، لام العاقبة ، أو ، لام المآل ، لام مختلقة ، والصحيح أنَّها لام العلة ، فمعنى التعليل يجمعها

١٢–التبليغ : وهي الجارة لاسم السامع لقول أو ما في معناه كالإذن كقوله تعالى : (قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِي صَبْرًا){الكهف : ٧٥} وقوله تعالى : (وَقَالَتْ أُولاَهُمْ لأُخْرَاهُمْ){الأعراف : ٣٩} واللام في هذين

---

(١) الكشاف ٣٨١/٣ وينظر : الدر المصون ٦٥٠/٨ .

(٢) البرهان ص ٨٧٢ .

الشاهدين ونحوهما هي لام الاختصاص ، أمَّا التبليغ فقد كان كما ترى من فعل القول لا من اللام .

١٣–أن تكون بمعنى (في) : لكون اللام كما مرَّ تجيء لانتهاء الغاية القريبة أو المتصلة حقيقة أو مجازًا فقد ظنوا أنَّها تجيء بمعنى (في) الظرفية : كقوله تعالى : (يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي){الفجر : ٢٤} أي : في حياتي ، هذا ما قالوه ، وكيف يصحّ أن تكون لحياتي بمعنى : في حياتي ، والمراد من الحياة هذه هي الحياة ((الآخرة التي لا موت فيها؟!))[١] فهذه اللام إمَّا أن تكون بمعنى العلة ، والتقدير : يا ليتني قدَّمتُ ((لأجل حياتي في الآخرة)) [٢] أو لانتهاء الغاية ، وقد عُبِّر عن هذه الغاية باللام لا بـ(إلى) للإشارة إلى أنَّها كانت حياة قريبة من الإنسان ؛ لأنَّه يحلُّ فيها بمجرّد موته ، وما أقرب الموت منَّا .

وكذلك قالوا بمجي اللام بمعنى (في) في قوله تعالى : (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ){الأنبياء : ٤٧} قال الزمخشري : ((واللام في قوله تعالى : (لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ) مثلها في قولك : جئته لخمس ليال خلون من الشهر ، وقيل : لأهل يوم القيامة ، أي : لأجلهم))[٣] ونقل الحلبي قول الزمخشري ، ونقل أنَّ هناك من قال : إنَّ اللام على بابها[٤] بيد أنَّ اللام ثبت أنَّها حرف مشترك تجيء بمعنى الملك والاختصاص ، وللتعليل ، ولانتهاء الغاية ، فلأيِّ معنى جاءت من هذه المعاني فهي على بابها وكذلك قالوا بمجيئها بمعنى (في) في قوله تعالى : (لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلّا

---

(١) زاد المسير ٢٦٣/٨.

(٢) مغني اللبيب ٢١٣/١.

(٣) الكشاف ١١٧/٣ .

(٤) ينظر : الدر المصون ١٦٤/٨–١٦٥.

هُوَ){الأعراف : ١٨٧} والصحيح أنَّها لانتهاء الغاية ، وقد استعمل اللام للتعبير عن قرب وقوعها .

قال الدكتور فاضل السامرائي : ((والراجح أنَّها للتعليل ، أي : لأجل ذلك اليوم ، أو للاختصاص ، ونحو قولهم : مضى لسبيله ، ويبدو أنَّ هناك فرقًا بين قولنا : مضى لسبيله ، ومضى في سبيله ، فإنَّ قولك : مضيتُ في سبيلي ، وامض في سبيلك ، معناه : سر في الطريق التي سائر فيها ، وأمَّا قولك : امض لسبيلك ، فمعناه : امض للطريق التي تريدها ، كما تقول : اذهب له وامض لعملك ، أي : لأجله)) [١]

١٤–أن تكون بمعنى (عن) : كقوله تعالى : (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ){الأحقاف : ١١} أي : عن الذين آمنوا ((وقال ابن مالك وغيره : هي لام التعليل وقيل لام التبليغ والتفتَ عن الخطاب إلى الغيبة)) [٢] والتبليغ متأتًّ من فعل القول لا من اللام كما تقدم ، وإذا صح ((أنَّها للعلة أي : لأجلهم)) [٣] فهذا يعني أنَّها جاءت على بابها .

١٥–أن تكون بمعنى (عند) : ولكون اللام أيضًا تجيء لانتهاء الغاية القريبة أو المتصلة ، قالوا بمجيئها بمعنى (عند) في قوله تعالى : (بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءهُمْ){ق : ٥} في قراءة (لما) بالتخفيف ، بمعنى (عند) أي : عند مجيئه إياهم ، والصحيح أنَّها لانتهاء الغاية ، كما أنَّ هذه القراءة مع ذلك شاذة .

١٦–أن تكون بمعنى (بعد) : كقوله تعالى : (أَقِمِ الصَّلاَةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا){الإسراء :

---

(١) معاني النحو ٥٨/٣-٥٩ .

(٢) مغني اللبيب ٢١٣/١ وينظر : البرهان ص ٨٧٠

(٣) الدر المصون ٦٦٤/٩ .

٧٨} وقيل : ((إنَّها للتعليل)) [١] قال الأزهري : ((دلوك الشمس : زوالها في وقت الظهر ، وكذلك ميلها للغروب ، وهو دلوكها أيضًا ... والمعنى والله أعلم : أقم الصلاة يا محمد ، أي : أَدِمْها في وقت زوال الشمس إلى غسق الليل ، فيدخل فيها صلاتا العشاء))[٢] وهما المغرب والعشاء ، وقال الواحدي ((معنى الدلوك في كلام العرب الزوال ؛ لذلك قيل للشمس إذا زالت نصف النهار دالكة ، وقيل لها : إذا أَفَلَتْ دالكة ؛ لأنَّها في الحالتين زائلة ... والمعنى : أقم الصلاة من وقت زوال الشمس إلى غسق الليل ، فتدخل فيها الأولى (الظهر) والعصر ، وصلاة غسق الليل ، وهما العشاءان (المغرب والعشاء) ثم قال : (وَقُرْآنَ الْفَجْرِ) فهذه خمس صلوات)) [٣] وتأمَّل أنَّه استعمل اللام لانتهاء الغاية القريبة ، وأنَّه استعمل (إلى) لانتهاء الغاية الأبعد لمَّا أراد الانتقال من وقت النهار إلى وقت الليل ، فقال تعالى : (أَقِمِ الصَّلاَةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ) : وقال الحلبي : ((قوله : (لِدُلُوكِ) في هذه اللام وجهان ، أحدهما : أنَّها بمعنى (بعد) أي : بعد دلوك الشمس ، ومثله قولهم : كتبته لثلاث خلون ، والثاني : أنَّها على بابها ، أي : لأجل دلوك))[٤] قال الدكتور فاضل السامرائي : ((وبمعنى (عند) كقولهم : كتبته لخمس خلون أي : عند خمس ، وهي ليست كذلك ؛ إذ إنَّه لم يكتبها عند هذه الخمس ، بل عند مضيها ، وقيل : هي بمعنى (بعد) وهو أولى ، غير أنَّ هناك فرقًا بين قولك : لخمس خلون ، وبعد خمس خلون ، فقولك : بعد خمس ، لا يتعيَّن فيه أنَّه اليوم السادس ، بل ما بعد الخمس يحتمل السادس والسابع والعاشر وغيرهنَّ ؛ لأنَّ ذلك كلّه بعده ، كما تقول : تعال بعد

---

(١) البرهان ص ٨٧٠ .

(٢) تهذيب اللغة ٣/١٢٢٠ .

(٣) الوسيط ٢/١٢٠-١٢١ .

(٤) الدر المصون ٧/٣٩٥-٣٩٦.

منتصف الشهر ، وتعال بعد العيد ، وتعال بعد رمضان ، كل ذلك يحتمل المباشرة وغيرها ، فنحن نقول : محمد بعد عيسى ، وبينهما قرون ، وأمَّا قوله لخمس خلون ، فيتعين أنَّه كتب بعدهنَّ بلا فاصل ، أي : في اليوم السادس ، وهي للاختصاص كما يبدو)) [١] بل تبدو مما قاله الدكتور الفاضل أنَّها لانتهاء الغاية القريبة أو المتصلة أو المباشرة ، وقال ابن فارس : ((ومنها أن تكون بمعنى (عند) مثل قوله جل ثناؤه : (وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي){طه : ١٤} وقوله تعالى : (أَقِمِ الصَّلاَةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ) أي : عنده))[٢] وفي قوله تعالى : (وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي) ((قولان ، أحدهما : أقم الصلاة متى ذكرتُ أنَّ عليك صلاة ، سواء كنتَ في وقتها أو لم تكن ، هذا قول الاكثرين ، وروى أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم : من نسي صلاة فليصلِّها إذا ذكرها ، لا كفارة لها غير ذلك ، وقرأ (وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي) والثاني : أقم الصلاة لتذكرني فيها)) [٣] فالمراد إذن إقامة الصلاة بعيد تذكره لها لا بعده ، والمراد أيضًا أنَّ التذكر يكون السبب والعلة لإقامة الصلاة ، هذا ما فُهِم من القول الأول ، والمفهوم من القول الثاني العكس هو أنَّ إقامة الصلاة تكون سببًا لذكر الله ، وهذا المعنى لا تؤديه إلّا اللام فاستعملها من دون (بعد) و(عند) لأنَّها من دونهما تجمع بين العلة وانتهاء الغاية القريبة ، ولا يصحّ أن تكون اللام بمعنى (عند) في قوله تعالى : (أَقِمِ الصَّلاَةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ) كما قال ابن فارس ، لأنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم نهى في الحديث الصحيح أن يصلي المسلم عند زوال الشمس وسط النهار وعند الغروب .

والصحيح أنَّها على بابها ، وبابها هنا انتهاء الغاية القريبة والعلة ، لذلك استعمل اللام ، ولم يستعمل (عند) لما تقدم ذكره ، ولم يستعمل (بعد)

---

(١) معاني النحو ٣/٥٩.

(٢) الصاحبي في فقه اللغة ص ٧٥.

(٣) زاد المسير ٥/٢٠٤ والحديث رواه البخاري ومسلم.

لأنَّ (بعد) ظرف يمتد وقته ، بل لا حدّ له ، فاستعمل اللام لأنَّه أراد أنَّ وقت الصلاة يبدأ بعد دلوك الشمس مباشرة ، كما أنَّه استعمل اللام ولم يستعمل (إلى) ولا (عند) ولا (بعد) لأنَّها جميعًا لا تفيد التعليل كاللام

١٧-أن تكون بمعنى (مِن) : كقوله تعالى : (اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مَّعْرِضُونَ){الأنبياء : ١} والصحيح أنَّها لانتهاء الغاية عبر عنه باللام للتعبير عن قرب حسابهم ، قال الزمخشري : ((هذه اللام لا تخلو من أن تكون صلة لـ(اقْتَرَبَ) أو تأكيدًا لإضافة الحساب إليهم ، كقولك : أزفَ للحيِّ رحيلهم ، الأصل : أزف رحيل الحيِّ ، ثمَّ : أزف للحيِّ الرحيل ، ثم : أزف للحيِّ رحيلهم)) [1] وما قاله الزمخشري متأتٍّ من دلالة اللام على انتهاء الغاية القريبة أو المتصلة ، وقد دلت هنا على هذا المعنى مجازًا أو للتعبير عن اقتراب ما ظنوه أنَّه بعيد كما قال تعالى : (سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ {١} لِّلْكَافِرينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ {٢} مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ {٣} تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ {٤} فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا {٥} إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا {٦} وَنَرَاهُ قَرِيبًا){المعارج : ١-٧}

١٨-أن تكون بمعنى (على) : قالوا بمجيء اللام بمعنى (على) في قوله تعالى : (قُلْ آمِنُواْ بِهِ أَوْ لاَ تُؤْمِنُواْ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا {١٠٧} وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً {١٠٨} وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا){الإسراء : ١٠٧-١٠٩} قال الزمخشري : ((فإن قلتَ : ما معنى الخرور للذقن ؟ قلتُ : السقوط على الوجه ، وإنَّما ذكر الذقن ، وهو مجتمع اللحيين ؛ لأنَّ الساجد أول ما يلقي به الأرض من وجهه الذقن . فإن قلتَ : حرف الاستعلاء ظاهر المعنى ، إذا قلتَ : خرّ على وجهه وعلى ذقنه ، فما معنى اللام في خرَّ

---

(١) الكشاف ٩٨/٣ .

لذقنه ولوجهه ؟ قلتُ : معناه جعل ذقنه ووجهه للخرور واختص به ؛ لأنَّ اللام للاختصاص . فإن قلتَ : لِمَ كرر يخرّون للأذقان ؟ قلتُ : لاختلاف الحالين ، وهما خرورهم في حال كونهم ساجدين ، وخرورهم في حال كونهم باكين)) [١] وقال العكبري : ((والثاني : أنَّها متعلقة بـ(يَخِرُّونَ) واللام على بابها))[٢] وقال الدكتور فاضل السامرائي : ((أمَّا قوله : (يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ) فليس المعنى ، والله أعلم ، على الأذقان ؛ لأنَّ هناك فرقًا بين قولك : خرَّ على وجهه ، وخرَّ لوجه ، فخرَّ على وجهه ، معناه : سقط على وجهه ، وأمَّا خرَّ لذقنه ، فمعناه : أنَّه خرَّ حتى بلغ في ذلك الذقن ، أو الاختصاص ، أي : حتى خص ذقنه بذلك))[٣] والمعنى الأول كما ترى متأتٍّ من دلالة اللام على انتهاء الغاية القريبة أو المتصلة أو المباشرة .

وكذلك قالوا بمجيئها بمعنى (على) في قوله تعالى : (فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ){الصافات : ١٠٣} أي : على الجبين ، ((و (تَلَّهُ) أي : صرعه وأسقطه على شقه ، وقيل : هو الرمي بقوة ، وأصله : مِن رمى به على التلّ ، وهو المكان المرتفع ، أو من التليل ، وهو العنق ، أي : رماه على عنقه ، ثم قيل لكل إسقاط ، وإن لم يكن على تلٍّ ولا على عنق ، والمتلُّ الرمح الذي يُتَلُّ به)) [٤] ويقال في هذه اللام هنا ما قاله الزمخشري في الشاهد السابق : إنَّه استعمل اللام ؛ لأنَّه جعل جبينه للصرع والإسقاط والذبح ، واختص به ؛ لأنَّ اللام للاختصاص .

وقال الزركشي : ((وقوله تعالى : (إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لانفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا){الإسراء : ٧} أي : فعليها ؛ لأنَّ السيئة على الإنسان لا له ،

---

(١) الكشاف ٦٧٢/٢ .

(٢) التبيان ١٣٩/٢.

(٣) معاني النحو ٥٧/٣.

(٤) الدر المصون ٣٢٤/٩.

بدليل قوله تعالى : (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاء فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَامٍ لِّلْعَبِيدِ){فصلت : ٤٦}))[1] قال الحلبي : ((قوله : (فَلَهَا) في اللام أوجه ، أحدها : أنَّها بمعنى (على) أي : فعليها ... والثاني : أنَّها بمعنى (إلى) الثالث : أنَّها على بابها ، وإنَّما أتى بها من دون (على) للمقابلة في قوله : (لانفُسِكُمْ) فأتى بها ازدواجًا)) [2] وقال الزمخشري : ((أي : الإحسان والإساءة ، كلاهما مختص بأنفسكم لا يتعدَّى النفع والضرر إلى غيركم ، وعن علي رضي الله عنه : ما أحسنتُ إلى أحد ، ولا أسأت إليه ، وتلاها))[3] وذكر ابن عاشور بأنَّ الآية في (فصلت) قصد بها ما يضر الإنسان وما ينفعه ؛ لذلك عدَّى الإحسان باللام ، وعدَّى الإساءة بـ(على) أمَّا الآية في سورة الإسراء جاءت على طريقة التجريد ، من دون النظر إلى قضية الضرر والنفع فقال : ((وأمَّا آية الإسراء ففعْلُ : أحسنتم وأسأتم الواقعان في الجوابين مقتضيان التجريد ، فجاءا على أصل تعديتهما باللام لا لقصد نفع ولا ضر)) [4] والأجدر والأَولى أن نبقي الحرف دائمًا وأبدًا على بابه ، ثم نفسر الآية استنادًا إلى معناه ، هذا هو المنهج الحقّ وما بعد الحق إلّا الضلال

١٩-أن تكون بمعنى الجحود : وهو النفي كاللام في قوله تعالى : (وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ){الأنفال : ٣٣} وسمَّى النحاة كما ترى اللام بلام الجحود لسبقها بـ(كان) منفية ، فهذه التسمية إذن متأتِّية من مفهوم

---

(١) البرهان ص ٨٦٩.

(٢) الدر المصون ٣١٦/٧ .

(٣) الكشاف ٦٢٥/٢ وينظر : الدر المصون ٣١٦/٧ .

(٤) التحرير والتنوير ٢٩/١٤.

السياق ، لا من مدلول اللام ، واللام في هذا الشاهد ونحوه كسابقتها تفيد التعليل ، قال المالقي : ((وهي لام العلة المذكورة قبلُ)) [١]

فهذه اللام التي سميت لام الجحود ، أشم فيها معنى التعليل، فقول الله تعالى مثلًا : (فَمَا كَانَ اللّهُ لِيَظْلِمَهُمْ) [التوبة: ٧٠] معناه: فما كان الله موجودًا من أجل أن يظلمهم ، وكذلك قوله تعالى: (قَالَ لَمْ أَكُن لأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ) [الحجر: ٣٣] معناه: لم أكن في الوجود لأسجد لبشر، أي: لم أُخلق لهذا الغرض ، وتجد هذا الغرض واضحًا في كلام المبرد ، في قوله : ((فإن قلتَ : ما كنتُ لأضربَكَ ، فمعناه : ما كنتُ لهذا العمل)) [٢] فهي كـ (لام) التعليل في قوله تعالى: (مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الأَرْضِ) [يوسف: ٧٣] .

٢٠–أن تكون بمعنى(أن) : كقوله تعالى : (يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ){الصف : ٨} وقوله تعالى : (يُرِيدُ اللّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ){النساء : ٢٦} وقوله تعالى : (وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ){الأنعام : ٧١} ومنهم من أدخل هذه الشواهد في باب الزيادة كما سيأتي ، وقد درستُ العلاقة بين لام التعليل و(أن) في كتابي : دراسات في النحو القرآني في موضوع : نواصب الفعل المضارع ، المبحث الثاني تحت عنوان : لام التعليل و(أن) ضمن المطلب الثاني من هذا المبحث ونصه : ((قال الفراء في تفسير قول الله تعالى: (يُرِيدُ اللّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ) [النساء: ٢٦] : ((والعرب تجعل اللام التي على معنى (كي) في موضع (أن) في (أردتُ) و (أمرتُ) فتقول: أردتُ أنْ تذهبَ، وأردتُ لتذهبَ، وأمرتك أنْ تقومَ ، وأمرتك لتقومَ ، قال الله تعالى: (وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) [الأنعام: ٧١] وقال تعالى في موضع آخر: (قُلْ إِنِّيَ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ) [الأنعام: ١٤] وقال تعالى: (يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُوا نُورَ اللَّهِ

---

(١) رصف المباني ص ٣٠٠.

(٢) المقتضب ٢/٧.

بِأَفْوَاهِهِمْ)[الصف: ٨] وقال تعالى: (يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِؤُوا نُورَ اللّهِ) [التوبة: ٣٢]، وإنما صلح اللام في موضع (أنْ) في (أمرتك) و (أردتُ) ؛ لأنَّهما يطلبان المستقبل))[١]وعقب الزجاج على قول الفراء بقوله : ((وهذا غلط أنْ يكون لام الجر تقوم مقام (أن) وتؤدي معناها))[٢].

وقال الزمخشري: إنَّ قول الله تعالى: (يُرِيدُ اللّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ)[النساء: ٢٦] ((أصله : يريد الله أنْ يبين لكم ، فزيدت اللام مؤكدة))[٣] وكذلك قال في قوله تعالى: (يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُوا نُور اللَّهِ)[الصف: ٨] ((أصله يريدون أن يطفؤوا ، كما جاء في سورة براءة وكأنَّ هذه اللام زيدت مع فعل الإرادة تأكيدًا له))[٤] وهذا ما أجازه في قوله تعالى: (وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ) [الزمر: ١٢][٥]

وتبعه ابن عطية، فقال: ((واللام في قوله تعالى: (لِيُطْفِؤُوا) [الصف: ٨] لام مؤكدة دخلت على المفعول، لأنَّ التقدير: يريدون أنْ يطفؤوا، و(أنْ) مع الفعل بتأويل المصدر فكأنه قال: يريدون إطفاء))[٦] وقال العكبري في قوله تعالى: (ليبين)[النساء: ٢٦] : ((وقيل اللام زائدة والتقدير: يريد الله أن يبين))[٧]

وبعد أن نقل أبو حيان الأندلسي قول الزمخشري وابن عطية بزيادة اللام في قوله تعالى: (ليطفؤوا) [الصف: ٨] قال: ((وأمَّا قولهما: إنَّ اللام

---

(١) معاني القرآن ١/ ١٨٣.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٢/ ٣٤.

(٣) الكشاف ١/ ٤٩١.

(٤) الكشاف ٤/ ٥١٢.

(٥) الكشاف ٤/١١٤.

(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٣٠٣.

(٧) التبيان في إعراب القران ١/ ٢٧١.

للتأكيد، وإن التقدير: أنْ يطفؤوا، فالإطفاء، مفعول (يريدون) ، فليس بمذهب سيبويه والجمهور)) [١] وذكر السمين الحلبي أنَّ القول بزيادة اللام هو مذهب الزمخشري وأبي البقاء ورد عليهما بقوله: ((وهذا ....خارج عن أقوال البصريين والكوفيين، وفيه أنَّ (أنْ) تضمر بعد اللام الزائدة ، وهي لا تضمر فيما نص النحويون بعد لام ، إلّا وتلك اللام للتعليل أو للجحود))[٢]

ويبدو أنَّه لا فرق بين مذهب الفراء ومذهب الزمخشري ومن تبعه، لأنَّ كليهما جعل لام العلة والفعل الذي دخلت عليه مفعول فعل الإرادة، والصواب أنَّ مفعول الإرادة محذوف وهذا ما عليه جمهور البصريين ، قال الأخفش في إعراب (ليبين) [النساء: ٢٦] ((ومعناه: يريد كذا وكذا ليبين لكم))[٣] والزمخشري وابن عطية أنفسهما ، وإنْ ذهبا إلى القول بزيادة اللام حتى نسب إليهما هذا المذهب فيما تقدم ذكره [٤] إلّا انهما تبعا سيبويه وجمهور النحاة في تفسير قوله تعالى: (أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ * وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ) [الزمر: ١١-١٢] فقد فسّرها الزمخشري بقوله : ((قل إني أُمرتُ بإخلاص الدين، وأُمرتُ بذلك لأجل أنْ أكون أوَّل المسلمين))[٥] وفسرها ابن عطية بقوله : ((وأُمرتُ بهذا الذي ذكرتُ ذكرتُ ؛ لكي أكون أوَّل من أسلم من أهل عصري وزمني))[٦].((أي: أُمرتُ بما أُمرتُ به ؛ لأكونَ أوَّل من أسلم))[٧].

---

(١) البحر المحيط ٨/ ٣٦٥.

(٢) الدر المصون ٣/ ٦٥٩- ٦٦٠.

(٣) معاني القرآن ، ص١٥٦.

(٤) ينظر: الكشاف ١/ ٤٩١، ٤/ ٥١٢ والمحرر الوجيز ٥/ ٣٠٣.

(٥) الكشاف ٤/ ١١٤.

(٦) المحرر الوجيز ٤/ ٥٢٤.

(٧) البحر المحيط ٧/ ٥٥٨، وينظر: الدر المصون ٩/ ٤١٧- ٤١٨.

وكذلك قال ابن عطية في تفسير قوله تعالى : (يُرِيدُ اللّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ)[النساء: ٢٦] : ((واختلف النحاة في اللام من قوله (ليبين) فمذهب سيبويه رحمه الله ، أنَّ التقدير ، لِأن يبين ، والمفعول مضمر ، تقديره ، يريد الله هذا))[١] وفسرها العكبري بقوله: ((ومفعول (يريد) محذوف، تقديره، يريد الله ذلك، أي: تحريم ما حرم وتحليل ما حلل ليبين ... وقيل اللام زائدة، والتقدير: يريد الله أنْ يبين)) [٢] والصواب أنَّ مفعول (يريد) محذوف((والمعنى: يريد الله تكليف ما كلف به عباده مما ذكر لأجل التبيين))[٣].

وقد بين الخطيب الإسكافي هذا الفرق بينهما في قوله تعالى: (قل إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ *وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ) [الزمر: ١١-١٢] ، وأكَّد ((أنَّ القصد في الأمر الثاني غير القصد في الأمر الأول ، وذلك أنَّ الأمر الأول يتعدى إلى العبادة ، والثاني معناه : وأُمرتُ أنْ أعبد الله لأنْ أكون أول المسلمين، أي: إنّما أُمِرْتُ بإخلاص العبادة لله ، وبُعِثْتُ رسولًا ؛ لأنْ أكون أول من يبدأ بطاعة الله وعبادته، فاللام ليست مقحمة على ما ذهب إليه كثير من النحويين))[٤].

وكذلك قال للتفريق بين قوله تعالى: (يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُواْ نُورَ اللّهِ) [التوبة: ٣٢] وقوله تعالى : (يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُوا نُورَ اللَّهِ) [الصف: ٨] ، فذكر أنَّ قوله تعالى: (أنْ يطفؤوا) مفعول (يريدون) في سورة التوبة، أمَّا المفعول في سورة الصف، فمحذوف ، وأمَّا ((اللام الداخلة على الفعل

---

(١) المحرر الوجيز ٢/ ٤٠.

(٢) التبيان في إعراب القران ١/ ٢٧١.

(٣) البحر المحيط ٣١٥/٣٣ ، وينظر : الدر المصون ٣١٧/١٠-٣١٨ ، واللباب في علوم الكتاب ٥٦/١٩ .

(٤) درة التنزيل وغرة التأويل، ص٤٠٥.

المنصوب تكون مبينة عن العلة ... والمراد: يريدون أنْ يكذبوا ليطفؤوا نور الله)) [١].

و(أنْ) كما تبين ليست لها معنى ؛ إذ لم تستعمل إلّا لغرض الوصل، واللام تؤدي هذا الغرض مع إفادتها التعليل ؛ لذلك لا يصحّ الاستغناء عنها بذكر (أن) لأنَّها لا تفيد معناها، لكنه يصح الاستغناء عن (أن) باللام، لأنَّها تقوم مقامها في غرض الوصل، فيجوز أنْ يقال في الكلام: وأُمِرْتْ ...لأكون أول المسلمين، لذلك استغني عنها في القرآن الكريم إلّا في هذا الموضع لما مرَّ ذكره .

٢١–التعدية : كقوله تعالى : (فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا){مريم : ٥} وقوله تعالى : (إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ){يوسف : ٤٣} ومنهم من جعل هذه التعدية تدخل في باب الزيادة أيضًا ، وجعل اللام للتعدية في سورة مريم وهْمٌ لأنَّ (هَبْ) عند النحاة ليست من أخوات (ظن) التي تتعدى إلى مفعولين ؛ فهي ليست بمعنى (صيَّر) التي عدّها النحاة من أفعال التحويل نحو((وهبني الله فداك)) [٢] والجدير بالذكر أنّ الفعل (وهب) لم يرد في القرآن الكريم متعديًا إلى مفعولين ، بل إلى مفعول واحد كقوله تعالى : (وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ){الأنعام : ٨٤} وقوله تعالى : (وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا){مريم : ٥٣} وقوله تعالى : (وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ){ص : ٣٠} وقوله تعالى : (يَهَبُ لِمَنْ يَشَاء إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاء الذُّكُورَ){الشورى: ٤٩} وقوله تعالى : (قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاء){آل عمران : ٣٨} واللام في هذه الشواهد للملك والاختصاص ، فهي كاللام التي جُعلت للتخصيص كما تقدم ذلك في قوله تعالى : (وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ){الأحزاب : ٥٠}

---

(١) درة التنزيل ص١٩٥– ١٩٦.

(٢) شرح ابن عقيل ٤٢٨/١–٤٢٩.

٢٢-أن تكون زائدة للتوكيد وهي أنواع : منها اللام المعترضة بين الفعل المتعدي ومفعوله ، قال ابن هشام : ((وليس منه قوله تعالى : (قُلْ عَسَى أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ){النمل : ٧٢} خلافًا للمبرد ومن وافقه ، بل ضمَّن (ردف) معنى (اقترب) فهو مثل قوله تعالى : (اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مَّعْرِضُونَ){الانبياء : ١} واختلف في اللام من نحو قوله تعالى : (يُرِيدُ اللّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ){النساء : ٢٦} وقوله تعالى : (وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ){الأنعام : ٧١} فقيل : زائدة ، وقيل : للتعليل ... ومنها اللام المسماة لام التقوية ، وهي المزيدة لتقوية عامل ضعُف نحو قوله تعالى : (هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ){الأعراف : ١٥٤} وقوله تعالى : (إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ){يوسف : ٤٣} وقوله تعالى : (فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ){البروج : ١٦} وقوله تعالى : (نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى){المعارج : ١٦}))[١]

وقد تقدمت دراسة اللام التي في قوله تعالى : (يُرِيدُ اللّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ) وقوله تعالى : (وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) والقول بزيادة الحروف يجب أنَّ يستبعد في كل موضع في القرآن الكريم ، بل لاعذر البتة للقول به ولا سيّما إذا كان ثمة وجه آخر يصرفه عن معنى الزيادة ، فقد جاء في الدرّ المصون : ((قوله : (رَدِفَ لَكُم) فيه أوجه أنَّ (ردف) ضُمِّن معنى فعل يتعدى باللام : دنا وقرب وأزف ... والثاني : أنَّ مفعوله محذوف ، واللام للعلة ، أي : ردف الخَلْقُ لأجلكم ولشؤمكم ... والثالث : أنَّها مزيدة))[٢] وذكر العكبري أنَّ لِلَّام في قوله : ((لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ) ثلاثة أوجه ، من بينها أنَّها ((بمعنى : من أجل ربهم ، فمفعول (يرهبون) على هذا محذوف ، أي : يرهبون عقابه)) [٣] وكذلك ذكر الحلبي أنَّ لهذه اللام أربعة أوجه من بينها :

([١]) مغني اللبيب ٢١٥/١-٢١٧ .

([٢]) ٦٣٩/٨.

([٣]) التبيان ٤٤٤/١-٤٤٥.

((أنَّ اللام لام العلة))[1] فيجب إبعاد وجه بالزيادة ما دام معه قول أو أكثر يصرفه عن هذا الوجه .

وذكر الحلبي لِلّام في قوله تعالى : (إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ) أربعة أوجه من بينها ((أن يكون (لِلرُّؤْيَا) هو خبر (كُنتُمْ) كما تقول كان فلان لهذا الأمر إذا كان مستقلًا به متمكنًا منه))[2] وهذا هو في الحقيقة معنى الملك والاختصاص ، وهي بهذا المعنى في قوله تعالى : (فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ) وقوله تعالى : (نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى) كما قال تعالى : (مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ){القلم : ٢٥}

٢٣-لام الطلب : وتدخل على الفعل المضارع وتجزمه كقوله تعالى : (لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ){الطلاق : ٧} وهذا هو الوجه الرابع لِلّام في القرآن ، فاللام الجارة أينما وردت في القرآن الكريم فإنَّها لا تخرج من هذه المعاني الأربعة : الملك والاختصاص ، والتعليل ، وانتهاء الغاية القريبة ، والطلب ، والمعاني الباقية جميعها معان مختلقة حتى قال المرادي : ((التحقيق أنَّ معنى اللام في الأصل هو الاختصاص ، وهو معنى لا يفارقها ، وقد يصحبه معان أُخَر ، وإذا تُؤمِّلت سائر المعاني المذكورة وُجِدتْ راجعة إلى الاختصاص ، وأنواع الاختصاص متعددة ، ألا ترى أنَّ من معانيها المشهورة التعليل ، قال بعضهم : وهو راجع إلى معنى الاختصاص ؛ لأنَّك إذا قلتَ : جئتك للإكرام ، دلت اللام على أنَّ مجيئك مختص بالإكرام ؛ إذ كان الإكرام سببه ، دون غيره ، فتأمَّل ذلك ، والله أعلم)) [3]

فاللام المكسورة حرف مشترك له أربعة أوجه : المُلْك والاختصاص والاستحقاق ، وانتهاء الغاية القريبة ، والتعليل ، والطلب ، أمّا الأوجه

---

(١) الدر المصون ٤٧٣/٥ .

(٢) الدر المصون ٥٠٤/٦ .

(٣) الجنى الداني ص ١٠٩.

الباقية : التخصيص ، والولاية ، والتمليك ، وشبه التمليك ، وبمعنى (إلى) ، والتبيين ، والصيرورة ، والتبليغ ، وبمعنى (في) ، وبمعنى (عن) ، وبمعنى (عند) ، وبمعنى (بعد) ، وبمعنى (مِن) ، وبمعنى (على) ، وبمعنى الجحود ، وبمعنى (أن) ، والتعدية ، وزائدة ، فهي جميعها وجوه مختلّفة .

٢٤-**اللام المفتوحة** : ظهر لي أنَّ اللام المفتوحة لم ترد في القرآن إلّا لغرض التوكيد إلّا أنَّ المرادي نقل أنَّ هناك من جعل من أقسامها : ((لام المدح : نحو : يا لك رجلًا صالحًا ، ولام الذم : نحو يا لك رجلًا جاهلًا)) [١] وقد جعل الفيروزآبادي من أقسامها : ((لام التمييز كقوله تعالى : (لانتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً){الحشر : ١٣} ولام التفصيل كقوله تعالى : (وَلأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ){البقرة : ٢٢١} ولام المدح كقوله تعالى : (وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ){النحل : ٣٠} ولام الذم كقوله تعالى : (فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ){النحل : ٢٩})) [٢]

أهذه معاني اللام أم معاني السياق وما دلت عليه التراكيب والأفعال التي دخلت عليها ؟!

٢٥-**لعلَّ** : قال ابن فارس : ((لعل : تكون استفهامًا وشكًّا ، وتكون بمعنى خليق ... وأهل البصرة يقولون : لعلَّ : ترجٍّ ، وبعضهم يقول : توقُّع)) [٣] وقال الراغب : ((لعل : طمع وإشفاق ... وإن كانت طمعًا فإنَّ ذلك يقتضي في كلامهم تارة طمع المخاطِب ، وتارة طمع المخاطَب ، وتارة طمع غيرهما فقوله تعالى فيما ذكر عن قوم فرعون : (لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِن كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ){الشعراء : ٤٠} فذلك طمع منهم ، وقوله في فرعون : (فَقُولا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى){طه : ٤٤} فإطماع لموسى عليه

---

(١) الجنى الداني ص ١٠٤-١٠٥.

(٢) بصائر ذوي التمييز ٤٠٩/٤.

(٣) الصاحبي في فقه اللغة ص ١٢٤

السلام مع هرون ، ومعناه : فقوله له قولاً ليِّنًا راجيين أن يتذكر أو يخشى ... وقال الله تعالى : (وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ){الأنفال : ٤٥} أي : اذكروا الله راجين الفلاح ، كما قال تعالى : (ويَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ){الإسراء : ٥٧}))[١] وقال : ((عسى : طمع وترجٍّ ، وكثير من المفسّرين فسّروا (لعلَّ) و(عسى) في القرآن باللازم ، وقالوا : إنَّ الطمع والرجاء لا يصحّ من الله ، وفي هذا منهم قصور نظر ؛ وذاك أنَّ الله تعالى إذا ذكر ذلك يذكره ليكون الإنسان منه راجيًا لا أن يكون هو تعالى يرجو ، فقوله تعالى : (عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ){الأعراف : ١٢٩} أي : كونوا راجين في ذلك))[٢] وقال المالقي : ((اعلم أنَّ (علَّ) معناه الترجي في المحبوبات ، والتوقع في المحذورات ، فتقول : ادع الله علَّ يرحمك ، فهذا ترجٍّ ، وتقول : لا تدنُ من الأسد علَّه يأكلك ، فهذا توقع ، ومن الأول قوله تعالى : (لا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا){الطلاق : ١}[٣] وقال الحلبي : ((لعلّ : في الأصل حرف ترجٍّ وإشفاق كـ(عسى) ، وذلك في حقِّ الباري محال ، فإذا ورد لفظ يوهم ذلك صُرِف إلى المخاطَب فقوله للنبيين الكريمين : (فَقُولا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى) اذهبا في طمعكما في ذلك ورجائكما له طامعين))[٤] وقال : ((قوله تعالى : (عَسَى رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ){الإسراء : ٨}هذه وإن كانت في الأصل للترجي فهي هنا للإيجاب ، كأنَّه قيل : ربكم يرحمكم ... لأنَّ ذلك محال في حق الباري تعالى ، وأمَّا الحذاق فقد قالوا : هما على بابهما ، ولكن ليس بالنسبة إلى الباري تعالى بل إلى الناس فقالوا في قوله تعالى : فَقُولا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ) أي : اذهبا

---

(١) المفردات ص ٤٧٠

(٢) المفردات ص ٣٤٧-٣٤٨ .

(٣) رصف المباني ص ٤٣٤.

(٤) عمدة الحفاظ ٢٦/٤ .

إليه على الرجاء والطمع منكما في ذلك)) [1]وقال الزركشي : ((تجيء لمعان ، الأول : للترجي في المحبوب ، نحو : لعل الله يغفر لنا ، وللإشفاق في المكروه ، نحو : لعل الله يغفر للعاصي ، ثم وردت في كلام من يستحيل عليه الوصفان ؛ لأنَّ الترجي للجهل بالعاقبة وهو محال على الله ، وكذلك الخوف والإشفاق ، فمنهم من صرفها للمخاطبين قال سيبويه في قوله تعالى : (لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى){طه : ٤٤} معناه : كونا على رجائكما في ذكرهما ، يعني : أنَّه كلام منظور إلى جانب موسى وهرون عليهما السلام ؛ لأنَّهما لم يكونا جازمين بعدم إيمان فرعون ، وأمَّا استعمالها في الخوف ففي قوله تعالى : (وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ){الشورى : ١٧} فإنَّ الساعة مخوفة في حقّ المؤمنين ، بدليل قوله تعالى : (وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا){الشورى : ١٨} ... فإن قلتَ : ما معنى قولهم : لعل : من الله واجبة ؟ هل ذلك من شأن المحبوب أو مطلقًا ؟ وإذا كانت في المحبوب فهل ذلك إخراج لها عن وضع الترجي إلى وضع الخبر أم لا ؟ قلتُ : ليس إخراجًا عن وضعها ، وذلك أنَّهم رآوها من الكريم للمخاطبين في ذلك المحبوب تعريض بالوعد ، وقد علم أنَّ الكريم لا يعرِّض بأن يفعل إلّا بعد التصميم عليه ، فجرى الخطاب الإلهي مجرى خطاب عظماء الملوك من الخلق ، وقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ){البقرة : ٢١} إطماع المؤمن بأن يبلغ بإيمانه درجة التقوى العالية ؛ لأنَّه بالإيمان يفتتحها وبالإيمان يختتمها ، ومن ثَمَّ قال مالك وأبو حنيفة : الشرع ملزم ، وقد قال الزمخشري : وقد جاءت على سبيل الإطماع في مواضع من القرآن ، لكنه كريم رحيم إذا أطمع فعل ما يُطمع لا محالة ، فجرى إطماعه مجرى وعده ؛ فلهذا قيل : إنَّها من الله واجبة ، وهذا فيه

---

(١) عمدة الحفاظ٣/٧٥.

رائحة الاعتزال في الإيجاب العقلي ، وإنَّما يحسن الإطماع دون التحقيق ؛ كيلا يتكل العباد)) [١]

يفهم مما تقدم ذكره أنَّ (لعل) ترد للترجي والطمع وهذا هو معناها في كل مواضع ورودها في القرآن الكريم إلّا أنَّه قد اختلق لها النحاة معاني : التعليل ، والتشبيه ، والاستفهام ، والشك [٢] وفيما يأتي دراسة لشواهد هذا المعاني في القرآن الكريم

١-التعليل : قالوا بمجيئها للتعليل بمعنى (كي) في قوله تعالى : (لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى){طه : ٤٤} وقد تقدم أنَّ (لعل) هنا للترجي والطمع وقالوا بمجيئها للتعليل في قوله تعالى : (وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلاً لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ){النحل : ١٥} يريد : لكي تهتدوا وقوله تعالى : (وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ){المؤمنون : ٣١} وقال الراغب : ((وقال الله تعالى: (وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ){الأنفال : ٤٥} أي : اذكروا الله راجين الفلاح كما قال تعالى : (وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ){الإسراء : ٥٧} وقال الحلبي : ((وقد زعم بعضهم أنَّها ترد تعليلًا كقوله تعالى : (وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ){الحج : ٧٧} ونظائره فإنَّ المعنى : كي تفلحوا ، وليس كما زعم : بل معناه : افعلوا الخير راجين الفلاح وطامعين فيه لا قاطعين به فإنَّ القبول لله تعالى ، وهذا كقوله تعالى : (وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ))) [٣]

---

(١) البرهان ص ٨٩٢-٨٩٣.

(٢) الصاحبي في فقه اللغة ص ١٢٤ والأزهية ص ٢٢٦-٢٢٧ والجنى الداني ص ٥٧٩-٥٨٢ ومغني اللبيب ١/٢٨٦-٢٨٨ والبرهان ص ٨٩٢-٨٩٤ والإتقان ٢٦٥ والزيادة والإحسان ٨/١٤٤-١٤٥ والكليات ص ٦٥٧ ، ٦٦٩-٦٧٠ .

(٣) عمدة الحفاظ ٤/٢٦.

٢–ان تكون للتشبيه : قال الزركشي : ((وحكى البغوي في تفسيره عن الواقدي أنَّ جميع ما في القرآن من (لعلَّ) فإنَّها للتعليل إلّا قوله تعالى : (وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ){الشعراء ١٢٩} فإنَّها للتشبيه ، وكونها للتشبيه غريب لم يذكره أحد من النحاة ، وذكر غيره أنَّها للرجاء المحض وهو بالنسبة إليهم))[١]والمعنى كما تقدم : تتخذون مصانع راجين الخلود وطامعين فيه .

٣–أن تكون بمعنى الاستفهام ، جعلوا من ذلك قوله تعالى : (وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى){عبس : ٣} وقوله تعالى : (لا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا){الطلاق : ١} والصحيح أنَّ (لعلَّ) على بابها ، والاستفهام مفهوم مما قبلها ، والمعنى في (عبس) ((أيُّ شيء يجعلك داريًا)) [٢] ما ستؤول إليه الأمور فلعلَّ من جاءك يسعى يزَّكى ، وكذلك المعنى في (الطلاق) : لا تدري ما عواقب الأمور ، فلعل الله يحدث بعد ذلك أمرًا

٤–أن تكون شكًّا بمنزلة عسى : كقوله تعالى : (وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ){هود : ٣٦} والمعنى : عسى أبلغ قال الزركشي : وزعم بعضهم بأنَّها لا تكون للترجي إلّا في الممكن ؛ لأنَّه انتظار ، ولا ينتظر إلّا في ممكن، فأمَّا قوله تعالى : (لَّعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ) فاطلاع فرعون إلى الإله مستحيل ، وبجهله اعتقد إمكانه ؛ لأنَّه يعتقد في الإله الجسمية والمكان ، تعالى الله في ذلك))[٣] والنحاة لم يذكروا أنَّ (عسى) تجيء للشك ، قال ابن فارس : ((فأمَّا (عسى) فكلمة ترجٍّ ... وهي تدلُّ على قرب وإمكان)) [٤] وقال المرادي : ((وهو فعل لا يتصرف يرد للرجاء

---

(١) البرهان ص ٨٩٣.

(٢) التحرير والتنوير ٩٣/٣٠.

(٣) البرهان ص ٨٩٣.

(٤) مقاييس اللغة ص ٦٧٢ .

والإشفاق وقد اجتمعا في قوله تعالى : (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ){البقرة : ٢١٦}))[١] فلم يذكر النحاة لـ(عسى) غير معنى الترجي في المحبوب والإشفاق في المكروه ، وتأتي للقرب والدنو[٢]

٢٦-ما : لفظ مشترك ومعانيه الأساسية : الموصولية والشرطية والاستفهامية والنفي والتعجب ، وقد أضاف إليها النحاة معاني مختلقة من أشهرها (ما) النكرة الموصوفة ، تقدمت دراسة هذا اللفظ في كتابي : لا وجوه ولا نظائر برقم ١٠٢ وقد كانت أطروحتي للدكتوراه بعنوان : (ما) في القرآن الكريم /دراسة نحوية .

٢٧-مَن (بفتح الميم) : لفظ مشترك ومعانيه الأساسية : الموصولية الشرطية والاستفهامية ، وقد أضاف إليها النحاة معاني مختلقة من أشهرها (مَن) النكرة الموصوفة .

٢٨-مِن (بكسر الميم) : تقدمت دراسة هذا الحرف ومعانيه عند أهل الوجوه في كتابي : لا وجوه ولا نظائر ، برقم ٧٣ ، وقد بسطت القول في بعض المعاني ، سأعيد هنا أهم ما ذكرته هناك وأضيف إليها التوسع في دراسة ما أوجزت الكلام فيه في تلك الدراسة ، ومن الله الهدى والتوفيق والسداد .

ذكر النحاة أنَّ لـ(مِن) في اللغة والقرآن الكريم بضعة عشر معنى ، فذكروا أنَّها تجيء للابتدء ، ولبيان الجنس ، والتبعيض ، وللمزاولة بمعنى (عن) ، وبمعنى الباء ، وبمعنى (على) ، وبمعنى (في) ، وللتعليل ، وبمعنى

---

(١) رصف المباني ص ٤٦٢ .

(٢) ينظر : مغني اللبيب ١/١٥١ . والبرهان ص ٨٤٨ والإتقان ص ٢٥١ والزيادة والإحسان ٨/١٠٨ .

البدل ، وللفصل ، وبمعنى (عند) ، وزائدة [١] وفيما يأتي دراسة لشواهد هذه المعاني الواردة في كتاب الله عز وجل .

١-أن تكون لابتداء الغاية في المكان فهي بمنزلة (مذ) كقوله تعالى : (مِن وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ){الجاثية : ١٠} وقوله تعالى : (وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاء حِجَابٍ){الأحزاب : ٥٣} وقوله تعالى : (وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ){البروج : ٢٠} ولا تدخل على الزمان إلّا على تقدير المصدر كما قال المالقي كقوله تعالى : (لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ){التوبة : ١٠٩} وقال المرادي : ((وصححه ابن مالك لكثرة شواهده ، وتأويل البصريين ما ورد من ذلك تعسف)) [٢]

قال الرضي وهو يشرح كافية ابن الحاجب : ((قوله : فـ(مِن) للابتداء ، كثيرًا ما يجري في كلامهم أنَّ (مِن) لابتداء الغاية ... فـ(مِن) للابتداء))[٣] يريد أن يقول بأنَّ الصحيح أن تكون (مِن) في الشواهد المذكورة للابتداء ، لا لابتداء الغاية

٢-أن تكون لابتداء الغاية وانتهائها كقوله تعالى : (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ){الإسراء : ١} ويمكن دمج هذا الوجه مع الوجه الأول بجعلهما معًا للابتداء

---

(١) ينظر : تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ص ٣٠١-٣٠٢ والصاحبي في فقه اللغة لابن فارس ص ١٢٦- ١٢٧والأزهية ص ٢٩٢-٢٩٤ ورصف المباني ص ٣٨٨-٣٩١ والجنى الداني ص ٣٠٨-٣٢٠ ومغني اللبيب ١/٣١٨-٣٢٧ والبرهان ص ٩٠١-٩٠٧ وبصائر ذوي التمييز ٥٣١/٤-٥٣٥ والإتقان ص ٢٧٢-٢٧٣ وهمع الهوامع ٤٦٠/٢-٤٦٨ والزيادة والإحسان ١٦٣/٨-١٦٥

(٢) الجنى الداني ص ٣٠٨

(٣) شرح كافية ابن الحاجب ٢٦٦/٤ .

٣–أن تكون لبيان الجنس : وهي كثيرًا ما تجيء بهذا المعنى عندهم بعد (ما) و(مهما) كقوله تعالى : (مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا){البقرة : ٦} } وقوله تعالى : (وَقَالُواْ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِن آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ){الأعراف : ١٣٢} وتجيء في غيرهما كقوله تعالى : (فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ){الحج : ٣٠} وقوله تعالى : (وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاء مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ){النور : ٤٣} وقد اجتمعت في هذه الآية كما قالوا ثلاثة معان ، فـ(مِن) الأولى لابتداء الغاية ، أي : ابتداء الإنزال من السماء ، والثانية للتبعيض ، أي : بعض جبال منها ، والثالثة لبيان الجنس ؛ لأنَّ الجبال تكون برَدًا وغير بَرَد .

قال الزركشي : ((بيان الجنس ، ولها علامتان : أن يصح وضع (الذي) موضعها ، وأن يصح وقوعها صفة لما قبلها ، وقيل : هي أن تذكر شيئًا تحته أجناس ، والمراد أحدها ، فإذا أردت واحدًا منها بينته كقوله تعالى : (فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ) وغيرها ، فلما اقتصر عليه لم يعلم المراد ، فلما صرح بذكر الأوثان علم أنَّها المراد من الجنس))[(١)]

إلّا أنَّ النحاة قالوا بـ(مِن) التي لبيان الجنس استنادًا إلى التعريف الأول قال ابن يعيش : ((وكونها لتبيين الجنس ، كقولك : ثوب من صوف ، وخاتم من حديد ، وربما أوهم هذا الضرب التبعيض ؛ ولهذا قلنا : إنَّ مرجعها إلى شيء واحد ، ومنه قوله تعالى : (فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ) وذلك أنّ سائر الأرجاس يجب أن تُجتنب ، وبيَّن المقصود بالاجتناب من أيِّ الأرجاس واعتباره أن يكون صفة لما قبله ، وأن يقع موقعه (الذي) ألا ترى أنَّ معناه :

---

(١) البرهان ص ٩٠٢.

فاجتنبوا الرجس الذي هو وثن وقد حمل بعضهم الآية على القلب))[١]ونحو هذا قال الرضي[٢]

وقال ابن عصفور : ((والذي زعم أنَّ (مِن) لتبيين الجنس استدل على ذلك بقوله تعالى : (فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ) ألا ترى أنَّ الأوثان كلها رجس ، وإنَّما أتيت بـ(مِن) ليبيّن ما بعدها الجنس الذي قبلها ، فكأنَّك قلتَ : اجتنبوا الرجس الذي هو الأوثان ، أي : اجتنبوا الرجس الوثني ، واستدل أيضًا بقوله تعالى : (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ){النور : ٥٥} لأنَّ المعنى : وعد الله الذين آمنوا الذين هم أنتم ؛ لأنَّ الخطاب إنَّما هو للمؤمنين ؛ فلذلك لم يتصور أحد أن تكون (مِن) تبعيضية ، وكقوله تعالى : (وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاء مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ){النور : ٤٣} أي : من جبال هي من برد ؛ لأنَّ الجبال هي البرَد لا بعضها ، ولا حجّة لهم في شيء من ذلك ، أمَّا قوله تعالى : (فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ) فهو يتخرج على أن يكون المراد بالرجس عبادة الوثن ، فكأنَّه قال : فاجتنبوا من الأوثان الرجس الذي هو العبادة ؛ لأنَّ المحرم من الأوثان إنَّما هو عبادتها ، إلّا أنَّه قد يتصور أن يستعمل الوثن في بناء أو غير ذلك مما لم يحرمه الشارع ، وتكون (مِن) غاية ، مثلها في قوله : أخذته من التابوت [٣] ألا ترى أنَّ اجتناب عبادة الأوثان ابتداؤه وانتهاؤه في الوثن ؟ وكذلك قوله تعالى : (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ) قد تكون (مِن) مُبَعَّضة ويَقدَّر الخطاب عامًّا للمؤمنين وغيرهم ، وكذلك قوله تعالى : (وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاء مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ) قد يتصوَّر أن تكون (مِن) فيه مُبَعَّضة ، ويكون المعنى مثله إذا جعلت (مِن) لتبيين الجنس ، وذلك بأن يكون قوله تعالى : (مِنْ جِبَالٍ) بدلًا (مِنَ السَّمَاء)لأنَّ السماء

---

(١) شرح المفصل ٤٦٠/٤ .

(٢) ينظر : شرح كافية ابن الحاجب ٢٦٩/٤.

(٣) والتابوت : الصندوق الذي يُحرز فيه المتاع ، ينظر : لسان العرب ٢١٠/٢

مشتملة على الجبال التي فيها كأنَّه قال : وينزل من جبال في السماء ، ويكون (مِن بَرَدٍ) بدلًا من الجبال بدل شيء من شيء ، كأنَّه قال : وينزل من برد في السماء ، ويكون من قبيل ما أعيد فيه العامل مع البدل مثل قوله تعالى : (قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ){الأعراف : ٧٥} فإذا أمكن أن يُخرَّج جميع ما أوردوه على ما ثبت واستقر في (مِن) كان أولى من أن يُثبَت لها معنى لم يستقر فيها وهو التبيين)) [١]

وقال المرادي : ((بيان الجنس نحو : (فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ) وقوله تعالى : (يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ){الكهف : ٣١} قالوا : وعلامتها أن يحسن جعل الذي مكانها ؛ لأنَّ المعنى : فاجتبوا الرجس الذي هو وثن ، ومجيئها لبيان الجنس مشهور في كتب المعربين ، وقال به قوم من المتقدمين ، وأنكره أكثر المغاربة وقالوا : هي في قوله تعالى : (مِنَ الأَوْثَانِ) لابتداء الغاية وانتهائها ، كـ(مِن) في نحو : أخذته من التابوت ، وأمَّا قوله (مِّن سُندُسٍ) ففي موضع الصفة فهي للتبعيض)) [٢]

وقال ابن هشام : ((بيان الجنس نحو قوله تعالى : (يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ) الشاهد في غير الأولى فإنَّ تلك (يعني من أساور) للابتداء وقيل زائدة ، ونحو : (فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ) وأنكر مجيء (مِن) لبيان الجنس قوم وقالوا : هي في (مِن ذَهَبٍ) و(مِّن سُندُسٍ) للتبعيض وفي ((مِنَ الأَوْثَانِ) للابتداء ، والمعنى : فاجتنبوا من الأوثان الرجس وهو عبادتها ، وهذا تكلّف))[٣]

---

(١) شرح جمل الزجاجي ٢٦٤/١-٢٦٥ .

(٢) الجنى الداني ص ٣٠٩-٣١٠ .

(٣) مغني اللبيب ٣١٩/١.

بل هو الحق فـ(مِن) التي جُعلت لبيان الجنس إمَّا أن تكون للابتداء أو للتبعيض ، و(مِن) التي للابتداء هي كما تقول : ((زيد أفضل من عمرو ، وإنَّما أردت أن تُعلِم أنَّ زيدًا يُبتدَأ في تفضيله من عمرو ويكون الانتهاء في أدنى مَن فيه فضل ، إذ العادة يبتدئ التفضيل مما يقرب من الشيء ويدانيه في الصفة التي تقع فيها المفاضلة)) [١] فقول النحاة بمجيء (مِن) لبيان الجنس في قوله تعالى : (فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ) مبني على أنّ الرجس هو الوثن نفسه ، حتي جعلوا الآية كما تقدم بتقدير : فاجتنبوا الرجس الذي هو وثن ، أو فاجتنبوا الرجس الذي هو الأوثان ، وليس القول ما قالوا ، فالوثن وإن كان اسم جنس إلّا أنَّه داخل ضمن معنى جنس أعمّ منه وهو الرجس ، وهذا واضح من كلام ابن يعيش نفسه المذكور : ((وذلك أنّ سائر الأرجاس يجب أن تُجتنب ، وبيَّن المقصود بالاجتناب من أيِّ الأرجاس)) ((فالوثن : الصنم سواء كان من خشب أو حجر أو غيره)) [٢] ((والأوثان عند العرب : كل تمثال من خشب أو حجارة أو ذهب أو فضة أو نحاس ونحوها ، وكانت العرب تنصبها وتعبدها)) [٣] ((والرجس : القذر)) [٤] ((وكل شيء يُستقذر منه فهو رجس)) [٥] فالوثن رجس من الأرجاس ، أي : نوع منه ، فليس المعنى أو التقدير : فاجتنبوا الرجس الذي هو وثن ، أو فاجتنبوا الرجس الذي هو الأوثان كما قالوا ، فـ(مِن) للابتداء والمعنى : فاجتنبوا الأرجاس ، رجسًا بعد رجس ، واجعلوا اجتنابها يبدأ من الأوثان ، كأنَّه عدَّ الأوثان منبع الأرجاس ، وجاز أن تكون (مِن) تبعيضية ، إذا كان المراد

---

(١) شرح جمل الزجاجي ٢٦٢/١.

(٢) المصباح المنير ص ٦٤٧ .

(٣) لسان العرب ١٥٣/١٥ .

(٤) مقاييس اللغة ص ٣٧٢.

(٥) المصباح المنير ص ٢١٩.

الاقتصار على اجتناب الأوثان ، التي هي بعض الأرجاس ، وكذلك قولهم بأنَّ (مِن) لبيان الجنس في المثال : ثوب من صوف ، مبني على أنَّ الثوب هو الصوف ، والحقيقة أنَّه ما أريد جعل الثوب هو الصوف ، بل هذا المثال لا يمكن فهمه إلّا على أنَّ المراد من الثوب ما ينسج منه الثوب ، أي : قماشه أنَّه من صوف وليس من قطن أو وبر أو حرير وغير ذلك ، فتكون (مِن) تبعيضية ؛ لأنَّ الصوف واحد مما يُنسج منه الثوب ، وكذلك المثال : خاتم من حديد ، فليس المراد الخاتم بشكله وصياغته ، أنَّه من حديد ، بل المراد معدنه أنَّه من حديد ، والمعادن أنواع : منها الذهب والفضة والألماس والحديد ، فتكون (مِن) تبعيضية ؛ لأنَّ الحديد بعض المعادن ، وكذلك قوله تعالى : (أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ) فإنَّ الأساور تكون من معادن مختلفة ، والذهب بعضها ، وكذلك قوله تعالى : (ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ) والثياب تكون من أقمشة مختلفة والسندس والإستبرق بعضها .

والمراد بالجبال في قوله تعالى : (وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاء مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ) السحب التي شُبِّهت بالجبال[1] إلّا أنَّ هذه الجبال ليست من صخر أو من معدن بل هي من بَرَد ، فتكون (مِن بَرَدٍ) للتبعيض و(مِن) الأولى للابتداء والثانية بدل من الأولى .

فكل (مِن) قيل بأنَّها لبيان الجنس إنَّما هي للابتداء أو للتبعيض ، وهذا ما قالوا به جاء في الدر المصون أنَّ (مِن ثَمَرَةٍ) للابتداء في قوله تعالى : (كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقاً قَالُواْ هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ){البقرة : ٢٥}[2] والمراد جنس الثمر ابتداء من أول ثمرة في هذا الجنس ، والمعنى : كلما رزقوا من ثمرة أيّة ثمرة كانت قالوا ، وجاء فيه أيضًا أنَّ (((مِنْ غَيْرِ)

---

(١) ينظر : التحرير والتنوير ٢٠٩/٨-٢١٠.

(٢) ينظر : الدر المصون ٢١٥/١.

لابتداء الغاية)) [1] في قوله تعالى : (أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ){الطور : ٣٥} وجاء فيه أنَّ (مِنْ آيَةٍ) للتبعيض في قوله تعالى : (مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ) [2] والصحيح أنَّها للابتداء ، والمراد جنس الآيات ابتداء من أول آية في هذا الجنس ، والمعنى : ما ننسخ من آية أيَّة آيةٍ كانت نأْتِ بخير منها ، وقال الحلبي في قوله تعالى : (وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ){البقرة : ١٠٢}((مِن : زائدة لتأكيد الاستغراق لا للاستغراق ؛ لأنَّ (أَحَدٍ) يفيده بخلاف : ما جاءني من رجل ، فإنَّها زائدة للتوكيد)) [3] وهذا من الوهم الذي وقع فيه النحاة والمفسرون لأنَّ (رجل) تفيد جنس الرجال ، و(أحد) تفيد جنس الرجال والنساء ، و(من) للابتداء ، والمراد جنس الأحد الذي يشمل الجنسين ، والمعنى : وما يعلمان من رجل أيَّ رجل كان ، وما يعلمان من امرأة أيَّة امرأة كانت ، وجاء فيه أيضًا أنَّ (مِن) لبيان الجنس في قوله تعالى : (وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ){الأعراف : ٤٣}[4] والصحيح أنَّها للابتداء ، والمراد جنس الغل ، ابتداء من أول غل في هذا الجنس ، والمعنى : ونزعنا ما في صدورهم من غلٍّ أيَّ غل كان .

وقال ابن هشام : ((وفي كتاب المصاحف لابن الأنباري أنَّ بعض الزنادقة تمسك بقوله تعالى : (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا){الفتح : ٢٩} في الطعن على بعض الصحابة ، والحقّ أنَّ (مِن) فيها للتبيين لا للتبعيض ، أي : الذين آمنوا هم هؤلاء ، ومثله قوله تعالى : (الَّذِينَ اسْتَجَابُواْ لِلّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَاتَّقَواْ أَجْرٌ عَظِيمٌ {آل عمران : ١٧٢} وكلهم محسن ومتَّقٍ)) وقوله

---

(١) الدر المصون ٧٧/١٠.

(٢) ينظر : الدر المصون٥٧/٢.

(٣) الدر المصون٣٦/٢.

(٤) الدر المصون٣٢٣/٥.

تعالى : (وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ){المائدة : ٧٣} فالمقول فيهم ذلك كلّهم كفار)) [١]

قال الزمخشري في تفسير (أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ) في التي في سورة آل عمران ((من : للتبيين مثلها في قوله تعالى : (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا){الفتح : ٢٩} لأنَّ الذين استجابوا لله والرسول قد أحسنوا كلهم واتقوا لا بعضهم)) [٢] فهي كقوله تعالى : (فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ) [٣]وقال : ((و(مِن) في قوله تعالى : (لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ){المائدة : ٧٣} للبيان كالتي في قوله تعالى : (فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ) فإن قلتَ فهلّا قيل : ليمسنّهم عذاب أليم ؟ قلتُ : في إقامة الظاهر مقام المضمر فائدة ، وهي تكرير الشهادة عليهم بالكفر في قوله تعالى : (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ){المائدة : ٧٢} وفي البيان فائدة أخرى وهي الإعلام في تفسير (الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ) أنَّهم بمكان من الكفر ، والمعنى : ليمسنَّ الذين كفروا من النصارى خاصة عذاب أليم ، أي : نوع شديد الألم من العذاب كما تقول : أعطني عشرين من الثياب تريد من الثياب خاصة لا من غيرها من الأجناس التي يجوز أن يتناولها (عشرون) ويجوز أن تكون للتبعيض على معنى : ليمسنَّ الذين بقوا على الكفر منهم ؛ لأنَّ كثيرًا منهم تابوا من النصرانية)) [٤]

قال الطبري في تفسير قوله تعالى : (الَّذِينَ اسْتَجَابُواْ لِلّهِ وَالرَّسُولِ)(آل عمران : ١٧٢} ((يعني بذلك جل ثناؤه ، وأنَّ الله لا يضيع أجر المؤمنين المستجيبين لله والرسول من بعد ما أصابهم الجروح والكلوم (بعد

---

(١) مغني اللبيب ٣١٩/١

(٢) الكشاف ٤٣١/١

(٣) ينظر : الدر المصون ٧٢٥/٩ .

(٤) الكشاف ٦٥٠/١-٦٥١.

معركة أحد) وإنَّما عنى الله تعالى ذكره ذلك الذين اتبعوا رسول الله إلى حمراء الأسد (اسم موضع) في طلب العدو أبي سفيان ومن كان معه من مشركي قريش منصرفهم عن أحد ، وذلك أنَّ أبا سفيان لمَّا انصرف عن أحد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في أثره حتى بلغ حمراء الأسد ، وهي على بعد ثمانية أميال من المدينة ، ليرى الناس أنَّ به وأصحابه قوة)) [١] ((وعن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أنَّها قالت لعبد الله بن الزبير : يا ابن أختي ، أما والله أنَّ أباك وجدك ، تعني أبا بكر والزبير ممن قال الله تعالى فيهم : (الَّذِينَ اسْتَجَابُواْ لِلّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ))[٢] و((قال المفسرون : لمَّا انصرف أبو سفيان وأصحابه من أحد ندموا ، وقالوا : قتلتموهم حتى إذا لم يبق إلّا قليل تركتموهم ارجعوا فاستأصلوهم ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأراد أن يرهب العدو ويريهم من نفسه وأصحابه قوة ، فندبهم للخروج في طلب أبي سفيان ، فانتدب عصابة منهم مع ما بهم من الجروح))[٣]وكان من بين الذين استجابوا لله ورسوله حين انتُدِبوا فخرجوا : ((أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم وناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم)) [٤] و(مِن) في هذه الشواهد هي للابتداء أيضًا ، والمعنى في قوله تعالى : (الَّذِينَ اسْتَجَابُواْ لِلّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَاتَّقَواْ أَجْرٌ عَظِيمٌ {آل عمران : ١٧٢} أنَّ الذين أحسنوا واتقوا يكون لهم أجر عظيم على أن يكونوا قبل ذلك من الذين استجابوا لله والرسول ، فقد أعاد الكلام عليهم بقوله : (أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ) ليكون الأجر العظيم يبتدئ بهم قبل أن يمرّ على

---

(١) جامع البيان ٢٢٠/٤ .

(٢) جامع البيان ٢٢٢/٤ .

(٣) الوسيط في تفسير القرآن المجيد ٥٢٥/١.

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١١٩/٢.

غيرهم ، وأنَّ الناس في زمانهم إذا أحسنوا واتقوا يكون لهم ذلك الثواب ، إذا كانوا مثل أولئك مستعدين أن يستجيبوا لو انتدبوا كما انتدبوا ، أو كانوا مقتدين بهم استجابوا لنحو ما استجابوا له ، على مر العصور والأجيال في كل أرض وزمان وجعل هذا الأمر جاريًا عليهم حتى قيام الساعة ، وفي هذا ثناء عظيم للذين استجابوا أول مرة حين ندبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ لأنَّهم جعلهم الطليعة في هذه القضية والقدوة في الاستجابة ونيل الأجر العظيم .

وكذلك قوله تعالى : (مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الأنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا){الفتح : ٢٩} فـ(مِن) ليست لبيان الجنس ، كما قالوا بل هي للابتداء وتفسيرها على نحو ما تقدم ، والمعنى هنا : أنَّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر عظيم على أن يكونوا قبل ذلك كما وصفوا في بداية هذه الآية (أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ) فقد أعاد الكلام عليهم بقوله : (وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم) أو كانوا على شاكلتهم حتى قيام الساعة ، وعلى هذا النحو تفسَّر باقي الشواهد

٤-أن تكون للتبعيض كقوله تعالى : (مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللّهُ){البقرة : ١٥٣} وقوله تعالى : (لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ){آل عمران : ٩٢} وقال المالقي : ((وتحتمل (مِن) في قوله تعالى : (وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ حَلاَلاً طَيِّبًا){المائدة : ٨٨} أن يكون المعنى : بعض ما رزقكم الله ، وكثيرًا ما تقرب التي للتبعيض من التي لبيان الجنس ، حتى لا يُفرَّق بينهما إلّا بمعنى خفي ، وهو أنَّ التي للتبعيض

تُقدَّر ببعض ، والتي لبيان الجنس تُقَدَّر بتخصيص الشيء دون غيره فاعلمه)) [١] والصحيح والظاهر أنَّها للتبعيض ، وقد بيَّنَّا أن كل (مِن) قيل إنَّها لبيان الجنس فإنَّما هي للابتداء أو للتبعيض .

٥-أن تكون للمزاولة بمعنى (عن) : قالوا بمجيء (مِن) بمعنى (عن) في قوله تعالى : (فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ){الزمر : ٢٢} والصحيح أنَّها في ((هذه الآية للابتداء لتفيد أنَّ ما بعد ذلك من العذاب أشد ، وكأنَّ هذا القائل يعلق معناها بـ(ويل) مثل قوله تعالى : (فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ){ص : ٢٧}))[٢]وقالوا أيضًا بمجيئها بمعنى (عن) في قوله تعالى : (الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ){قريش : ٤} والصحيح أيضًا أنَّها للابتداء ، قال ابن يعيش : ((وتقول : أطعمه من جوع ، وعن جوع ، فإذا جئت بـ(مِن) كانت لابتداء الغاية ؛ لأنَّ الجوع ابتداء الإطعام ، وإذا جئت بـ(عن) فالمعنى أنَّ الإطعام صرف الجوع ؛ لأنَّ (عن) لما عدا الشيء))[٣] وقال الدكتور فاضل السامرائي ((فمعنى : أطعمه من جوع ، أنَّه كان جائعًا فأطعمه ، وليس معناه أنَّما أبعد الجوع عنه ، فقد يكون أطعمه ولم يشبعه ، أي : لم يبعد الجوع عنه ، وسقاه ولم يروه ، أي : لم يبعد الظمأ عنه ، ولكنَّ المعنى : أنَّه كان ظامئًا فسقاه ، أي : ابتداء السقي كان من حالة الظمأ، أي : أول ما نزل الماء نزل على ظمأ ، فالظمأ كان ابتداء للسقي ، وليس معناه : أبعد الظمأ عنه)) [٤]

٦- أن تكون بمعنى الباء : قالوا بمجيئها بمعنى الباء في قوله تعالى : (لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللّهِ){الرعد :

---

(١) رصف المباني ص ٣٨٩ .

(٢) مغني اللبيب ٣٢١/١.

(٣) شرح المفصل ٥٠٢/٤

(٤) معاني النحو ٤٧/٣ .

١١} والشاهد (يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللّهِ) والتقدير : يحفظونه بأمر الله[١] والحقيقة أنَّ (مِن) في هذا الموضع باقية على معناها ، وقد تناولت دراسة هذا الشاهد في كتابي : لا وجوه ولا نظائر برقم ٧٣ وبسطت القول فيه ونصه : ((قال الفراء : ((والمعقبات من أمر الله عز وجل يحفظونه ، وليس يحفظ من أمره ، إنَّما هو تقديم وتأخير ، والله أعلم ، ويكون ويحفظونه ذلك الحفظ من الله وبأمره وبإذنه عز وجل)) [٢] والتقدير عنده : له معقبات من أمر الله من بين يديه ومن خلفه يحفظونه ، وقال أبو عبيدة ((أي : بأمر الله يحفظونه من أمره))[٣]وجاء في جامع البيان للطبري : ((مع كل إنسان حفظة يحفظونه من أمر الله ... ملائكة يحفظونه من بين يديه وخلفه ، فإذا جاء قدره خلوا عنه ... بل عنى بالمعقبات في هذا الموضع : الحرس الذي يتعاقب على الأمير ... المواكب من بين يديه ومن خلفه ... هو السلطان المحروس من أمر الله ، وهم أهل الشرك ... وأنَّ المعقبات من بين يديه ومن خلفه ، هي حرسه وجلاوزته ... ثم أخبر أنَّ الله ، تعالى ذكره ، إذا أراد بقوم سوءًا لم ينفعهم حرسهم ... وقوله : (يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللّهِ) اختلف أهل التأويل في تأويل هذا الحرف على نحو اختلافهم في تأويل قوله تعالى : (لَهُ مُعَقِّبَاتٌ) فمن قال : المعقبات هي الملائكة ، قال : الذين يحفظونه من أمر الله هم أيضًا الملائكة ، ومن قال : المعقبات هي الحرس والجلاوزة من بني آدم ، قال : الذين يحفظونه من أمر الله هم أولئك الحرس ، واختلفوا

---

(١) ينظر : المقتضب للمبرد تحقيق هرون ٢/٣١٩-٣٢٠ ، وتحقيق بديع ١/٥٨٥-٥٨٧ ، والأزهية في علم الحروف للهروي ص ٢٩٣، والكليات للكفوي ص ٧٠٢ ، والبرهان في علوم القرآن للزركشي ص ٩٠٤.

(٢) معاني القرآن ١/٣٦٩ .

(٣) مجاز القرآن ص ١٢٥ .

أيضًا في معنى قوله تعالى : (يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللّهِ) فقال بعضهم : حفظهم إيّاه من أمره ، وقال بعضهم : يحفظونه من أمر الله بأمر الله ... فالمعقبات هي من أمر الله ، وهي الملائكة ... يقول الله عز وجل : يحفظونه من أمري ، فإني إذا أردتُ بقوم سوءًا فلا مردّ له ، وما لهم من دونه من وال ، وقال آخرون : معنى ذلك يحفظونه من أمر الله ، وأمر الله الجنُّ ، ومن يبغي أذاه ومكروهه قبل مجيء قضاء الله ، فإذا جاء قضاؤه خلَّوا بينه وبينه ... عن مجاهد أنَّه قال : ما من عبد إلّا له ملك موكل يحفظه في نومه ويقظته من الجن والإنس والهوام ، فما منهم شيء يأتيه يريده إلّا قال : وراءك ، إلّا شيئًا بإذن الله فيصيبه ... عن كعب الأحبار قال : لو تجلَّى لابن آدم كل سهل وحزْن ، لرأى على كل شيء من ذلك شياطين ، لولا أنَّ الله وكَّل بكم ملائكة يذبُّون عنكم في مطعمكم ومشربكم وعوراتكم إذن لَتُخُطِّفْتُم)) [١]

وقال الزجاج : ((المعنى : حفظهم إيّاه من أمر الله ، أي : مما أمرهم الله تعالى به لا أنَّهم يقدرون أن يدفعوا أمر الله))[٢] وقال الزمخشري : ((وليس (من أمر الله) بصلة للحفظ ، كأنَّه قيل له معقبات من أمر الله ، أو يحفظونه من أجل أمر الله ، أي : من أجل أنَّ الله أمرهم بحفظه ... أو يحفظونه من بأس الله ونقمته إذا أذنب بدعائهم له ومسألتهم ربهم أن يمهله رجاء أن يتوب وينيب ، وقيل : المعقبات الحرس والجلاوزة حول السلطان يحفظونه في توهمه وتقديره من أمر الله ، أي : من قضاياه ونوازله ، أو على التهكم به)) [٣]وقال ابن عطية ؛ (((يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللّهِ) يحتمل أن يكون

(١) جامع البيان ١٣/١٣٩-١٤٣.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣/١١٥ .

(٣) الكشاف ٢/٤٩٧-٤٩٨ .

صفة لـ(مُعَقِّبَاتٌ) ، ويحتمل أن يكون المعنى : يحفظونه من كل ما جرى القدر باندفاعه ، فإذا جاء المقدور الواقع أسلم المرء إليه)) [١]

وابن الجوزي الذي عيَّن جعل (مِن) بمعنى الباء في النزهة والمنتخب في قوله تعالى : (يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللّهِ) [٢] تقليدًا لمقاتل في الأشباه قال في تفسيره : ((وفي قوله تعالى : (يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللّهِ) سبعة أقوال :

أحدها : يحرسونه من أمر الله .

والثاني : حفظهم له من أمر الله ... فيكون التقدير : هذا الحفظ مما أمرهم الله به .

والثالث : يحفظونه بأمر الله ... قال اللغويون : والباء تقوم مقام (مِن) .

والرابع : يحفظونه من الجن .

والخامس : أنَّ في الكلام تقديمًا وتأخيرًا ، والمعنى : له معقبات من أمر الله يحفظونه.

والسادس . يحفظونه لأمر الله فيه ، حتى يسلموه إلى ما قدر له ... وروى عكرمة عن ابن عباس أنَّه قال : يحفظونه من أمر الله ، حتى إذا جاء القدر خلوا عنه .

والسابع : يحفظون عليه الحسنات والسيئات)) [٣]

وقال القرطبي : ((في تأويل (يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللّهِ) وجهان : أحدهما : يحفظونه من الموت ما لم يأت أجل ، قاله الضحاك ، الثاني :

---

(١) المحرر الوجيز ٣٠١/٣ .

(٢) ينظر : نزهة الأعين ص ٢٧٨ ومنتخب قرة العيون ص ٢٢٤.

(٣) زاد المسير ٢٣٨/٤-٢٣٩.

يحفظونه من الجن والهوام المؤذية ما لم يأت قدر قاله أبو أمامة وكعب الأحبار ، فإذا جاء المقدور خلوا عنه)) [١]

فقول من قال بأنَّ (مِن) جاءت بمعنى الباء تحريف للغة وللتفسير، وهو قول من لم يتحقق من قوله ، ولم يمعن النظر في تفسير الآية ودراستها ؛ فـ(مِن) باقية على معناها ؛ فهي هنا للابتداء ، لأنَّه سبحانه لو أراد معنى الباء لجاء بلفظها وقال : بأمر الله)) [٢]

وقالوا بمجيئها بمعنى الباء في قوله تعالى : (يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ){غافر : ١٥} أي : بأمره ، والصحيح أنَّها بمعناها ومعناها الابتداء[٣] وقالوا أيضًا بمجيئها بمعنى الباء في قوله تعالى : (تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ {٤} سَلامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ){القدر : ٤-٥} بل هي بمعناها كالشاهد السابق للابتداء ، وقالوا أيضًا بمجيئها بمعنى الباء في قوله تعالى : (يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ){الشورى : ٤٥} والصحيح أنَّها على بابها للابتداء أو تبعيضية[٤] قال الدكتور فاضل السامرائي : ((ويترجح عندي أنَّها للتبعيض أي : ينظرون ببعض طرفهم ، وهو المناسب لمشهد الذل الذي هم فيه)) [٥]

٧-معنى (على) : قالوا بمجيئها بمعنى (على) في قوله تعالى : (وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا){الأنبياء : ٧٧} أي : على القوم ، قال الحلبي : ((قوله (مِنَ الْقَوْمِ) فيه أوجه ، أحدها : أن يُضمَّن (نَصَرْنَاهُ)

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٢١١/٩.

(٢) لا وجوه ولا نظائر رقم ٧٣.

(٣) ينظر : الدر المصون ٤٦٣/٩.

(٤) ينظر : الدر المصون ٥٦٤/٩ .

(٥) معاني النحو ٧٠/٣

معنى : منعناه وعصمناه فلمَّا ضُمِّن معناه تعدى تعديته . والثاني : أنَّ (نصرَ) مطاوعه (انتصر) فتعدى تعدية ما طاوعه ، والثالث : أنَّ (مِن) بمعنى (على) ، أي : على القوم)) [١] وقد رجَّح الدكتور فاضل السامرائي وجه التضمين فقال : ((وقيل : هي على التضمين ، وهو أرجح بدليل قوله تعالى : (وَيَا قَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ اللّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ){هود : ٣٠} وقوله تعالى : (فَمَن يَنصُرُنَا مِن بَأْسِ اللَّهِ){غافر : ٢٩} ولا يصح أن تكونا بمعنى (على))) [٢] فقد جاء الدكتور الفاضل بدليل قوي على أنَّ (مِن) لا يصح أن تكون بمعنى (على) لعدم صحة هذا المعنى في قوله تعالى (وَيَا قَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ اللّهِ) لأنَّه لا يصحّ أن يكون : من ينصرني على الله ، وكان الأَولى بالدكتور الفاضل أن يستفيد من هذه الحجة الدامغة ، ويبقي (مِن) على بابها إلّا أنَّه أجاز أن تكون بمعنى (على) بالتضمين ، وما أدراك ما التضمين ؟! وما كان ينبغي لأستاذنا الفاضل أن يقول به ؛ لأنَّ التضمين مطية العجزة والمستسلمين ، والحقيقة أنَّ (مِن) على بابها ، وليس هناك تضمين ، وهذا ما استنتجناه من كلام الدكتور الفاضل نفسه ، فقد تناولت هذا الشاهد بالدراسة في كتابي : النصب على نصب الخافض والتضمين من بدع النحاة والمفسرين ، المبحث السادس /المطلب الثالث ، تحت عنوان : التضمين وبلاغة القرآن الكريم ، فقد قلت هناك ما نصه : ((قال الدكتور فاضل السامرائي : فللتضمين غرض بلاغي لطيف ، وهو الجمع بين معنيين بأخصر أسلوب ، وذلك بذكر فعل ، وذكر حرف جر يستعمل مع فعل آخر فتكسب بذلك معنيين ، معنى الفعل الأول ومعنى الفعل الثاني ، وذلك نحو قوله تعالى : (وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا){الأنبياء :٧٧} فقد ذهب قوم

---

(١) الدر المصون ١٨٤/٨ .

(٢) معاني النحو ٧٠/٣ .

إلى أنَّ (من) ههنا بمعنى (على) وهذا فيه نظر ؛ فإنَّ هناك فرقًا في المعنى بين قولك : نصره من ، ونصره عليه ؛ فالنصر عليه يعني التمكن منه والاستعلاء والغلبة قال تعالى : (وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ){التوبة : ١٤} وقال تعالى : (فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ){البقرة : ٢٨٦} أي : مكنَّا منهم وليس هذا معنى نصره منه ، أمَّا نصرناه منهم ، فإنَّه بمعنى نجَّيناه منهم ، قال تعالى : (وَيَا قَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ اللّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ) {هود :٣٠} فليس المعنى : من ينصرني على الله ، بل من ينجيني ويمنعني منه)) [١] تأمَّل كيف أكَّد أنَّ (مَن) دلَّتْ على معناها الذي وضعت له ، وأنَّها ليست بمعنى (على) وأقول لا حاجة لتأكيد هذه الحقيقة لـ(مِن) بالاستعانة بإلباس (نصرناه) معنى الفعل (نجَّيناه) والدليل على ذلك أنَّ الدكتور فاضل السامرائي بعد أن ضمَّن (نصرناه) معنى الفعل (نجَّيناه) عاد بسرعة فنزع منه هذا التضمين ، وبكلام صريح ، وبنصّ قوله : ((وقد تقول : ما الفرق بين قولنا : نجيناه من القوم ، وقولنا : نصرناه من القوم ، والجواب أنَّ التنجية تتعلق بالناجي فقط ؛ فعندما تقول : نجيته منهم ، كان المعنى : أنَّك خلَّصته منهم ، ولم تذكر أنَّك تعرَّضتَ للآخرين بشيء ؛ كما تقول : أنجيته من الغرق ، ولا تقول نصرته من الغرق ؛ لأنَّ الغرق ليس شيئًا يُنتَصف منه ، أمَّا النصر منه ، ففيه جانبان في الغالب ، جانب الناجي ، وجانب الذين نُجِّي منهم ، فعندما تقول : نصرته منهم ، كان المعنى : أنَّك نجَّيته وعاقبتَ أولئك، أو أخذتَ له حقَّه منهم)) [٢]

فـ(مِن) إذن هي بمعنى (مِن) وليست بمعنى (على) ، و(نصرناه) هو بمعنى (نصرناه) وليس بمعنى (نجَّيناه) ، فتأمَّل كيف أنَّه نفى تضمين

---

(١) معاني النحو ١٢/٣

(٢) معاني النحو ١٢/٣-١٣ .

(نصرناه) معنى (نجيناه) بعد أن نفى ترادفهما[١] هذا ما أكَّده الدكتور الفاضل على الرغم من أنَّه أقر بالتضمين واستحسنه وجعله من لطائف البلاغة في بدء كلامه ، إلّا أنَّه نسفه نسفًا في آخر كلامه من حيث لم يشعر .

فالدكتور فاضل السامرائي ، حين أقر بالتضمين أول مرة ، كان استنادًا إلى أنَّ (نصرناه) و(نجيناه) مترادفان ، فاضطر إلى القول بترادفهما ؛ لأنَّ التضمين قائم على أساس هذا الترادف ، لكنَّه لما أراد أن يبيِّن بلاغة القرآن في هذا المقام نفسه ، اضطر إلى القول بعدم ترادفهما ، لأنَّ بلاغة القرآن قائمة على إلغاء هذا الترادف ، ومن هنا نؤكد ما قلناه : إنَّ القول بالتضمين ، والقول ببلاغة القرآن الكريم قولان متناقضان ، ولا يمكن التوفيق بينهما البتة ، بل إثبات أحدهما ، لا يتمُّ إلّا بعد أن يتمَّ إلغاء الآخر

فاستنادًا إلى ما تقدَّم يكون الفعل (نصر) كما يتعدى إلى مفعوله بـ(على) يتعدى إليه بـ(مِن) ، وكل من حرفي الجر هذين ، يُؤتى به من دون الآخر في مقامه ، وحسب المعنى الذي يراد التعبير عنه)) [٢]

٨–معنى (في) : قالوا بمجيئها بمعنى (في) في قوله تعالى : (أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ){فاطر : ٤٠} أي : في الأرض ، بل هي على بابها للابتداء مثل قولك : أخذته من التابوت ، الذي جُعلت فيه (مِن) لابتداء الغاية وانتهائها ، والتابوت الصندوق الذي يوضع فيه المتاع ، أو هي للتبعيض ؛ لأنَّ المعنى : ((أروني أيَّ شيء خلقوا من الأرض ... وعن

---

(١) استعملت مصطلح الترادف في كتابي : النصب على نزع الخافض بمعنى التطابق ، وقد بينتُ الفرق بينهما في مقدمة كتابي : لا وجوه ولا نظائر .

(٢) النصب على نزع الخافض والتضمين من بدع النحاة والمفسرين /المبحث السادس / المطلب الثالث .

قتادة : لا شيء والله خلقوا منها)) [١]، وقالوا أيضًا بمجيئها بمعنى (في) عند دخولها على الظرف كقوله تعالى : (أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ){الجمعة : ٩} قال الزمخشري : ((فإن قلتَ : (مِن) في قوله تعالى : (مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ) ما هي ؟ قلتُ : هي بيان لـ(إذا) وتفسير له)) [٢] و(مِن) تكون كما وصفها إذا كانت للابتداء ، وقال : ((فإن قلتَ : هل لزيادة (مِن) في قوله تعالى : (وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ){فصلت : ٥} فائدة ؟ قلتُ : نعم ؛ لأنَّه لو قيل : وبيننا وبينك حجاب ، لكان المعنى : أنَّ حجابًا حاصل وسط الجهتين ، وأمَّا بزيادة (مِن) فالمعنى : أنَّ حجابًا ابتدأ منَّا وابتدأ منك))[٣] فـ(مِن) هنا التي جعلها للابتدء هي مثل (مِن) في قوله تعالى : (مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ)

٩–التعليل : قالوا بمجيئها بمعنى التعليل في قوله تعالى : (يَجْعَلُونَ أَصْابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ){البقرة : ١٩} والصحيح أنَّها للابتداء ؛ لأنَّه جعل الصواعق ابتداء وضع أصابعهم في آذانهم ، أو جَعْلُ الأصابع في آذانهم يبتدئ من سماعهم للصواعق ، فهي كقوله : (تعالى لِلْفُقَرَاء الَّذِينَ أُحصِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاء مِنَ التَّعَفُّفِ){البقرة : ٢٧٣} فقد أجازوا في قوله (مِنَ التَّعَفُّفِ) أن تكون((لابتداء الغاية والمعنى : أنَّ محسبة الجاهل غناهم نشأت من تعففهم ؛ لأنَّه لا يحسب غناهم غنى تعفف ، إنَّما يحسبه غنى مال ، فقد نشأت محسبته من تعففهم))[٤] وكذلك قالوا بمجيئها للتعليل في قوله تعالى :

---

(١) جامع البيان ١٦٩/٢١ .

(٢) الكشاف ٥١٩/٤ .

(٣) الكشاف ١٨٠/٤ .

(٤) الدر المصون ٦٢٠/٢ .

(مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا){نوح : ٢٥} والصحيح أيضًا أنَّها للابتداء كما قال ابن عطية : ((فإغراقهم مبدؤه خطيئاتهم))[١] وهذا المعنى الذي يفيده الابتداء يوهم أنَّها للتعليل .

١٠–البدل : قالوا بمجيئها بمعنى البدل في قوله تعالى : (أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ){التوبة : ٣٨} أي : بدل الآخرة ، ومعنى البدلية قد يكون مفهومًا من السياق لا من (مِن) قال ابن هشام : ((وأنكر قوم مجيء (مِن) للبدل فقالوا : التقدير في قوله تعالى : (أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ) أي : بدلاً منها فالمفيد للبدلية متعلقها المحذوف ، وأمَّا هي فللابتداء ، وكذا الباقي)) [٢]

وقالوا بمجيئها للبدل أيضًا في قوله تعالى : (وَلَوْ نَشَاء لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلائِكَةً فِي الأَرْضِ يَخْلُفُونَ){الزخرف : ٦٠} ومعنى البدلية مفهوم أيضًا من السياق أو متعلقها والتقدير : لجعلنا ملائكة بدلًا منكم ، أمَّا (مِن) فـ((فالمشهور أنَّها تبعيضية ، وتأويل الكلام : لولدنا منكم يا رجال في الأرض يخلفونكم كما يخلفكم أولادكم ، كما ولدنا عيسى من أنثى)) [٣]

١١–الفصل : قالوا بمجيئها بهذا المعنى عند وقوعها بين متضادين كقوله تعالى : (وَاللّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ){البقرة : ٢٢٠} وقوله تعالى : (حَتَّىَ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ){آل عمران : ١٧٩} ومعنى الفصل مفهوم من السياق لا من مدلول (مِن) قال ابن هشام : ((قاله ابن مالك ، وفيه نظر ؛ لأنَّ الفصل مستفاد من العامل ؛ فإنَّ ماز وميَّز بمعنى فصل ، والعلم صفة توجب التمييز ، والظاهر أنَّ (مِن) في الآيتين للابتداء)) [٤]

---

(١) المحرر الوجيز ٣٧٦/٥.

(٢) مغني اللبيب ٣٢٠/١–٣٢١

(٣) الدر المصون ٦٠٢/٩–٦٠٣ وينظر : الكشاف ٢٥٤/٤ .

(٤) مغني اللبيب ٣٢٢/١.

١٢–معنى (عند) : قيل بمجيئها بمعنى (عند) في قوله تعالى: (لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُم مِّنَ اللّهِ شَيْئًا){آل عمران : ١٠} قال ابن هشام ((قاله أبو عبيدة ، وقد مضى القول بأنَّها في ذلك للبدل)) [١] وقد تقدم أنَّ كل (مِن) قيل بأنَّها تفيد معنى البدلية فهي للابتداء ، فالصحيح أنَّها للابتداء ، وقد جعله الحلبي أول أربعة أوجه ذكرها لـ(مِن) في هذه الآية[٢]

١٣–الزيادة : تُعدُّ (مِن) الجارة أكثر الحروف التي ادعى النحاة بمجيئها زائدة في القرآن الكريم حتى قاسوا زيادتها ووضعوا لهذه الزيادة شروطًا ، قال ابن هشام : ((الرابع عشر : التنصيص على العموم ، وهي الزائدة في نحو : ما جاءني من رجل ، فإنَّه قبل دخولها يحتمل نفي الجنس ونفي الوحدة ؛ ولهذا يصح أن يقال : بل رجلان ، ويمتنع ذلك بعد دخول (مِن) .

الخامس عشر : توكيد العموم : وهي الزائدة في نحو : ما جاءني من أحد أو من ديار ، فإنَّ أحدًا وديارًا صيغتا عموم ، وشرط زيادتها في النوعين ثلاثة أمور ، أحدها : تقدم نفي أو نهي أو استفهام بـ(هل) نحو قوله تعالى : (وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا){الأنعام : ٥٩} وقوله تعالى : (مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ){الملك : ٣} ... والثاني : تنكير مجرورها ، والثالث : كونه فاعلًا ، أو مفعولاً ، أو مبتدأ ، وقد اجتمعت زيادتها في المنصوب والمرفوع في قوله تعالى : (مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ){المؤمنون : ٩١}))[٣]

والنحاة على الرغم من قولهم بزيادة (مِن) في هذه المواضع وبهذه الشروط أجمعوا على أنَّه جيء بها لاستغراق نفي الجنس ، قال الهروي :

---

(١) مغني اللبيب ٣٢١/١.

(٢) ينظر : الدر المصون ٣٥/٣–٣٦.

(٣) مغني اللبيب ٣٢٢/١–.

((واعلم أنَّ (مِن) الزائدة للتوكيد لا تدخل على المعرفة ، ولا تدخل في الإيجاب ، لا تقول : ما جاءني من عبد الله ، ولا تقول : جاءني من رجل ... واعلم أنَّك إذا قلتَ : ما جاءني من رجل ، فإنَّ فيه فائدة ، ومعنى زائدًا على قولك : ما جاءني رجل ، وذلك أنَّك إذا قلتَ : ما جاءني رجل ، احتمل أن يكون نافيًا لرجل واحد ، وقد جاءك أكثر من رجل ، واحتمل أن يكون نافيًا لجميع جنس الرجال ، وإذا أدخلتَ (مِن) فقلتَ : ما جاءني من رجل ، كنتَ نافيًا لجميع الجنس ، فمن هنا توجب استغراق الجنس ، وكذلك ما أشبهه)) [١]

وقال ابن يعيش : ((فإذا قلت : ما جاءني رجل ، وأردت الاستغراق ، ثم قلتَ : ما جاءني من رجل ، كانت (مِن) زائدة ، فأمَّا إذا قلتَ : ما جاءني من أحد ، فـ(مِن) زائدة لا محالة للتأكيد ؛ لأنَّ (مِن) لم تفد الاستغراق ؛ لأنَّ ذلك كان حاصلًا من قولك : ما جاءني أحد)) [٢]

وقال ابن عصفور : ((فمثال كونه لاستغراق الجنس : ما جاءني من رجل ، ألا ترى أنَّك إذا قلت : ما جاءني رجل ، احتمل الكلام ثلاثة معان ، أحدها : أن تكون أردت رجلًا واحدًا ، وكأنَّك قلتَ : ما جاءني واحد بل أكثر ، والآخر : أن تكون أردت ما جاءني رجل في نفاذه وقوته بل جاء الضعفاء ، والآخر : أن تكون أردت ما جاءني من جنس الرجال أحد ، لا ضعيف ولا قوي ، ولا واحد ولا أكثر ، فإذا أدخلت (مِن) زال الاحتمال وكان المعنى : ما جاءني من جنس الرجال أحد ، فهي هنا لاستغراق الجنس))[٣]

---

(١) الأزهية في علم الحروف ص ٢٣٩.

(٢) شرح المفصل ٤/٤٦١ .

(٣) شرح جمل الزجاجي ١/٢٦٠

وقال المالقي : ((وتقول في التي لاستغراقه في الفاعل : ما جاء من أحد ، المعنى : ما جاء أحد ، وفي المفعول : ما رأيت من أحد ، أي : ما رأيتُ أحدًا ، وفي المبتدأ : ما في الدار من أحد ، أي : ما في الدار أحد ، والفرق بين نفي الجنس واستغراق نفيه ، أنَّ التي لنفي الجنس يحتمل ما بعدها أن ينفي مفرده اللفظي أو جنسه المعنوي ، فيحتمل أن نريد جنس الرجال ، ويحتمل أن نريد الرجل الواحد ، والتي لاستغراقه لا تنفي إلّا الجنس بكليته ، ولا تبقي منه شيئًا ، فإذا قلتَ : ما جاءني من أحد ، كانت (مِن) هنا لتأكيد استغراق الجنس ؛ لأنَّ (أحد) يقتضي الاستغراق وإن لم تدخل عليه (مِن))) [١]

وقال المرادي : ((لأنَّ : ما في الدار رجل ، محتمل لنفي الجنس على سبيل العموم ، ولنفي واحد من هذا الجنس دون ما فوق الواحد ؛ ولذلك يجوز أن يقال : ما قام رجل بل قام رجلان ، فلما زيدت (مِن) صار نصًّا في العموم ، ولم يبق فيه احتمال ، وقيل : ما جاءني من رجل ، زائدة على حد زيادتها في : ما جاءني من أحد ، فإنَّما أدخلت (مِن) على النكرة عند إرادة الاستغراق ، فصار (رجل) لمَّا أردت به الاستغراق مثل (أحد))) [٢] وجاز أن يقوم مقام (النافية) النهي والاستفهام في استغراق نفي الجنس كقوله تعالى : (هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ){فاطر : ٣}

مما يجب التنبيه عليه في هذا المقام أنَّ كثيرًا ما تُقرَن زيادة الحرف بالتوكيد ، والحرف الذي يُؤتى به لهذا الغرض هو الذي لا يضيف إلى الجملة إلّا توكيد معناها وتقويته ، مثل (إنَّ) واللام المفتوحة ونون التوكيد الثقيلة أو الخفيفة ، أمَّا إذا أفاد الحرف معنى أضيف إلى معنى الجملة أو حلّ محلّه فلا يكون توكيدًا ، وهذا ما حصل في (مِن) التي شاع عند النحاة

---

(١) رصف المباني ص ٣٨٩-٣٩٠ .

(٢) الجنى الداني ص ٣١٧.

مجيئها زائدة للتوكيد فكيف يصحّ أن نعد (مِن) زائدة للتوكيد في الأمثلة والحالات التي ذكروها وقد صرحوا بأنَّها أفادت معنى استغراق الجنس ؟! وكيف يصحّ أن نجعلها زائدة مؤكدة وقد أكَّد أساطين النحو أنَّ ثمة فرقًا بيِّنًا بين ذكرها وعدم ذكرها ؟ ! فهي إذن ليست زائدة ولا مؤكِّدة ، حتى ما ذكروه بأنّه إذا قلتَ : ما جاءني من رجل ، فقد نفيت جنس الرجال ، وإذا قلتَ : ما جاءني من أحد ، أو من ديَّار ، فقد أكَّدت فحسب ؛ لأنَّ أحدًا وديَّارًا تفيد كل منهما استغراق الجنس من دون (مِن) وليس الأمر كما ادعوا ؛ لأنَّك إذا قلت : ما جاءني من رجل ، فقد نفيت جنس الرجال ، وإذا قلتَ : ما جاءني من أحد أو من ديَّار ، فقد نفيت جنس الرجال والنساء ؛ لأنَّ أحدًا وديَّارًا يطلق على الجنسين ، فبما أنَّ (مِن) جيء بها لمعنى فلا يصحُّ عدُّها زائدة وهذا ما نبَّه عليه المبرد بقوله : ((وأمَّا قولهم : إنَّها تكون زائدة فلستُ أرى هذا كما قالوا ، وذاك أنَّ كل كلمة إذا وقعت وقع معها معنى ، فإنَّما حدثت لذلك المعنى ، وليست بزائدة ، فذلك قولهم : ما جاءني من أحد ، ما رأيتُ من رجل ، فذكروا أنَّها زائدة ، وأنَّ المعنى : ما رأيتُ رجلًا ، وما جاءني أحد ، وليس كما قالوا ؛ وذلك لأنَّها إذا لم تدخل جاز أن يقع النفي بواحد دون سائر جنسه ، تقول : ما جاءني رجل ، ما جاءني عبد الله ، إنَّما نفيت مجيء واحد ، وإذا قلتَ : ما جاءني من رجل ، فقد نفيت الجنس ، ألا ترى أنَّك إذا قلتَ : ما جاءني من عبد الله ، لم يجز ؛ لأنَّ عبد الله معرفة ، فإنَّما موضعه موضع واحد))[1]

والحقيقة أنَّ (مِن) في جميع الأمثلة والشواهد القرآنية التي تقدم ذكرها في باب الزيادة ليست زائدة إنَّما هي للابتداء ، أمَّا دلالتها على استغراق الجنس فلم يجئ من مدلولها ، بل هو متأتٍّ من دخولها على اسم جنس نكرة

---

(١) المقتضب تحقيق هرون ٤٤/١ وتحقيق بديع ٨٦/١-٨٧ .

؛ لذا أصبح المراد مثلًا مما دخلت عليه (مِن) في قوله تعالى : (وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا) جنس الورق ابتداء من أول ورقة في هذا الجنس ، ليكون المعنى : أنَّ أية ورقة كانت تسقط يعلمها الله ، وكذلك أصبح المراد مما دخلتْ عليه (مِن) في قوله تعالى : (مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَـهٍ) جنس الأولاد ابتداء من أول ولد في هذا الجنس ، وجنس الآلهة ابتداء من أول إله في هذه الجنس ، ليكون المعنى : أنَّ الله سبحانه وتعالى لم يتخذ له أي ولد كان ، وما كان معه أيُّ إله كان ، وكذلك قوله تعالى : (هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ) معناه نفي جنس الخالقين ما عدا الله ابتداء من أول خالق في هذا الجنس ، وكذا الباقي .

وجعل (مِن) الداخلة على اسم جنس نكرة للابتداء قال به النحاة في شواهد كثيرة من ذلك (مِن) الأولى في قوله تعالى : (لآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ){الاواقعة : ٥٢} وقوله تعالى : (وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ){النمل : ٨٣} [١]

ولم يقل النحاة بزيادة (مِن) الجارة في المنفي بل قالوا بزيادتها أيضًا في المثبت ، قال الأخفش : في((باب زيادة (مِن) ... وإن شئت جعلته على قولك : ما رأيتُ من أحد ، تريد : ما رأيتُ أحدًا ، وهل جاءك من رجل ، تريد : هل جاءك رجل ، فإن قلتَ : إنَّما يكون هذا في النفي والاستفهام ، فقد جاء في غير ذلك ، وقال تعالى : (وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ){البقرة : ٢٧١} فهذا ليس باستفهام ولا نفي))[٢] وقال في تفسير الآية الرابعة من سورة المائدة : ((وقال تعالى : (فَكُلُواْ مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ){المائدة : ٤} فأدخل (مِن) كما أدخله في قوله : كان من حديث ، وقد كان من مطر ، وقوله تعالى :

---

(١) ينظر : مغني اللبيب ٣٢٧/١.

(٢) معاني القرآن ص ٧٩-٨٠.

(وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ))) [1] قال ابن يعيش : ((وقد أجاز الأخفش زيادتها في الواجب فيقول : جاءني من رجل ، واحتج بقوله تعالى : (فَكُلُواْ مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ) والمراد : ما أمسكن عليكم ، وبقوله تعالى : (وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ) والمعنى : سيئاتكم ، يدل على ذلك قوله تعالى : (إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ){النساء : ٣١} والجواب عمَّا تعلق به ، أمَّا قوله تعالى : (فَكُلُواْ مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ) فـ(مِن) هنا غير زائدة ، بل هي للتبعيض ، أي : كلوا منه اللحم دون الفرث والدم ، فإنَّه محرم عليكم ، وأمَّا قوله تعالى : (وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ) فإنَّ (مِن) للتبعيض أيضًا ؛ لأنَّ الله عز وجل وعَدَ على عمل ليس فيه التوبة ولا اجتناب الكبائر تكفير بعض السيئات ، وعلى عمل فيه توبة واجتناب كبائر تمحيص جميع السيئات ، يدل على ذلك قوله تعالى في الآية الأخرى : (إِن تُبْدُواْ الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاء فَهُوَ خَيْرٌ لُّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ){البقرة : ٢٧١} فجيء بـ(مِن) ههنا ، وفي قوله تعالى : (إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ) لم يأت بـ(مِن) لأنَّه سبحانه وعد باجتناب الكبائر تكفير جميع السيئات ، ووعد بإخراج الصدقة على ما حدَّ فيها تكفير بعض السيئات فاعرفه)) [2]

وقوله : (مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ) هي ضمن قوله تعالى : (مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلاَ الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَاللّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاء وَاللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ)(البقرة : ١٠٥} والظاهر أنَّ

---

(١) معاني القرآن ص ١٦٧ .

(٢) شرح جمل الزجاجي ٤/٤٦١.

(مِن) الأولى للتبعيض : ((أي : ما يودون أن يُنَزَّل عليكم من الخير قليل ولا كثير)) [١] والثانية للابتداء [٢]

وقال ابن فارس : ((وتكون صلة نحو قوله تعالى : (مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ){البقرة : ١٠٥} ... وكان أبو عبيدة يقول في قوله تعالى : (وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتَ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ نَقِيرًا){النساء : ١٢٤} إنَّ (مِن) صلة ، وقال غيره : لا تزاد من أمر واجب ، يقال : ما عندي من شيء ، وما عنده من خير ، وهل عندك من طعام ، فإذا كان واجبًا لم يحسن من هذا شيء ، لا تقول : عندك من خير))[٣]

وأمَّا (مِن) الأولى في قوله تعالى : (مِنَ الصَّالِحَاتَ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى) فهي للتبعيض ((لأنَّ المكلَّف لا يطيق عمل كل الصالحات))[٤] والثانية (مِن ذَكَرٍ) لبيان الجنس كما جاء في الدر المصون ، والصحيح أنَّها للابتداء[٥]

وقد قالوا بزيادتها في قوله تعالى : (يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ){نوح : ٤} قال الزركشي : ((والمراد بها الجميع بدليل قوله تعالى: (إِنَّ اللَّـهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا){الزمر : ٥٣} فوجب حمل الأوّل على الزيادة دفعًا للتعارض ، وقد نوزع في ذلك بأنَّه إنَّما يقع التعارض لو كانتا في حق قبيل واحد ، وليس كذلك فإنَّ الآية التي فيها (مِن) لقوم نوح ، والأخرى لهذه الأمّة)) [٦]

---

(١) الدر المصون ٥٤/٢ .

(٢) ينظر : الدر المصون ٥٤/٢ .

(٣) الصاحبي في فقه اللغة ص ١٢٦-١٢٧ .

(٤) الدرّ المصون ٩٧/٤ .

(٥) ينظر الدرّ المصون ٩٧/٤ .

(٦) البرهان ص ٩٠٥ .

وقال : ((لطيفة : إنَّها حيث وقعت في خطاب المؤمنين لم تذكر كقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ {١٠} تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ {١١} يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ){الصف : ١٠-١٣} وقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا {٦٩} يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا {٧٠} يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ){الأحزاب : ٦٩-٧١} وقال في خطاب الكفار : (إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ {١} قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ {٢} أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ {٣} يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ){نوح : ١-٤} وقال : (يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ){الأحقاف : ٣١} وما ذاك إلّا للتفرقة بين الخطابين ؛ لئلّا يسوي بين الفريقين في الوعد ؛ ولهذا فإنّه في سورة نوح والأحقاف وعدهم مغفرة بعض الذنوب بشرط الإيمان لا مطلقًا ، وهو غفران ما بينه وبينهم لا مظالم العباد)) [1]

وقد قالوا بزيادتها في قوله تعالى : (قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ {٣٠} وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ){النور : ٣٠-٣١}

والغض يعني : إطباق الجفن بحيث يمنع الرؤية [2] فلو قال سبحانه : قل للمؤمنين يغضوا أبصارهم عما حرَّم الله ، لوجب عليهم أن يحجبوا أعينهم عن الرؤية ، كلمَّا وقع بصرهم على الحرام ، فلا يرونه ، ولا

---

(١) البرهان ص ٩٠٦ وينظر : الإتقان ص ٢٧٣ والزيادة والإحسان ١٦٥/٨ .

(٢) ينظر : الدر المصون ٣٩٧/٨ ، واللباب في علوم الكتاب ٣٤٩/١٤ .

يرون ما حوله ، لذلك لم يأمر الله المؤمنين بغضّ البصر كلّه ، بل بحجب بعضه ؛ لكي لا يرى به ما حرم الله ، ويطلق بعضه الآخر ؛ ليرى به ما يحتاج إلى رؤيته فقيَّده بجره بـ(مِن) التبعيضية ، فقال : (قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ) ولهذا نسب الطبري إلى ابن زيد قوله : ((يغضّ من بصره ... إذا رأى ما لا يحلّ له غضَّ من بصره ، لا ينظر إليه ، ولا يستطيع أحد أن يغضّ بصره كلَّه ، إنَّما قال الله : (قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ))) [1] وهذا ما قال به المفسرون بعد أن جعلوا (مِن) تبعيضية وليست زائدة ؛ لأنَّهم لم يؤمروا بالغض مطلقًا ، وإنَّما أُمروا بالغضّ عمّا لا يحلّ [2] .

فـ(مِن) تبعيضية أريد بها حجب بعض البصر ؛ لذلك لم يستعملها مع الفروج فقال : (وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ) وقال : (وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ) ولم يقل كما قال في البصر : ويحفظوا من فروجهم ، ويحفظن من فروجهنَّ ؛ لأنَّه أراد حفظ الفروج كلها

فصفوة القول فيما تقدم تفصيله أنَّ (مِن) الجارة لم ترد في القرآن الكريم إلاَّ على وجهين : التبعيض ، والابتداء ، أمَّا باقي المعاني فجميعها مختلقة .

٢٩-هل : ليست من الحروف المشتركة ، ولم ترد إلّا للاستفهام وهذا ما انتهت إليه دراستي لمعانيها في كتابي : لا وجوه ولا نظائر برقم ٤٢

٣٠-الواو : هي من الحروف المشتركة ومعانيها الأساسية مشهورة ، وهي : واو العطف ، وواو المعية ، وواو القسم ، وواو (ربَّ) إلّا أنَّه قد

---

(١) جامع البيان ١٤٠/٢.

(٢) ينظر : الكشاف ٢٢٣/٣ والمحرر الوجيز ١٧٧/٤ ، وزاد المسير ٣٧٧/٥ والبحر المحيط ٥٤٦/٦ ،

أضيفت إليها معان مختلقة من أشهرها : واو الحال ، وواو الاستئناف والابتداء [١] وواو الثمانية ، والزيادة ، وهذا ما تضمنه كتابي : المشاكلة بين واو الحال وواو المصاحبة في النحو العربي ، وكتابي : دراسات في النحو القرآني .

الخاتمة

أختم بحثي في هذا الكتاب بذكر أهم ما تضمنه ، أجملها فيما يأتي :

١-اشتمل الكتاب على ثلاثين حرفًا ، تمثّل أشهر الحروف التي جعل النحاة لكل حرف منها عدة معان .

٢-أوجزتُ الكلام على عدد منها ؛ لكونها قد درستها في بعض مؤلفاتي السابقة .

٣-كان ثمانية من هذا الحروف حروفًا مشتركة ، لكل حرف منها معنيان فأكثر ، وهي : إذا ، و(إن) ، والفاء ، واللام المكسورة ، و(ما) ، و(مَن) ، و(مِن) ، والواو ، إلّا أنَّ النحاة أضافوا إلى معانيها الأصلية كثيرًا من المعاني الدخيلة ، ثبت عند التحقيق أنَّها ترجع جميعها إلى معانيها الأصلية ، أمَّا باقي الحروف فليست من الحروف المشتركة ، ومع ذلك نسب إليها النحاة معاني مختلقة بلغت في عدد منها أكثر من عشرين معنًى ، وقد

---

(١) يجمع النحاة على القول بواو الاستئناف أو واو الابتداء ، والصحيح ما جاء في الجنى الداني للمرادي ((الثاني من أقسام الواو واو الاستئناف ويقال واو الابتداء٠٠٠وذكر بعضهم أنّ هذه الواو قسم آخر غير الواو العاطفة ، والظاهر أنّها الواو التي تعطف الجمل التي لا محل لها من الإعراب ، لمجرد الربط ، وإنّما سُمِّيتْ واو الاستئناف لئلّا يُتَوهَّم أنّ ما بعدها من المفردات معطوف على ما قبلها)) الجنى الداني : ص ١٦٣

ثبت أيضًا عند التحقيق أنَّها ترجع جميعها إلى معنى واحد يمثل معنى الحرف الأصلي الموضوع له .

٤-جعل النحاة كثيرًا من الحروف بمعاني حروف أخرى ، وهذا ما اصطلحوا عليه بتناوب الحروف ، ولا تناوب في الحقيقة بينها ، ولا سيّما في كتاب الله ، إلّا أنَّ الذي أوهم النحاة والمفسرين بوجوده في القرآن الكريم هو جواز وقوع بعضها موقع بعض ، في تراكيب معينة ؛ لتقاربها في الفائدة ، فظنوا أنَّ معانيها واحدة ، وهي ليست كذلك بدلالة عدم حصول هذه الفائدة في تراكيب أخرى ، وها ما صرَّح به عدد من النحاة .

٥-نبَّه عدد من النحاة على أنَّ كثيرًا من المعاني التي نُسِبتْ إلى الحروف لا تمثل معانيها بل معاني السياق .

ثَبَتُ المصادر والمراجع

-الإتقان في علوم القرآن ، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت : ٩١١) تحقيق محمد سالم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ٢٠١٠م

-الأُزهية في علم الحروف، لعلي بن محمد الهروي (ت : ٤١٥هـ) تحقيق: عبد المعين الملوحي، مطبوعات مجمع اللغة العربية، مطبعة الترقي ، دمشق ، ١٣٩١هـ- ١٩٧١م.

-أسباب النزول لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (ت : ٤٦٨هـ) الطبعة الأولى ، مكتبة التراث الإسلامي ، القاهرة ، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٤م .

-الأشباه والنظائر في القرآن الكريم لمقاتل بن سليمان (ت : ١٥٠هـ) تحقيق عبد الله محمود شحاتة

-الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم ، الدكتور عبد الحميد الهنداوي ، الطبعة الأولى ، الدار الثقافية للنشر ، القاهرة ١٤٢٥هـ=٢٠٠٤م .

-إعراب القرآن ، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس (ت : ٣٣٨هـ) اعتنى به الشيخ خالد العلي ، الطبعة الأولى ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م .

-إعراب القراءات السبع وعللها ، لأبي جعفر محمد بن أحمد بن نصر بن خالويه الأصبهاني (ت : ٦٠٣هـ) ضبط نصه وعلق عليه أبو محمد الأسيوطي ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية . بيروت ، لبنان ، ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م .

-الأعلام لخير الدين الزِرِكْلي (بكسرالزاي والراء) ،الطبعة السادسة عشرة ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ٢٠٠٥م.

-الإنصاف في مسائل الخلاف لعبد الرحمن كمال الدين ،أبي البركات بن الأنباري (ت:٥٧٧هـ) ، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه حسن حمد بإشراف الدكتور إميل بديع يعقوب ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،١٤١٨هـ= ١٩٩٨ م

-أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، المعروف بتفسير البيضاوي ، لناصر الدين أبي الخير ، عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي الشافعي البيضاوي (ت : ٦٩١هـ) إعداد وتقديم محمد عبد الرحمن المرعشي ، الطبعة الأولى ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان (د-ت) .

-الإيضاح في شرح المفصل لابن الحاجب (ت : ٦٤٦} تحقيق محمد عثمان ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ٢٠١١م

-البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، (ت : ٧٤٥هـ) حقق أُصوله، الدكتور عبد الرزاق المهيدي، ، الطبعة الأولى ، دار إحياء التراث العربي، بيروت،١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

-البرهان في توجيه متشابه القرآن لمحمود بن حمزة الكرماني (ت : ٥٠٥هـ) تحقيق عبد القادر عطا ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٦هـ=١٩٨٦م

- البرهان في علوم القرآن للزركشي (ت٧٩٤هـ) بدر الدين بن محمد، تحقيق: محمد أبي الفضل، الطبعة الثالثة، بيروت .

-بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت : ٨١٧هـ) تحقيق الأستاذ محمد علي النجار ، المكتبة العلمية ،بيروت (د-ت)

-بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي، الطبعة الأولى ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، ١٤٢٧هـ = ٢٠٠٦م

-البيان في غريب إعراب القران، لأبي البركات بن الأنباري، (ت: ٥٧٧هـ)، تحقيق الدكتور طه عبد الحميد، القاهرة، ١٣٨٩هـ_ ١٩٦٩م.

-تأويل مشكل القرآن ، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدِّينَوَري (ت : ٢٧٦هـ) الطبعة الثانية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٧م

-التبيان في إعراب القران لأبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري (ت:٦١٦هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

-تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد (تفسير ابن عاشور) محمد الطاهر ابن عاشور (١٣٩٣هـ) مؤسسة التاريخ العربي ، الطبعة الأولى ، بيروت ١٤٢٠هـ=٢٠٠٠م

-تفسير غريب القرآن لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري(ت : ٢٧٦) تحقيق السيد أحمد صفر ، المكتبة العلمية ، بيروت ١٤٢٨هـ=٢٠٠٧ .

تفسير القرآن العظيم لابن كثير (ت٧٧٤هـ)، عماد الدين أبي الفداء اسماعيل الدمسقي، علق عليه وخرَّج أحاديثه هاني الحاج ، المكتبة التوفيقية ، مصر ، القاهرة (د-ت) .

-تفسير مقاتل بن سليمان (ت : ١٥٠هـ) تحقيق أحمد فريد ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ١٤٢٤هـ =٢٠٠٣م .

- جامع البيان عن تأويل أي القران، لمحمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) ، ضبط وتعليق محمود شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٦م.

- الجامع لأحكام القرآن ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (ت :٦٧١هـ) تحقيق الدكتور حامد أحمد الطاهر ، الطبعة الأولى ، دار العلم الجديد ، القاهرة ١٤٣١هـ-٢٠١٠م .

- الجنى الداني في حروف المعاني ، للحسن بن قاسم المرادي (ت: ٧٤٩هـ) تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة ، والدكتور محمد نديم فاضل ، الطبعة الأُولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٣٠هـ =١٩٩٢م

-الحجة في علل القراءات السبع ، لأبي علي الحسن بن عبد الغفار الفارسي (ت : ٣٧٧هـ) تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، والشيخ محمد على عوض ، وشارك في تحقيقه الدكتور أحمد عيسى حسن المعصراوي ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٢٨هـ=٢٠٠٧م .

-الخصائص ، لأبي الفتح عثمان بن جنى (ت: ٣٩٢هـ) تحقيق عبد الحميد الهنداوي ، الطبعة الثانية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٩هـ=٢٠٠٨م .

-درة التأويل وغرة التنزيل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز ، للخطيب الاسكافي (ت :٤٢٠هـ) الطبعة الثانية ، دار الآفاق الحديثة ، بيروت ١٩٧٧م .

-الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، لأحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي (ت:٧٥٦هـ) ، تحقيق الأستاذ الدكتور أحمد محمد الخراط ،الطبعة الثانية ،١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

-رصف المباني في شرح حروف المعاني ، لأحمد بن عبد النور المالقي (ت:٧٠٢هـ)، تحقيق الأستاذ الدكتور أحمد محمد الخراط، الطبعة الثالثة ، دار القلم، دمشق ، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

-روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي (ت : ١٢٧٠هـ) ، ضبطه وصححه علي عبد الباري عطية الطبعة الثانية ، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢٦هـ=٢٠٠٥م .

-زاد المسير في علم التفسير لأبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت:٥٩٧هـ)، وضع حواشيه، أحمد شمس الدين ، الطبعة الثانية ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

-الزيادة والإحسان في علوم القرآن ، لأبي عقيلة المكي (ت : ١١٥٠هـ) الطبعة الأولى ، جامعة الشارقة ١٤٢٧هـ=٢٠٠٦م .

-شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، لبهاء الدين عبد الله بن عقيل الهمداني المصري (ت : ٧٦٩هـ) : تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ، الطبعة الرابعة عشرة ، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٨٤هـ = ١٩٦٤م.

-شرح التسهيل ، تسهيل الفوائد وتكميل القصائد ، لجمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك الأندلسي (ت : ٦٧٢هـ) تحقيق أحمد السيد سيد أحمد علي ، المكتبة التوفيقية مصر ، القاهرة

-شرح جمل الزجاجي لابن عصفور الإشبيلي (ت : ٦٦٩هـ) علي بن مؤمن تحقيق وضبط أنس بديوي ، الطبعة الأولى ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٤هـ = ٢٠٠٣م .

-شرح كافية ابن الحاجب ، لرضي الدين محمد بن الحسن الأستراباذي (ت : ٦٨٦هـ) قدم له ووضع حواشيه وفهارسه الدكتور إميل بديع يعقوب ، الطبعة الثانية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م .

-شرح المفصل ، لموفق الدين يعيش بن علي بن يعيش النحوي (ت:٦٤٣هـ) وضع هوامشه وفهارسه الدكتور إميل بديع يعقوب، الطبعة الأُولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

-شرح كتاب سيبويه لأبي سعيد السيرافي (ت : ٣٦٨هـ) تحقيق أحمد حسن مهدلي ، وعلي سيد علي ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية بيروت ١٤٢٩هـ=٢٠٠٨م

-الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها ، لأبي الحسين أحمد بن فارس (ت : ٣٩٥هـ) علَّق عليه ووضع حوشيه أحمد حسن بسج ، الطبعة الثانية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٢٨هـ=٢٠٠٧م .

-الصحاح للإمام إسماعيل بن حماد الجوهري (ت : ٣٩٣هـ أو حوالي ٤٠٠هـ) اعتنى به خليل مأمون شيحا ، الطبعة الأولى ، دار المعرفة ، لبنان ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م .

-عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ ، للشيخ أحمد بن يوسف بن عبد الدائم ، المعروف بالسمين الحلبي (ت :٧٥٦هـ) تحقيق حمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت (د-ت)

-العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت : ١٧٥هـ) الطبعة الثانية ، دار إحياء التراث العربي ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م

-غيث النفع في القراءات السبع ، للشيخ علي النوري بن محمد السفاقسي (ت : ١١١٨هـ) تحقيق محمد بن عبد السميع الشافعي الحفيان ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م .

-فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، لمحمد بن علي الشوكاني (ت: ١٢٥٠هـ) ضبطه وصححه أحمد عبد السلام دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان (د-ت).

-فروق اللغات في التمييز بين مفاد الكلمات ، لنورالدين بن نعمة الله الجزائري ، حققه وشرحه الدكتور محمد رضوان الداية ، الطبعة الأولى ، مكتبة الرشد ١٤٢٤هـ=٢٠٠٣م .

-الفروق اللغوية ، لأبي هلال بن سهل العسكري (ت :٣٩٥هـ) تحقيق محمد باسل عيون السود ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ،بيروت ، ٢٠٠٩م .

-الفوائد والقواعد ، لعمر بن ثابت الثمانيني (ت : ٤٤٢هـ) دراسة وتحقيق الدكتور عبد الوهاب محمود الكحلة ، الطبعة الأولى ، بيروت لبنان ١٤٢٤هـ=٢٠٠٣م .

-الكتاب، أو كتاب سيبويه، لأبي بشر عمرو بن عثمان (ت:١٨٠هـ) ، علق عليه ووضع حواشيه وفهارسه ، د إميل بديع يعقوب ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م .

-الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد الزمخشري (ت:٥٣٨هـ) ، رتبه وضبطه وصححه ، محمد عبد السلام شاهين ، الطبعة الثالثة ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م .

-كشف المعاني في متشابه المثاني ، لبدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الشافعي (ت : ٧٣٣هـ) تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل ، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ١٤٢٨هـ=٢٠٠٧م .

-الكليات ، لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني القَريميِّ الكفويِّ (ت : ١٠٩٤هـ) تحقيق د-عدنان درويش ، ومحمد المصري ، الطبعة الثانية ١٤٣٢هـ=٢٠١١م .

- اللباب في علوم الكتاب ، لأبي جعفر عمر بن عادل الدمشقي الحنبلي المتوفى بعد سنة ٨٨٠هـ، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، الطبعة الأُولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

-لسان العرب ،لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (ت: ٧١١هـ) ، الطبعة الثانية، دار صادر ، بيروت ، ٢٠٠٣م.

-مجاز القرآن لابي عبيدة (ت٢١٠هـ) معمر ١٩٥٤م بن مثنى، تحقيق: محمد فؤاد سركين، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٧٤هـ = - ١٣٨١هـ = ١٩٦٢م،

-المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للقاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت:٥٤٦هـ) تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

-مدارك التنزيل وحقائق التاويل لعبد الله بن أحمد بن محمود النسفي (ت٧١٠هـ) اعتنى به عبد المجيد طعمة حلبي ، الطبعة الثانية ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

-مشكل إعراب القرآن ، لمكي بن أبي طالب القيسي (ت : ٤٣٧هـ) تحقيق يس محمد السواس ، دمشق ١٣٩٤هـ=١٩٧٤م .

-المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ، تأليف أحمد بن محمد بن علي الفيومي (ت : ٧٧٠هـ) دار الكتب العلميو ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٤هـ=١٩٩٤م .

-معاني النحو للدكتور فاضل صالح السامرائي، الطبعة الأولى ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ١٤٢٨هـ =٢٠٠٧م .

-معاني القران ،لأبي الحسن سعيد بن مسعدة المعروف بالأخفش الأوسط (ت:٢١٥هـ) وضع حواشيه وفهارسه إبراهيم شمس الدين، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

-معاني القران ، لأبي زكريا زياد بن عبد الله الفراء (ت:٢٠٧هـ) وضع حواشيه وفهارسه، إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

- معاني القران وإعرابه ، لأبي إسحاق الزجاج إبراهيم بن السري (ت:٣١١هـ) تحقيق الدكتور عبد الجليل عبد شلبي، دار الحديث، القاهرة ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.

-معاني القراءات ، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت : ٣٧٠هـ) تحقيق الشيخ أحمد فريد المزيدي ، قدَّم له ، وقرَّظه الدكتور فتحي عبد الرحمن حجازي ، كلية اللغة العربة ، جامعة القاهرة ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م .

-مغني اللبيب عن كتب الاعاريب لابن هشام (ت٧٦١هـ) جمال الدين يوسف بن احمد بن عبد الله الانصاري، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، القاهرة .

-المفردات ي غريب القرآن ، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت : ٥٠٢هـ) ضبطه هيثم الطعيمي ، الطبعة الأولى ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٨هـ=٢٠٠٨م .

-المفصل في علم العربية ،لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ) ، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

-مقاييس اللغة ، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت : ٣٩٥هـ) تحقيق أنس محمد الشامي ، دار الحديث ، القاهرة ١٤٢٩هـ=٢٠٠٠٨م

-المقتصد في شرح رسالة الإيضاح ، لأبي بكر عبد القاهر الجرجاني (ت : ٤٧١أو ٤٧١هـ) تحقيق الشربيني شريدة ، دار الحديث ، القاهرة ١٤٢٠هـ=٢٠٠٩م .

-المقتضب ، لأبي العباس محمد بن بزيد المبرد (ت : ٢٨٥هـ) تحقيق حسن حمد ،وماجعة الدكتور إميل يعقوب ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ١٤٢٠هـ=١٩٩م .

الملخص في إعراب القرآن ، لأبي زكريا يحيى بن علي المعروف بالخطيب التبريزي (ت : ٥٠٢) تحقيق د-يحيى مراد ، دار الحديث ، القاهرة ١٤٢٥هـ=٢٠٠٤م .

-منتخب قرَّة العيون النواظر في الوجوه والنظائر في القرآن الكريم ، لابن الجوزي (ت : ٥٩٧هـ) تحقيق محمد السيد الصفطاوي ، والدكتور فؤاد عبد المنعم أحمد ، الإسكندرية (د-ت)

–نزهة الأعين في علم الوجوه والنظائر ، للإمام جمال أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي (ت : ٥٩٧هـ) وضع حواشيه خليل المنصور ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ١٤٢١هـ=٢٠٠٠م .

–النكت في شرح كتاب سيبويه ، لأبي الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى الأعلم الشنتمري (ت : ٤٧٦هـ) الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ١٤٢٥هـ=٢٠٠٥م .

–الوجوه والنظائر في القرآن الكريم ، لمقاتل بن سليمان البلخي (ت : ١٥٠هـ) تحقيق أحمد فريد المزيدي ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ١٤٢٩هـ=٢٠٠٨م .

–الوجوه والنظائر في القرآن الكريم ، لأبي الهلال الحسن بن عبد الله العسكري (ت : بعد ٣٩٥هـ) تحقيق أحمد السيد ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ٢٠١٠م .

–الوجوه والنظائر في القرآن الكريم ، لهرون بن موسى القارئ (ت : ١٧٠هـ) تحقيق الأستاذ الدكتور حاتم صالح الضامن ، الطبعة الأولى ، عمَّان ٢٠٠٢م .

–الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز ، لأبي عبد الله الحسين بن محمد الدامغاني (ت : ٤٧٨هـ) تحقيق عربي عبد الحميد علي ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ١٤٢٤هـ=٢٠٠٣م

–همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت : ٩١١هـ) تحقيق الدكتور عبد الحميد هنداوي ، المكتبة التوفيقية ، مصر القاهرة .

– الوسيط في تفسير القران المجيد ، لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (ت:٤٦٨هـ) تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود

والشيخ علي محمد معوض، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

المحتويات

السيرة العلمية

–الاسم : عبد الجبار فتحي زيدان ذنون صوفي علي الحمداني .

–محل وتاريخ الولادة : الموصل/١٩٤٧م ، محلة الشفاء ، قرب دورة قاسم الخياط .

–أنهيتُ دراستي الابتدائية ، في المدرسة القحطانية ، سنة ١٩٦٢ .

–أنهيتُ دراستي المتوسطة ، في متوسطة الحرية ، سنة ١٩٦٥م .

–أنهيتُ دراستي الإعدادية ، في الإعدادية المركزية ، القسم العلمي ، سنة ١٩٦٧م

–خريج كلية التربية الملغاة / قسم اللغة العربية /جامعة بغداد ، حصلتُ على شهادة البكالوريوس في هذه الكلية بدرجة جيد جدًّا ، سنة ١٩٧٢م .

-عُيِّنتُ مدرسًا في ثانوية قيّارة في ١٩٧٣/١٠/٩م ، ثم نُقلتُ بعدها إلى متوسطة كَرَمْلِيسْ ، ثم ثانوية قره قوش ، ثم متوسطة المثنى ، فمتوسطة أبي بكر الصديق ، وبعد حصولي على شهادة الماجستير، تم نقلي إلى معهد إعداد المعلمات سنة ١٩٨٩م .

-حصلتُ على شهادة الماجستير في اللغة العربية ، بدرجة جيد جدًّا عالٍ برسالتي الموسومة (المشاكلة بين واو الحال وواو المصاحبة في النحو العربي) بتاريخ ١٩٨٨/١٢/٢٠م جامعة الموصل / كلية الآداب ، بموجب الأمر الجامعي المرقم ٣١٩/١١/٣ في ١٩٨٩/١/٩م

-حصلت على شهادة الدكتوراه في اللغة العربية ، بدرجة امتياز ، بأطروحتي الموسومة ((ما) في القرآن الكريم /دراسة نحوية) في ١٩٩٧/٨/٢٦م ، بموجب الأمر الجامعي العدد ٢/١١/٣ع٧٢ بتاريخ ١٩٩٧/٩/١٦م

-تم نقل خدماتي إلى وزارة التعليم العالي ، وباشرتُ التدريس بكلية المعلمين في ١٩٩٧/٣/١٩م ، التي هي كلية التربية الأساسية حاليا

-كُلِّفتُ بالخطابة من لدن وزارة الأوقاف ، وكان عدد الجوامع التي صعدتُ فيها على منابرها ، خمسة عشر جامعًا ، وأول خطبة خطبتها كانت في جامع الطالب/حي الرفاعي ، في الأسابيع الأولى من افتتاحه ، سنة ١٩٨٧م ، وأكثر خطبي كانت في جامع يونس النحوي المعروف بجامع شيخ الشط ، وآخرها كانت في جامع العطاش/كوكجلي ، ثم تركتُ المنبر سنة ٢٠٠٠م

-بقيت أعمل تدريسيًّا بكلية التربية الأساسية ، جامعة الموصل ، ومحاضرًا في الدراسات العليا ، ومناقشًا ومشرفًا لرسائل الماجستير وأطاريح الدكتوراه . في قسم اللغة العربية في الكلية المذكورة ، حتى أُحلتُ إلى التقاعد بتاريخ ٢٠١٢/٦/٥م .

-ترقيتُ إلى الأستاذية بتاريخ ٢٠١٢/٦/٣م

موبايل : ٠٧٧٠٢٠٥٠٠٥٠

فايبر : ٠٧٧٠٢٠٥٠٠٥٠
فيسبوك : **البروف النحوي**

للمؤلف

١–الله والتقدم المادي عند الإنسان سنة ١٩٧٧ .

٢–اغتنم شبابك في طاعة الله ، الطبعة الأولى ، مطبعة أسعد بغداد ١٤٠٥هـ =١٩٨٥م ، رقم الإيداع في المكتبة الوطنية ببغداد٢٩٩ لسنة ١٩٨٥م .

٣–فضل الصلاة وحكم تاركها في الكتاب والسنة ، أو رسالة إلى تارك الصلاة ، الطبعة الأولى ، مطبعة أسعد ، بغداد ١٩٨٥م رقم الإيداع في المكتبة الوطنية ببغداد ٥٦٦ لسنة ١٩٨٦م .

وهذه الكتب الثلاثة نفدت نسخها ولم أُعد طبعها ؛ لأنَّها لم تكن وقتئذ مسجلة على قرص ، أو مخزونة في حاسبة .

٤–إعجاز القرآن الكريم . رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد٨٠٢/ لسنة ٢٠٠٩م وهو كتاب منهجي كنتُ أدرِّسه لطلاب المرحلة الرابعة في قسم التربية الإسلامية / كلية التربية الأساسية / جامعة الموصل / أعددتُه حسب المنهج الذي قرّرتْه عمادة الكلية المذكورة .

٥–مواعظ إسلامية . رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد/٨٠٣ لسنة ٢٠٠٩م

٦–دروس إسلامية . رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد/٨٠٤ لسنة ٢٠٠٩م

٧–بين الماضي والحاضر / قصائد إسلامية . وهي من نظمي وشعري ، يضمّ ثماني قصائد ، رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد/٨٠٥ لسنة ٢٠٠٩م وقد غيَّرتُ عنوانه إلى : صيحاتي بأُمَّتي السَّبِيَّة في ثماني قصائد إسلامية .

٨-المشاكلة بين واو الحال وواو المصاحبة في النحو العربي . رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد/٨٠٦ لسنة ٢٠٠٩م

٩-(ما) في القرآن الكريم / دراسة نحوية . رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد/٨٠٧ لسنة ٢٠٠٩م

١٠-دراسات في النحو القرآني . رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق ببغداد/٨١١ لسنة ٢٠٠٩م

١١-من مزاعم النحاة . رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد/٨٠٨ لسنة ٢٠٠٩م

١٢-النصب على نزع الخافض والتضمين من بدع النحاة والمفسرين ، رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق ببغداد/ ١٧٣٢ لسنة ٢٠١٠م .

١٣- الوجوه الدخيلة في كتب الوجوه والنظائر ، لفظ (الذكر) نموذجًا ، مع بحث صغير بعنوان : لغة القرآن فوق نحو النحاة رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد/ ١٧٩٨ لسنة ٢٠١١م

وقد جعلتُ الموضوع الأول من هذا الكتاب ضمن أحد مواضيع التمهيد في كتابي : لا وجوه ولا نظائر ، تحت عنوان دراسة نموذجية ، وجعلتُ كلامي في الموضوع الثاني ضمن التمهيد في كتابي : من مزاعم النحاة .

١٤-لا وجوه ولا نظائر في كتب الوجوه والنظائر . رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد/ ٨٣٢ لسنة ٢٠١٤م

١٥-اختلاق الأوجه والمعاني في كتب حروف المعاني . رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد/ ٨٣٣ لسنة ٢٠١٤م

١٦-طرائق اختلاق الوجوه في كتب الوجوه . . رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد/ ٨٣٤ لسنة ٢٠١٤م

١٧- الأضداد في القرآن الكريم.

ملاحظة : هناك خطأ شائع جدًّا ، يتعلّق برسم الكلمة ، وهو وضع تنوين الفتح والنصب على الألف ، والصحيح وضعها على الحرف قبلها ، فمن ذلك مثلًا رسم الكلمات : مثلاً–سميعاً–كتاباً ، والصحيح : مثلًا–سميعًا–كتابًا ، ومن الخطأ الشائع أيضًا وضع رسم الشدة على الألف نحو : إلاّ–ألاّ–كلاّ والصحيح إلّا–ألّا–كلّا ، وقد استدركتُ في مؤلفاتي هذا الخطأ الذي يتعلّق بالرسم في كثير من المواضع ، وفاتتني مواضع كثيرة أخرى